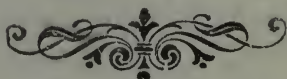


ديوان البوصيري

نظم

شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري



ملئذ الطبع والنشر
 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

ديوان البوصيري

نظم

شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سَعِيد البوصيري

المادحون وأرباب الهوى تبع
الله يشهد أني لا أعارضه
وإنما أنا بعض الغابطين ومن
مديحه لك حب صادق وهوى
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
من ذا يعارض صوب العارض العرم
يقبض وليك لا يذمم ولا يلم
وصادق الحب يملى صادق الكلم
أحمد شوقي

تحقيق

محمد سيد كيلاني

ماجستير كلية الآداب : جامعة القاهرة

شبكة كتب الشيعة



ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

shiabooks.net

رابطه بديل < mktba.net

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

(حقوق الطبع محفوظة)

الاهداء

إلى أمير الشعراء ، وخليفة أحمد شوقي ، الأستاذ الجليل عزيز أباظه :

أَمِيرَ الْفَنِّ وَالشُّعْرِ وَأَعْظَمَ نَائِبِي الْقَمَرِ
سَلِيلَ السَّادَةِ الْأَطْهَاءِ رِ آلِ أَبَاظَةَ الْفُرِّ
جَمَعْتَ إِلَى مَا بَرَّهْمَ طَرِيفَ الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وَكَمْ أَهْدَيْتَ لِلْفَصْحَى مِنْ الْأَلَامِ وَالْبِدْرِ
وَكَمْ قَدَّمْتَ لِلتَّمَنِّيِّ كُلَّ يَنْبَغَةٍ بِكْرِ
تَمَّتْ إِلَى الْحَقَائِقِ وَهِيَ تُعْطَى نَفْثَةُ السَّحْرِ

* * *

أَزُفُ إِلَيْكَ دِيوَانًا يَرِفُ كِيَانِجِ الزُّهْرِ
مُصَوَّرَةً خَوَاطِرُهُ مِنْ الْإِحْسَاسِ وَالْفِكْرِ
يُسَبِّحُ الدِّينُ أَضْوَاءَ بِهِ كَالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
وَيَنْبِسُّ فِي حَنَائِي النَّفْسِ مِثْلَ تَبَسُّمِ الْفَجْرِ
وَمَا هُوَ غَيْرُ تَغْيِيرٍ لِإِعْجَابِي مَعَ الشُّكْرِ

المخلص

محمد سيد كيلاني

أول يولييه سنة ١٩٥٥

مقدمة

البوصيرى

٦٠٨ - ٦٩٦

اسمه ونسبه ولقبه ومولده :

هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن أبى سرور بن حبان بن عبد الله بن ملاك الصنهاجى .

وقيل : محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيانى الحبونى الصنهاجى أبو عبد الله شرف الدين الدلاصى المولد ، المغربى الأصل ، البوصيرى المنشأ .

وعلى كل فقد أجمع المؤرخون على أن اسمه محمد ، واسم أبيه سعيد . ثم اختلفوا بعد ذلك فى بقية نسبه ؛ فمنهم من ينقص ومنهم من يزيد . وهم متفقون على أنه ينتمى إلى بنى حبنون ، وهم فرع من قبيلة صنهاجة الكبيرة التى عاشت ببلاد المغرب .

وقد أشار البوصيرى ، إلى أصله المغربى معتزاً به فى قوله :

فقل لنا من ذا الأديب الذى زاد به حى ووسواسى ؟

إن كان مثلى مغرباً فما فى صحبة الأجناس من باس

وإن يكذب نسبى جثته يجبتى الصوف ودفاسى

وكان أبوه من ناحية بوصير ، وأمه من ناحية دلاص . أما بوصير فهى بوصير قوريدس ، أو بوصير الملق . وتقع بين الفيوم وبنى سويف ، وفيها قتل مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية . وإليها ينسب أبو القاسم هبة الله بن على ؛ أحد رجال الحديث المتوفى سنة ٥٩٨ هـ .

وأما دلاص بفتح الدال، فقد ذكر ياقوت أنها كانت اسم ولاية تقع غرب النيل، مركزها مدينة دلاص، وكانت ملحقة بالبهنسا. ومنها أبو القاسم حسان بن غالب بن نجيح الدلاصي، يروي عن مالك بن أنس والليث بن سعد. وكان ثقة. وتوفي بدلاص سنة ٢٢٣ هـ.

وقد أراد الشاعر أن يخلع على نفسه لقب الدلاصيرى، وهي كلمة منحوتة من لفظتي دلاص وبوصير. قال ابن تغرى بردى: «وكانت له - يعنى البوصيرى - أشياء مثل هذا يركبها من لفظتين، مثل قوله فى كساء له: كساط. فليل له: لماذا تسميه بذلك؟ فقال: لأنى تارة أجلس عليه، وتارة أرتديه، فهو كساء وبساط»، إلا أن هذا اللقب ظل مجهولا، ولم يشتهر إلا بالبوصيرى، ويكنى بشرف الدين.

وقد ذكر المقرئى، أن البوصيرى ولد بناحية دلاص، فى حين أن ابن تغرى بردى ذكر أن مولده ببهشيم من أعمال البهنسا. واتفق هذان المؤرخان على أنه ولد فى يوم الثلاثاء أول شوال. ولم يقطع المقرئى بالسنة التى ولد فيها الشاعر، فذكر ما قيل من أنه ولد سنة ٦٠٧ أو ٦٠٨ أو ٦١٠ هـ. أما ابن تغرى بردى فذكر أن ميلاده كان فى سنة ٦٠٨ وتبعه فى ذلك صاحب شذرات الذهب وابن حجر الهيثمى.

ثقافته :

ليس لدينا من أخبار البوصيرى ما يكشف لنا كيف قضى طفولته أو صباه. غير أنه يمكن القول إنه بدأ حياته الدراسية كما كان يبدؤها معاصروه، وذلك بحفظ القرآن. ثم جاء إلى القاهرة، والتحق بمسجد الشيخ عبد الظاهر^(١)، حيث درس العلوم الدينية، وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، كما درس الأدب، وجانباً من التاريخ الإسلامى، وبخاصة السيرة النبوية. وربما يكون قد درس فى مساجد أخرى غير مسجد الشيخ عبد الظاهر.

وقد حدث أن الملك الصالح نجم الدين الأيوبى الذى تولى ملك مصر سنة ٦٣٧ هـ أخرج ثلاثة آلاف دينار لتوزع على طلبة المدارس، وعهد فى توزيعها إلى أحد الفقهاء، فلم يوزع شيئا على طلبة مسجد الشيخ عبد الظاهر. فنظم البوصيرى قصيدة على لسان هذا المسجد، بين فيها

(١) بحثنا عن ذكر لهذا المسجد فى كتب التاريخ فلم نعث على شيء.

أن المال الذى أخرجه السلطان قد اختلس . ومن هذه القصيدة نفهم أن الشاعر كان يطلب العلم فى المسجد المذكور . فلو فرضنا أن السلطان أخرج هذا المال فى العام الذى تولى فيه ، وهو عام ٦٣٧ لكان البوصيرىّ إذ ذاك فى الثلاثين من عمره تقريبا .

ثم أقبل على التصوف ، فدرس آدابه وأسراره . وقد تلقى ذلك عن أبى العباس المرسى ، الذى خلف أبا الحسن الشاذلى فى طريقته . وكان بين البوصيرىّ وشيخه علاقة حب . وقد تأثر البوصيرىّ بهذه التعاليم ، وظهر أثر ذلك فى شعره واضحا .

وقد عرضت عليه وظيفة الحسبة ، وهذه الوظيفة لاتسند إلا لمن ألمّ بمبادئ الفقه .

ثم إنه اشتغل كاتباً فى بلييس . فلا بد أن يكون قد ألمّ بالأعمال الحسائية التى ينبغى أن تتوافر فى من يعين فى مثل هذه الوظيفة .

وكان يطالع المؤلفات التى يضعها النصارى واليهود تأييداً لأديانهم . وقد رأى فيها إنكاراً لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام . فدعاه ذلك إلى دراسة الإنجيل والتوراة دراسة دقيقة كما درس تاريخ ظهور المسيحية . ثم أخذ يرد على أصحاب هذه الديانات ، محاولاً إقناعهم بأن الأناجيل التى بين أيديهم لاتدل على ألوهية عيسى وإنما تدل على نبوته . وأن هذه الأناجيل تخبر بظهور نبي من أبناء إسماعيل . ثم استنكر ما تنسبه التوراة إلى الأنبياء من ارتكاب المعاصى .

وإلى جانب ما تقدم ، كان البوصيرىّ يحيد فن الخط . وقد ذكر ابن حجر الهيتمىّ أن البوصيرىّ كان من معجائب الله فى النثر والنظم . ولكننا لانعرف عن ثمره شيئاً ، وما كتبه تعليقا على قصيدته « المخرج والمردود على النصارى واليهود » لا يدل على براعة فى النثر .

أما الذين أخذوا عن البوصيرىّ : فمنهم أبو حيان الأندلسىّ المتوفى سنة ٧٢٥ هـ بالقاهرة . وأبو الفتح بن سيد الناس اليعمرىّ المتوفى سنة ٧٣٤ ، وعز الدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٣٥ هـ . ويبدو أنهم أخذوا عنه شعره ونوادره . وكان يجلس أحيانا فى جامع الظاهر ، وينشد مدائح النبوية على الحاضرين .

وعلى كل فمن الراجح أن البوصيرى لم يصب حظا كبيرا من الدراسة المنظمة ، لأنه مع كثرة المدارس في عهده لم تسند إليه وظيفة التدريس في أى مدرسة . وقد فتح كتابا لتحفيظ القرآن . وهذا عمل لا يزاوله إلا من أوتي قليلا من الثقافة .

صفاته وأخلاقه :

وُصِفَ البوصيرى بأنه مختصر الجرم ، ومعنى هذا أنه كان قصيرا نحيفا ؛ ومن أجل هذا كان موضع دعابة الناس ، يسخرون منه أحيانا ، وتقتمحه عيونهم . وقد أشار إلى ذلك بقوله :

ورب أديب ذى لسان كبرد بدا من فم كالكبر أو هو كبر
أراد امتحانا لى فزيف لفظه نتان بدا من نظمه وخير
إذا ما رآنى عافى واستقلنى كآنى فى قعر الزجاجة سور
ويعجبه أنى نحيف وأنه سمين يسر الناظرين طرير

الخ . . .

فمن هذه الأبيات وغيرها ، ندرك موقف الأدباء من البوصيرى الذى كان ضيق الصدر ، لا يحتمل أن ينقد أحد شعره . وكان يطلق لسانه فى كل من يتعرض لشعره بنقد . ومن أمثلة ذلك ، قوله فى هجاء زين الدين بن الرعاد أحد شعراء ذلك العصر :

لقد عاب شعرى فى البرية شاعر ومن عاب أشعارى فلا بد أن يهجا
وشعرى بحر لا يوافيه ضفدع ولا يقطع الرعاد يوما له لجأ

وقد نقل المقرئى ، عن صاحب مسالك الأبصار ، عن الشهاب محمود ، وهو معاصر للبوصيرى ، أن صاحبنا كان على غزارة فضله ممقوتا ، لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح ، وذكره لهم بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء . فلا عجب أن كرهه الناس أجمعون ، حتى تمنوا له الموت . والدليل

على ذلك ، أنه مرض مرة ، وأغنى عليه لمدة طويلة ، فأشاع الناس أنه مات ، وتناقلوا خبر موته .
ولكنه برى وسجل فرحه بشفاؤه ، وعرض بأعدائه الذين أشاعوا خبر موته بقوله :

عاشَ مَنْ بَعْدَ مَوْتِهِ الْبُوصِيرَى وَحَيَاةُ السَّكَلَابِ مَوْتُ الْحَيْرِ
عاشَ قَوْمٌ مُذْ قِيلَ إِنِّي قَدْ مِيتٌ فَاتُوا قَبْلِي بِوَحْزِ الصَّدُورِ
لست ممن يموت أو يقدموني وأبكى عليهم في القبور
وصحيح بأننى كنت قد مِيتٌ وأحياني جود هذا الوزير

فلم يكن البوصيرى مكروها من كتاب النصارى واليهود وحدهم ، بل كان مكروها من الناس
أجمعين ، حتى من أقرب الناس إليه ، وهى زوجته .

ولما كان ببليس ، كان كتاب النصارى يدارونه خشية لسانه ، ويحملون إليه الهدايا
في أعيادهم . وقد حدث أن أهملوه في أحد الأعياد ، فهجأهم بقوله :

يهود بلبس كل عيد أفضل عندى من النصارى
أما ترى البغل وهو بغل فى فضله يفضل الحمارا
فلما سمع النصارى هذين البيتين ، عتبوا عليه وهددوه ، فاضطر إلى أن يقول :
ماللنصارى إلى ذنب وإنما الذنب لليهود
وكيف تفضيلهم وفيهم سر الخنازير والقروء

وقد كان البوصيرى كثير السؤال للناس . فمنهم من كان يحسن إليه اتقاء لسانه ، وهو مع
ذلك كان يسيء الأدب فى السؤال . فمن ذلك قوله يطلب كنفانة من القاضى عماد الدين :

ما أكلنا فى ذا الصيام كنفاه آه وا بُعْذَهَا عَلَىَّ مسافه
قال قوم إن العماد كريم قلت هذا منكم حديث خرافه

واستطرد بعد ذلك في أبيات كلها تشنيع على القاضى المذكور . فاعجب من شخص يهجو الناس ليتصدقوا عليه بشيء من مطاعهم .

وكان له صديق اعتاد أن يبعث إليه شربة في كل سنة . فتأخر عنه في إحدى السنين . وكان من عادة البوصيرى إذا عمل فيه إنسان معروفا في مناسبة من المناسبات ، أن يعد هذا واجبا مقدسا يلزمه القيام به نحوه ، وويل لمن يتأخر ، فإنه يطلق فيه لسانه . فلا هو يذكر ما وصله به من بر ، ولا هو يلمس عذرا لمن يتأخر عنه . وهذا ما حدث لهذا الصديق الذى كان يحسن إلى الشاعر بشربة . فإن البوصيرى لم يهمله ، بل بعث إليه طالبا منه أداء هذا الواجب ، فوصف ما يعاينه من ألم ، وعاتبه على إهماله في إرسال الشربة ، ثم ذكر أنه في ضيق شديد ، وختم قصيدته بما نعت عن ذكره .

والواقع أن طبقة فقراء الصوفية في ذلك العصر، فرضوا أنفسهم على الناس فرضا، وعاشوا عالة على المجتمع . فأراد البوصيرى أن يحذو حذوها ، ولكنه لم يتقن الفن الذى ممكن الصوفية من العيش على حساب غيرهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه ، كان كما وصفه مؤرخوه ، سليط اللسان ، ويظهر ذلك واضحا فيما نظمه من هجاء .

وكان البوصيرى يقف دائما إلى جانب ذوى السلطان، مؤيدا لهم سواء، أكانوا على الحق أم على الباطل . فوقف إلى جانب العنصر التركى، ومدح المماليك مدحا فيه غلو كبير، وهجا العرب هجاء مرا . ولما فرغ علم الدين سنجر الشجاعى من إقامة مجموعة المبائى المنصورية ، أفتى بعض العلماء ومنهم الشيخ محمد المرحانى بعدم جواز الصلاة فى الجامع المنصورى ، وذلك لما وقع على الناس من عسف وسخرة حين بنائه . وقد ألح الشجاعى ، الذى كان مرهوب الجانب من الناس لشدة بطشه ، على المرحانى أن يلقى ولو درسا واحدا فامتنع . قال القرينى ، بعد أن ذكر ذلك : « ولكن البوصيرى مدحه » ، فلم يكن البوصيرى يعرض نفسه لفضب الأمراء مهما فعلوا .

ويبدو من شعره أنه كان يحب حياة الدعة والتعطل ، وأنه كان يرى من حقه على الناس أن يحملوا إليه كل ما يحتاج إليه من أسباب العيش .

ولم يذكر له المقرئى سوى منقبة واحدة . وهى أنه كان كريما . ولعل كرمه هذا ، أو سوء
تديره المال ، كان من أسباب إملاقه .

أما للصوفية ، فإنهم ذكروا للبوصيرى مناقب كثيرة ، منها أنه بلغ مقام العوئية الكبرى ،
وكان إذا مشى فى الشوارع أسرع إليه الناس يقبلون يديه حتى الصفار ، وكانت تنبعث من جسده
رائحة طيبة ، وكان يرتدى الملابس الجميلة ، منور الشيبة ، بسام الثغر متواضعا ، زاهدا ، ذا عفة
ووفا ، إلى غير ذلك مما لا دليل عليه من شعره أو من أقوال المؤرخين الثقات .

تصرفه وعمله :

يبدو أن البوصيرى نشأ فى أسرة فقيرة ، ولذلك اضطر إلى السعى لطلب الرزق منذ
صغره ، فزاول كتابة الألواح التى توضع شواهد على القبور .

ثم أخذ يتقرب من بعض الأمراء والوزراء ، ويمدحهم بشعره ، فعرض عليه أن يكون محتسب
القاهرة . فاعتذر عن قبول هذه الوظيفة ، وشرح لنا أسباب امتناعه فى قصيدة طويلة مطلعها :

لَا تَظْلَمُونِي وَتَظْلَمُوا الْحَسْبَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا نِسْبَةٌ

غَيْرِي فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ دَرْبٌ وَلَيْسَ فِي الْحَالَتَيْنِ لِي دُرْبَةٌ

فهو كما يقول يجهل هذا النوع من العمل . وليست له خبرة بأحوال الأسواق ، ولا بأنواع
التجارة ، وألاعيب التجار ، وما يتعلق بالبيع والشراء من مقاييس ، ومكاييل ، وموازن ،
وغير ذلك .

ومضى ، فى هذه القصيدة ، يصور لنا أعمال المحتسب ، وطوافه فى الأسواق ، وجلوسه فيها
وما يوقعه على الناس من العقوبات ، فقال :

أَجْلَسَ وَالنَّاسَ يُهْزَعُونَ إِلَى فَعَلَى فِي السُّوقِ عَصَبَةٌ عَصَبَةٌ

أَوْجَعَ زَيْدًا ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُ لَكَا كَأَنِّي مَرْقَصُ الدَّبَّةِ

وَيَكْسِبُ الْغَيْظَ مَقْلَتَى وَخَذَى أَحْرَارًا كَزَامِرِ الْقَرْبَةِ

فهو لا يريد أن يرهق نفسه ، ولا أن يشتم ويضرب . وهو يخشى أن يكون ظالماً في عمله ، لأنه يكره الظلم .

وقد عرّض بأحد المحتسبين المعاصرين له ، وذكر لنا ما جره عليه سوء عمله . فيبدو أن صاحبنا خشى أن يصيبه مثل ما أصاب ذلك الرجل . وعلاوة على ما تقدم ، فإن شخصا يسمى « الفخر الفيشي » كان ينافسه في الحصول على هذه الوظيفة . فرأى البوصيرى أن يتقى شر هذا المنافس ، وأن يتعد عن الحسبة ومتاعبها . وقنع بما يكسبه من كتابة الألواح ، ونظم الشعر . وفي ذلك يقول :

ماسوى حرفة الكتابة لى منْ وطر أبتغى ولا إربة^(١)
والشعر ميزانه أقومه وليس تنقام منه لى حدّبة

وإلى جانب ذلك ، فإنه أخذ يتغنى بإتقانه للأعمال الحسابية إلى درجة أنه لم يخطئ قط . قال :

إنى امرؤ حرفتى الحساب فلا يدخل ريب علىّ فى حسبة
ولا ترد الكتاب جائزة على حساب منى ولا شطبة
يشرق منى بريقه رجل يشرب مال العمال فى شربة

ويبدو أنه لم يجد عملاً حسابياً فى القاهرة . فاضطر إلى قبول وظيفة فى بلبس . ولم يكن الرجل ماهراً فى الأعمال الحسابية كما ادعى ، بل كان كما روى القريرى ، قليل المعرفة بها .

ولذلك كثر عنده الخطأ . وكان كتاب النصارى ؛ وهم أعلم منه بالحساب ؛ يكتشفون هذه الأخطاء ، ويقررون عدم صلاحية البوصيرى لما أسند إليه . فأخذ يدافع عن نفسه ، ويرمى هؤلاء الكتاب بالجهل ، ويذكر أنه أعلم منهم . فمن ذلك قوله :

يغالطنى بعض النصارى جهالة إذا أوجب الملقى وألنى الموجب
وما كان من عد الثلاثة واحدا . بأعلم منى بالحساب وأكتبها

(١) سقط هذا البيت من ص ٥٢ من الديوان ، فنلفت نظر القارىء إلى ذلك .

ثم انهار عليهم بالشتائم ، ورماهم بكل موبقة . فنشب عدااء بينه وبينهم ، إلا أن الفقر اضطره إلى مصابرتهم على مَصَص . وكان نصارى بلبس ، مع ذلك ، يحاولون إرضاءه بالهدايا . ويبدو أنه كان موضعاً لدعابة الكتاب . وقد حدث أن ناظر الشرقية استعار حمارة البوصيرى ، فأعجبته ، فاحتفظ بها ، وبعث إليه مِئَتَى درهم . ولكن البوصيرى كان حريصاً على حمارته ، فكتب على لسانها قصيدة إلى ناظر الشرقية ، تدل على ما طبع عليه من ميل إلى الدعابة ، فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهم منه .

قضى البوصيرى أعواماً في بلبس ، متمتعاً بطيب العيش ، متنقلاً بين المدن والقرى التابعة لتلك المنطقة . فرأى البتيات ، والحراز ، ونبئت وشبرا البيوم ، وحاجر ، وقلوب ، وبنها ، وأتريب ، وشمنديل ، وسعدانة ، وغيرها . وقد علفت بذهنه ذكريات جميلة عن تلك الأيام التي قضاه بين الريف ، فنوه بها في شعره . فقال بعد أن سرد أسماء هذه القرى :

أقر تلك القرى السلام فإن أعيتك منها عبارة فإشارة

أذكرتنا عيشاً قديماً نزعنا ه لباساً كالحلة المستعارة

ويقول المقرئى : إن البوصيرى كان يعانى صناعة الكتابة الديوانية ، ويتصرف في المباشرات ، وباشر في الشرقية بلبس ، ورمى المباشرين بأوابد .

وصناعة الكتابة التي يذكرها المقرئى هي كتابة الحساب . وكانت وظيفة البوصيرى صغيرة ، لأن نزاعه مع الكتاب ، يدل على أنه كان واحداً منهم ، وربما كان تنقله بين المدن والقرى التي ذكرها في شعره بحكم عمله .

ثم حدث أن عين للشرقية ناظر جديد ، اسمه ابن عمران ، وقد صورته البوصيرى في صورة الجبار المتعطر ، فقال :

وابن عمران وهو شر متاع للورى فى بطانة وظهاره

يتجنى بسوء خلق على النا س ونفس ظلومة كفاره

وهذان البیتان من قصيدة رفعها البوصیریّ إلى صاحب بهاء الدین بن حنا . وفي هذه القصيدة ، صور لنا معركة حدثت بین بعض الموظفين فی بلیس سالت فیها الدماء .

ویبدو أن الشاعر لم تطب نفسه بالعیش فی هذا الجو ، فترك وظيفته ، وقرر أن یسلك مسلك الصوفیة . ولكن كيف یتيسر له ذلك وهو رب أسرة كبيرة ؟ قال :

أحسب الزهد هینا وهو حرب لست فیـه ولا من النظارة

وقال :

ولولائی وحدى لكنت مریدا فی رباط أو عابدا فی مغاره^(١)

وقد صور فی هذه القصيدة ، ما یعانیه من بؤس وحرمان وذكر أن أولاده فی حالة جوع شدید . وأخذ یتندر عطف ابن حنا ، ویتغیث به لیحسن إلیه ، وینقذه من هذه الضائقة . وقد ذكر مؤرخو البوصیریّ أنه اختص بالصاحب زین الدین یعقوب بن عبد الرفیع . وهذا الوزير بقى فی منصبه من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٦٥٩ هـ .

فالراجح أن البوصیریّ ذهب إلى بلیس بعد عزل ابن الزیر ، أى فی سنة ٦٥٩ هـ . ویبدو أن إقامته فی بلیس لم تطل . وذلك لأن السلطان الظاهر أدخل فی سنة ٦٦٣ هـ تعديلا على نظام القضاء ، بأن عین قاضیا لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، وللبوصیریّ أبيات فی هذا الصدد ، تدل على أنه كان مقیم بالقاهرة .

ومع أن عصر البوصیریّ امتاز بكثرة الوظائف والموظفين ، وبخاصة وظائف التدريس ، إلا أنه لم یظفر بعمل یعیش منه ، فاضطر إلى أن یفتح کتابا لتحفیظ القرآن . وقد أشار إلى ذلك بقوله :

قد صار کتابی وبتی من بنی غیری وأبنائی كبزنج حمام

ولعلّ ربحه من هذا الكتاب كان زهیدا ، فاضطر إلى إغلاقه ، وخرج من القاهرة سعیا وراء الرزق ، فذهب إلى الحلة ، ومدح ناظرها . ویبدو أن هذا الناظر قرر له إعانة شهریة ،

(١) الشطر الأول من هذا البيت غیر موزون ، والشطر الثانی من الخفيف ، وهكذا جاء فی مخطوطات الديوان .

ولكنه ، كعادته ، لم يستطع أن يكسب عطف الكتاب ، وبخاصة النصارى ، فأخروا عنه مرتبه حتى مضت عدة شهور دون أن يعطوه شيئا . فآثر هذا في نفسه تأثيرا شديدا ، وانهاى على هؤلاء الكتاب بهجاء مقذع ، ووصف مالا لاقاه من الجوع ، بسبب تأخرهم فى صرف ماتقرر له فمن ذلك قوله :

وقد قيل كتاب النصارى مناسيرُ فما مثل كتاب الحلة منسِر
فبرد فزادى بانتقامك منهم فقد كاد قلبى منهم يتفطر
منعت بهم حظى شهورا ولم أصل إلى حظهم حتى مضت لى أشهر
وحسبك أنى منهم متصور وكل امرئ منهم كذا يتصور

وقد بقيت جوانحه تنطوى على الحفيظة الشديدة لنصارى الحلة . وظهر أثر ذلك فى شعره ..
فمن قوله فى مدح الصاحب شمس الدين عيسى الذى ولى وزارة الصحة سنة ٦٧٨ .

إن النصارى بالحلة ودُّهم لو كان جامعها يكون كنيسا

ومنها :

من لم يقم لى منهم بوظيفتى جرّسته بلامتى تجريسا

وفى الحلة ، تعرف ببعض الأدياء ، ومنهم زين الدين بن الرعاد ، الذى أشرنا إليه سابقا ، وقلنا إنه نقد شعر البوصيرى ، وأن البوصيرى لم يحتمل هذا النقد فهجاه .

وحدث أن دعاه بعض أصدقائه للذهاب إلى أحد الحمامات فى الحلة ، حيث زلت به قدمه ، فأصيب بكسر فى ساقه . وفى ذلك يقول :

كونوا معى عوناً على الأيام لاتخذلونى يا بنى عرام
إن كان يرضيكم وحاشا فضلكم ضرى ، فحسبى زلقة الحمام

وكثيرا ما وجدنا البوصيرى يشكو من هذا الكسر فى شعره . ولما وقعت له هذه

الإصابة انتقل إلى سخا، وأقام بها بعض الوقت . ولم يكن من السهل أن يلتئم كسره إذ كان كبيرا ، وفي ذلك يقول :

ونتهنى عن المسير إليهم شدة البأس من سخا في مسير
ويقول في نفس القصيدة وهي في مدح تاج الدين حفيد بهاء الدين بن حنا :
من لشيخ ذى علة وعيال ثقلت ظهره بغير ظهير

وقد صور في هذه القصيدة ما وصل إليه من ضيق . فقد ازدردته الولاة ، وهجره أصحابه وضنوا عليه بالعون . قال :

وازدردتنى بعض الولاة وقد أصبح شعرى فيهم كخبز الشعير

رجع البوصيرى إلى القاهرة وأعاد فتح كتابه . وكان دأب رجال الصوفية في ذلك الوقت أن يكتثروا من التنقل من بلدة إلى أخرى . وكانت الاسكندرية إذ ذاك موطننا لقوم من الصوفية الوافدين من بلاد المغرب . وكان أبو العباس المرسى شيخ البوصيرى يزور الإسكندرية من حين إلى حين . وقد استقر بها أخيرا إلى أن مات سنة ٦٨٦ هـ .

فمن المحتمل أن يكون البوصيرى قد دفعه الفقر إلى مغادرة القاهرة ، والذهاب إلى الإسكندرية . ويغلب على الظن أن سفره كان قبل وفاة أبي العباس أى قبل سنة ٦٨٦ هـ . ولكن هل استقر البوصيرى في الاسكندرية أو كان يتنقل بينها وبين القاهرة ؟ لقد نظم أبياتا في فتح عكا تدل على أنه كان مقما بالقاهرة . وهذا حدث سنة ٦٩٠ هـ . ثم إن المقرئ ذكر أنه توفي بالمارستان المنصورى بالقاهرة . وروى العياشى الرحالة المغربى الذى جاء إلى القاهرة سنة ١٠٧٣ هـ ، أنه زار قبر شرف الدين البوصيرى بناحية الإمام الشافعى . وعلى كل حال فليس في شعر البوصيرى ما يدل على سفره إلى الاسكندرية ، ومن المؤكد أنه لم يزال عملا خطيرا هناك ، لأنه كان شيخا كبيرا ، ضعيفا سقما .

ولاشك في أن البوصيرى أخفق في حياته العملية . وذلك ، لأن الانسجام كان مفقودا بينه وبين الناس . وقد عرفنا من أخلاقه ما يكفي لإدراك سر إخفاقه .

فى سنة ٦٦٣ هـ غير السلطان الظاهر نظام القضاء ، فجعل القضاة أربعة ، لكل مذهب قاض ؛ بعد أن كان يتولى القضاء قاض واحد ، ينتمى إلى المذهب الشافعى .

وقد أنكر بعض الفقهاء على السلطان ذلك ، لأنهم رأوا فيه تفرقة لكلمة المسلمين . وقد روى أن بعضهم رأى السلطان الظاهر فى النوم ، فسأله عن حاله ، فقال : « ما رأيت أشد علىّ من ولاية قضاة أربعة . وقيل لى فرقت الكلمة » . ولكن البوصيرى لم يجد بأسا فى هذه التفرقة ، بل وجد فيها توسعة ويسرا . وقال إن بنية الإسلام كانت مريضة ، فصحت بهذا العمل ، وإن اختلاف الآراء لاخطر له ، مادام الدين واحدا ، والكل يأخذ عنه :

هم بنية الإسلام صحت وكيف لا تصحّ وهم أركانها والطبائع
فهم رخصا أبدوا لنا وعزائما هُدينا بها فهمى النجوم الطوالع
فلا تبتئس أن وسع الله فى الهدى مذهبنا بالعلم والله واسع
تفرقت الآراء والدين واحد وكل إلى رأى من الحق راجع
فهذا اختلاف جر للخلق راحة كما اختلفت فى راحتين الأصابع
والرخص التى يشير إليها البوصيرى ، هى ما يحلله مذهب وتحرمه بقية المذاهب . وقد نهى
الفقهاء عن تتبع الرخص .

وقد صار هذا رأى عقيدة عند المسلمين فيما بعد ، وسندهم فى ذلك حديث معناه أن
اختلاف أمتى رحمة . وقد أنكر ابن تيمية وأتباعه هذا رأى ، وطعنوا فى صحة الحديث المتقدم ،
وقالوا إن الاختلاف نعمة . هذا مذهب البوصيرى الفقهى .

* * *

أما موقفه من الفرق الدينية فقد عبّر عنه بقوله :

وتبارأنا من النصب والرفض وأوجبنا لكل جنابا

فهو لا من الناصبة الذين يكرهون آل علي ، ولا من الروافض الذين يسبون ويكفرون
أبا بكر وعمر وعثمان .

ويقول في قصيدة أخرى :

أئمة الدين كل في محاولة إلى صواب اجتهاد منه موكول

ليقضَى الله أمرا كان قدَّرَه وكل ما قدر الرحمن مفعول

وهذا شأن المتصوفة الذين يحترمون الصحابة أجمعين . وقد تغنى البوصيري كثيرا بفضائل
أبي بكر وعمر وعثمان وبقية العشرة المبشرين بالجنة . ولكنه عرض بالأمويين ، وهو يوافق
الشيعة فيما يزعمون من أن معاوية دس السم للحسن . وفي ذلك يقول :

أترجون من أبناء هند مودة وقد أرضعتهم دَرَّ بغضتها هندُ

ويقول :

من شهيدين ليس ينسبني الطَّفُّ مصابيها ولا كَرَّ بلاء

ما رعى فيهما ذمامك مرءو س وقد خان عهدك الرؤساء

إلى قوله :

رب يوم بكر بلاء مسيء خففت بعض وزره الزوراء

وفي هذا البيت إشارة إلى انتقام العباسيين من بني أمية . وربما أورد هذه الإشارة ، بجملة
للخليفة العباسي الذي كان يُقيم بالقاهرة إذ ذاك . وفيما عدا ذلك لانجد له أية إشارة إلى الخلافة
العباسية ، فكَأنه لم يعترف بهذا الخليفة الذي كان على مقربة منه .

* * *

وله قصيدة أنشدها أمام ضريح السيدة نفيسة مطلعها :

جنابكِ منه تستفاد الفوائد وللناس بالإحسان منك عوائد

يذكر البوصيري في هذه القصيدة أنه ركن أمام ضريح السيدة نفيسة ، وعرف وجهه بترابها .
ويقول إنها سليله خير العالمين التي لم ييحد فضلها أحد . وقد ورثت صفات المصطفى وعلومه .
ومن علمها أخذ العلماء ، ومن زهداها استمد الزهاد . ويقول إن هذه العلوم أخذت تنتقل
في الأئمة من سلالتها الذين :

إذا ماضى منهم إمام هُدى أتى إمام هدى يدعو إلى الدين راشد
ويذكر أن قلبه مغمم بحب بني الزهراء ، وأنه يدافع عنهم ويجادل من أنكر فضلهم ؛
وإن اعتقادا خاليا من محبة وحب لكم آل النبي لفساد
ثم حمل على خصوم بني الزهراء ، الذين غصبهم حقهم . وقال إنه كلما تذكر المظالم التي
وقعت عليهم ، أصابه حزن عميق ، وألم شديد . ووجه اللوم العنيف لأولئك الذين قعدوا عن
نصرة الحسين . وشبه الفتنة التي حدثت بين المسلمين عقب مقتل عثمان بالفتنة التي حدثت بين
بنى إسرائيل بعد أن فارقهم موسى . قال :

فيا فتنة بعد النبي بها غدا يهْدَمُ إيمان وتبنى مساجد
وما فتنت بعد ابن عمران قومه بما عبدوا إلا ليهلك عابد
ثم قال إن ما حدث لآل البيت كان بإرادة الله وقضائه ، وإن الله اختار لهم السعادة ، وقدر
لأعدائهم الشقاوة . ومدح الله آل البيت في كتابه بأن أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .
وأخذ يطرى السيدة نفيسة ، فذكر أنها هي العروة الوثقى ، والرتبة العليا ، والغاية القصوى لمن
قصدها واستنجد بها ، وأنها منبع الكرم . ولولا وجودها ما اخضرَّ يابس . ثم شكوا إليها
ما يجده من الضيق والبلاء ، وتوسل إليها أن تدركه وتنقذه مما يعانیه .

ولما انضم إلى الشاذلي وأصبح من أتباعه ، أخذ ينافح عن الصوفية ضد طبقة الفقهاء ،
ويعرّض بهذه الطبقة تعريضا فاحشا . ثم وصف أبا الحسن بأنه قطب الزمان وغوته وإمامه ،
وعين الوجود ، ولسان سر الموجد ، وأنه ورث علومه عن النبي ، فساد معاصريه ، حتى قصروا عن
اللاحق به . وأن تعاليم الشاذلي مؤيدة بروح القدس .

فتاتى ما يلقى إليك فنطقه نطق بروح القدس أى مؤيد

ولما مات الشاذلىّ بصحراء عذاب سنة ٦٥٦ هـ ، عهد براسة الطريقة إلى تلميذه المخلص
أبى العباس المرسىّ ، وهو من الأنصار . وقد مدح البوصيرىّ أبأ العباس بشعر جيد ،
منه قصيدة مطلعها :

كتب المشيبُ بأبيض فى أسود بغضاء ما بينى وبين الخرد

شبه فيها الشاذلى بموسى وأبأ العباس يوشع . والصوفية يقولون إن النبى لا يأتى بشرية
جديدة ، وإنما يحىء مؤيدا لشريعة من قبله ومصدقا لها . وذلك بعكس الرسول . وفى ذلك
يقول البوصيرىّ :

اليوم قام فتى على بعده كيا يبلغ مرشدا عن مرشد
فكان يوشع بعد موسى قائم بطريقه المثلى قيام مؤكّد

وقد ألف ابن عطاء الله السكندرى ، وهو صديق البوصيرىّ ، وزميله فى الأخذ عن
أبى العباس ، كتابا فى مناقب شيخه سماه [لطائف المنن ، فى مناقب أبى العباس المرسى وشيخه
أبى الحسن] وقد سجل البوصيرىّ فى قصيدته المقدمة بعضا مما ذكره ابن عطاء الله من
مناقب هذين القطبين . وهكذا اشترك البوصيرىّ مع زميله فى الدعاية للطريقة الشاذلية .
ولكن ابن عطاء الله لم يعرض بالفقهاء ويلصق بهم المثالب ، مثلما فعل البوصيرىّ ، الذى كان
يتنهر كل فرصة للتشهير برجال القضاء .

وفى هذه القصيدة ، يشرح البوصيرىّ آداب المرید ، التى تقوم على الطاعة العمياء
لشيخه . قال :

فاصحب أبأ العباس أحمد آخذا يد عارف بهوى النفوس منجد
فاذا سقطت على الخبير بدائها فاصبر لمرّ دوائه وتجلد

ومن مناقب أبي العباس التي ذكرها ابن عطاء الله أنه كان يرحب بالمردين ، ويسرع إلى لقاءهم ، ويشرح لهم تعاليمه . وفي ذلك يقول البوصيري :

جعلته لم يرَ للحقيقة طالبا إلا يمد إليه راحة مجتدى
ألفاظه مبذولة بذل الحيا ومصونة صون العذارى الخرد

ثم أخذ يعرض بالفقهاء الذين يأخذون علومهم من الكتب ، في حين أن أبا العباس جمع علوم الحقيقة والشرعة ؛ وأنه يسبح في ملكوت الله .

ساحت رجال في القفار وإنه ليسبح في ملكوت طرف مُشهد

ثم أشاد في أبيات كثيرة بالأنصار ، ووصف أبا العباس بأنه سيف من سيوفهم . قال :

سيف من الأنصار ماض حده فاضرب به في الثابتات وهدد

ولهذه القصيدة ، شرح اسمه « البرد القشيب » ، في تفسير كتب المشيب « لابن محبوب المعتقلاوي ، من علماء أوائل القرن الحادي عشر ؛ منه نسخة خطية بدار الكتب تحت رقم ٩٣٠٤ — أدب .

* * *

وقد أراد البوصيري أن يكون صوفيا فأخفق ، وهو كرجل لم يستطع أن يتشرب تعاليم الشاذلي . وإنما لنجد في أخلاقه وحياته المنزلية ما لا يتفق مع أخلاق الصوفية . ثم إنه كان رب أسرة كبيرة ، فاضطر أن يمدح الأمراء والوزراء ، وقد يكون فيهم الظالم الذي يستحق القدح ، وليس هذا من شأن الصوفية ، الذين كان الحكام يتزلفون إليهم . وعلاوة على ما تقدم ، فإن البوصيري كان تغلب عليه الدعابة ، وقد عرف بها بين الناس ، حتى فضله بعضهم على الجزار ، أحد من اشتهروا بالدعابة في ذلك الوقت . وكل هذا وغيره لا يتفق مع طابع التصوف .

أما البوصيري كشاعر ، فإنه تأثر بالتصوف إلى حد كبير .

يبدو من شعر البوصيري أن حياته في منزله كانت جعيا لا يطاق ، وهو لا يلوم نفسه ولا يحملها شيئا من التبعة في ذلك ، بل يلقي كل اللوم على زوجته . وذنبا الأول في نظره أنها كانت ولودا ، فأثقلت ظهره بالأولاد . وكثيرا ما شكى في شعره من ذلك . فقال :

إليك نشكو حالنا إننا عائلة في غاية الكثرة

وقال :

إن زرتها في العام يوما أتعبت وأت لستة أشهر بغلام

أوكل ما حملت به حملت به من لى بأن الناس غير نيام

أصبحت من حملى همومهم على هَرَمَى كَأْنَى حامل الأهرام

وهكذا كان البوصيري متعبا بكثرة أولاده . فتمنى لو كانت زوجته عقيمًا ، أو أنه كان خادما في منزل ، أو أنه عدل عن الزواج إلى ارتكاب الفاحشة ، أو جارى بعض الصوفية في الشذوذ الجنسي . وذكر أنه سافر إلى الحلة ، سعيا وراء ما يكفي أولاده ، فلم يعجبهم سفره ولا إقامته بينهم . قال :

فارقتهم طلبا لرزقهم فلا صرّفى يسرهم ولا استخدأنى

ولأن البوصيري كان مقترا عليه في الرزق ، ظلت الخوصومة محذمة بلا انقطاع بينه وبين زوجته .

وحدث أن ذهبت تلك الزوجة لزيارة أختها ، وشكت إليها ما تعاني من الضيق . فحرضتها أختها على طلب الانفصال عنه ، وأشارت عليها إن أبى أن يطلقها ، أن تنهال عليه بالضرب ، وتشد لحيته ، وتنفخ شعرة شعرة ، وأخذت أختها تهون من قدر البوصيري ، حتى اقتنعت الزوجة ، وصممت على تنفيذ ما أشارت به أختها . فلما جاءت إلى المنزل وبدأت تشبك مع زوجها

أظهر لها الحدة والغضب ، فما كان منها إلا أن أمسكت آجرة وقذفت بها رأسه . واستمرت المعركة بينهما تارة باليد ، وأخرى باللسان ، من أول الليل حتى مطلع الفجر . وقد روى لنا هذه القصة ، في قصيدة مدح بها صاحب بهاء الدين بن حنا ، مطلعها :

يأيها المولى الوزيرُ الذى أيامه طائفة أمرة

وفى هذه القصيدة يصور لنا حياة أولاده تصويرا مؤلما ، فهم من شدة الجوع ، عبرة لمن أبصرهم ، وإن شربوا من البئر ، لأنه لا زير عندهم ، ولا طعام لهم سوى الخبيزة يسلقونها فى الماء . فإذا اجتمعوا حولها ، قال لهم تنزهوا فى الماء والخضرة ، وقد أقبل عليهم العيد ، ولا قح عندهم . وإذا أبصروا كعكة فى يد طفل ، أو تمر ، شخصت إليها أبصارهم ، وأرسلوا شهقة تنبها زفرة . وهو إذ يرى أولاده على تلك الحال تأخذه الحسرة ، ويشتد ألمه ، لماسهم فيه من حرمان ، ويدكر أن أولاده يتجمعون حوله ، ويسألونه عن سبب امتناعه عن إحضار طعام لهم ، ويعجب من فطنة هؤلاء الأطفال وذكاؤهم مع صغر سنهم ، ثم يخلص من ذلك إلى طلب الإحسان .

ويدكر فى قصيدة أخرى ، أن عنده بنتا خطبت وستزف إلى بعلها ، وأنها تطالبه بإعداد ما يلزم من متاع ، مع أنه لا يملك فى بيته حصيرا . ويقول إن حياته أصبحت كدرا ، وإن أصدقاءه هجروه وقاطعوه ، وأبوا مساعدته بخلا منهم .

وعلى الجملة ، فإن هذه الحياة ، القاسية التى تركز على الفقر والشيخوخة ، وما صحبها من أسقام ، كانت موضوعا للشاعر ، يعرضه فى مدائحه ، ليستدرّ عطف ممدوحيه .

وقد نقل المقرئى ، أن الشهاب محمودا ، حينما قدم مصر ، أراد الاجتماع بالبوصيرى . فلم يلبث أن طرق الباب عليه طارق ، وإذا به البوصيرى . قال : « ثم أدخلته الدار ، فتحدثنا ، وشكا إلى فاقة عظيمة ، وضرورة زائدة ، ثم أطلق لسانه فى الحكم والكتاب » ، فأشار عليه الشهاب محمود ، بأن ينظم قصيدة فى مدح الوزير القائم فى الحكم إذ ذاك ، عسى أن يميزه . ففعل وكان أن ظفر بصله .

فمن هنا نعلم أن الرجل لم يكن مبالغاً فيما صور به حياته القاسية . والعجب بعد ذلك لمن يعتقد أن البردة تجلب الرزق ، وتطرد الفقر .

أما الذنب الآخر الذي يؤاخذ به زوجته ، فهو شكواها من أنه لا يشبع لها رغباتها الجنسية . وقد ذكر ذلك في عدة قصائد : فمن قوله :

حسبت علقى تزول فقالت يا كثير التهوين والتهوير
كل داء له دواء فمجل بمداواة داء عضو خطير
وقوله :

وبليتى عرس بليت بمقتها والبعل ممقوت بغير قيام
جعلت بإفلاسى وشيبي حجة إذ صرت لا خلقي ولا قدامي
بلغت من الكبر العتي ونكست في الخلق وهي صبية الأرحام

الخ ...

وفي أواخر أيامه انتابته الأسقام ، فكان يصاب بالإغماء لمدة طويلة ، حتى يظن أنه مات ، ويذكر أنه مصاب بالبرسام ، وهو التهاب في الصدر . قال :

لو لم أرض علقى بمكتب صبية حميت على عوارض البرسام

وكان من عادته ، كما مر بنا ، أن يتناول شربة في كل عام ، وربما فعل ذلك لاضطراب في معدته . وليس في شعره ما يدل على أنه أصيب بالفالج ، وإنما هناك ما يدل على أنه أصيب بكسر :

* * *

ولتقف في حياة البوصيري عند هذا الحد ، فإن المقدمة لاتسع لأكثر من هذا . ولنبدا الكلام على شعره في المديح النبوي .

إذا ألقينا نظرة تاريخية على المدائح النبوية عند البوصيرى ، وجدناها تنقسم قسمين :
قسما نظمه قبل أداء فريضة الحج ، وقسما نظمه بعد أداء الفريضة .

ومن المؤكد أنه لم يذهب إلى الحجاز قبل سنة ٦٥٤ ، لأنه في هذه السنة نظم في مدح
الرسول قصيدة دالية ، سماها « تقديس الحرم ، من تدنيس الضرم » وكانها بأم نارين . وكان
سبب نظم هذه القصيدة : ما ذكره المقرئ من ظهور نار في المدينة ، نتيجة لهزات أرضية
عنيفة . وبعد أن خمدت ، اشتعلت نار أخرى في مسجد الرسول ، نتيجة لسقوط مسرجة القيم .
فلما طارت هذه الأخبار في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، أحدثت ألما شديدا في النفوس ، انعكس
صداه على ألسنة الشعراء ، ومنهم البوصيرى ، الذى نظم قصيدة مطالعها :

إلهى على كل الأمور لك الحمدُ فليس لما أوليت من نعمٍ حدُّ
ونظم قصيدة حائية مطالعها :

أمدائح لى فيك أم تسبيحُ لولاك ما غفر الذنوب صفوح
وقد ختم هذه القصيدة كما ختم التى قبلها ، بإظهار شوقه إلى زيارة الرسول .

وقبيل ذهابه إلى الحج ، نظم لاميته في الرد على النصارى واليهود . وفي نهايتها مدح الرسول ،
وأعرب عن عزمه القاطع على الرحيل إلى الحجاز ، لزيارة الرسول ، وذكر أنه سيدع التسوييف .
قال :

فلا قطعنّ حبال تسوينى التى منعت سواى إلى حماء وُصولا
حتى أضمت بطيبة الشُّمل الذى أنضى إليها العرْمسَ الشُّمليلا

* * *

ومن أهم قصائده التى نظمها قبل الحج ، قصيدته التى عارض بها كعب بن زهير ، وسماها
[ذخر المعاد ، فى معارضة بانة سعاد] وقد سبقه إلى معارضة كعب ، شعراء أهمهم ابن الساعاتى
للتوفى سنة ٦٥٤ هـ . وكان من عادة الشعراء الذين يتصدون لمعارضة كعب ، أن يسيروا على نهجه

فيبدءون قصائدهم بالغزل، أما البوصيريّ، فإنه خرج عن الطريق المألوف، وافتتح قصيدته بالوعظ والإرشاد، وزجر النفس، وحضها على الزهد في الدنيا والاستعداد للآخرة، وانتهى إلى إظهار شوقه العظيم إلى زيارة الضريح النبويّ .

هذه هي المدائح النبوية، التي نظمها الشاعر قبل أن يذهب لأداء فريضة الحج . فلما صحت عزمته على السفر، وامتطى بعيره متجها إلى الحجاز مع الركب، نظم قصيدة عبر فيها عما يشعر به من الفرح العظيم مطالعها :

سارت العيسُ رُجَّعَ الحنينَا ويحاذين من الشوق البرِّينا
وأخيرا وصل الشاعر إلى المدينة فوقف أمام الضريح النبوي، وأنشد قصيدة مطالعها:
وافاك بالذنب العظيم المذنبُ خجلا يعنّفُ نفسه ويؤنبُ
ثم نظم قصيدة مطالعها :

بمدح المصطفى تحيا القلوب وتُتَفَرَّطُ الخطايا والذنوبُ
ولما فرغ من أداء الفريضة، وهم بمغادرة الأراضى الحجازية، نظم قصيدة مطالعها :
أزمعوا البين وشدّوا الركابا فاطلبِ الصبرَ وخلِّ العتابا
ولما عاد الشاعر من الديار الحجازية، واستقر في القاهرة، شرع في نظم قصيدة طويلة سماها [أم القرى، في مدح خير الورى] وهي المعروفة بالهمزية، مطالعها :

كيفَ ترقى رقيق الأنبيا ياسماء ما طاوتها سماء
وقد ذكر في هذه القصيدة، الأماكن التي سلكها حين ذهابه إلى الحجاز . ومنها نعلم أنه لم يركب البحر، بل اتخذ طريق البر، الذي يبدأ من بركة الحج خارج القاهرة، ثم يتجه شمالا بشرق، ويلتف حول خليج العقبة، ثم يم جنوبا مارا بالعوجاء، والحوراء، وينبع، وحُنين، وبدر، والصفراء، وبزوة، ورابغ، والجُحفة، إلى أن يصل إلى الزاهر خارج مكة .
وقد حازت الهمزية إعجاب الأدباء، فأقبل بعضهم على شرحها .

والآن نتكلم على أهم قصيدة نظمها البوصيرىّ في هذا الباب وهى البردة . وأول من حدثنا عنها هو ابن شاكر الكتبي، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ إذ ذكر قصة إصابة البوصيرىّ بالفالج، ونظمه لهذه القصيدة وشفاءه، وإنشادها للنبيّ الذي أعجب بها، وألقى عليه بردة . ثم أورد قصة إصابة سعد الدين الفارقي برمد أشفى منه على العمى، لولا أن وضع قصيدة البردة على عينيه، فنجّا من شر هذه الآفة .

ثم جاء المقرئى المتوفى سنة ٨٤٥ وابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ فأوردا هذه القصة بنصها، كما هى عند ابن شاكر .

والملاحظ أن عصر البوصيرىّ، كان يزخر بالخرافات . وكان الصوفية أجمعون يدّعون أنهم يرون النبي يقظة ومناما، ويخاطبونه ويخاطبهم، وقد سبق أن ذكرنا أن البوصيرىّ أصيب بكسر . وفى ذلك يقول :

ماضركم جبرُ الكسيرِ وحسبُهُ ما يلتقى في الجبر من آلامٍ

ومع أن الشاعر هنا يتلاعب بالألفاظ، إلا أننا نستطيع أن ندرك أنه كان مصابا بكسر . وقال :

ما حال من مُنِعَ الركوبَ وطرفُهُ يشكو إليه رِباطُهُ محبوسًا

والطَّرْفُ هنا بمعنى الساق . فهو يقول إنه عجز عن الركوب، لأن ساقه المكسورة، كانت قد لفت عليها الأربطة، فتعذرت عليه الحركة . وعلاوة على ما تقدم فإن الفالج لا يربط . ومن هنا نستطيع أن ننفي إصابته بالفالج نفيًا تامًا .

وأمر آخر نستطيع أن نبطل به دعوى إصابته بالفالج، وهو ما أشار إليه في الأبيات التي يشكو فيها من زوجته الولود، والتي يقول فيها :

أو هذه الأولاد جاءت كلها من فعل شيخ ليس بالقوام

فهو يقول، إنه مع وجود هذه العلة، كان يباشر زوجته، وينجب منها . فكيف تكون

هذه العلة فالجا أ بطل نصفه؟! هذا وقد ذكرنا من قبل، أن البوصيرى كان مصابا بعدة أمراض .
فلو كانت البردة تصلح للعلاج من الأمراض ، لكان الأولى أن يتعالج بها صاحبها .

وقد ذكر ابن حجر الهيتمي ، قصة الفالاج ، ثم أردفها بما نصه : « وقيل إنه اشتد رمده ، بعد
نظمها ، فرأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في النوم ، فقرأ عليه شيئا منها ، ففتل في عينيه فبرى لوقته »
وإذا أخذنا بما يرويه ابن حجر ، انتهينا إلى أن البوصيرى ، لم يصب بفالاج ، وأن ما يقال من أن
النبي ألقى عليه بردة ، لم يحدث قط .

ولاشك في أن كل ما قيل حول البردة ، فهو مختلق ومن نسج الخيال . ولقد أمعنوا
في الكذب والاختلاق ، فذكروا أن البوصيرى ، لما وصل إلى قوله : « فبلغ العلم فيه أنه بشر »
توقف . فقال له النبي : قل يا إمام . فقال البوصيرى : إني لم أوفق للمصراع الثاني . فقال النبي :
قل يا إمام « وأنه خير خلق الله كلهم » فأدرج البوصيرى هذا المصراع في قصيدته . وهذا كله
إفك وبهتان . وإلا فكيف استطاع البوصيرى أن ينظم القصيدة كلها وعجز عن هذا الشرط ،
وتوقف فيه ، حتى قام ينشدها أمام الرسول؟! والعجب من قوم لم يتورعوا عن الكذب على
رسول الله! هذا وقد ورد عجز البيت المتقدم بنصه ، في إحدى قصائد الصَّرَصْرِى المتوفى سنة ٦٥٦
التي يقول فيها :

محمد خير خلق الله كلهم وهو الذي لفخار المجد يندسبُ

* * *

فكيف إذا أخذت البردة اسمها ؟ لقد اعتاد الشاعر أن يطلق على مدائحه النبوية أسماء
معينة . فقصيدة اسمها « ذخر المعاد ، على وزن بانة سعاد » ، وقصيدة اسمها « تقديس الحرم ، من
تدريس الضرم » وكنيتها « أم نارين » ، وثالثة اسمها « أم القرى ، في مدح خير الورى » ، ورابعة
اسمها « الخرج والمردود ، على النصارى واليهود » .

وواضح أن هذه الأسماء ، لاتخفى وراءها أسراراً ، ولم يقصد بها أكثر من معناها الظاهر .
وقد أطلق البوصيرى على القصيدة التى نحن بصددھا ، اسم [الكواكب الدرية ، فى مدح خير
البرية] . فليس ببعيد أن يكون البوصيرى ، قد كناها بالبردة ، لاشتغالها على مناقب الرسول .
وحينئذ يكون قد قصد المعنى المجازى ، لا أكثر .

وقد شبه البوصيرى مدائح النبوة بالبردة ، لأنها حوت محاسن الرسول . قال :
. حاك من صنعة القريض برودا لك لم تحك وشيها صنعاء
وأحيانا يشبهها بالحلة ، فيقول :

ها حلة بخلال منك قد رقت مافى محاسنها للعب تخليل
ألبستهم منك حسناً فازدهت شرفاً بها الخواطر منا والمناويل
وقد ذكر الشاعر كلمة « برودة » ، فى غير المناسبات السابقة . ومثال ذلك قوله :
تعذر فى المشيب وكان عيا وبرد شبابه ضاف قشيب
وقوله :

نسجت برود بلاغتيه وأبدت إبداع فى الآساد والآجام
وقد شبه نفسه بكعب . ولكعب كما نعلم ، قصيدة اسمها « البردة » . فمن الراجح أن
البوصيرى ، أراد أن تكون له قصيدة تحمل اسم قصيدة كعب ، وذلك من باب التبرك .
وللبردة ، اسم آخر هو البروة . وذلك لأن البوصيرى ، كما يزعمون ، برى بها من علته .
وقد سميت كذلك ، بقصيدة الشدائد . وذلك لأنها ، فى زعمهم ، تقرأ لتفريج الشدائد ،
وتيسير كل أمر عسير .

ولم يكتف بعض المسلمين بما اخترعوا من قصص حول البردة ، بل وضعوا لقراءتها شروطاً
لم توضع مثلاً لقراءة القرآن . منها : التوضؤ ، واستقبال القبلة ، والدقة فى تصحيح ألفاظها

وإعرابها ، وأن يكون القارىء عالما بمعانيها ، إلى غير ذلك . ولا شك في أن هذا كله من اختراع الصوفية ، الذين أرادوا احتكار قراءتها للناس . وقد ظهرت منهم فئة عرفت بقراءة البردة ، كانت تستدعى في الجنائز والأفراح ، نظير أجر معين .

ووضعوا لها من المناقب والفضائل ما لا يقع تحت حصر . فهى تشفى من عدة أمراض . وتفترج الشدائد ، وتسهل كل أمر عسير . وقد استغل المشعوذون والدجالون قصيدة البردة ، لابتزاز الأموال ، والاحتتيال على صغار الأحلام ، وضعفاء العقول . واتخذوا منها تائم وتعاويز ، وشرعوا يوهمون الأغرار بفوائد هذه التائم ومنافعها ، ويتقاضون على ذلك ما يملأ جيوبهم .

وقد ترتب على ما تقدم ، أن سار ذكر البردة في الآفاق شرقا وغربا ، وحفظها الخالص العام ، وتغنى بها الناس في الموالد والأذكار ، وأكثروا من تلاوتها في شتى المناسبات . قال ابن حجر الهيتمي : « كيف وقد ازدادت شهرتها إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن » . وقد ترجمت إلى بعض اللغات الشرقية والغربية ، وأقبل الشعراء عليها ، فمنهم من يشطرها ، ومنهم من يعجزها ، ومنهم من يخمسها ، ومنهم من يسبعها ، ومنهم من يتسعها ، ومنهم من يعشرها ، ومنهم من ينهج نهجها ، وأوسعها الكتاب شرحا وتعليقا .

أما سبب ذبوع تلك القصيدة ، فيرجع الفضل فيه إلى الصوفية الشاذلية الذين ينتمى إليهم البوصيرى . وإلى الغاربة منهم بنوع خاص . فإن هؤلاء المغاربة ، كانوا زمن الدولة الفاطمية يتمتعون برغد العيش . فلما ذهبت تلك الدولة ، أرادوا أن يحتفظوا بمستواهم المادى ، فاشتغلوا بالسحر والشعوذة ، واتخذوا من البردة مجالا لنشاطهم ، فوضعوا لها المناقب على نحو ما تقدم . واحتكروا نسخها وتأجيرها ، وقراءتها في حلقات الأذكار ، والمائم والأفراح . وكان من دأب هؤلاء المغاربة ، أن ينتقلوا من مدينة إلى أخرى ، ومن إقليم إلى آخر ، فعملوا على نشرها في جميع أنحاء العالم الإسلامى .

وقد ظلت البردة ، بالرغم من طعن ابن تيمية فيها ، مقدسة عند المسلمين . ثم قام محمد بن عبد الوهاب

في نجد ، فأعاد هو وتلاميذه الطعن فيها ، وبينوا ما اشتملت عليه من شرك أكبر في زعمهم .
وقد أنكر ابن تيمية على البوصيرى قوله :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحكم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرم

وذلك لأن البوصيرى ، وإن كان قد أسقط الربوبية عن النبي ، إلا أنه غالى في مدحه غلوا
أضاع معه قيمة إسقاط الربوبية .

* * *

وقد امتاز البوصيرى في مدائحه النبوية بقوة الأسلوب ، وحسن الصياغة ، وجودة المعاني
وجمال التشبيهات ، وروعة الصور .

والصوفية ، يزعمون أن النبي حي في قبره ، يسمع ما يخاطب به ، وما يقال في مدحه .
لذلك اجتهد البوصيرى في الفوز بإعجاب الرسول ، حتى تغفر له ذنوبه ، وينجوه من عذاب النار ،
ويدخل الجنة . ولا شك في أن محاولته محاكاة كعب وحسان ، كانت حافزا له على الإجادة
في هذا الباب . وقد لعبت العاطفة الدينية الصادقة ، دورا هاما في هذا الصدد ، وكذلك روح
التصوف الذي عرف بها البوصيرى .

وإنك لتجد الشاعر يجادل النصارى واليهود في أثناء المدائح النبوية ، جدالا منطقيا وتاريخيا ،
مع الإشارة إلى بعض النصوص الواردة في التوراة والإنجيل ، ويصوغ ذلك صياغة جيدة ، مطبوعة
بالطابع الموسيقي ، الذي ينبغي أن يكون عليه الشعر . ومن تأمل قصيدته [المخرج والمردود]
أدرك صحة ما نقول .

وامتاز البوصيرى فى مدائحه النبوية ، بحسن اختياره للألفاظ المناسبة للمقام . ومثال ذلك قوله فى وصف جند الرسول :

كأنما الدين ضيفٌ حل ساحتهم بكل قرّم إلى لحم العدا قرّمـ
يمجر بحر خميس فوق سابحة يرمى بموج من الأبطال ملتطم
من كل منتدب لله محتسب يسطو بمستأصل للكفر مصظم
الخ . . .

فالشاعر، استخدم كلمات جزلة، وذات رنين خاص يناسب مقام الحرب . وبهذه المناسبة، نذكر أننا لم نجد شاعرا اهتم بوصف جند الرسول ، و برع فى ذلك مثل مابرع البوصيرى .
هذه إشارة عابرة عن الأسلوب . أما من ناحية المعانى ، فإننا نلاحظ تكرارها ، نظرا لتكرار ذكر المعجزات . ولكنه كان يصوغها فى كل مرة صياغة جميلة ، ويضعها فى ثوب جديد، فتبدو فى نظرنا ، وكأننا لا عهد لنا بها من قبل . ومثال ذلك ، قوله فى اختفاء النبىؐ فى الغار وهو :

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرّف من الكفار عنه نعى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرَ ما وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تفسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطمـ
وفى هذه الحادثة نفسها ، يقول قصيدته التى عارض بها كعبا :

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبى معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فياحبذا نسج وتجليل

عناية ضلّ كيد المشركين بها وما مكايدهم إلا الأضاليل
 إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زينها حول
 والصورة الأولى أقوى وأشد تأثيراً في النفس . وقوله « وما حوى الغار من خير ومن كرم »
 أقوى من قوله :

كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواهما غيل
 ومصدر قوته يرجع إلى ما فيه من صدق ؛ فالثابت أن أبا بكر كان خائفاً . وأن النبي هذا
 من روعه ، وقد حكى القرآن ذلك في قوله « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » والثابت
 كذلك أن العنكبوت والحمام قد لعبت دوراً هاماً في صرف أنظار المشركين عن الغار .
 وقوله :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ من الأطم
 أقوى بكثير من قوله :

عناية ضلّ كيد المشركين بها وما مكايدهم إلا الأضاليل
 وقوله : « وكل طرف من الكفار عنه عى » أقوى من قوله « كأن أبصارهم من زينها
 حول » . هذا ولكل من الأبيات الأولى والثانية إيحاء خاص في النفس .

وقد أشار البوصيرى إلى إعجاز القرآن في الهمزية واللامية ، ولكن المعنى تبلور في ذهنه ،
 واتسع وقوى ، فجاء به في البردة على نحو رائع إلى حد بعيد ، وهذا هو مظهر الجدة الذى أشرنا
 إليه ، فلم يكن التكرار عنده عبثاً ، يأتي به لملء الفراغ ، بل كان عرض فكرة قد ازدادت
 وضوحاً في ذهنه ، وهذا مما يشوقنا إلى قراءة قصائده ، والوقوف عند المعانى المشتركة فيها ، والموازنة
 بينها ، واستنباط أوجه القوة على اختلاف درجاتها ، وانظر إلى ما في أبيات البردة من التشبيهات
 القوية ، والصور الرائعة ، والحكم الخالدة .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الشعراء الذين مدحوا الرسول بعد البوصيرى سطوا على معانيه ، التى وردت فى الهمزية والبردة ، وسطوا على ألفاظه وعباراته .

* * *

أما البوصيرى كشاعر ينظم فى الأغراض المختلفة، فإننا لانبجى ديوانه من تلك الأغراض سوى المدح ، والهجاء ، والرد على النصارى واليهود ، والدعابة .

وتمتاز مدائح البوصيرى بميزة قلما نجدها عند غيره من الشعراء . هذه الميزة هى ظهور البيئة المصرية فيها ظهورا واضحا ، مثال ذلك قوله :

وأقبلت تحبى الأرض من بعد موتها وفى الجود ما يحبى الموات وينشر
فهاهى تحكى جنة الخلد نزهة ومن تحتها أنهارها تتفجر
وأعطيت سلطانا على الماء عاليا به يزخر البحر الخضم ويسجر
فياصالحا فى قسمة الماء بينهم ولا ناقة فى أرضهم لك تعقر
ففى بلد من حكمك الماء راكد وفى بلد من حكمه يتحدر
فهذا له وقت وحد معين وهذا له حد ووقت مقدر

فالممدوح اهتم بشئون الرى ، فحفر الترعة وأنشأ الجسور، وضبط مياه النيل، فلاتفتح الأحواض إلا فى وقت معين ، ولا تقفل إلا فى زمن محدد . ثم إن هذا الممدوح اهتم بتوزيع الماء على الزراع توزيعا عادلا، انعدمت أو قلت معه أسباب الشكوى .

ومعلوم أن حياة الأرض فى مصر تقوم على مياه النيل ، وقد عاش الشاعر فى الريف مدة من الزمن ، فعرف حاجة الفلاحين إلى حاكم يهتم بمثل هذه الشئون .

لذلك تغنى بما قام به الممدوح فى هذا الصدد، مطمئنا إطنابا يدل على ارتياحه وتقديره لهذا العمل العظيم ، فى وقت اشتدت فيه حاجة الفلاح لهذه الإصلاحات .

والأمر الثانى الذى يهم الفلاح هو العمل على نشر الأمن ، والقضاء على اللصوص الذين
يغيرون على المواشى وينهبونها ، وعلى المحاصيل فيسرقونها ، فإذا جاء حاكم وعمل على استتباب
الأمن ، وقطع دابر اللصوص ، فإن الألسنة تلهج بالثناء عليه ، وهذا الحاكم الذى يمدحه البوصيرى
قد قام بهذا العمل العظيم ، وسهر على حفظ الأمن ، وقد أشاد البوصيرى بذلك فقال :

فطهر وجه الأرض من كل فاسد وما خلته من قبله يتطهر
ومهد للسالكين من الأذى فليس به الأعشى إذا سار يعثر
أنام الرعايا فى أمان وطرفه لما فيه إصلاح الرعية يسهر
ومن مظاهر البيئة الريفية فى مدائحه قوله :

والمال يحنى كما تنحنى الثمار بها حتى كأنّ بنى الدنيا له شجر
وتابعت بعضها الغلات فى سفر بعضا إلى شون ضاقت بها الخدر
وسيق الخيل للأبواب مسرجة لم تحص عدا وتحصى الأنجم الزهر
والهجن تحسبها سحبا مفوفة فى الحق منها فضاء الجو منحصر
فالحنى والثمار والأشجار والغلات والشون والخيل والهجن ، كلها من وحي الريف .
وفى مدائحه صور وتشبيهات ريفية مبتكرة ، لم يسبق إليها ، ومثال ذلك قوله :

كأنه الدلو يعلو حين تملؤه ماء ويقرغ ما فيه فينحسر
والدهر يرفع أطرافا كما رفعت أذنانها لقضاء الحاجة البقر

وله قصيدة بدأها بذكر مدن الشرقية وقرأها ، والتحسر على الأيام السعيدة التى قضاه

بين ربوعها .

وتظهر فى مدائمه آثار التصوف بصورة واضحة ، مثال ذلك قوله فى أحد ممدوحيه :

معنى الوجود الذى تم الوجود به وهل بغير المعانى قامت الصور

وقوله :

ولم تفتحه من الأوراد ناشئة فى ليلة قام يحياها ولا سحر

يطوى النهار صياما وهو مضطرم والليل يطوى قياما وهو معتكر

وهذه من صفات الممدوح عند المتصوفة ، وقد أسندها الشاعر إلى ممدوحيه بجانب المناقب الأخرى ، فإن مدح الإنسان بالعدل والكرم والشجاعة ، لم يكن كافيا فى ذلك العصر الذى انتشر فيه التصوف ، فكان لابد من إسناد صفات الصوفية إلى الحكام والوزراء .
انظر إليه حين يمدح أحد الوزراء فيقول :

وصل النهار بليله فى طاعة وصلاته موصولة بصيام

حكمت بتقوى الله مقلته التى لم تسكتحل أجفانها بمنام

يمسى ويصبح طاويا أحشاءه كرما على سَقَب وحرّ أوام

عجباله يطوى حشاه على الطوى وتحضه التقوى على الإطعام

نزعت وماهمت به النفس التى نزعت من الشهوات نزع همام

فتنعم الأرواح ليس بمدرّك إلا بترك تنعم الأجسام

قرن الوزارة بالولاية فهو فى حل من التقوى ومن إحرام

وهذه صورة قطب من أقطاب الصوفية ، لا صورة أحد الوزراء الذين يقومون بالحكم ، فروح التصوف التى غابت على عقلية الناس فى ذلك العصر ، جعلت البوصيرى يصور ممدوحه فى صورة من يقوم الليل كله ، مصليا متعبدا لا ينام قط ، ولا يغفل عن ذكر الله ، ويديم الصيام

فترك معدته خالية على حين هو يطعم الناس، وهو بذلك قد ابتعد عن الشهوات التي ينغس فيها غيره ، ثم أورد الشاعر رأى المتصوفة في أن الأرواح لا تتمتع بالنعيم إلا إذا أعرض الإنسان عن لذات الدنيا ، وسلك مسلك الورعين المتنسكين ، الذين يؤثرون العيش الخشن ، فهذا الوزير ، كما يبدو من شعر البوصيرى ، صوفى ، قرن الوزارة بالولاية ، وحل في التقوى وأحرم بها .

ومن مناقب المدوح في ذلك الوقت مايجود به على المتصوفين من عطاء ، وفي ذلك يقول البوصيرى :

وما يزال يعين الطائمين إذا تطوعوا بجميل أو إذا نذروا
ومن أعان أولى الطاعات شاركهم في أجر ما حصروا منه وما تجروا
فما أتى الناس من فرض ومن سنن ففي صحيفته الغراء مستطر
فحج وهو مقيم والحجاز به قوم يقيمون لاجبوا ولا اعتمروا

وهذا من آراء المتصوفة التي نشروها إذ ذاك ليرغبوا الناس في إعانتهم ، فهم يزعمون أن الذى يمدم بالعطاء ، ينتفع بصلاتهم وصيامهم وحجهم ، بأن يرجع إليه ثواب ذلك حتى ولو كان ممن لا يؤدون هذه الفرائض ، وهذا مما لم يعرفه المسلمون الأولون ، وهو من غير شك من اختراع المتصوفة ، والذي عليه المسلمون أن الإحسان لا يعنى فاعله من القيام بالفرائض .

ومن آثار التصوف في مدائح ذكره للفقر والفقراء ، مثال ذلك قوله :

قد أغنت الفقراء وافترت لهم همُ الملوك فما تزال مؤمله
والفقراء هنا هم المتصوفة ، فالممدوح قد أغناهم بالعطاء ، وهم الملوك مفتقرة إلى هؤلاء الفقراء

واستعمل كلمة « الفقر » بمعناها المتعارف ، وهذا أيضا من أثر التصوف . والتصوف واضح

في قوله من قصيدة يمدح بها الصاحب زين الدين أحمد :

وفى علوم الأولين حقوقها والآخرين وفاء من لم يجد
أفضى به علم اليقين لعينه ورآه حاسده بعينى أرمد
كشف الغطاء له فليس كخائر فى دينه من أمره متردد
قد كان يحكم فى الأمور بعلمه شهد الحق لديه أم لم يشهد
لولا مخاطبتنا بقدر عقولنا جاءت معارفه بما لم نعهد

وهذه من مناقب الوزراء فى ذلك الوقت ، فصفاة المدح التى عرفت من قبل تتضاءل
حتى تكاد تختفى فى بعض مدائح البوصيرى ، وتحمل محلها صفات الأقطاب الذين كشف عنهم
الغطاء ، فأدر كواخفيات الأمور ، والوزير المتصف بهذا يحكم بما يقضى به علمه بهذه الخفيات
فهو ليس فى حاجة إلى من يبصره بالحق ، أو ينبهه إلى الخطأ ، فأين صفة العدل أو الكرم
بجانب هذه الصفات التى خلعتها الشاعر على ممدوحه ؟

وقد مدح أبا العباس المرسى بقصيدة مطلعها :

كتب المشيبُ بأبيض فى أسود بغضاء ما بينى وبين الخرد
والقصيدة كلها فى التصوف والإشادة بمناقب المرسى والتعريض بالفقهاء الذين يأخذون
علومهم من الكتب ، فى حين أن المرسى يأخذ علومه من الله ، وعن الله ، وشرح
لآداب المرید

والشاعر لا يمل من وصف أحوال المستخدمين ، وما كانوا عليه من فساد ، وما انتشر بينهم
من رشوة واختلاس وتزوير . يذكر هذا فى كثير من مدائحه ، ويظهر غيرته على الرعية
وأموالها ، ويستنكر ما يقع عليها من ظلم ، حتى إنك لتجد شاعرا أسرف فى ذكر الرعية ، والرعاة ،
والراعى ، ورعى ، ويرعى ، والأمة ، والسياسة ، مثل ما فعل البوصيرى ؛ فن ذلك قوله :

يرعون أموال الرعية بالأذى لو يملبون لأشبهوا الجاموسا

وقوله :

عم الرعية والأجناد معدّلةً فما شكا نفرا من عدله نفر

وقوله :

لولاك ما عدلوا من بعد جورهم على الرعايا ولا عفوا ولا انحصروا

وقوله :

ومن السياسة أن تكون مراعيًا للصالحين تبرهم وتسوسا

وقوله :

وكم سعدت بالطالع السعد أمة وكم شقيت بالطالع النحس معشر

وفي مدائح البوصيرى مبالغات هي مما بقي من الصفات التي كان يخلعها الشعراء على الأئمة في العصر الفاطمي ، وتظهر هذه الناحية عند الشاعر بوضوح في مدائحه لآل حنا الذين ينتسبون إلى آل البيت .

وكثيرا ما يمزج البوصيرى مدائحه بالدعابة المضحكة التي تترك أثرها في النفس ، ويصور حياته وما فيها من ضيق وبؤس ، وبينه وقد خلا من الطعام والفراش والضروريات ، وأولاده الجياع العراة ملتفين حوله في صورة مؤلمة ، ويطنب في ذلك ليستدر عطف الممدوح ، وقد يسوق في أثناء ذلك قصة وقعت له مع زوجته ، أو مع بعض الناس في أسلوب ساخر ، وقالب مجسم حي ، حتى كأنك ترى بعينك ما يقع عليه ، ويمزج الجد بالهزل ويتبرم بالشيخوخة والمرض ، وكثرة الأولاد وتنكر الأصحاب ، وينتهي من ذلك إلى طلب الإحسان ، فكانت مدائحه وبخاصة التي نظمها في أواخر حياته ، يغلب عليها هذا اللون ، ولذلك كانت بالاستجداء أشبه منها بالمدح ، هذا موجز عن فن المدح عند البوصيرى .

ننتقل بعد ذلك إلى فن هجاء المستخدمين الذى اشتهر به الشاعر فى عصره و بعد عصره .
وقد ذكر المقرئى " أن البوصيرى " « كان قليل المعرفة بصناعة الكتابة ، وكان يباشرها ويبغض
طائفة الكتاب ، ويضطر إلى أن يعاشرهم ، ولا يزال رزقه مقترأ عليه ، ويرى الكتاب فى النعمة
يتقلبون » . وقد يكون هذا الدافع الأول للبوصيرى على التنديد بهذه الطائفة ، وبخاصة أنه فى هجائه
للمستخدمين يوازن بين ما هم فيه من نعيم ، وبين ما هو فيه من جحيم ، مثال ذلك قوله :

ملأت بيوتهم الغلال فلم تجد منها كبتى فارغا مكنوسا
وقوله :

بأى أمانة وبأى ضبط أرد عن الخيانة فاسقينا
ولا كيسا وضعت عليه شمعا ولا بيتا وضعت عليه طيفا
ولكن الفكرة تطورت عنده ، فبعد أن كانت متعلقة بمصلحة ذاتية ، أصبحت متعلقة
بالمصلحة العامة ، وبعد أن كان يتألم من أجل نفسه ، أصبح يتألم من أجل الرغبة ، وما يقع عليها
من مظالم ، انظر إلى قصيدته التى مطلعها :

انظر بحمقك فى أمر الدواوين فالكل قد غيروا وضع القوانين
ومنها :

اكشف بنفسك أسوانا ومن معها من الصعيد بلا قوم مساكين
فما الذى دفع الشاعر إلى الحملة على مستخدمى أسوان ، مع بعد المسافة بينه وبينهم ؟
لابد أن يكون قد سمع بما وقع على الرعية من الأذى والظلم ومصادرة الأموال ، فنظم هذه القصيدة
الطويلة ، وهى تنم عن ثورة نفسية جاشت بين جوانح الشاعر ، فانها على موظفى أسوان بالمطاعن ،
حتى إنه لم يترك منقصة إلا نسبها إليهم .

ويعلن البوصيرى فى قصيدة أخرى عن استعدادة لجهاد هؤلاء المستخدمين إذا نصرته
الرعية ، قال :

وإن تنصروني قمت فيهم مجاهدا فإنهم لله أعصى وأكفر
ويذكر أن حديثه عن المستخدمين ، حديث العارف الخبير ، لأنه عاشرهم أعواما ، فوقف
على أسرارهم ، ويقول إنه لم يجد واحدا منهم متصفا بالأمانة والنزاهة ، بل وجدهم كلهم على
غير الصراط المستقيم ، قال :

تكلت طوائف المستخدمين فلم أر فيهم رجلا أمينا
ولم يقصر حملته على كتاب النصارى ، بل حمل على الكتاب المسلمين كذلك ، قال :
وكيف نلوم فساق النصارى إذا خانت عدول المسلمين
ثم ذكر بعض المستخدمين المسلمين ، ووصفهم بأنهم من كبار اللصوص المتخصصين
في سرقة الغلال من الحقول ، وهم لا يستترون بل يكشفون عن سرقاتهم ، بما يلبسون من حرير ،
وما يشربون من خمر ، وما يقتنون من العبيد والجواري .

وربما كانت تعود عليه فائدة لو أنه اقتصر على التنديد بالكتاب النصارى ، وسالم الكتاب
المسلمين ، ولكن الرجل لم يفعل ذلك ، لأنه كان يستهدف المصلحة العامة ، ومن أجل تلك
المصلحة وحدها قرن حملته على المستخدمين بالحملة على الفقهاء ، فمن ذلك قوله :

تحملت القضية فخان كل أمانته وسموه الأئمة
وكم جعل الفقيه العدل ظالما وصير باطلا حقا مبينا
وما أخشى على أموال مصر سوى من معشر يتأولونا
وانظر إلى مافي البيت الأخير من تقديم مصلحة مصر على كل اعتبار ، فلم يذكر مصلحة
ذاتية لهم ، وإنما ذكر مصلحة مصر ، في وقت لم تعرف فيه سوى المصلحة الذاتية ، وهذه من
غير شك وثبة من وثباته ، لا يسعنا إلا أن ننحني أمامها إجلالا وإكبارا .

ومن أسباب حملته على الفقهاء ، وجود التنافس الشديد بين هذه الطبقة وطبقة ، المتصوفة

التي ينتمى إليها البوصيرى ، فالفقهاء ينكرون على المتصوفة مزاعمهم وآراءهم التي ينشرونها بين العامة، ولم يرتاحوا لإقبال الملوك على إنشاء التكايا لهؤلاء المتصوفين، ووقف الأوقاف الواسعة عليها، ولم يعجبهم النفوذ القوى الذي تمتع به هؤلاء القوم في أوساط العامة والخاصة ، لذلك كانت الخصومة عنيفة بين الطرفين، وليس هناك من شك في أن حملة البوصيرى على الفقهاء كانت صدى لتلك الخصومة العنيفة .

وليس معنى ما تقدم أن الفقهاء كانوا كلهم أبرارا . كلا ! فإن عدوى الفساد قد سرت إلى كثير منهم ، وقد ساعد نظام الأوقاف الذي انتشر في ذلك العصر انتشارا واسعا على إفساد بيئة الفقهاء ، وكانت نظارة هذه الأوقاف تسند إلى رجال القضاء الذين كان منهم من يساعد الأمراء على اغتصابها عن طريق الاستبدال ، فيأخذون القصور العامرة مقابل الخرائب ، والأراضى الزراعية مقابل الأراضى البور ، وقد اتخذ البوصيرى من هذا وغيره مادة للطعن في هذه الفئة ، وتصويرها تصويرا لا يخلو من مبالغة .

أما رده على النصارى واليهود فيتركز على :

١ — رفض الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الديانة المسيحية، وهي فكرة ألوهية عيسى، ومحاولة دحض هذه الفكرة دحضا عقليا ومنطقيا .

٢ — رفض فكرة الأقانيم الثلاثة التي يدين بها النصارى ، وقد ناقش الشاعر هذه الفكرة مناقشة مشوبة بالسخرية .

٣ — رفض فكرة الغداء ، وبالتالي القول بصلب المسيح ، مستندا في ذلك أيضا

على العقل والتاريخ

ننتقل بعد ذلك إلى فن الدعابة التي اشتهر بها البوصيرى ، فنقول إن الشعراء في ذلك الوقت انصرفوا إلى مدح الوزراء والسلاطين وكبار الحكام، أو بتعبير أدق إلى استجدائهم ، ولم يكونوا قادرين على هجاء من يمتنع عن إعطائهم ، فعمدوا إلى استدرار عطف المدوح عن طريق تصوير حياتهم القاسية تصويراً قوامه الدعابة الساخرة ، فمن ذلك قول البوصيرى :

لهم من الخُبَّيْزِ مسلوقة في كل يوم تشبه النشرة

أقول مهما اجتمعوا حولها تنزهوا في الماء والخضرة

الخ ...

فانظر إليه وقد صور حياته في صورة ضاحكة ساخرة ، وتأمل قوله « تمتعوا بالماء والخضرة » وانظر كيف عرّض نفسه على لسان أخت زوجته ، وكيف صور نفسه مهزوما مغلوبا على أمره أمام زوجته ، التي قذفته بأجرة فأدمت رأسه ، فهذه الصور ، وإن أضحكنا إلا أنها تجعلنا نعطف على الشاعر ونرتى لحاله .

وللبوصيرى دعابات قصد بها مجرد الزراية ، وأتى فيها بصور هزلية مضحكة ، وهو يميل في الدعابة إلى أسلوب الحوار وإلى سرد القصص ، وأحيانا إلى إجراء الكلام على السنة بعض الحيوانات ، فنظم قصيدة على لسان بغلة ، وأخرى على لسان حمارته .

وقد حدث أن قوما حكم عليهم بأن تخلق نصف لحية كل منهم ، فنظم الشاعر في ذلك أبياتا نذكر منها :

نم قالوا عن ذقون حلقت قلت لا بد لها أن تخلفا

إن خلق الذقن خير للفتى يا بنى الأعمام من أن تنتفا

والذى خلق أنصاف اللحي كان فى الأحكام عدلا منصفا

خلق النصف بذنب حاضر وعفا بالنصف عما سلفا

فانظر إلى هذه السخرية التي أصاب بها الشاعر الحاكم ، فجعله عادلا ، لأنه لم يأمر بحلق اللحية كلها ، وإنما حلق نصفها جزاء ما ارتكبه المحكوم عليهم من الإثم ، وترك النصف الآخر ، لأنه تفضل فعفا عما سلف للمحكوم عليهم من الذنوب ، وطبيعى أن الحاكم لم يفكر فيما ذهب إليه الشاعر ، ولو أنه حلق اللحية كلها لكان أعدل ، أما أنه ترك نصفها فذلك إمعانا في التنكيل ، لما يظهر من قبح المحكوم عليهم ، ولما يجره هذا من لفت الأنظار إليهم ، والإغراق في الضحك منهم ، فما كان من البوصيرى إلا أن قلب القضية ، فجعل الإفراط في الظلم ينتهى العدل ، والقسوة رحمة ، والإساءة إحسانا ، ولهذا النوع من السخرية وقع عظيم في النفس ، وبوساطته يستطيع الكاتب أن ينال من الطغاة دون أن يلحقه أذى ، وقد اشتهر بعض كبار أدباء أوربة بإجادة هذا الفن ، ولم يقصر البوصيرى فيه .

* * *

أما بعد ، فهذه مقدمة درسنا فيها بإيجاز حياة البوصيرى وشعره ، فمن أراد المزيد فليقرأ كتابنا « البوصيرى : دراسة ونقد » الذى أرجو أن أتمكن من نشره قريبا .

ديوانه

لا شك فى أن شهرة البوصيرى بقصيدتيه « البردة » و « الهمزية » جعلت الناس ينسون بقية شعره ، فلم يهتم بديوانه أحد ، ويبدو أن الشاعر نفسه لم يجمع شعره فى ديوان . والبوصيرى شاعر مصرى مثل عصره خير تمثيل ، لذلك رأيت أن أهتم بنشر شعره .

وقد وجدت فى دار الكتب المصرية نسختين خطيتين من ديوانه ، إحداها تحت رقم

٢٣١١ — أدب ، والثانية تحت رقم ٨٢٦ شعر تيمور .

أما النسخة الأولى فإنها مجهولة الأصل، مع أنها حديثة العهد، إذ كان الفراغ من كتابتها سنة ١٣٢٦ هـ .

وجاء على غلافها ما نصه :

« ديوان شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حبان ابن صنهاج بن هلال الصنهاجي البوصيري أو الأبوصيري ثم الدلاصي المتوفى سنة ست مئة وأربع وتسعين ، رحمه الله رحمة واسعة » .

وفي نهايتها ما نصه : « قد وقع الفراغ من كتابة هذا الديوان لأربع ليال خلون من شهر ذي الحجة سنة ألف وثلاث مئة وستة وعشرين للهجرة » .

وهذه النسخة واضحة الخط ، كثيرة الأخطاء النحوية ، والقصائد فيها مرتبة القوافي على جروف الهجاء .

* * *

أما النسخة التيمورية ، فقد نقلت عن نسخة قديمة محفوظة بالمكتبة المرجانية ببغداد ، ويبدو أنها مجهولة الأصل والتاريخ ، لأن الناسخ لم يثبت تاريخ الفراغ من النسخة التي نقل عنها ، ولم يكن الناسخ لهذا المخطوط بإيراد الهمزية أو البردة ، أو اللامية التي رد بها البوصيري عى النصارى واليهود ، بل أورد مطلع كل قصيدة من هذه القصائد ، وبدأ المخطوط بالقصيدة الخائية التي مطلعها :

أمدائح لى فيك أم تسبيح لولاك ما غفر الذنوب صفوح

وقد ذكر أنه أغفل نقل هذه القصائد ، لشهرتها وذيوها .

وفي أول هذا المخطوط ، نجد الديباجة التي وردت في نسخة دار الكتب ، مع زيادات طفيفة أشرت إليها في الهامش .

وعلى غلافها ما نصه :

« ديوان البوصيرى عليه الرحمة » .

وفى نهايتها :

قال جامعه الأستاذ السيد محمود شكرى الألوسى : هذا آخر ما أردنا نسخه من ديوان العارف بالله ، كنز الفضل والأدب والعرفان ، العلامة الشهير بالبوصيرى ، مادح النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد صلاة الجمعة ، لعشرين خلت من ربيع الثانى من سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية ، وكانت نسخة الديوان المنقول عنها فى غاية التحريف والغلط ، وقد بذلت الجهد فى تصحيحها ، والحمد لله على التمام .

وبعد هذا نجد الناسخ قد ألحق بالديوان ما كتبه البوصيرى نثرا ، وزاده على قصيدته :
« المُخَرَّج والمردود ، على النصارى واليهود » .

والنسخة التيمورية جيدة الخط نادرة الأخطاء .

وقد انتفعت فى تحقيق شعر البوصيرى بالكتب الآتية :

١ — منظومة الإمام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود .

مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٤٤ علم الكلام .

٢ — البرد القشيب فى تفسير كتب المشيب ، لعمر بن محبوب المعتقلاوى مخطوط رقم

٩٣٠٤ — أدب — دار الكتب المصرية .

وقد انتفعت بهذا المخطوط فى تحقيق القصيدة التى نظمها البوصيرى فى مدح أبى العباس

المرسى ، وتعزيتة فى شيخه أبى الحسن الشاذلى والى مطلعها :

كتب المشيب بأبيض فى أسود بغضاء ما بينى وبين الخرد

وقد اعتنى المعقلودى ، وهو من علماء أوائل القرن الحادى عشر بشرح الناحية الصوفية
فى هذه القصيدة .

٣ — المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية لإسماعيل النبهانى ، وقد وجدت فى هذه المجموعة
أن لامية البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود ، تختلف اختلافا كبيرا عن رواية الديوان
فى ترتيب أبيات القصيدة ، كما أن بها زيادة تقرب من خمسين بيتا ، فأنتيت بهذه الأبيات
الزائدة ووضعتها بين أقواس مشيرا فى الهامش إلى عدم ورودها فى أصل الديوان ، ولعل
معظم هذه الأبيات الزائدة ليست من شعر البوصيرى ، وإنما هى دخيلة عليه من تشطير
بعض الشعراء .

٤ — وانتفعت بكتب أخرى منها المخطوط ومنها المطبوع .

وقد رمزت لديوان البوصيرى نسخة دار الكتب بالحرف : « د » ، وللنسخة التيمورية
بالحرف : « ت » ، وللمجموعة النبهانية بالحرف : « م » ، ولخطوط « البرد القشيب » بالحرف « ك » ،
وذكرت المراجع الأخرى بأسمائها .

ووجدت للبوصيرى شعرا لم يرد فى ديوانه ، بل ورد فى كتب أخرى ، فأثبتته مشيرا أمام
كل قصيدة إلى الموضع الذى نقلتها عنه .

ولا يسعنى إلا أن أقدم جزيل شكرى للسيد العالم الجليل أستاذى مصطفى السقا على
معونته التى أسداها إلى فى تحقيق هذا الديوان .

كما أشكر للسادة ناشرى هذا الديوان « أصحاب شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى
الحلبى وأولاده عظيم عنايتهم بإخراجه ، وتشجيعى على نشره بدارهم ، التى مازالت تعمل على
نشر نفائس الآداب العربية ، والثقافة الإسلامية منذ قرن من الزمان . وأخص بالذكر السيد
رسم الحلبي مدير المطبعة على معونته الفنية .

أما بعد ، فأرجو أن ينتفع القارئ بهذا الديوان ، والله الموفق .

محمد سيد كيمونى

القاهرة فى ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٧٤ هـ
١٦ يوليو سنة ١٩٥٥ م

فهرس

الموضوع	الصفحة	العين
إهداء		٢٢٤
المقدمة	١	٢٣٠
قافية الهمزة		الفاء
يا سماء ما طاولتها سماء	١	١٢٧
الباء		الكاف
فاطلب الصبر واخل العتابا	٢٩	٢٣١
وتغتفر الخطايا والذنوب	٣٥	٢٣٢
خجلا يعنف نفسه ويؤنب	٤١	اللام
فأصبح منها كل قطر مطيبا	٤٨	١٢٧
ومن عاب أشعاري فلا بد أن يهبجا	٢٢٩	١٧٢
الحاء		١٨٥
لولاك ما غفر الذنوب مديح	٥٥	١٨٨
الذال		١٨٩
وللناس بالإحسان منك عوائد	٥٨	١٨٩
فليس لما أوليت من نعم حد	٦٣	٢٣١
بفضاء ما بيني وبين الخرد	٦٩	الميم
فأخو السيادة أحمد بن محمد	٧٨	١٩٠
وإنما الذنب لليهود	٨١	٢٠١
رست سن بناء محكم فوق جلمود	٢٣١	٢٠٧
الراء		٢٠٨
وتوجه تلقاء بئر عماره	٨٢	٢٢٦
وطاب منه ومنك الأصل والثمر	٨٧	٢٣٣
وبشرك للراجي نداك بشير	٩٦	النون
بصليل عده أو بصير	١٠٦	٢٠٩
ووجهك من شس الأصائل أنور	١١٠	٢١٢
أيامه طائعة أمره	١١٧	٢١٤
أفضل عندي من النصارى	١٢٠	٢١٨
والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا	٢٢٤	٢١٨
عينيه سرا أى سر	٢٢٩	٢٣٢
وحياة الكلاب موت الحمير	٢٣٢	٢٣٣
السين		٢٣٣
فلطالما أنضت إليه العيسا	١٢٠	٢٣٧
والمثق في الجود والباس	١٢٥	٢٣٨
فتنمى يا مهجتي بالبوس	٢٣٠	٢٣٩
الطاء		الياء
فبين الدهر منا موضع النلظ	٢٢٨	٢٣٢
		٢٣٤
		فله كهف للأئمة جامع
		على له أبى إلا امتناعا
		أنكم رحم إليهم مرصفا
		وأشبعوا الكافرين صكا
		بجميل قدمت بين يديكا
		فأبى أقل العالمين عقولا
		وأنت عن كل ما قدمت مشوول
		فامدحه مرتجلا أو غير مرتجل
		مثل خلق العشاق والعدا
		جبلوا على التحريف والتبديل
		ألغاطه لى بأنه فاضل
		تجنبه فبما يقول ويفعل
		مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
		وبجيرة فيها على كرام
		على غير الصراط المستقيم
		يرجي لدفع العظام
		محمد خير من يمشى على قدم
		ما بين كل العرب والعجم
		ومجادين من الشوق البرينا
		دون غيرى والإلف للرحمن
		فالكل قد غيروا وضع القوانين
		فلم أر فهم رجلا أمينا
		لتصحح الأجسام والأبدانا
		بأن عبدك محتاج للقان
		فليس بينى وبينها نسبة
		آه وابعدها علينا مسافة
		وأراح قلبي من مكابدة الوله
		أخذنى عن المذكور ما معناه
		والليل دجا من وفرتة
		والتصايب بعد المشيب رعونه
		على حقوق الإخوان مؤتمنه
		وصير حدها حد الإيمان
		البوصيرى فى كتب التراجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة ، الرُّحْلَةُ الفَهَامَةُ ، تاج الأدب ، وواحد الفضلاء ، مفيد الطالبين ، وعمدة المحققين ، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله ابن حيّان ابن صنهاج بن ملاك الصنهاجيّ الحُبُونِيُّ البُوصِيرِيُّ أو البُوصِيرِيُّ أو البوصيرى ، ثم الدَّلاصى رحمه الله^(١) ، يمدح سيد الكونين ، نبى الساعة ، وصاحب الشفاعة ، الخصوص بالمقام المحمود^(٢) ، والحوض المورد ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :

كيف تَرَقَّى رُقَيْكَ الأنبياء يا سماء ما طاولَتْها سماء
لَمْ يُسَاوُوكْ فى عِلَّاكَ وَقَدْ حَا لَ سَنَّا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاهُ^(٣)
إِنَّمَا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ كَمَا مَثَلُ النُّجُومِ الْمَاءُ^(٤)

(١) ت : رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، ويرد بشآبيب الرضوان مضاجعه ، يمدح سيد الأكوان ، وخلاصة بنى عدنان .

(٢) ت : والآراء المعقود ، والحوض المورد ، صلى الله تعالى وسلم عليه ، وزاده شرفا وكرما لديه ، وآله الطيبين ، وصحبه التابعين أجمعين آمين ، من الخفيف :

كيف ترقى رقيق الأنبياء إلى آخر القصيدة . . .
وقال عفا الله عنه من البسيط :

أمن تذكر جيران بذى سلم إلى آخر القصيدة . . .

وقال رحمه الله تعالى وأسكنه الجنة ، وهذه القصيدة سماها المخرج والمردود ، على التصارى واليهود ، وهى من الكامل :

جاء المسيح من الإله رسولا إلى آخر القصيدة . . .
وقال رضى الله عنه وأرضاه ؛ من الكامل :

أمدائح لى فيك أم تسيح لولاك ما غفر الذنوب صفوح
وهذه القصيدة تبدأ النسخة التيمورية كما ذكرنا .

(٣) السنا : الضوء ، والسناه : الرفة . (٤) مثلوا : صوروا .

أَنْتَ مُصْبِحُ كُلِّ فَاتَصَدَّرُ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءِ
لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ وَمِنْهَا لَأَدَمَ الْأَسْمَاءِ
لَمْ تَزَلْ فِي ضَائِرِ الْكَوْنِ تَخْتَارُ لَكَ الْأَمَهَاتُ وَالْآبَاءُ
مَامَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَّرْتَ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ
تَتَبَاهَى بِكَ الْعَصُورُ وَتَسْمُو بِكَ عَلَيْهَا بَعْدَهَا عَلَيْهَا
وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كَرَمَاءُ (١)
نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلَا بِحِلَاةٍ قَلَدَتْهَا نَجْمُهَا الْجُوزَاءُ (٢)
حَبِذَا عِقْدُ سُودُودٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصَاءُ (٣)
وُمُحَيَّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيٌّ أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَاءُ (٤)
لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدَّيْنِ سُرُورٌ يَبُوءُهُ وَازْدِهَاءُ (٥)
وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْمَوَاقِفِ أَنْ قَدْ وَلِدَ الْمَصْطَفَى وَحَقَّ الْهِنَاءُ (٦)
وَتَدَاعَى إِيوانُ كِسْرَى وَلَوْ لَا آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ (٧)
وَعِذَّا كُلِّ بَيْتٍ نَارٍ وَفِيهِ كَرْبَةٌ مِنْ مُخَوِّدِهَا وَبَلَاءُ
وَعِوْنٌ لِلْفَرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَانَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ
مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْرِ وَبَالٌ عَلَيْهِمْ وَوَبَاءُ
فَهِنِيئًا بِهِ لَأَمِنَةَ الْفَضْلِ الَّذِي شَرَّفَتْ بِهِ حَوَاءُ

(١) د : فتبدأ للوجود ، والتصحيح عن م . (٢) د : حسب . والتصحيح عن م .

(٣) العصاء : البيضاء .

(٤) أسفرت : أضاءت . والفرء البيضاء المقمرة ، روى ليلة ميلاده صلى الله عليه وسلم .

(٥) ازدهاء : خفة الطرب . (٦) المواقف : جمع هاتف ، وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه

(٧) د : تدعاء ، تدعى . والتصحيح عن م .

مَنْ لِحِوَاءِ أَنِهَا حَلَّتْ أَحْمَدَ أَوْ أَنِهَا بِهِ نَفْسَاهُ
 يَوْمَ نَالَتْ بَوْضِعِهِ ابْنَةً وَهَبِ مِنْ فَخَارِ مَا لَمْ تَنْلَهُ النِّسَاءُ
 وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلِ مِمَّا حَلَّتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعِذْرَاءُ
 شَمَّتَهُ الْأَمْلَاجُ إِذْ وَضَعَتْهُ وَشَفَّتْنَا بِقَوْلِهَا الشِّفَاءُ^(١)
 رَافِعًا رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّفْعِ إِلَى كُلِّ سُودُدٍ إِيْمَاءُ^(٢)
 رَامِقًا طَرْفُهُ السَّمَاءَ وَسَمَرَمَى عَيْنٍ مِنْ شَأْنِهِ الْعُلُوُّ الْعَلَاءُ^(٣)
 وَتَدَلَّتْ زُهْرُ النُّجُومِ إِلَيْهِ فَأَضَاءَتْ بِضَوْئِهَا الْأَرْجَاءُ
 وَتَرَأَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ بِالرُّوْمِ يَرَاهَا مَنْ دَارُهُ الْبَطْحَاءُ^(٤)
 وَبَدَتْ فِي رَضَاعِهِ مُعْجَزَاتٌ لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعِيُونِ خَفَاءُ
 إِذْ أَبَتْهُ لِيُتِمَّ مَرْضِعَاتُ قُلَنْ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَا غَفَاءُ
 فَاتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَاعَاءُ
 أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا وَبَيْنَهَا أَلْبَانُهُنَّ الشَّاءُ
 أَصْبَحَتْ شَوْلًا عَجَافًا وَأَمْسَتْ مَا بِهَا شَائِلٌ وَلَا عَجَفَاءُ^(٥)
 أَخْضَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحَلٍّ إِذْ غَدَا لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ
 يَاهَا مِثَّةٌ لَقَدْ ضَوْعِفَ الْأَجْرُ عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ
 وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَهُ أَنْاسًا لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سَعْدَاءُ

(١) القشمية : أن يقال للعاطس : رحمتك الله ، والشفاء : قابلية النبي ، أم عبد الرحمن بن هوف .

(٢) إيماء : إشارة . (٣) الرامق : الناظر .

(٤) البطحاء : مكة . (٥) الشائل : التي جف لبنها . والمجفء : الهزيلة .

حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْفُ لَدَيْهِ يَنْتَشِرُ الضُّعْفَاءُ^(١)
وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبَرَحَاءُ^(٢)
إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ فَظَلَّتْ بَأَنَّهُمْ قُرْنَاءُ^(٣)
وَرَأَى وَجَدَهَا بِهِ وَمِنْ الْوَجْدِ لَهَيْبٌ تَصَلَّى بِهِ الْأَخْشَاءُ^(٤)
فَارْقَتْهُ كُرْهًا وَكَانَ لَدَيْهَا ثَاوِيًا لَا يُمِلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ^(٥)
شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً عِنْدَ غَسَلِهِ سَوْدَاءُ
خَتَمَتْهُ يُعْنَى الْأَمِينِ وَقَدْ أُوْ دَرَعَ مَالِمٌ تَدْعُ لَهُ أَنْبَاءُ^(٦)
صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامُ فَلَا الْفَضْ ضُ مُلِّمٌ بِهِ وَلَا الْإِنْضَاءُ^(٧)
أَلِفَ النَّسْكَ وَالْعِبَادَةَ وَالْخَلْصَةَ طِفْلًا وَهَكَذَا التَّجَبَّاءُ
وَإِذَا حَلَّتِ الْهَدَايَةُ قَلْبًا نَشِطَتْ فِي الْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ
بَعَثَ اللَّهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهُبَ حِرَاسًا وَضَاقَ عَنْهَا الْفَضَاءُ
تَطَرَّدُ الْجِنَّ عَنْ مَقَاعِدَ السَّمْعِ كَمَا تَطَرَّدُ الذَّنَابُ الرِّعَاءُ
فَمَحَتْ آيَةُ الْكَهَانَةِ آيَاتُ مِنَ الْوَحْيِ مَا لَهُنَّ أَجْمَاءُ
وَرَأَتْهُ خَدِيجَةُ وَالتَّقَى وَالزُّهْدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ
وَأَتَاهَا أَنْ الْغَمَامَةُ وَالسَّرْحُ أَظْلَمَتْهُ مِنْهَا أَفْيَاءُ^(٨)
وَأَحَادِيثُ أَنْ وَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ

(١) د : الضعف ، والتصحيح عن م . والعصف : ورق النبات اليابس . يستشرف : يتطلع .

(٢) للبرحاء : شدة الأذى . (٣) قرناء : شياطين . (٤) تصل : تحرق .

(٥) الثوواء : الإقامة . (٦) الأمين : جبريل . (٧) الفضى : الكسر . والإنضاء : الإشاعة

(٨) السرح : الشجر الكبير . والأفْيَاء : جمع فء ، وهو الظلى .

فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوْجِ وَمَا أَحْسَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الْأَذْكَاةَ
وَأَتَاهُ فِي بَيْتِهَا جَبْرِئِيلٌ وَلِذِي اللَّبِّ فِي الْأُمُورِ ارْتِيَاءٌ ^(١)
فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الْخِجَارَ لَتَدْرِي أَهْوَى الْوَحْيُ أَمْ هُوَ الْإِغْمَاءُ
فَاخْتَفَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسَ جَبْرِئِيلُ فَمَا عَادَ أَوْ أُعِيدَ الْغِطَاءُ
فَاسْتَبَانَ خَدِيجَةً أَنَّهُ الْكَذْ زُ الَّذِي حَاوَلَتْهُ وَالْكِيَمِيَاءُ ^(٢)
ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ فِي الْكُفْرِ تَجْدَةً وَإِبَاءً ^(٣)
أَمَّا أُشْرِبَتْ قُلُوبُهُمُ الْكُفْرَ فَدَاخِلُ الضَّلَالِ فِيهِمْ عِيَاءُ
وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا وَإِذَا الْحَقُّ جَاءَ زَالَ الْمِرَاءُ
رَبِّ إِنْ الْهُدَى هَذَا وَآيَا تَكَ نَوْرٌ تَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ
كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَفْعَلُ قَدْ أَلْهَمَ مَا لَيْسَ يُلْهَمُ الْعُقْلَاءُ
إِذَا أَبِي الْقَيْلُ مَا أَتَى صَاحِبُ الْقَيْلِ وَلَمْ يَنْفَعِ الْحِجَا وَالذِّكَا
وَالْجَمَادَاتُ أَفْصَحَتْ بِالَّذِي أَخْبَسَ عَنْهُ لِأَحْمَدَ الْفُصْحَاءُ
وَنَجَّ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضِ أَلْفَتَهُ ضِبَابُهَا وَالظُّبَاءُ
وَسَلَوَهُ وَحَنَ جِذْعٌ إِلَيْهِ وَقَلَوَهُ وَوَدَّهُ الْغُرَبَاءُ
أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَأَوَاهُ غَارٌ وَحَمَتُهُ حَمَامَةٌ وَرَقَاءُ
وَكَفَّتَهُ بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ مَا كَفَّتَهُ الْحَمَامَةُ الْحَصْدَاءُ ^(٤)
وَاخْتَفَى مِنْهُمْ عَلَى قُرْبٍ مَرَّآ هُ مِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخَفَاءُ

(١) ارْتِيَاءُ : تَفَكَّرَ .

(٢) الْكِيَمِيَاءُ : الْإِكْسِيرُ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى النَّحَاسِ وَالْقَصْدِيرُ ، فَيَقْلِبُهُ ذَهَبًا ، كَمَا يَزْعُمُ الْقَدَمَاءُ .

(٣) التَّجْدَةُ : الشَّدَّةُ .

(٤) الْحَصْدَاءُ : كَثِيرَةُ الرِّيشِ .

ونَحَا المصطفى المدينةَ واشتا قَتَ إليه من مكةَ الأنحاءِ
وتَغَتَّتْ بِمَدْحِهِ الجِنَّ حَتَّى أَطْرَبَ الإنسَ منه ذاكَ الغناءِ
واقْتَفَى إثرَهُ سُرَاقَةً فَاسْتَهْوَتْهُ فِي الأرضِ صَافِنٌ جَرْدَاءُ^(١)
ثم ناداهُ بعدَ مَا سَمِيتَ الخُسْفَ وَقَدْ يُنْجِدُ الغريقَ النَّدَاءُ^(٢)
فَطَوَى الأرضَ سَائِرًا والسَّمَا تِ الفُلا فَوْقَهَا له إِسْرَاءُ^(٣)
فَصِيفَ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ لِلخُسْفَانِ فِيهَا عَلَى البُرَاقِ اسْتِوَاءُ
وَتَرَفَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ وتلكَ السَّيَادَةُ القَعْسَاءُ^(٤)
رُتَبٌ تَسْقُطُ الْأُمَانِي حَسَرَى دُونَهَا مَا وَرَاءَ هُنَّ وَرَاءُ
ثم وَافَى يَحْدُثُ النَّاسَ شُكْرًا إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ النِّقْمَاءُ
وَتَحَدَّى فَارْتَابَ كُلُّ مُرِيبٍ أَوْ يَبْقَى مَعَ السَّيُولِ النُّشَاءُ^(٥)
وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الإِلَهِ وَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ كَفَرٌ بِهِ وَازْدِرَاءُ
وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَهُوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ^(٦)
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَآنَتْ صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَاءُ
وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرِهِ وَفَتَحَ بعدَ ذَلِكَ الْخُضْرَاءُ وَالْغُبْرَاءُ^(٧)
وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرَبُ بَاهُ وَالْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ
وَتَوَاتَتْ لِلْمُصْطَفَى الْآيَةُ الْكُبْرَى عَلَيْهِمُ وَالْفَارَةُ الشَّعْوَاءُ

(١) استهوت: هوت به. الصافن: الفرس الكريم. جرداء: قصيرة الشعر.

(٢) سيمت الخسف: أي قاربت الفرس أن يخسف بها، وتنفوس في الأرض، وكانت غاصت إلى ركبتها.

(٣) طوى: قطع. استواء: استقرار.

(٤) قاب قوسين: ما بين مقبضها عند الرى، وهو وسطها وبين آخرها، أي أهل الذى يشد فيه الوتر. فلسكل

قوس قبان: والقعساء: الثابتة الدائمة. (٥) النداء: القش على وجه السيل.

(٦) المحجة: الطريقة. (٧) الخضر: السماء.

فَإِذَا مَا تَلَا كِتَابًا مِنَ اللَّهِ تَلْتَهُ كَتِيبَةً خَضَاءَ^(١)
 وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَا . نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتَهْزَاهُ
 وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فِتْنَاءِ السَّبَيْتِ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءُ
 خَمْسَةُ كُلِّهِمْ أَصَابُوا بِدَاءِ وَالرَّذَى مِنْ جُنُودِهِ الْأُدْوَاءُ
 فَذَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَّلِبٍ أَيُّ * عَمَى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ
 (وَذَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّذَى اسْتِسْقَامَ)^(٢)
 وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَذَشَةُ سَنَهُمْ قَصَّرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ الرَّقْطَاءُ
 وَقَضَتْ شَوْكَةً عَلَى مُهْجَةِ الْعَالَا صَيَّ فَتَلَّهُ النَّقْعَةُ الشُّوكَاءُ^(٣)
 وَعَلَا الْحَارِثَ الْقُيُوحُ وَقَدْ سَا لَ بِهَا رَأْسُهُ وَسَاءَ الْوِعَاءُ
 خَمْسَةُ طَهَّرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْضَ ضُ فَمَكَّفُ الْأَذَى بِهِمْ شَلَاءُ
 فَذَيْتُ خَمْسَةِ الصَّحِيفَةِ بِالْخَمْسَةِ إِنْ كَانَ بِالْكَرَامِ فِدَاءُ
 فَتِيَّةٌ يَبْتَئُونَ عَلَى فِعْلِ خَيْرٍ حَمْدُ الصَّبْحِ أَمْرُهُمُ وَالْمَسَاءُ
 يَا لِأَمْرِ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ زَمَعَةٌ إِنَّهُ الْفَتَى الْأَتَاءُ
 وَزُهَيْرُ الْمُطْعِمِ بْنُ عَدِيٍّ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ مِنْ حَيْثُ شَاءُوا
 نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شَدَّتْ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعِدَا الْأَنْدَاءُ^(٤)
 أَذْ كَرْتَنَا بِأَكْلِهَا أَكْلَ مَنْسَا قِ سُلَيْمَانَ الْأَرْضُضَةُ الْخُرْسَاءُ^(٥)

(١) الكتبية الخضراء: المدمجة بالسلح . (٢) هذا البيت ساقط من د ، ومثبت في م .

(٣) للنقعة : الموت والشوكاء : الخشنه .

(٤) الصحيفة: التي تعاهد فيها الكفار على مقاطعة بني هاشم . شدت : هممت . الأنداء : جمع نادى ، أى من فيها .

(٥) المنساء : العصا . . والأرضة الدويبة التي تأكل الورق والخشب .

وبها أَخْبَرَ النَّبِيَّ وَكَمْ أَخَذَ خَبِيثًا لَهُ النَّيُّوبُ خَبَاءً^(١)
 لَا تَخْلُ جَانِبَ النَّبِيِّ مُضَامًا حِينَ مَسَّتْهُ مِنْهُمْ الْأَسْوَاءُ
 كُلُّ أَمْرٍ نَابَ النَّبِيِّينَ فَالْشَّدَّةُ فِيهِ مَحْمُودَةٌ وَالرَّخَاءُ
 لَوْ يَمَسُّ النَّضَّارَ هُونٌ مِنَ النَّارِ لِمَا اخْتَبِرَ لِلنُّضَارِ الصَّلَاةُ^(٢)
 كَمْ يَدُّ عَنِ نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللَّهُ فِي الْخَلْقِ كَثْرَةً وَاجْتِرَاءً
 إِذْ دَعَا وَحْدَهُ الْعِبَادَ وَأَمْسَتْ مِنْهُ فِي كُلِّ مُقَلَّةٍ أَفْذَاهُ
 هَمٌّ قَوْمٌ يَقْتُلُهُ فَأَبَى السَّيِّئُ فُ وِفَاءُ وَفَاءَتِ الصَّفْوَاءُ^(٣)
 وَأَبُو جَهْلٍ أَذْ رَأَى عُنُقَ الْفَخْلِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ الْعَنْقَاءُ
 وَاقْتَضَاهُ النَّبِيُّ دَيْنَ الْإِرَاشِيِّ وَقَدْ سَاءَ بَيْعُهُ وَالشَّرَاءُ^(٤)
 وَرَأَى الْمَصْطَفَى أَنَاهُ بِمَا لَمْ يُنْجِ مِنْهُ دُونَ الْوَفَاءِ النَّجَاءُ
 هُوَ مَا قَدْ رَأَاهُ مِنْ قَبْلُ لَكِنْ مَا عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الْخَطَاءُ
 وَأَعَدَّتْ حِمَالَةُ الْحَطَبِ الْفَهْرَ وَجَاءَتْ كَأَنَّهُا الْوَرْقَاءُ^(٥)
 يَوْمَ جَاءَتْ غَضَبِي تَقُولُ أَفَى مِثْلِي مِنْ أَحْمَدٍ يُقَالُ الْهَجَاءُ^(٦)
 وَتَوَلَّتْ وَمَا رَأَتْهُ وَمِنْ أَيْسَنِ تَرَى الشَّمْسَ مُقَلَّةً عَمِيَاءُ
 ثُمَّ سَمَتْ لَهُ الْيَهُودِيَّةُ الشَّامَةَ وَكَمْ سَامَ الشَّقْوَةَ الْأَشْقِيَاءُ
 فَأَذَاعَ الذَّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَرٍّ يَنْطُقُ إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ

(١) الخبء : الخبيء . والخباء : بيت من الشعر .

(٢) الهون : الإهانة . والصلاة : الرضع على النار .

(٣) فاءت : رجعت . والصنفاء : الحجارة ، جمع صفاة .

(٤) اقتضاه : طلب منه . والإراشي : رجل باع أبا جهل إبلا ، فاطله في دفع ثمنها .

(٥) حمالة الحطب : زوجة أبي لهب . والفهر : الحجر الذي يملأ الكف . والورقاء : الهامة .

(٦) إشارة إلى ما ورد في سورة تبت .

وَيُخَلِّقُ مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ لَمْ تُقَاصَصْ بِجِرْحِهَا الْعَجَبَاءُ^(١)
 مِنْ فَضْلًا عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَانَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهِمْ رَبَاءٌ^(٢)
 وَأَتَى السَّبْيُ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ وَضَعَ الْكَفْرُ قَدْرَهَا وَالسَّبَاءُ^(٣)
 سَفَاهَا رِبًّا تَوَهَّمَتِ النَّاسُ بِهِ أَلَمَّا السَّبَاءُ هِدَاءُ^(٤)
 بَسَطَ الْمَصْطَفَى لَهَا مِنْ رِداءٍ أَيْ فَضْلَ حَوَاهُ ذَلِكَ الرَّداءِ
 فَفَدَّتْ فِيهِ وَهِيَ سَيِّدَةُ النِّسْوَةِ وَالسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءُ
 فَتَنَزَّهَتْ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ اسْتَعَا بِإِنْ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءُ^(٥)
 وَأَمَّا السَّمْعَ مِنْ مُحَاسِنَ مُبْمَلِيهَا عَلَيْكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ
 كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأَتْ بِهِ اسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتَدَاءُ
 سَيِّدُ ضَحْكِهِ التَّبَسُّمُ وَاللَّشَى الْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ
 مَا سِوَى خُلُقِهِ النَّسِيمُ وَلَا غَيْرَ مُحْيَاهُ الرِّوَضَةُ الْغِنَاءُ
 رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَغَزْمٌ وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ
 لَا تَحُلُّ الْبُاسَاءُ مِنْهُ عُرَا الصَّبْرِ وَلَا تَسْتَخِفُّهُ السَّرَّاءُ
 كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّوءُ عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ
 عَظُمَتْ نِعْمَتُهُ الْإِلَهَ عَلَيْهِ فَاسْتَقَلَّتْ لِذِكْرِهِ الْعُظَمَاءُ
 جَهَلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى وَأَخُو الْحِلْمِ دَأْبُهُ الْإِغْضَاءُ
 وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا فَهُوَ بِجَرِّهِ لَمْ تُغَيِّرِ الْأَعْبَاءُ

(١) لم تقاصص : لم يقتصر منها . والعجاء : الهيمة . (٢) الرباء : الترية .

(٣) أخت رضاع : هي الشيماء أخت النبي من الرضاع .

(٤) حباه : أعطاه . والهداء : تقديم العروس إلى زوجها . (٥) الاجتلاء : النظر .

مستقلٌ دُنيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْكَ مِنْهَا إِلَيْهِ وَالْإِعْطَاءُ
 شمسُ فضلٍ تَحَقَّقَ الظَّنُّ فِيهِ أَنَّهُ الشَّمْسُ رِفْعَةً وَالضِّيَاءُ
 فَإِذَا مَا ضَحَا مَحَا نَوْرُهُ الظُّلُّ وَقَدْ أَثْبَتَ الظَّلَالُ الضَّحَاءُ^(١)
 فَكَانَ الْعِمَامَةَ اسْتَوْدَعَتْهُ مَنْ أَظْلَتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفْعَاءُ^(٢)
 خَفِيَتْ عِنْدَهُ الْفَضَائِلُ وَانْجَا بَتَّ عَنْ عَقُولِنَا الْأَهْوَاءُ
 أَمَعَ الصُّبْحِ لِلنَّجُومِ تَجَلَّى أَمَّ مَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ
 مُعْجَزُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ الْخَلْقِ قِ وَالْخَلْقِ مُقْسِطُ مِيعَاتِهِ
 لَا تَقْسُ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خَلْقًا فَهُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنَامُ إِضَاءُ^(٣)
 كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ مِنْ فَضْلِ النَّبِيِّ اسْتَعَارَهُ الْفَضْلَاءُ
 شَوْقٌ عَنْ صَدْرِهِ وَشَوْقٌ لَهُ الْبَدَنُ رُومِينَ شَرْطٍ كُلِّ شَرْطٍ جَزَاءُ^(٤)
 وَرَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشًا مَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الْإِلْقَاءُ^(٥)
 وَدَعَا لِلْأَنَامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ سَنَةٌ مِنْ مُحُولِهَا شَهَابُ^(٦)
 فَاسْتَهَلَّتْ بِالغَيْثِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ^(٧)
 تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ الرَّغْيِ وَالسَّقَمِ وَحَيْثُ الْعِطَاشُ تُوَهَّى السَّقَاءُ^(٨)
 وَأَتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا وَرَخَاءٌ يُؤْذِي الْأَنَامَ غَلَاءُ
 فَذَعَا فَانْجَلَى الْغَمَامُ فَقُلْ فِي وَصْفٍ غَيْثٍ إِقْلَاعُهُ اسْتِسْقَاءُ
 ثُمَّ أَثَرَى الثَّرَى فَفَرَّتْ عُيُونُ بَقَرَاهَا وَأُحْيِيَتْ أَحْيَاءُ^(٩)

(١) ضحا : ظهر نوره للشمس . (٢) الدفعا : المراد بهم الجماعة من أصحاب الرسول يسرون معه .
 (٣) الإضاء : جمع إضاءة ، وهي الغدران . (٤) الشرط : الشق . والخزاء ما يجزى به ، وفي كل منهما تورية .
 (٥) أقصد : أصاب . العصا : قصد بها عصا موسى . (٦) الشهاب : المجدبة .
 (٧) استهلت : أمطرت . وطفاء : مسترخية الجوانب لكثرة ماثها .
 (٨) تتحرى : تتبع . والسقاء : القرية . (٩) الأحياء : القبائل .

فَرَى الْأَرْضَ غِيَةً كَسَاءَ أَشْرَقَتْ مِنْ نَجُومِهَا الظُّلُمَاءُ
تُخَجِّلُ الدَّرَّ وَالْيَاقِيتَ مِنْ نَوَى رُبَاهَا الْبَيْضَاءُ وَالْحُمْرَاءُ
لَيْتَهُ خَصَّنِي بِرُؤْيَايَ وَجْهَ زَالَ عَنْ كُلِّ مَنْ رَأَى الشَّقَاءَ
مُسْفِرٌ يَلْتَقِي الْكَتِيبَةَ بَسًّا مَا إِذَا أَسْهَمَ الْوُجُوهَ اللَّقَاءُ^(١)
جُعِلَتْ مَسْجِدًا لَهُ الْأَرْضُ فَاهْتَزَّتْ بِهِ لِلصَّلَاةِ فِيهَا حِرَاءُ
مُظْهِرِ شَجَّةِ الْجَبِينِ عَلَى الْبُرِّ كَمَا أَظْهَرَ الْهَلَالَ الْبَرَاءُ^(٢)
سُتِرَ الْحُسْنُ مِنْهُ بِالْحُسْنِ فَاعْجَبَ لِحَالِ لَهُ الْجَمَالُ وَقَاءُ
فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحٍ مِنْ سَجْفِ الْأَكْ مَامٍ وَالْعُودِ شَقٍّ عَنْهُ اللَّحَاءُ^(٣)
كَأَدَّ أَنْ يُغَشِّيَ الْعُمُودَ سَنًا مِنْهُ لِسِيرٍ فِيهِ حَكَّتُهُ ذُكَا
صَانَهُ الْحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أَنْ تُظْهِرَ فِيهِ آثَارَهَا الْبُاسَاءُ
وَتَحَالُ الْوُجُوهَ إِنْ قَابَلَتْهُ أَلْبَسَتْهَا أَلْوَانَهَا الْحِرْبَاءُ
فَإِذَا شَمَتَ بَشْرُهُ وَنَدَاهُ أَذْهَلَتْكَ الْأَنْوَارُ وَالْأَنْوَاءُ
أَوْ بِتَقْيِيلِ رَاحَةٍ كَانَ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ أَخَذَهَا وَالْعَطَاءُ
تَتَقَّى بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَتَحْطَى بِالْفَقْرِ مِنْ نَوَالِهَا الْفُقَرَاءُ
لَا تَسْلُ سَيْلَ جُودِهَا إِنَّمَا يَكُ فَيْكِ مِنْ وَكْفٍ سُحْبِهَا الْأَنْدَاءُ^(٤)
دَرَّتِ الشَّاةُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا فَلَهَا ثَرْوَةٌ بِهَا وَنَمَاءُ
نَبَعَ الْمَاءُ أَثْمَرَ النَّخْلُ فِي عَا مَ بِهَا سَبَّحَتْ بِهَا الْخُصْبَاءُ

(١) أسهم : غير .

(٢) شجرة الجبين : جرحه ، وقد شج جبين النبي في غزوة أحد . والبراء : أول ليلة من الشهر .

(٣) السجف : السمر . والأكام جمع كم : وهو وعاء الزهر . واللحاء : قشر الشجر .

(٤) الوكف : المطر الشديد .

أَحْيَتِ الْمُرْمِيْنَ مِنْ مَوْتِ جَهْدٍ أَغَوَرَ الْقَوْمَ فِيهِ زَادٌ وَمَاهُ ^(١)
فَتَغَدَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ جِيَاعٌ وَتَرَوَى بِالصَّاعِ أَلْفٌ ظِمَاهُ
وَوَفَى قَدْرُ بَيْضَةٍ مِنْ نَضَارٍ دَيْنَ سَلَمَانَ حِينَ حَانَ الْوَفَاءُ
كَانَ يُدْعَى قِنًا فَأُعْتِقَ لَمَّا أُيْنَعَتْ مِنْ نَحْيِلِهِ الْأَفْنَاءُ ^(٢)
أَفَلَا تَعْدُرُونَ سَلَمَانَ لَمَّا أَنْ عَرَنَتْهُ مِنْ ذِكْرِهِ الْعُرُوءُ ^(٣)
وَأَزَالَتْ بِلَمْسِهَا كُلَّ دَاءٍ أَكْبَرَتْهُ أَطِيبَةُ وَإِسَاءُ
وَعُمُيُونُ مَرَّتْ بِهَا وَهِيَ رُمْدٌ فَأَرَتْهَا مَا لَمْ تَرَ الزُّرْقَاءُ
وَأَعَادَتْ عَلَى قَتَادَةَ عَيْنًا فَهِيَ حَتَّى مِمَاتِهِ النَّجْلَاءُ ^(٤)
أَوْ بِلَنِّهِمُ التُّرَابِ مِنْ قَدَمٍ لَا نَتُّ حَيَاءٍ مِنْ مَشْيِهَا الصَّفَوَاءُ
مَوْطِئُ الْأَخْصِ الَّذِي مِنْهُ لِلْقَلْبِ إِذَا مَضَجَعِي أَقْضَى وَطَاءُ ^(٥)
حَظِيَّ الْمَسْجِدِ الْحَرَامُ بِمَشَا هَا وَلَمْ يَنْسُ حَظَّهُ إِيْلِيَاءُ ^(٦)
وَرِمَتْ إِذْ رَمَى بِهَا ظَلَمَ إِلِيَّ لِي إِلَى اللَّهِ خَوْفُهُ وَالرَّجَاءُ
دَمِيتُ فِي الْوَعَى لِتَكْسِبِ طَيْبًا مَا أَرَأَيْتُ مِنَ الدَّمِ الشُّهْدَاءُ
فَهِيَ قُطْبُ الْحَرَابِ وَالْحَرْبِ كَمَا رَتَّ عَلَيْهَا فِي طَاعَةِ أَرْحَاءُ ^(٧)
وَأَرَاهُ لَوْ لَمْ يُسَكَّنْ بِهَا قَبْ لُ حِرَاءُ مَا جَتَّ بِهِ الدَّامَاءُ ^(٨)
عَجَبًا لِلْكَفَّارِ زَادُوا ضَلَالًا بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُقُولِ اهْتِدَاءُ

(١) المرملون : الذين لا زاد لهم . والجهد : القحط الشديد .

(٢) القن : الرقيق . والأقناء : جمع قن ، وهو عذق النخلة الذي يحمل الثمر .

(٣) العرواء : رعدة الحمى . (٤) التجلاء : الواسعة .

(٥) الأخصص : أسفل القدم . وطاء : فراش . (٦) إيلياء : بيت المقدس .

(٧) أرحاء : طواحين . (٨) الدماء : البحر .

والذى يسألون منه كتابٌ مُنَزَّلٌ قَدْ أَتَاهُمْ وارتقاء
أولم يكفهم من الله ذِكْرٌ فيه للناس رحمةٌ وشفاء
أعجزَ الإنسانَ آيةً منه والجنَّ فَهَلَّا يَأْتِي بها البُلغاءُ
كلَّ يومٍ تُهْدَى إلى سامِعِهِ مُعْجَزَاتٍ من لفظهِ القُرْآنِ
تَتَحَلَّى به السامِعُ والأَفْـسَـوَاءُ فَهَوَّ الحُلِيِّ والحُلُوءِ^(١)
رَقَّ لَفْظًا وراقَ مَعْنَى فُجَاءَتْ في حُلَاهَا وحَلِيَّهَا الخُفْسَاءُ
وَأَرْتَنَّا فيه غَوَامِضَ فَضْلِ رِقَّةٍ مِنْ زُلَاهِهَا وَصَفَاءِ
إِنَّمَا تُجَبِّحُ الوجُوهُ إِذَا مَا جُلِيَتْ عَنْ مِرْآةِهَا الأَصْدَاءُ
سُورٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ صُورًا مِنَّا وَمِثْلُ النُّظَائِرِ النُّظَرَاءِ^(٢)
وَالْأَقْوِيلُ عِنْدَهُمْ كَالْتَمَائِلِ فَلَا يُوهِنُكَ الخُطْبَاءُ
كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ من عُلُومٍ عن حُرُوفِ أَبَانٍ عَنِهَا الهِجَاءُ^(٣)
فَهِيَ كَالْحَبِّ والنَّوَى أَعْجَبَ الزَّرَّاعَ مِنْهُ سَنَابِلُ وَزَكَاهُ^(٤)
فَأَطَالُوا فيه التَّرَدُّدَ وَالزَّيْنِبَ فَقَالُوا سِحْرٌ وَقَالُوا افْتِرَاءُ
وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فَالْتِمَسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ
وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عِلْمٍ فَمَاذَا تَقُولُهُ النُّصَحَاءُ
قَوْمَ عِيسَى عَامِلْتُمْ قَوْمَ مُوسَى بِالَّذِي عَامَلْتُمْ الْخُنَفَاءُ^(٥)
صَدَقُوا كُتِبَ كُمْ وَكَذَّبْتُمْ كُتِبَ بِهِمْ إِنَّ ذَا لَبِئْسَ الْبَوَاءُ^(٦)

(١) تتحلَّى: من الحلوى والحلوى، ففيه تورية . (٢) النظائر والنظراء: الذين يشبه بعضهم بعضا .

(٣) الهجاء: التهجي . (٤) الزكاه: النماء .

(٥) الخنفاء: المسلمون. يقول: إن المسلمين صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم . (٦) البواء: المسكافاة .

نَوَجِدُنَا جُحُودًا لَّا سَتُونَآ أَوْ لِّلْحَقِّ بِالضَّلَالِ اسْتَوَاهُ
 مَا لَكُمْ إِخْوَةَ الْكِتَابِ أَنَا لَيْسَ يُرْعَى لِّلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ
 يُحْسُدُ الْأَوَّلُ الْأَخِيرَ وَمَا لَ كَذَا الْمُحْدَثُونَ وَالْقَدَمَاءُ
 قَدْ عَلِمْتُمْ يَظْلِمُ قَابِلُ هَابِيلَ وَمُظْلَمُ الْإِخْوَةِ الْأَنْقِيَاءُ
 وَسَمِعْتُمْ بِكَيْدِ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ أَخَاهُمْ وَكُلُّهُمْ صُلَحَاءُ
 حِينَ الْقَوَّةِ فِي غِيَابَةِ جُوبَ وَرَمَوْهُ بِالْإِفْكِ وَهُوَ بَرَاءُ
 فَتَأَسَّوْا بِمَنْ مَضَى إِذْ ظَلَمْتُمْ فَالْتَأَسَّى لِّلنَّفْسِ فِيهِ عَزَاءُ ^(١)
 أَتُرَاكُمْ وَفَنِيْتُمْ حِينَ خَانُوا أَمْ تَرَاكُمْ أَخْسَنْتُمْ إِذْ أَسَاءُوا
 بَلْ تَمَادَتْ عَلَى التَّجَاهُلِ آبَا ۖ تَقَفَّتْ آثَارَهَا الْأَبْنَاءُ ^(٢)
 بَيْنَتُهُ تَوَرَّاهُمْ وَالْأَنَاجِيلُ وَهُمْ فِي جُحُودِهِ شُرَكَاءُ ^(٣)
 إِنِّ تَقُولُوا مَا بَيْنَتُهُ فَارَا لَتْ بِهَا عَنْ عِيُونِهِمْ غَشَوَاءُ ^(٤)
 أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيْنَتُهُ فَمَا لِلْأُذُنِ عَمَّا تَقُولُهُ صَمَاءُ
 عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظَلَمْنَا كَتَمَتُهُ الشَّهَادَةَ الشَّهَدَاءُ
 أَوْ نُورُ الْإِلَهِ تَطْفِئُهُ الْأَفْوَءُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُسْتَضَاءُ
 أَوْ لَا يُنْكَرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ بَرَحَاهَا عَنْ أَمْرِهِ الْهَيْجَاءُ
 وَكَسَامُ ثَوْبِ الصَّغَارِ وَقَدْ طَلَّتْ دِمَا مِنْهُمْ وَصَيَنْتْ دِمَاءُ ^(٥)
 كَيْفَ يَهْدِي الْإِلَهِ مِنْهُمْ قُلُوبًا حَشَوُهَا مِنْ حَبِيْبِهِ الْبُغْضَاءُ

(١) تَأَسَّوْا : اتَّقَدَّرُوا . (٢) تَمَادَتْ : اسْتَمَرَّت . وَتَقَفَّتْ : تَتَابَعَتْ .

(٣) الضَّمِيرُ فِي بَيْنَتُهُ رَاجِعٌ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (٤) غَشَوَاءُ : ظُلْمَةٌ . (٥) طَلَّتْ : أَهْدَرَتْ .

خَبَرُونَا أَهْلَ الْكِتَابِينَ مِنْ أَيْمَنِ أَنَا كُمْ تَبْلِيغَكُمْ وَالْبَدَاءَ^(١)
 مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كِتَابٌ وَاعْتِقَادٌ لَانَصِّ فِيهِ ادْعَاءُ
 وَالِدَاعَاوَى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَبْنَاوُهَا أَدْعِيَاءُ^(٢)
 لَيْتَ شَعْرَى ذِكْرُ الثَّلَاثَةِ وَالْوَا حِدِ قَصُّ فِي عَدِّكُمْ أَمْ تَمَاءُ
 كَيْفَ وَحَدَّثْتُمْ إِلَهُا نَفَى التَّو حِيدَ عَنْهُ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ
 إِلَهُ مُرَكَّبٌ مَا سَمِعْنَا بِاللَّهِ لَدَاتِهِ أَجْزَاءُ
 الْكُلِّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَهَلَّا تَمَيَّزُ الْأَنْصِبَاءُ
 أَمْ هُمْ حَلَّلُوا بِهَا شَرَكَةَ الْأَبْدَانِ أَمْ هُمْ لِبَعْضِهِمْ كُفْلَاءُ
 أَتَرَاهُمْ لِحَاجَةٍ وَاضْطِرَارٍ خَلَطُوا هَا وَمَا بَقِيَ الْخُلَطَاءُ^(٣)
 أَهْوُ الرَّاكِبُ الْحَارَ فَيَا عَجْزَ إِلَهٍ يَمْتَنُّهُ الْإِغْيَاءُ
 أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحَارِ لَقَدْ جَلَّ جَمَارٌ بِجَمْعِهِمْ مَشَاءُ
 أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ إِلَهُهُ فَمَا زِنَةُ عَيْسَى إِلَيْهِ وَالْإِنْتِمَاءُ
 أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلَمْ خُصَّتْ ثَلَاثٌ بِوَصْفِهِ وَثْنَاءُ
 أَمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ مَا شَارَكَتَهُ فِي مَعَانِي النُّبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءُ
 قَتَلَتْهُ الْيَهُودُ فَمَا زَعَمْتُمْ وَلِأَمْوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ
 إِنْ قَوْلًا أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا لِقَوْلِهِ هَرَاءُ
 مِثْلَ مَا قَالَتْ الْيَهُودُ وَكُلُّ لَزِمَتُهُ مَقَالَةٌ شَنْعَاءُ
 إِذْ هُمْ اسْتَفْتَرَعُوا الْبَدَاءَ وَكَمْ سَا قَ وَبَالًا إِلَيْهِمْ اسْتَفْتَرَاءُ

(١) البداء: هو ظهور مصلحة لله في شيء بعد خفائها عنه . (٢) يقول إن هذه الدعاوى باطلة .

(٣) الخلطاء : الشركاء .

وَأَرَاهِمُ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ فِي الْخَلْقِ فَاعِلًا مَا يَشَاءُ
 جَوَّزُوا النَّسْخَ مِثْلَمَا جَوَّزُوا الْمَسْخَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فَقَّهَاءُ^(١)
 هُوَ إِلَّا أَن يُرْفَعَ الْحُكْمُ بِالْحُكْمِ وَخَلَقَ فِيهِ وَأَمْرٌ سِوَاهُ
 وَالْحُكْمُ مِنَ الزَّمَانِ انْتِهَاءُ وَالْحُكْمُ مِنَ الزَّمَانِ ابْتِدَاءُ
 فَسَلُومٌ أَوْ كَانَ فِي مَسْخِهِمْ نَسْخٌ لآيَاتِ اللَّهِ أَمْ إِنْشَاءُ
 وَبَدَأَ فِي قَوْلِهِمْ نَدِمَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِ آدَمَ أَمْ خَطَاةُ
 أَمْ مَحَا اللَّهُ آيَةَ اللَّيْلِ ذُكْرًا بَعْدَ سَهْوٍ لِيُوجِدَ الْإِنْسَاءَ^(٢)
 أَمْ بَدَأَ لِلَّهِ فِي ذَنْبِ إِسْحَاقَ وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ مَضَاهُ
 أَوْ مَا حَرَّمَ إِلَهُهُ نِكَاحَ الْأَخْتِ بَعْدَ التَّحْلِيلِ فَهُوَ الزَّانِي
 لَا تُكَذِّبُ إِنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَاغُوا عَنِ الْحَقِّ مَعَشَرٌ لُؤْمَاءُ
 جَعَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَنَ بِالطَّاغُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ
 قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَاتَّخَذُوا الْعِجْلَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ
 وَسَفِيهُهُ مِنْ سَاءِ النَّاسِ وَالسَّلَاسِي وَارْضَاهُ الْقَوْمُ وَالْقِتَاءُ^(٣)
 مُلِئَتْ بِالْخَبِيثِ مِنْهُمْ بَطُونٌ فَهِيَ نَارٌ طَبَقَهَا الْأَمْعَاءُ
 لَوْ أَرِيدُوا فِي حَالِ سَبْتٍ بِخَيْرٍ كَانَ سَبْتًا لَدَيْهِمْ الْأَرْبَعَاءُ^(٤)
 هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْرِيفِ فِيهِ مِنَ الْيَهُودِ اعْتِدَاءُ^(٥)

(١) النسخ: تبديل الحكم. والمسح: تبديل الصورة. يقول إن جواز المسح، وقد وقع من اليهود، يستلزم جواز النسخ الذي ينكرونه. (٢) ذكر بضم الذال: علم.

(٣) المن: الترغيبين، وهو حلوكان ينزل على بني إسرائيل في لثنيته من السماء. والسلاوي: طير السمان. والقوم: الثوم.

(٤) السبت: معناه القطع. والأربعاء: هو اليوم الذي خلق الله فيه النور.

(٥) هو راجع على السبت. والتصريف: البيع والشراء.

فَبِظُلْمٍ مِنْهُمْ وَكَفَرٍ عَدَّتْهُمْ طَيِّبَاتٌ فِي تَرْكِهِنَّ ابْتِلَاءً^(١)
 خَدَعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يَنْفَعُ إِلَّا عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ^(٢)
 وَاطمأنوا يَقُولُ الْأَحْزَابُ إِخْوَانُهُمْ إِنَّمَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ
 حَالِقُوهُمْ وَخَالِقُوهُمْ وَلَمْ أَذَرِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْخُلَفَاءُ
 أَسْلَمُوهُمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ لَا مِمَّا عَادُهُمْ صَادِقٌ وَلَا الْإِيْلَاءُ^(٣)
 سَكَنَ الرُّعْبُ وَالْخَرَابُ قُلُوبًا وَبَيُّوتًا مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلَاءُ
 وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ فِيهِمْ وَضَلَّتِ الْآرَاءُ
 وَتَعَدَّوْا إِلَى النَّبِيِّ حُدُودًا كَانَ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْعُدُوءُ^(٤)
 وَهَتَّهَتْهُمْ وَمَا اتَّهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ فَأَيَّدَ الْأَمَارُ وَالنَّهَاءُ
 وَتَعَاطَوْا فِي أَحَدٍ مُنْكَرَ الْقَوَى لِي وَنَطَقُوا الْأَرَاذِلِ الْقَوَرَاءُ
 كُلُّ رِجْسٍ يَزِيدُهُ الْخُلُقُ الشُّوْهُ سَفَاهَا وَالْمِلَّةُ الْفَوْجَاءُ
 فَانظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوَى مِ وَمَا سَاقَ لِلْبَذَى الْبَذَاءُ
 وَجَدَ السَّبَبَ فِيهِ سُمًّا وَلَمْ يَدْرِ إِذٍ الْمَيْمُ فِي مَوَاضِعَ بَاءٍ
 كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ فَهُوَ فِي سُوءٍ فِعْلُهُ الزَّيْبَاءُ
 أَوْ هُوَ الْفَحْلُ قَرَضُهَا يَجْلُبُ الْخُتْفَ إِلَيْهَا وَمَا لَهُ إِنْكَاءُ^(٥)
 صَرَغَتْ قَوْمُهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمْ وَالْدَّهَاءُ
 فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الْحَرْبِ تَحْتًا لُ وَلِلْخَيْلِ فِي الْوَعَى خِيْلَاءُ

(١) عدتهم : فاتتهم . (٢) يقول إن اليهود خدعهم المنافقون من الأوس والخزرج .

(٣) أسلم المنافقون اليهود في أول حشرهم ، أي جمعهم وإجلالهم من جزيرة العرب إلى الشام . والمعادة : الموعد .

(٤) العدواء : الهلاك .

(٥) الإنكاء : التأثير القوي .

قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنَا فَقَوَّافِي الطَّنِّ مِنْهَا مَا شَانَهَا الْإِيْطَاءُ^(١)
وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقْعًا ظَنَّ أَنَّ الْعُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءَ
أَحْجَمَتْ عَنْدَهُ الْحُجُونَ وَأَكْدَى عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كَدَاءَ
وَدَهَتْ أَوْجُهًا بِهَا وَبِيُوْتًا مِلَّ مِنْهَا الْإِكْفَاءُ وَالْإِقْوَاءُ^(٢)
فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ وَالْعَفْوُ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالْإِعْضَاءُ
نَاشِدُوهُ الْقُرْبَى الَّتِي مِنْ قُرَيْشٍ قَطَعَتْهَا التَّرَاتُ وَالشَّحْنَاءُ^(٣)
فَعَمَّا عَفَوْ قَادِرٍ لَمْ يُنْفَضْهُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ
وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلَّهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالْإِقْصَاءُ
وَسِوَاهُ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ مِنْ سِوَاهُ الْمَلَامُ وَالْإِطْرَاءُ
وَلَوْ أَنَّ انتِقَامَهُ لَهَوَى النَّفْسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ
قَامَ لِلَّهِ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى اللَّهُ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ
فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْضَحُ إِلَّا بِمَا حَوَاهُ الْإِنَاءُ
أَطْرَبَ السَّامِعِينَ ذِكْرُ عُلاَهُ يَا لِرَاحِ مَالَتْ بِهَا النَّدْمَاءُ
النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ أَعْلَمُ مَنْ أَسْنَدَ عَنْهُ الرِّوَاةُ وَالْحُكْمَاءُ
وَعَدَّتْنِي أَرْذِيَارُهُ الْعَامَ وَجَنَّا ۖ وَمَنْتَ بِوَعْدِهَا الْوَجْنَاءُ

(١) قصدت : أرادت الطمن . وقصدت من القصيد وهو الشعر ، ففيه تورية . والقافية بمعنى آخر البيت ، وبمعنى ماوراء العنق ، ففيه تورية . والإيطاء : تكرير القافية في الشعر ، وتتابع الطمن هنا على المحاز ، ففيه تورية .
(٢) الإكفاء في الشعر : المخالفة بين حروف أو آخره . ومعناه هنا : انكفاء تلك الوجوه على الناس لتحميمها .
والإقواء في الشعر : اختلاف حركات إعراب روى القافية بين رفع وخفض . ومعناه كذلك خلو الدار من السكان ، فلمى كلنا الكلمتين تورية . (٣) الترات جمع ترة : وهي النار .

أَفَلَا أَنْطَوِي لَهَا فِي أَقْتَضَائِهِ لِتُطَوِّي مَا يَمْنَنَّا الْإِفْلَاحَ^(١)
 بِأُلُوفِ الْبَطْحَاءِ يُجْفِلُهَا النَّيْلُ وَقَدْ شَفَّ جَوْفَهَا الْإِظْمَاءُ^(٢)
 أَنْكَرَتْ مِصْرَ فَهِيَ تَنْفَرُ مَا لَا حَ بَنَاءَ لِعَيْنِهَا أَوْ خَلَاءَ
 فَأَقْصَتْ عَلَى مَبَارِكِهَا بَرٍّ كَتَمَهَا فَالْبُؤْيُوبُ فَالْخَضْرَاءُ^(٣)
 فَالْقَيْبُ الْبُؤْيُوبُ الْبُؤْيُوبُ الْبُؤْيُوبُ الْبُؤْيُوبُ الْبُؤْيُوبُ الْبُؤْيُوبُ
 وَغَدَتْ أَيْلَةً وَحِقْلٌ وَقُرٌّ خَلْفَهَا فَالْمَعَارَةُ الْفَيْحَاءُ
 فَعِيُونُ الْأَقْصَابِ يَتَّبِعُهَا النَّبْكَ وَيَتْلُو كُفَّافَةُ الْعَوَّاءِ
 حَاوِرَتَهَا الْحَوَّاءِ شَوْفَا فِينُو عَ فَرَقَّ الْيَبُوعُ وَالْحَوَّاءِ
 لَاحَ بِالْدَّهْنَوَيْنِ بَدَرُهَا بَعْدَ حُنَيْنٍ وَحَنَّتِ الصَّفْرَاءُ
 وَنَضَّتْ بَرْوَةً فَرَابِغُ فَالْجُحْفَةُ عَنْهَا مَا حَاكَه الْإِنْضَاءُ^(٤)
 وَأَرْسَمَهَا الْخِلَاصَ بَثْرٌ عَلَى فَعَقَابُ السَّوِيْقِ فَالْخِلَاصُ
 فَهِيَ مِنْ مَاءِ بَثْرِ عُسْفَانَ أَوْ مِنْ بَطْنِ مَرٍّ ظَمَانَةٌ خَمَصَاءُ^(٥)
 قَرَّبَ الزَّاهِرَ الْمَسَاجِدُ مِنْهَا بُخْطَاهَا فَالْبُطْءُ مِنْهَا وَحَاءُ^(٦)
 هَذِهِ عِدَّةُ الْمَنَازِلِ لَا مَا عُدَّ فِيهِ السَّمَاءُ وَالْعَوَّاءُ^(٧)
 فَكَأَنِّي بِهَا أُرْحَلُ مِنْ مَكَّةَ شَمْسًا سَمَاوُهَا الْبَيْدَاءُ
 مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ مَأْوَى الرَّسُلِ حَيْثُ الْأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ
 حَيْثُ فُرُضَ الطَّوَافُ وَالسَّعْيُ وَالْخَلْقُ وَرَنَى الْجِمَارُ وَالْإِهْدَاءُ
 حَبِيدًا حَبِيدًا مَعَاهِدُ مِنْهَا لَمْ يُغَيَّرْ آيَاتُهَا الْبِلَاءُ

(١) أضْمَ نَفْسِي عَلَى تِلْكَ الْوَجْنَاءِ . (٢) يُجْفِلُهَا : يَزْعِجُهَا . وَشَفَّ : أَمَحَلَّ .

(٣) الْبَرَكَةُ وَمَا بَعْدَهَا : أَسْمَاءُ مَنَازِلِ الْحَجِّ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ . (٤) نَضَّتْ : خَلَعَتْ . وَالْإِنْضَاءُ : الْهَزَالُ .

(٥) خَمَصَاءُ : جَانَّةٌ . (٦) الْوَحَاءُ : السَّرْعَةُ . (٧) السَّمَاءُ وَالْعَوَّاءُ : مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ .

حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ وَتَقَامُ فِيهِ الْمَقَامُ تَسْلَاهُ^(١)
فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لَا يُحْمَدُ إِلَّا فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ
وَرَمَيْنَا بِهَا الْفِجَاجَ إِلَى طَيْبَةِ وَالسَّيْرِ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ^(٢)
فَأَصْبَنَّا عَنْ قُوَّسِهَا غَرَضَ الْقُرْبِ وَنِعْمَ الْخَلِيبَةُ الْكُومَاءُ^(٣)
فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَلِيبِ يَنْفُضُ الطَّرْفَ مِنْهَا الضِّيَاءُ وَاللَّالَاءُ
فَكَانَ الْبَيْدَاءُ مِنْ حَيْثُ قَا بَلَّتِ الْعَيْنَ رَوْضَةً غَنَاءُ
وَكَانَ الْبِقَاعَ زَرَّتْ عَلَيْهَا طَرَفُهَا مُلَاءَةٌ خَمْرَاءُ
وَكَانَ الْأَرْجَاءُ تَنْشُرُ نَشْرَ الْمِسْكِ فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْجَرِيَاءُ^(٤)
فَإِذَا شِمَتْ أَوْ شِمَتْ رُبَاهَا لَاحَ مِنْهَا بَرْقٌ وَفَاحَ كِبَاءُ^(٥)
أَيَّ نُورٍ وَآيَ نُورٍ شَهْدَنَا يَوْمَ أَبَدَتْ لَنَا الْقِبَابَ قُبَاءُ
قَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اضْطِجَارِي فِدْمُوعِي سَيْلٌ وَصَتْرِي جُفَاءُ
فَتَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّوْ قِي إِلَى طَيْبَةِ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
وَكَانَ الزُّوَارَ مَامَسَتْ الْبُأُ سَاءَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَلَا الضَّرَاءُ
كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسُؤْلٌ وَدُعَاءُ وَرَغْبَةٌ وَأُبْتِغَاءُ
وَزَفِيرٌ تَقْلُتُ مِنْهُ صُدُورًا صَادِحَاتٍ يَحْتَادُهُنَّ زُقَاءُ^(٦)
وَبُكَاءُ يُغْرِيه بِالْعَيْنِ مَدَّةٌ وَنَحِيبٌ يَحْتُهُ اسْتِفْلَاءُ
وَجُسُومٌ كَأَنَّهَا رَحَضَتْهَا مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرَّحَضَاءُ^(٧)

(١) التلاوة : الجوار . (٢) الرماة : الرى ، شبه الإبل بالسهام .

(٣) الغرض : مايرى بالسهم . والغرض : المقصد ، ففيه تورية . والخبيثة : الذخيرة . والكوماء : اللذاقة
العزيزة السنام . (٤) الجرياء : ريح الشمال . (٥) شمت : نظرت . والكباء : عود البخور .
(٦) الزقاء : صوت الطيور . (٧) رحضها : غسلها . والرحضاء : العرق الكثير في أثر الحمى .

وَوَجُوهٌ كَأَنَّما الْبَرَسُ مِنْ حِياهِ أَلوانُها الحُرْباءُ
 وَدُمُوعٌ كَأَنَّما أُرْسِلَتْها مِنْ مُجْفُونٍ سِحابَةٌ وَطُفَاءُ
 فَحَفَظْنا الرِّحالَ حَيْثُ يَحِطُّ الْوِزْرُ عَنّا وَتَرَفَعُ الْحَوِجاءُ^(١)
 وَقَرَأْنا السَّلامَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الْإِفْراءُ
 وَذَهَلْنا عِنْدَ اللَّقاءِ وَكَمْ أَذًى هَلَّ صَبًّا مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ
 وَوَجَّنا مِنَ الْمَهابةِ حَتَّى لا كَلامَنا مِنْنا ولا إِماءُ
 وَرَجَّنا وَلِلْقُلُوبِ التَّفانِيا تَإِليه وَلِلْجُسُومِ أَنْثاءُ
 وَسَمَّحْنا بِما نُحِبُّ وَقَدِيسَمَحُ عِنْدَ الضَّرورةِ الْبُخْلاءُ
 يا أبا القاسمِ الَّذى ضَمِنَ إِقْساى عِليه مَدْحٌ لَهُ وَتَناءُ
 بِالْعُلُومِ الَّتى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ بِلا كَتابٍ لَها إِملاءُ
 وَمَسِيرِ الصَّبِّ بِضَرْكِ شَهْرا فَكأنَّ الصَّبَّ لَدَيْكَ رُخاءُ
 وَعَلَى لَمَّا تَفَلَّتْ بِعَيْنَيْهِ وَكَلْتاهِما مَعًا رَمْداءُ
 فَقَدْنا نَاطِرًا بِعَيْنَيْ عُقَابٍ فى غَزاةٍ لَها الْعُقابُ لُواءُ^(٢)
 وَبِرِيحانَتَيْنِ طَيِّبُهُما مِنْكَ الَّذى أودَعَهُما الزَّهْراءُ^(٣)
 كُنْتَ تُؤَوِّيهُما إِلَيْكَ كَما آوَتْ مِنْ اَلْخَطِّ تُقَطِّعُها الْبِلاءُ
 مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيسَ يُنْسِنِى الطَّفُّ مُصائِبُهُما وَلا كَرُّ بَلاءُ^(٤)
 ما رَعَى فِيهِما ذِمَّتَكَ مَرهٍ سِوِ وَقَدْ خانَ عَهْدُكَ الثُّرُساءُ^(٥)

(١) الحوجاء : الحاجة . (٢) العقاب : طائر . والعقاب الثانى : اسم لراية النبي السوداء .

(٣) الرِّيحانَتان : هما الحسن والحسين سبطا الرسول .

(٤) للشَّهيدان : هما الحسن والحسين ، فالأول مات مسموماً ، والثانى قتل فى الطف . (٥) اللِّدام : العهد .

أَبْدَلُوا الْوُدَّ وَالْحَفِيزَةَ فِي الْقُرَى بَنِي وَأَبْدَتِ ضَبَابُهَا النَّافِقَاءُ^(١)
وَقَسَتْ مِنْهُمْ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ بَكَتِ الْأَرْضُ فَقَدِمَ وَالسَّمَاءُ
فَاتَبَكِيهِمْ مَا اسْتَطَعَتْ إِنَّ قَلِيلًا فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمَصَابِ الْبُكَاءُ
كُلُّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكُرْبِي مِنْهُمْ كَرَّ بَلَاءٌ وَعَاشُورَاءُ
آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمْ التَّأْسَاءُ
غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ وَتَفَوَّضِي الْأُمُورَ بَرَاءُ^(٢)
رُبَّ يَوْمٍ بِكَرَّ بَلَاءٍ مُسِيءٍ خَفَّفَتْ بَعْضُ وَزْرِهِ الزُّورَاءُ^(٣)
وَالْأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ مِنْهُمْ الزَّقُّ حُلٌّ عَنْهُ الْوِكَاءُ^(٤)
آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طَبِئْتُ فطابَ الْمَدْحُ لِي فِيكُمْ وَطَابَ الرَّثَاءُ
أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحِيتُ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي الْخُنْسَاءُ
سُدُّنُمُ النَّاسَ بِالتَّقَى وَسِوَاكُمْ سَوَّدَتُهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ
وَبَأَصْحَابِكَ الَّذِينَ هُمْ بَعْدَكَ فِينَا الْهُدَاةُ وَالْأَوْصِيَاءُ
أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلَافَةَ فِي الدِّينِ وَكُلُّ لِمَا تَوَلَّى إِزَاءُ^(٥)
أَغْنِيَاءُ نَزَاهَةً فَقَرَاءُ عُلَمَاءُ أُمَّةٌ أُمَرَاءُ
زَهْدُوا فِي الدُّنَا مَا عُرِفَ لِلْيَسْلِ إِلَيْهَا مِنْهُمْ وَلَا الرَّغْبَاءُ
أَرْخَصُوا فِي الْوَعَى نُفُوسَ مُلُوكٍ حَارَبُوهَا أَسْلَاهَا إِنْغِلَاءُ
كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ ذُو اجْتِهَادٍ وَصَوَابٍ وَكُلُّهُمْ أَكْفَاءُ

(١) جعرت تخذه اليرابيع . وقوله أبدلوا الود : فيه إشارة إلى آية « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » . (٢) براء : أي براءة من حولي وقوتي .
(٣) يقول : إن بني العباس قد خففوا من المصائب العظيمة التي وقع على آل البيت بانتقامهم من بني أمية .
(٤) الوكاء : ما يشد به رأس الزق . يقول إن الأعداء قد سالت دماؤهم . (٥) إزاء : أهل لما تولاه .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ فَأَنِّي يَخْطُو إِلَيْهِمْ خَطَاةَ
جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ بَحْقٍ وَهَلَى الْمَسْجِدَ الْحَنِينِيَّ جَاءُوا
مَالِئِي وَلَا لِعِيسَى حَوَارِيُونَ فِي فَضْلِهِمْ وَلَا تَقَبَّأَ
بِأَبِي بَكْرٍ الَّذِي صَحَّ لِلنَّاسِ بِهِ فِي حَيَاتِكَ الْإِفْتِدَاءَ
وَالْمُهْدَى يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا أَرْجَفَ النَّاسُ، أَنَّهُ الدَّاءُ (١)
أَقْدَرَ الدِّينَ بَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّينِ عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءً (٢)
أَنْفَقَ الْمَالَ فِي رِضَاكَ وَلَا مَنٌّ وَأُعْطِيَ جَعًا وَلَا إِكْدَاءً (٣)
وَأَبَى حَفْصُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الرَّقَبَاءَ
وَالَّذِي تَقَرَّبُ الْأَبَاعِدُ فِي اللَّهِ إِلَيْهِ وَتَبَعُدُ الْقُرَبَاءَ
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الْفَضْلُ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّوَاءُ
فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَارُو قًا فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَائِهِ أَنْبَاءُ
وَأَبْنِ عَفَّانَ ذِي الْأَيْدِي الَّتِي طَالَ إِلَى الْمَصْطَفَى بِهَا الْإِسْدَاءُ
حَفَرَ الْبَيْتَ جَهَنَّمَ الْجَنَّةَ أَهْدَى الْهَدَى لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الْأَعْدَاءُ
وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ يَذْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَاءُ
سَجَزَتْهُ عَنْهَا بِبَيْعَةِ رِضْوَانٍ يَدُّ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ
أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَعْمَالُ بِالتَّوَكُّلِ حَبَّذَا الْأَذْبَاءُ
وَعَلِيٌّ صَنِو النَّبِيَّ وَمَنْ دِيسُنُ فَوَادِي وَدَادُهُ وَالْوَلَاءُ
وَوَزِيرِ ابْنِ سَعْدٍ فِي الْمَعَالِي وَمِنْ الْأَهْلِ تَسْعِدُ الْوُزَرَ

(١) الداء : الوباء المظلمة في آخر الشهر ، يريد أن الفتن ستزول بالمسلمين مثل ظلام الليل آخر الشهر .

(٢) الإشفاء : الإشراف على الشيء . (٣) الإكداء : قطع المطاء .

لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغِطَاءِ بَقِيَّةً بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَا عَلَيْهِ غِطَاءٌ
وَبِاقِي أَصْحَابِكَ الْمُظْهِرِ التَّزَّيُّبِ فِينَا تَفْضِيلُهُمُ وَالْوَلَاءِ
طَلْحَةَ الْخَيْرِ الْمُرْتَضِيَةِ رَفِيقًا وَاحِدًا يَوْمَ فَوْتِ الرَّفِيقِ (١)
وَحَوَارِيكَ الزُّبَيْرِ أَبِي الْقَرَنِ مِمَّنْ الذِّي أُتَجَبَّتْ بِهِ أَسْمَاءُ
وَالصَّفِيِّينَ تَوْمِ الْفَضْلِ سَعْدٍ وَسَعِيدٍ إِنْ عُدَّتِ الْأَصْفِيَاءُ
وَابْنِ عَوْفٍ مَن هَوَّتْ نَفْسُهُ الدُّنْيَا يَبْذُلُ يُمْدُودَهُ إِثْرًا
وَالْمَكْنَى أَبَا عُبَيْدَةَ إِذْ يَنْعَزِي إِلَى الْأَمَانَةِ الْأُمْنَاءِ
وَبِعَمِّيكَ تَبَرَّئِي فَلَاكَ الْمَجْدِ وَكُلُّ أَتَاهُ مِنْكَ إِنَاءٌ (٢)
وَبَأْمُ السُّبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِيٍّ وَبَيْنَهَا وَمَنْ حَوَّثَهُ الْعِبَاءُ (٣)
وَبَأَزْوَاجِكَ اللَّوَاتِي تَشْرَفْنَ بِأَنْ صَاهَنَ مِنْكَ بِنَاءُ (٤)
الْأَمَانَةِ الْأَمَانَ إِنْ فُؤَادِي مِنْ ذُنُوبٍ أَتَيْتُهُنَّ هَوَاءُ (٥)
قَدْ تَمَسَّكَتُ مِنْ وَدَادِكَ بِالْحَبْلِ الذِّي اسْتَنْفَسَكَتُ بِهِ الشِّفَاءَ
وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَمَسِّيَ السُّؤُءُ بِجَالِي وَلِي إِلَيْكَ النِّجَاءُ
قَدْ رَجَوْنَاكَ لِلْأُمُورِ الَّتِي أَبْرَدُهَا فِي فُؤَادِنَا رَمَضَاءُ (٦)
وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فَقَرَّ حَمَلْتُنَا إِلَى الْغِنَى أَنْضَاءُ (٧)
وَانْطَوَتْ فِي الصُّدُورِ حَاجَاتُ نَفْسٍ مَالَهَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطَوَاءُ

(١) إشارة إلى غزوة أحد . (٢) الإتياء : التمام وما يخرج من الشجر من الأثمار .

(٣) إشارة إلى ما قيل من أن النبي لف الحسن والحسين بعبادة من صوف حين نزلت آية « إنما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » وأهل البقاء هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين .

(٤) البناء : الدخول بالزوجة ، ويحتمل معنى آخر وهو ، أبنية الرسول ، ففيه تورية . (٥) هواء : خال .

(٦) الرمضاء : الحجارة الحامية من حر الشمس . (٧) الأنضاء : المهازيل ، جمع نضو ، بالكسر .

فَأَغْنَيْنَا يَاسْنَ هُوَ النَّوْثُ وَالْفَيْثُ إِذَا أَجْهَدَ انْزَوَى اللَّأْوَاهُ
وَالْجَوَادُ الَّذِي بِهِ تُفَرِّجُ الْعَمَةُ عَنَا وَتُكْشِفُ الْخَوْبَاءُ (١)
يَارْحِمَا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا ذَهَلَتْ عَنْ أَبْنَائِهَا الرِّحَاءُ
يَاسْنِيْمَا فِي الْمُدْنِينَ إِذَا أَشْفَقَ مِنْ خَوْفِ ذَنْبِهِ الْبُرَاءُ
جُدْ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ الْعَا صِي وَلَكِنْ تَنْكَرِي اسْتِخْيَاءُ
وَتَذَارَكُهُ بِالْعَنَاءِ مَا دَا مَا لَهُ بِالذَّمَامِ مِنْكَ ذَمَاءُ (٢)
أَخْرَجَتْهُ الْأَعْمَالُ وَالْمَالُ عَمَّا قَدَّمَ الصَّالِحُونَ وَالْأَغْنِيَاءُ
كُلَّ يَوْمٍ ذُنُوبُهُ صَاعِدَاتٌ وَعَلَيْهَا أَنْفَاسُهُ صُعْدَاءُ (٣)
أَلِفَ الْبَطْنَةَ الْمُبْطِنَةَ السَّيْرِ بَدَارِهَا الْبِطَانُ بَطَاءُ (٤)
فَبِكِي ذَنْبَهُ بِقَسْوَةِ قَلْبٍ نَهَتْ الدَّمْعَ فَالْبُكَاءُ مُكَاءُ (٥)
وَعَدَا يَعْتَبُ الْقَضَاءُ وَلَا عُذْرَ لِعَاصٍ فَمَا يَسُوقُ الْقَضَاءُ
أَوْ تَقْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ دُيُونُ شَدَّدَتْ فِي اقْتِضَائِهَا الْغُرْمَاءُ (٦)
مَالَهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ الْمُو ثَقٍ إِنَّمَا تَوَسَّلْ أَوْ دُعَاءُ
رَاجِيًّا أَنْ تَعُودَ أَعْمَالُهُ الشُّو هُ بِغُفْرَانِ اللَّهِ وَهِيَ هَبَاءُ
أَوْ تَرَى سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ فَيَقَالُ اسْتَحَالَتِ الصَّهْبَاءُ (٧)
كُلُّ أَمْرٍ تُعْنَى بِهِ تُقْلَبُ الْأَغْيَانُ فِيهِ وَتَعَجَّبُ الْبُصْرَاءُ
رُبَّ عَيْنٍ تَقَلَّتْ فِي مَائِهَا الْمِلْحَ فَأَضْحَى وَهُوَ الْفَرَاتُ الرَّوَاءُ (٨)

(١) الخوباء : النفس . استعمالها بدل الخوب ، بالضم ، وهو الجهد والحاجة أو الغم والهم .

(٢) للذم : بقرية الروح . (٣) الصعداء : النفس المتواتر الممدود .

(٤) البطنة : الهم في الطعام والشراب . وبطين : كبير البطن . وبطاء : جمع بطيء .

(٥) المكاء : الصغير . (٦) الغرماء : أصحاب الديون .

(٧) استحالت الصهباء : أى صارت خلا ، فتحل للشرب . (٨) الفرات : المذهب . والرواء : المروى .

آهِ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِي أَلْفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاهُ
 أَرْجَى التَّوْبَةِ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْبِ نِفَاقٌ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءٌ
 وَمَتَى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجَسَمِ اعْوِجَاجٌ مِنْ كِبَرَتِي وَإِنْخِئَالٌ
 كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَاسْتَنْقَضَتْ إِلَّا وَلَيْتِي شَمَطًا^(١)
 وَتَمَادَيْتُ أَقْتَنِي أَثَرَ الْقَوْرِ مَرَّ فَطَالَتْ مَسَافَةٌ وَأَقْتَفَاءٌ
 فَوَرَا السَّائِرِينَ وَهُوَ أَمَامِي سُبُلٌ وَعَرَّةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءٌ
 حَمَدَ الْمُذَلِّجُونَ غِبَّ سُرَاهِمَ وَكُنِي مَنْ تَخَلَّفَ الْإِبْطَاءُ^(٢)
 رَحْلَةً لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدُنِي الصَّيْفُ إِذَا مَا تَوَيْتُهَا وَالشِّتَاءُ^(٣)
 يَتَّبِعِي حُرٌّ وَجَهِي الْحَرَّ وَالْبَرْدَ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَطَى الْأَنْقَاءِ^(٤)
 ضَمَقْتُ ذُرْعًا مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي قَطَرِيرٌ وَلَيْلَتِي دَرْعَاءُ^(٥)
 وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ فَالْبِشْرُ لَوْجَهِي أَنِّي انْتَحَى تِلْقَاءُ^(٦)
 فَالْحِجِّ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفُ بِالْقَلْبِ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَا إِخْفَاءُ^(٧)
 صَاحٍ لَأَنْسَ إِنْ ضَمَعْتُ عَنِ الطَّاءِ عَةٍ وَاسْتَأْثَرْتُ بِهَا الْأَقْوِيَاءَ
 إِنَّ لِلَّهِ رَحْمَةً وَأَحَقُّ النَّاسِ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضَّعَفَاءُ
 فَابْقِي فِي الْعُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الدَّوْرِ دِي فِي الْعَوْدِ تَسْبِقُ الْعَرْجَاءُ^(٨)
 لَا تَقُلْ حَاسِدًا لِغَيْرِكَ هَذَا أَثْمَرَتْ نَخْلُهُ وَنَخْلِي عَفَاءُ^(٩)

(١) اللة : الشعر المجاوز لشحمة الأذن . والشمطاء : المختاطة السواد بالبياض .

(٢) الإدلاج : السير أول الليل . وغب سراهم : عاقبته .

(٣) يفندني : يكذبني . (٤) حروجهي : ما يبدو منه .

(٥) قطرير : شديد . والدرعاء : المظلمة . (٦) انتحى : توجه .

(٧) إخفاء ، منازعة . (٨) العود : قافلة الإبل . (٩) عفاء : لا ثمر لها ، كأنها الدار المقفرة .

وَأَنْتِ بِالْمُسْتَطَاعِ مِنْ عَمَلِ الْمِسْرِ فَقَدْ يُسْقِطُ الثَّمَارَ الْإِتَاءَ^(١)
وَمُحِبُّ النَّبِيِّ فَإِنِغِرِ رِضَى اللَّهِ فِي حُبِّهِ الرِّضَا وَالْحِبَاءَ^(٢)
يَا نَبِيَّ الْهَدَى اسْتَغَاثَةً مَلُوهٍ فِي أَضْرَتٍ بِجَالِهِ الْخَوْبَاءَ
يَدْعِي الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّوِّ وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّغْبَاءَ^(٣)
أَيُّ حُبٍّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرَفِي لِلْكَرَى «وَاصِلٌ» وَطَيْفُكَ رَاءَ^(٤)
لَيْتَ شِعْرِي أَذَلِكَ مِنْ عُظُمِ ذَنْبٍ أَمْ حُظُوظُ الْمُتَيَّمِينَ خُطَاءَ^(٥)
إِنْ يَكُنْ عُظُمُ زَلَّتِي حَجَبَ رُوثِيَا لَكَ فَقَدْ عَزَّ دَاءُ قَلْبِي الدَّوَاءَ
كَيْفَ يَصْدَأُ بِالذَّنْبِ قَلْبٌ مُحِبٌّ وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلُ جِلَاءَ
هَذِهِ عَلَّتِي وَأَنْتَ طَبِيبِي لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءَ
وَمِنْ الْقَوَازِ أَنْ أَبْشَكَ شَكْوَى هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءَ
ضُمْنَتِهَا مَدَامُحٌ مُسْتَطَابٌ فَيْكَ مِنْهَا الْمَدِيحُ وَالْإِصْغَاءَ
قَلْبًا حَاوَلْتُ مَدِيحَكَ إِلَّا سَاعَدَتْهَا مِيمٌ وَدَالٌ وَحَاءَ
حَقٌّ لِي فَيْكَ أَنْ أُسَاجِلَ قَوْمًا سَلَّمَتْ مِنْهُمْ لَدَلْوَى الدَّلَاءَ^(٦)
إِنَّ لِي غَيْرَةً وَقَدْ زَاخَمْتَنِي فِي مَعَانِي مَدِيحِكَ الشُّعْرَاءَ
وَلِقَابِي فَيْكَ الْغُلُوُّ وَأَنْتَى لِلْسَانِي فِي مَدْحِكَ الْغُلَوَاءَ^(٧)
فَأَنْبِ خَاطِرًا يَلِدُ لَهُ مَدُّ حُكِّ عِلْمًا بَأَنَّهُ اللَّالَاءَ^(٨)

(١) الْإِتَاءُ : رِيعُ الْخَلَّةِ وَزَكَوَتُهَا وَكَثْرَةُ ثَمَرِهَا . (٢) الْحِبَاءُ : الْعَطَاءُ .

(٣) الرِّغْبَةُ فِي التَّوْبَةِ . (٤) وَاصِلٌ بَيْنَ عَطَاءٍ الَّذِي كَانَ لَا يَنْطِقُ بِالرَّاءِ .

(٥) خُطَاءٌ : جَمْعُ خُطْوَةٍ، وَهِيَ الْمَكَاةُ . (٦) أُسَاجِلُ : أَفَاخِرُ .

(٧) الْغُلَوَاءُ : مَجَاوِزَةُ الْحُدُ . (٨) اللَّالَاءُ : الْفَرَحُ التَّامُ .

حَاكَ مِنْ صَنَعَةِ الْقَرِيضِ بُرُودًا لَكَ لَمْ تَحْكُ وَشَيْهَا صَنَعَاهُ
 أَعْجَزَ الدَّرَّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيهِ الْيَدَانُ الصَّنَاعُ وَالْخِرْقَاءُ
 فَأَرْصَهُ أَفْصَحَ أَمْرِي نَطَقَ الضَّاءُ دَقَقَاتُ تَغَارُ مِنْهَا الظَّاءُ
 أَبْذَكَرَ الْآيَاتِ أَوْفِيكَ مَدْحًا أَئِنَّ مِنِّي وَأَيْنَ مِنْهَا الْوَفَاءُ
 أَمْ أُمَارِي بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيٍّ سَاءَ مَا ظَنَّهُ بِي الْأَغْيَاءُ
 وَلَكَ الْأُمَّةُ الَّتِي غَبَطَتْهَا بِكَ لَمَّا أُتِيَتْهَا الْأَنْبِيَاءُ
 لَمْ تَخَفْ بِمَدْحِكَ الضَّلَالِ وَفِينَا وَارْتَوْ نُورِ هَدْيِكَ الْعُلَمَاءُ
 فَاقْضَتْ آيُ الْأَنْبِيَاءِ وَآيَا تُكَ فِي النَّاسِ مَا لَهْنُ اقْضَاءِ
 وَالْكَرَامَاتُ مِنْهُمْ مُعْجَزَاتُ حَازَهَا مِنْ نَوَالِكَ الْأَوْلِيَاءِ
 إِنَّ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ الْعَجَزَ عَنْ وَصْفِكَ إِذْ لَا يَحْدُهُ الْإِحْصَاءُ
 كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلَامُ سَجَايَا كَ وَهَلْ تَنْزِيحُ الْبَعَارِ الرَّكَاةُ ^(١)
 لَيْسَ مِنْ غَايَةٍ لَوْصَفِكَ أَنْفِيهَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةٌ وَاتِّهَاءُ
 إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَا تُكَ فِيمَا نَعُدُّهُ الْآثَاءُ
 لَمْ أَطْلُقْ فِي تَعْدَادِ مَدْحِكَ نَطْقِي وَمُرَادِي بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءُ
 غَيْرَ أُنَى طَمَآنُ وَجَدٍ وَمَالِي بِقَلِيلٍ مِنَ الْوَرُودِ ارْتِوَاءُ
 فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَتَرَى مِنَ اللَّهِ وَتَبْقَى بِهِ لَكَ الْبَأْوَاءُ ^(٢)
 وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْكَ فَاغْيِرْكَ مِنْهُ لَكَ السَّلَامُ كِفَاءُ
 وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ لِتَحْيَا بِذِكْرِكَ الْأُمَلَاءُ ^(٣)

(١) الركاء جمع ركوة ، وهو إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء . (٢) البأواء : الفقر .

(٣) الأملاء : جمع ملأ ، وهو الجماعة .

وَصَلَاةٌ كَالْمِسْكِ تَخْمِلُهُ مِنِّي شَمَالٌ إِلَيْكَ أَوْ نَكْبَاءٌ^(١)
وَسَلَامٌ عَلَى ضَرِيحِكَ تَخْضُلُ بِهِ مِنْهُ تُرْبَةٌ وَعَسَاءٌ^(٢)
وَوَثْنَا قَدَمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَائِي إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ ثَرَاءٌ^(٣)
مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ مَنْ عَبْدَ اللَّهِ— وَقَامَتْ بِرَبِّهَا الْأَشْيَاءُ^(٤)

وقال ؛ قافية الباء ؛ من بحر المديد :

أَزْمَعُوا الْبَيْنَ وَشَدُّوا الرِّكَابَا	فَاطْلُبِ الصَّبْرَ وَخَلِّ الْعِتَابَا
وَدَنَا التَّوَدِّيعُ يَمِّنُ وَدِدْنَا	أَنَّهُمْ دَامُوا لَدَيْنَا غَضَابَا
فَاقْرِ صَيْفَ الْبَيْنِ دَمْعًا مُذَالَا	يَا أَخَا الْوَجْدِ وَقَلْبًا مُذَابَا
فَمِنِ اللَّائِمِ صَبًّا مَشُوقًا	أَنْ بَكَى أَحْبَابُهُ وَالشَّعَابَا
إِنَّمَا أَغْرَى بِنَا الْوَجْدَ أَنَا	مَا حَسَبْنَا لِفِرَاقٍ حِسَابَا
وَعُرَيْبٌ جَعَلُوا بِالْمُصَلَّى	كُلَّ قَلْبٍ يَوْمَ سَارُوا نِهَابَا
عَجَبًا كَيْفَ رَضُوا أَنْ يَحِلُّوا	مِنْ قُلُوبٍ أَحْرَقُوهَا قَبَابَا
أَضْحَتِ الْأَرْضُ الَّتِي جَاوَرُوهَا	يَمْحُذُ الْقَنْبَرُ مِنْهَا التَّرَابَا
لَا تُكَذِّبُ خَبْرًا أَنْ سَلَمَى	سَحَبَتْ بِالرُّبِّ ذَيْلًا فَطَابَا
وَكَسَتْهُ حُلَلُ الرُّوْضِ حَتَّى	تَوَجَّتْ مِنْهَا الرُّبَا وَالْهَضَابَا
ابْتَسَمَتْ عَنْ مِثْلِ كَأْسِ الْحَمِيَّا	نَظَمَ الْمَاءُ عَلَيْهَا حُبَابَا
مُسْتَمْتَهَا لَمْ الثَّنَايَا فَقَالَتْ	إِنَّ مِنْ دُونِكَ سُبُلًا صِعَابَا

(٢) تخضل : تبتل . والعساء : الرملة اللينة .

(٤) قامت بربها : بقيت .

(١) النكباء : الريح .

(٣) النجوى : المناجاة .

حَرَسَتْ عَقْرَبُ صَدَغِي خَدِّي وَحَمَتُ حَيَّةُ شَعْرِي الرُّضَابَا
 وَنَجَّ مَنْ يَطْلُبُ مِنْ وَجَنِي أَلْوَرَدَ أَوْ مِنْ شَفَتِي الشَّرَابَا
 حَقُّ مَنْ كَانَ لَهُ حُبُّ سَلَمَى شُغْلَا أَنْ يَسْتَلِدَّ الْعَذَابَا
 وَلَمَنْ يَمْدَحُ خَيْرَ الْبَرَايَا أَنْ يَرَى الْفَقْرَ عَطَاءَ حِسَابَا
 وَكَفَانِي بَاتِبَائِي طَرِيقَا رَغَبِ الْمُخْتَارُ فِيهَا رِغَابَا
 كُلَّا أُوتِيتُ مِنْهَا نَصِيبَا قُلْتُ إِنِّي قَدْ مَلَكَتُ النَّصَابَا
 يَا حَبِيبَا وَشَفِيعَا مُطَاعَا حَسْبُنَا أَنْ إِلَيْكَ الْإِيَابَا
 لَمْ نَقُلْ فِيكَ مَقَالَ النَّصَارَى إِذْ أَضَلُّوا فِي الْمَسِيحِ الصَّوَابَا
 إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَا
 بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ بَلِيجٍ أَفْحَمَ الْعَرَبَ فَعَيَّتْ جَوَابَا
 يُطْمِعُ الْأَسْمَاعَ فِيهِ بَيَانَا وَسَنَا طِبَّهٖ عَلَى الْعَقْلِ يَابَا
 حَوَتْ الْكُتُبُ لُبَابًا وَقِشْرًا وَهُوَ حَاوٍ مِنَ الْأَبَابِ لُبَابَا
 يَجْلِبُ الدَّرُّ إِلَى سَامِعِيهِ كَلِمٌ لَمْ يَرُ فِيهِ اجْتِلَابَا
 أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فَرَأَيْنَا الرُّؤَا سَ رَأْسًا وَالذُّنَابِي ذُنَابَا^(١)
 وَرَأَى الْكُفَّارُ ظِلًّا فَضَلُّوا وَنِيحَهُمْ ظَنُّوا السَّرَابَ الشَّرَابَا
 وَإِذَا لَمْ يَبْصَحْ بِالْعِلْمِ ذَوْقُ وَجَدَ الشَّهْدُ مِنَ الْجَهْلِ صَابَا
 كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ مِنْهُمْ عَنِيدَا كُلَّا أَبْصَرَ حَقًّا تَغَابَا
 وَإِذَا جِئْتَ بَأَيَاتِ صِدْقٍ لَمْ تَزِدْهُمْ بِكَ إِلَّا ارْتِيَابَا

أَنْتَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَالسِّرُّ عَلَى الْعُمَى أَشَدُّ احْتِجَابًا
 عَاقِبُ مَا حَمَى اللَّهُ عَنْكَ بِكَ مَا نَحَذَرُ مِنْهُ الْعَاقِبَا
 خَصَّهُ اللَّهُ بِخُلُقٍ كَرِيمٍ وَدَعَا الْفَضْلَ لَهُ فَاسْتَجَابَا
 وَلَهُ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ مَا شَرَّ فِ قَوْسَيْنِ بِذِكْرِ وَقَابَا
 مِنْ دُنُوٍّ وَثَمُودٍ وَسِرٍّ بَانَ عَنْهُ كُلُّ وَاشٍ وَغَابَا
 وَعُلُومٍ كَشَفَتْ كُلَّ لَبْسٍ وَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ شَمْسٍ ضَبَابَا
 لَمْ يَنْلَمْهَا بِاِكْتِسَابٍ وَفَضْلُ اللَّهِ مَا لَيْسَ يُنَالُ اِكْتِسَابَا
 وَإِذَا زَارَ حَبِيبٌ مُحِبًّا لَا تَسْلَ عَنْ زَائِرٍ كَيْفَ آبَا
 كُلُّ مَنْ تَابَعَهُ نَالَ مِنْهُ نَسَبًا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ قِرَابَا
 شَرَفَ الْأَنْسَابِ طُوبَى لِأَصْلٍ وَلِفَرْجٍ حَازَ مِنْهُ اِنْسَابَا
 دِينُهُ الْحَقُّ فَدَغَ مَا سِوَاهُ وَخَذَ الْمَاءَ وَخَلَّ السَّرَابَا
 جَعَلَ الزُّهْدَ لَهُ وَالْعَطَايَا وَالتَّقَى وَالْبَأْسَ وَالْبِرَّ دَابَا
 أَنْقَذَ الْمَلَكِي وَرَبِّي الْيَتَامَى وَفَدَى الْأَسْرَى وَفَكَ الرِّقَابَا
 بَصَرَ الْعُمَى فَيَالَيْتَ عَيْنِي مُلِثَتْ مِنْ أَحْصِيهِ تُرَابَا
 أَسْمَعَ الصَّمَّ فَنَ لِي بِسَمْعِي لَوْ تَلَقَّى لَقَطَهُ الْمُسْتَطَابَا
 وَدَعَا الْهَيْجَاءَ فَارْتَاخَتْ السُّمُورُ اهْتِزَازًا وَالسُّيُوفُ اِنْتِدَابًا^(١)
 تَطَرَّبُ الْخَلِيلُ بِوَقْعٍ فَتَخَنَّا لُ إِلَى الْحَرْبِ وَتَعْدُو طِرَابَا
 مِنْ عِتَاقٍ رَكِبَتْهَا كُؤَا لَمْ يَخَافُوا لِلْمَنُونِ أَرْتِكَابَا

كُلُّ نَذْبٍ لَوْ حَكَى غَرْبَهُ السَّيْفُ لَمَّا اسْتَنْصَحَ سَيْفٌ قَرَابًا^(١)
 قَاطَعَ الْأَهْلِينَ فِي اللَّهِ جَهْرًا لَمْ يَخَفْ لَوْمًا وَلَمْ يَخْشَ عَابًا
 لَمْ يَبَالِ حِينَ يَغْدُو مُصِيبًا فِي الْوَعَى أَوْ حِينَ يَغْدُو مُصَابًا
 مِنْ حُمَاةِ نَصْرُوا الدِّينَ حَتَّى أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ أَنْحَى جَنَابًا
 رَفَعُوا الْإِسْلَامَ مِنْ فَوْقِ خَيْلٍ أَرْكَبَتْ كُلَّ عُقَابٍ عُقَابًا
 خَضَبُوا الْبَيْضَ مِنَ الْهَامِ حُمْرًا مَا تَزَالُ الْبَيْضُ تَهْوَى الْخِضَابًا^(٢)
 لَمْ يُرِيدُوا بِذُكُورٍ جَلَوْهَا لِلْحُرُوبِ الْعُونِ إِلَّا الضَّرَابَا
 أَرْغَمَ الْهَادِي أَنْفَ الْأَعَادَى بِرِضَامٍ وَأَذَلَّ الرِّقَابَا
 فَطَاعَتْهُ الْمُلُوكُ اضْطِرَارًا وَأَجَابَتْهُ الْحُصُونُ اضْطِرَابَا
 وَصَنَادِيدُ قُرَيْشٍ مَسْقَاهَا حَتَفَهَا سَقَى اللَّفَاحِ السَّقَابَا^(٣)
 حَكَبُوا شَطْرَيْنَهُ فِي الْجُودِ وَالْبَأْسِ فَأَحْلَى وَأَمَرَ الْحِلَابَا
 وَجَدُوا أَخْلَافَ أَخْلَاقِهِ فِي الْخِصْبِ وَالْجَذْبِ تَعَاثُ الْخِصَابَا^(٤)
 دَرَّهَا أَطِيبُ دَرٍّ فَإِنْ أَمْكَنَكَ الْحَلْبُ فَرَاغَ الْعِطَابَا^(٥)
 جَيْشَ الْجَلِيشِ وَسَرَى السَّرَايَا وَدَعَا الْخَلِيلَ عِتَاقَا عِرَابَا
 وَهُوَ الْمَنْصُورُ بِالرُّعْبِ لَوْ شَاءَ لَاغْنَى الرُّعْبُ عَنْهَا وَنَابَا
 لَو تَرَى الْأَحْزَابَ طَارُوا فِرَارًا خِلَتُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَبَابَا
 أَوْلَمْ تَعْجَبْ لَهُ وَهُوَ بَحْرٌ كَيْفَ يَسْتَسْقَى نَدَاهُ السَّحَابَا

(١) النذب : الخفيف ، النجيب .

(٢) البيض الأولي : السيوف ، والثانية : النساء البيض . (٣) الفلاح : النوق الوالدة . والسقاب : أولادها .

(٤) الخصاب : التمر الرديء جمعه خصبه . (٥) راع المطابا : احتس حتى لا تعطب .

كَانَتْ الْأَرْضُ مَوَاتًا فَأَحْيَا بِالْحَيَا مِنْهَا الْمَوَاتَ انْكَبَا
 نَزَعَتْ عَنْهَا مِنَ الْمَحَلِّ نَوْبًا وَكَسَتْهَا مِنْ رِيَابِضٍ ثِيَابًا
 سَيِّدٌ كَيْفَ تَأَمَّلْتَ مَعْنَا هُ رَأَتْ عَيْنَاكَ أَمْرًا عَجَابًا
 مَنْ يَزُرُّهُ مُثْقَلًا بِالْخَطَايَا عَادَ مَغْفُورَ الْخَطَايَا مُثَابًا
 ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ ذِكْرٌ جَمِيلٌ قَالَ لِلْكَوْنَيْنِ طَيِّبًا فَطَابَا
 وَسِعَ الْعَالَمَ^(١) عِلْمًا وَجُودًا فَدَعَا كُلًّا وَأَرْضَى خِطَابًا
 فَتَحَلَّكَ مِنْهُ قَوْمٌ عُقُودًا وَتَحَلَّتْ مِنْهُ قَوْمٌ سِخَابًا^(٢)
 لَيْتَنِي كُنْتُ فِيمَنْ رَأَاهُ أَتَقَيَّ عَنْهُ الْأَذَى وَالسَّبَابَا
 يَوْمَ نَالَتَهُ بِإِفْكَ يَهُودٍ مِثْلَمَا اسْتَنْبَحَ بِذَرْءِ كِلَابَا
 فَادْعُنِي حَسَّانَ مَدَحٍ وَزِدْنِي إِنِّي أَحْسَنْتُ عَنْهُ الْمَنَابَا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ عِذْرًا إِذَا هَبْتُ مَقَامًا حَقَّهُ أَنْ يُهَابَا
 إِنِّي قُمْتُ خَطِيئًا بِمَدْحِكَ وَمَنْ يَمْلِكُ مِنْهُ الْخَطَابَا
 وَتَرَامَيْتُ بِهِ فِي بَحَارٍ مُكْتَرَا أُمُوجَهَا وَالْعُشْبَابَا
 بِقَوَافٍ شُرِعَتْ لِلْأَعَادِي وَجَدُّوْهَا فِي نَفُوسٍ حِرَابَا
 هِيَ أَمْضَى مِنْ طَبِيِّ الْبَيْضِ حَدًّا فِي أَعَادِيكَ وَأُنْكَى ذُبَابَا^(٣)
 فَارْضَهُ جُهْدٌ مُحِبٍّ مَقِلٌّ صَانَهُ حُبُّكَ مِنْ أَنْ يُعَابَا^(٤)
 شَابَ فِي الْإِسْلَامِ لَكِنْ لَهُ فِيكَ فُؤَادٌ حُبُّهُ لَنْ يُشَابَا

(١) د : العالمين . وهذه رواية م . (٢) السخاب : قلادة من سلك وقرنفل ومحب بلأ جوهر .

والسلك : نوع من أخلاط الطيب ، يعجن ويخفف ويحمل كالخرز .

(٣) الذباب : حد السيف ، وأُنْكَى في الغفور وأتقن . (٤) د : فارضه جهده يهدى محب . وهذه رواية م .

يَتَهَيَّئِ بِالْأَمَانِيِّ إِنَّهُ قَبْلَ مَمَاتٍ أَنَابَا
 كُلَّمَا أَوْسَعَهُ الشَّيْبُ وَعَظَا ضَيَّقَ الْخُوفُ عَلَيْهِ الرَّحَابَا
 ضَيَّقَ الْحَزَمَ وَفِيهِ شَبَابٌ وَأَتَى مُعْتَدِرًا حِينَ شَابَا^(١)
 وَغَدَا مِنْ سُوءٍ مَا قَدَّ جَنَاهُ نَادِمًا يَقْرَعُ سِنًا وَنَابَا^(٢)
 أَفَلَا أَرْجُو لَدَنْبِي شَفِيعَا مَارَجَاهُ قَطُّ رَاجٍ فَخَابَا
 أَحَدُ الْمَهَادِي الَّذِي كَلَّمَ جِئْتُ إِلَيْهِ مُسْتَتِيْبَا أَنَابَا
 فَاعْذِرُوا فِي حُبِّ خَيْرِ الْبَرَايَا إِنْ غَبَطْنَا أَوْ حَسَدْنَا الصَّحَابَا
 إِنْ بَدَأَ شَمْسًا وَصَارُوا نَجُومَا وَطَمَى بَحْرًا وَفَرُوا يُغَابَا^(٣)
 أَقْلَعْتَ سَحْبُ سَفْنِهِمْ سَجَالَا مِنْ عُلُومٍ وَوَرَدْنَا انْصِبَابَا
 وَغَدَوْنَا بَيْنَ وَجْدٍ وَقَدٍّ يَعْظُمُ الْبُشْرَى بِهِ وَالْمُصَابَا
 وَتَبَارَأْنَا مِنَ النَّصَبِ وَالرَّفْضِ وَأُوجِبْنَا الْكُلَّ جَنَابَا
 إِنْ قَوْمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَالْنَا نُلْقَى عَلَيْهِمْ غَضَابَا
 إِنِّي فِي حُبِّهِمْ لَا أُحَابِي أَحَدًا قَطُّ وَمَنْ ذَا يُحَابِي
 صَلَوَاتُ اللَّهِ تَتَرَى عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ عِذَابَا
 يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَا مِنْ جُودِهِ وَالْفَضْلِ بَابَا فَبَابَا
 مَا انْتَضَى الشَّرْقُ مِنَ الضُّبْحِ سَيْفًا وَفَرَى مِنْ جُنْحٍ لَيْلٍ إِهَابَا

(١) د : معذرا . (٢) د : منييا أَنَابَا . والتصحيح في (١ ، ٢) عن م .

(٣) الثغاب : جمع ثغب ، بسكون الثين وتحريكها ، وهو المطمئن من المواضع في أعلى الجبل ، يستنقع فيه ماء المطر .

وقال أيضا عفا الله عنه ^(١) :

يَمْدَحُ المصطفى تحيا القلوبُ وَتُغْفَرُ الخطايا وَالذُّنُوبُ
وَأَرْجُو أَنْ أَعِيشَ به سعيدا وَأَلْقَاهُ وليس عَلَى حُوبٍ ^(٢)
نبيُّ كَامِلِ الأوصافِ تَمَّتْ محاسنُهُ فقيل له الحبيبُ
يُفَرِّجُ ذِكْرُهُ الكُرْبَاتِ عَنَّا إِذَا نَزَّاتِ بِسَاحَتِنَا الكُرُوبُ
مَدَامْهُ تَزِيدُ القَلْبَ شَوْقًا إِلَيْهِ كَأَنهَا حَلَى وَطِيبٌ ^(٣)
وَإِذْ كُرُّهُ وَلَيْلُ الخَطْبِ دَاجٍ عَلَى فَتَنَجَلِي غِنَى الخُطُوبُ
وَصَفْتُ شَمَائِلًا مِنْهُ حِسَانًا فَمَا أَدْرَى أَمْدَحُ أَمْ نَسِيبُ
وَمَنْ لِي أَنْ أَرَى مِنْهُ مُحِيًّا يُسَرُّ بِحُسْنِهِ القَلْبُ الكَثِيبُ
كَأَنَّ حَدِيثَهُ زَهْرٌ نَضِيرٌ وَحَامِلَ زَهْرِهِ غُصْنٌ رَطِيبٌ
وَلِي طَرْفٌ لِمِرَّاهُ مَشُوقٌ وَلِي قَلْبٌ لِذِكْرَاهُ طُرُوبٌ
تَبَوَّأَ قَابَ قَوْسَيْنِ اخْتِصَاصًا وَلَا وَاشٍ هَنَّاكَ وَلَا رَقِيبٌ ^(٤)
مَنَاصِبُهُ السَّنِيَّةُ لَيْسَ فِيهَا لِإِنْسَانٍ وَلَا مَلَكٍ نَصِيبٌ
رَحِيبُ الصَّدْرِ ضَاقَ الكَوْنُ عَمَّا تَضَمَّنَ ذَلِكَ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
يُجَدِّدُ فِي قُعُودٍ أَوْ قِيَامٍ لَهُ شَوْقِي المَدْرَسُ وَالخَطِيبُ
عَلَى قَدَرٍ يُمِذُّ النَّاسَ عِلْمًا كَمَا يُعْطِيكَ أَدْوِيَّةً طِيبٌ ^(٥)
وَتَسْتَهْدِي القُلُوبُ النُّورَ مِنْهُ كَمَا اسْتَهْدَى مِنَ البَحْرِ القَلِيبُ ^(٦)

(١) ت : وقال رضى الله عنه ، يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من الوافر .

(٢) الحوب : الإثم . (٣) الحلى : الحلى . (٤) كناية عن شدة القرب المعنوى .

(٥) القدر : التقدير . (٦) القليب : البئر .

بَدَتْ لِلنَّاسِ مِنْهُ شُمُوسٌ عِلْمٌ طَوَالِعَ مَا تَزُولُ وَلَا تَغِيبُ
 وَأَلْهَمَنَا بِهِ التَّقْوَى فَشَقَّتْ لَنَا عَمَّا أَكْنَعَتْهُ الْغُيُوبُ ^(١)
 خَلَقَهُ مَوَاهِبُ دُونَ كَسْبٍ وَشَتَّانَ الْمَوَاهِبُ وَالْكُسُوبُ
 مُهَذَّبَةٌ بِنُورِ اللَّهِ لَيْسَتْ كَأَخْلَاقٍ يَهْدِيهَا اللَّيْبُ
 وَآدَابُ النُّبُوَّةِ مُعْجَزَاتُ فَكَيْفَ يَنَالُهَا الرَّجُلُ الْأَدِيبُ
 أُيِّنَ مِنَ الطَّبَاعِ دَمًا وَفَرْثًا وَجَاءَتْ مِثْلَ مَا جَاءَ الْحَلِيبُ ^(٢)
 سَمِعْنَا الْوَحْيَ مِنْ فِيهِ صَرِيحًا كَغَادِيَةٍ عَزَّالِيهَا تَصُوبُ ^(٣)
 فَلَا قَوْلَ وَلَا عَمَلَ لَدَيْهَا بِفَاحِشَةٍ وَلَا يَهْوَى مَشُوبُ ^(٤)
 وَبِالْأَهْوَاءِ تَخْتَلِفُ الْمَسَاعِي وَتَفْتَرِقُ الْمَذَاهِبُ وَالشُّعُوبُ
 وَلَمَّا صَارَ ذَاكَ الْغَيْثُ سَيْلًا عِلَاهُ مِنَ التَّرَى الزَّبْدُ الْغَرِيبُ
 فَلَا تَنْسُبُ لِقَوْلِ اللَّهِ رِيًّا فَمَا فِي قَوْلِ رَبِّكَ مَا يَرِيبُ
 فَإِنْ تَخَلَّقَ لَهُ الْأَعْدَاءُ عَيْبًا فَقَوْلُ الْعَائِنِينَ هُوَ الْمَعِيبُ
 فَخَالِفَ أُمَّتِي مُوسَى وَعِيسَى فَمَا فِيهِمْ خَالِقُهُ مُنِيبُ
 فَقَوْمٌ مِنْهُمْ فَتَنُوا بِمِجَلٍ وَقَوْمًا مِنْهُمْ فَتَنَ الصَّلِيبُ
 وَأَخْبَارُ تَقُولُ لَهُ شَبِيهٌ وَرُهْبَانُ تَقُولُ لَهُ ضَرِيبُ
 وَإِنَّ مُحَمَّدًا لِرَسُولٍ حَقٍّ حَسِيبٌ فِي نُبُوَّتِهِ نَسِيبُ
 أَمِينٌ صَادِقٌ بَرٌّ تَقَى عَلِيمٌ مَاجِدٌ هَادٍ وَهُوبُ
 يُرِيكَ عَلَى الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَجْهًا تَرُوقُ بِهِ الْبَشَاشَةُ وَالْقُطُوبُ

(١) أكنته : سترته . (٢) الفرث : السرجين ما دام في الكرش .

(٣) الغادية : السحابة : وعزالها : أفواهها . وتصوب : تسيل . (٤) مشوب : مخلوط .

يُضِيهِ بِوَجْهِهِ الْمِحْرَابُ لَيْلًا وَتُظْلِمُ فِي النَّهَارِ بِهِ الْحُرُوبُ
تَقْدَمُ مَنْ تَقْدَمَ مِنْ نَبِيٍّ نَاهٍ وَهَكَذَا الْبَطْلُ النَّجِيبُ
وَصَدَقَهُ وَحَكَمَهُ صَبِيًّا مِنْ الْكُفَّارِ شُبَّانٌ وَشَيْبٌ
فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ صَدُّوا وَصَدَّ أُولَئِكَ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
شَرِيعَتُهُ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَيْسَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ^(١)
عَلَيْكَ بِهَا فَإِنَّ لَهَا كِتَابًا عَلَيْهِ تَخْشَدُ الْحَدَقُ الْقُلُوبُ
يَنْوُبُ لَهَا عَنِ الْكُتُبِ الْمَوَاضِي وَلَيْسَتْ عَنْهُ فِي حَالٍ تَنْوُبُ
أَلَمْ تَرَهُ يُنَادِي بِالتَّحَدَّى وَلَا أَحَدٌ يَبِينُهُ يُجِيبُ
وَقَدْ كَشَفَ الْغِطَاءَ لَنَا وَشَقَّتْ عَنِ الْحَسَنِ الْبَدِيعُ بِهِ جُيُوبُ
وَدَانَ الْبَدْرُ مُنْشَقًّا إِلَيْهِ وَأَفْصَحَ نَاطِقًا عَيْرٌ وَذِيبُ
وَجِذْعُ النَّخْلِ حَنْ حَنِينٍ تُكَلِّى لَهُ فَأَجَابَهُ نِعَمَ الْمُجِيبُ
وَقَدْ سَجَدَتْ لَهُ أَغْصَانُ سَرْحٍ فَلَمْ لَا يَوْمُنُ الظَّيُّ الرَّيِّبُ^(٢)
وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ فِي الْمَحَلِّ مِنْهَا رَبَّتْ وَاهْتَزَّتِ الْأَرْضُ الْجَدِيبُ
وَرَوَى عَسْكَرًا بِحَلِيبِ شَاةٍ فَعَاوَدَهُمْ بِهِ الْعَيْشُ الْخَصِيبُ
وَمُخْبُولٌ أَتَاهُ فَنَابَ عَقْلٌ إِلَيْهِ وَلَمْ تَخْلُهُ لَهُ يَثُوبُ
وَمَا مَا تَلَقَّى وَهُوَ مِلْحٌ أَجَاجٌ طَعْمُهُ إِلَّا يَطِيبُ
وَعَيْنٌ فَارَقَتْ نَظْرًا فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ وَرَدَّ لَهَا السَّلِيبُ
وَمَيَّتْ مُؤَذِّنٌ بِفِرَاقِ رُوحٍ أَقَامَ وَسُرِّيتَ عَنْهُ شَعُوبُ

(١) اللغوب : الصعب . (٢) المرح : جمع سرحه ، وهى الشجرة الكبيرة الواسعة الظلال .

وَنَعَرُ مُعَمَّرٍ عَمْرًا طَوِيلًا تُؤَوِّي وَهُوَ مَنُضَوْدٌ شَنِيبٌ^(١)
وَنَخْلٌ أَثْمَرَتْ فِي دُونِ عَامٍ فَغَارَ بِهَا عَلَى الْقِنُوِ الْعَسِيبُ^(٢)
وَوَفَّى مِنْهُ سَلَامٌ دِيُونًا عَلَيْهِ مَا يُوفِّيهِا جَرِيبٌ
وَجَرَدٌ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ سَيْفًا فَقِيلَ بِذَلِكَ لِلسَّيْفِ الْقَضِيبُ
وَهَزَّ ثَبِيرُ عِطْفَيْهِ سُرُورًا بِهِ كَالْفُضْنِ هَبَّتْهُ الْجُنُوبُ
وَرَدَّ الْفِيلَ وَالْأَحْزَابَ طَيْرَ وَرِيحٌ مَا يُطَاقُ لَهَا هُبُوبُ
وَفَارَسُ خَانِهَا مَاءٌ وَنَارٌ فَفِيضَ الْمَاءِ وَانْطَفَأَ اللَّهَيْبُ
وَقَدَّ هَزَّ الْحَسَامَ عَلَيْهِ عَادٍ يَوْمَ نَوَمُهُ فِيهِ هُبُوبُ
فَقَامَ الْمَصْطَفَى بِالسَّيْفِ يَسْطُو عَلَى السَّاطِي بِهِ وَلَهُ وَثُوبُ
وَرِيْعَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ يَفْعَلُ يَنْوُبُ عَنِ الْهَزْبِ لَهُ نُيُوبُ
وَشَهْبٌ أَرْسَلَتْ حَرَسًا فَخُطَّتْ عَلَى طِرْسِ الظَّلَامِ بِهَا شُطُوبُ
وَلَمْ أَرَ مُعْجَزَاتٍ مِثْلَ ذِكْرِ إِلَيْهِ كُلِّ ذِي لُبٍّ يَنْيَبُ
وَمَا آيَاتُهُ تُحْصَى بَعْدَ فَيَذْرُكُ شَأْوَهَا مِنْى طَلُوبُ
طَفِقْتُ أَعُدُّ مِنْهَا مَوْجَ بَحْرِ وَقَطَرًا غَيْثُهُ أَبَدًا يَصُوبُ^(٣)
يَجُودُ سَحَابُهُنَّ وَلَا انْقِشَاعٌ وَيَزْخَرُ بَحْرُهُنَّ وَلَا نُضُوبُ
فَرَاكَ مِنْ بَوَارِقِهَا وَمِيزُ وَشَاكَ مِنْ جَوَاهِرِهَا رُسُوبُ
هَدَانَا لِلَّهِ بِهَا نَبِيٌّ فَضَائِلُهُ إِذَا تُحْكَى ضُرُوبُ

(١) الشنب : حدة الأسنان وبريقها .

(٢) القنو : علق النخلة الذي فيه التمر . والعسيب : جريدة النخل .

وفى (د) : وعاد بها على العدو العثيب . والتصحيح عن م . (٣) يصوب : يسيل .

وَأَخْبَرَ تَابِعِيهِ بِغَائِبَاتٍ وَلَيْسَ بِكَائِنٍ عَنْهُ مَغِيبٌ
وَلَا كَتَبَ الْكِتَابَ وَلَا تَلَاهُ فَيُلْجِدُ فِي رِسَالَتِهِ الْمُرِيبِ
وَقَدْ نَالُوا عَلَى الْأُمِّ الْمَوَاضِي بِهِ شَرَفًا فَكُلُّهُمْ حَسِيبٌ
وَمَا كَأَمِيرِنَا فِيهِمْ أَمِيرٌ وَلَا كَتَقِينِنَا لَهُمْ تَقِيبٌ ^(١)
كَأَنَّ عَلِيمَنَا لَهُمْ نَبِيٌّ لِدَعْوَتِهِ الْخَلَائِقُ تَسْتَجِيبُ ^(٢)
وَقَدْ كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَاجِبَاتُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الذُّدُوبُ ^(٣)
وَمَا تَتَضَاعَفُ الْأَغْلَالُ إِلَّا إِذَا قَسَتْ الرِّقَابُ أَوْ الْقُلُوبُ
وَمَا قِيلَ لِلْكَفَارِ خُشْبٌ تَحَكَّمَ فِيهِمْ السِّيفُ الْخَشِيبُ ^(٤)
حَكَّوْا فِي ضَرْبِ أُمْتَلَةٍ حَمِيرَا فَوَاحِدِنَا لِأَلْفِهِمْ ضَرُوبُ
وَمَا عَلَمَاؤُنَا إِلَّا سُيُوفٌ مَوَاضٍ لَا تُقَلُّ لَهَا غُرُوبُ ^(٥)
سَرَاةٌ لَمْ يَقُلْ مِنْهُمْ سَرِيٌّ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ يَوْمٌ عَصِيبٌ
وَلَمْ يَقْتَنِهِمْ مَاءٌ نَمِيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَرَعَى خَصِيبٌ
وَلَمْ تُنْعَمْصَ لَهُمْ لَيْلًا جُفُونٌ وَلَا أَلْقَتْ مَضَاجِعَهَا جُنُوبُ
يَشُوقُكَ مِنْهُمْ كُلُّ ابْنِ هَيْجَا عَلَى الْأَوَاءِ مَحْبُوبٌ مَهِيبٌ ^(٦)
لَهُ مِنْ نَقَمٍ طَرْفٌ كَحِيلِ وَمِنْ دَمٍ أَسْدِهَا كَفُّ خَضِيبِ
وَتَهَالُ السِّكَنَاتُ حِينَ يَهْوِي إِلَيْهَا مِثْلَ مَا أَنَهَالُ الْكَثِيبُ
عَلَى طُرُقِ الْقَنَا لِلْمَوْتِ مِنْهُ إِلَى مُهْجِ الْعِدَا أَبَدًا دَبِيبُ

(١) د : فيهم . (٢) د : كأن عليمنا فيهم . وفيه تلميح إلى حديث روى عن النبي وهو : علماء أمي كانوا بني إسرائيل . (٣) الذدوب : الشقوق ، جمع ندب . (٤) الخشب : الصقيل . (٥) الغروب : جمع غرب وهو وحيد السيف . (٦) الأواء : الشدة . وفي د : الآراء .

يُقَصِّدُ فِي الْعِدَا مُسْمَرَ الْعَوَالِي فَيَرْجِعُ وَهُوَ مَسْلُوبٌ سَلُوبٌ^(١)
 ذَوَابِلُ كَالْعُقُودِ لَهَا أَطْرَادُ فَلَيْسَ يَشَوْقُهَا إِلَّا التَّرِيبُ^(٢)
 يَخِرُّ لِرُوحِهِ الرُّوحِيُّ أَنَّى تَيَقَّنَ أَنَّهُ الْعُودُ الصَّلِيبِ
 وَيَخْضِبُ سَيْفَهُ بِدَمِ النَّوَاصِي خَافَةَ أَنْ يُقَالَ بِهِ مَشِيبُ^(٣)
 لَهُ فِي اللَّيْلِ دَمْعٌ لَيْسَ يَرَقَا وَقَلْبٌ مَا يَغِبُّ لَهُ وَحِيبُ^(٤)
 رَسُولَ اللَّهِ دَعْوَةً مُسْتَقِيلٍ مِنْ التَّقْصِيرِ خَاطِرُهُ هَيُوبُ^(٥)
 تَعَذَّرَ فِي الْمَشِيبِ وَكَانَ عِيًّا وَبُرْدُ شَبَابِهِ ضَافٍ قَشِيبُ^(٦)
 وَلَا عَتَبُ عَلَى مَنْ قَامَ يَجْلُو مُحَاسِنَ لَا تُرَى مَعَهَا عِيُوبُ
 دَعَاكَ لِكُلِّ مُعْضِلَةٍ أَلَمْتَ بِهِ وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ تَنُوبُ
 وَلِلذَّنْبِ الَّذِي ضَاقَتْ عَلَيْهِ بِهِ الدُّنْيَا وَجَانِبُهَا رَحِيبُ
 يُرَانِبُ مِنْهُ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ فَيَبْكِيهِ كَمَا يَبْكِي الرُّقُوبُ
 وَأَنَّى يَهْتَدِي لِلرُّشْدِ عَاصٍ لِعَارِبٍ كُلِّ مَعْصِيَةٍ رَكُوبُ
 يَتُوبُ لِسَانُهُ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَمْ يَرَ قَلْبُهُ مِنْهُ يَتُوبُ
 تَقَاضَتْهُ مَوَاهِبُكَ امْتِدَاحًا وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالْمَذْحِ الْوَهُوبُ
 وَأَغْرَانِي بِهِ دَاعِي اقْتِرَاحٍ عَلَى لِأَمْرِهِ أَبَدًا وَجُوبُ
 فَقُلْتُ لِمَنْ يَحْضُرُ عَلَى فِيهِ لَعَلَّكَ فِي هَوَاهُ لِي نَسِيبُ

(١) يقصد : يكسر . ومسر العوالى : الرماح . (٢) ذوابل : الرماح الرقيقة . والتريب : عظام الصدر .

(٣) النواصي : جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس . (٤) رقاً الدمع : سكن وجف . وغب القوم : أذاهم يوماً

بعد يوم . والوجيب : خفقتان القلب . (٥) استقال : طلب الإقالة من الذنب .

(٦) تعذر : تأخر . وعى : حصر .

دَلَّلَتْ عَلَى الْهَوَىٰ قَلْبِي فَسَهَّبِي وَسَهَمَكَ فِي الْهَوَىٰ كُلُّ مُصِيبٍ
 لَجُودِ الْمُصْطَفَىٰ مُدَّتْ يَدَانَا وَمَا مُدَّتْ لَهُ أَيْدٍ تَخِيبُ
 شَفَاعَتُهُ لَنَا وَلِكُلِّ عَاصٍ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ مِنْهَا ذَنْبٌ^(١)
 هُوَ الْغَيْثُ السَّكُوبُ نَدَى وَعِلْمًا جَهِلْتُ وَمَا هُوَ الْغَيْثُ السَّكُوبُ
 صَلَاةُ اللَّهِ مَا سَارَتْ سَحَابٌ عَلَيْهِ وَمَا رَسَا وَقَوَىٰ عَسِيبٌ^(٢)

وقال أيضا؛ في مدحه صلى الله عليه وسلم^(٣) :

وَأَفَاكَ بِالذَّنْبِ الْعَظِيمِ الْمَذْنِبُ خَجَلًا يَعْنِفُ نَفْسَهُ وَيُؤَنِّبُ
 لَمْ لَا يَشُوبُ دُمُوعَهُ بِدِمَائِهِ ذُو شَيْبَةٍ عَوَزَاتُهَا مَا تُخْضَبُ^(٤)
 لَعِبَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَلَوْلَا جَهْلُهُ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا يَخْضُوعُ وَيَلْعَبُ
 لَزِمَ التَّقَلُّبَ فِي مَعَاصِي رَبِّهِ إِذْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَابَّ
 يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الذُّنُوبَ وَقَلْبُهُ شَرَّهَا عَلَى أُمْنَاهَا يَتَوَقَّبُ
 يُغْرِى جَوَارِحَهُ عَلَى شَهَوَاتِهِ فَكَأَنَّهُ فِيمَا اسْتَبَاحَ مُسْكَلَبٌ^(٥)
 أَضْحَى بِمُعْتَرِكِ الْمَنَآيَا لَاهِيًا فَكَأَنَّ مُعْتَرِكِ الْمَنَآيَا مَلْعَبُ
 ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ فَمَا لَهُ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ بِطَيْبَةِ مَهْرَبُ
 مُتَقَطِّعُ الْأَسْبَابِ مِنْ أَعْمَالِهِ لَكِنَّهُ بِرِجَائِهِ مُتَسَبِّبُ
 وَقَفَتْ بِجَاهِ الْمُصْطَفَىٰ آمَالُهُ فَكَأَنَّهُ بِذُنُوبِهِ يَتَقَرَّبُ

(١) ذنوب : نصيب . (٢) نوى : أقام . وعسيب : جبل .

(٣) ت : وقال رضى الله تعالى عنه ، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والقصيدة من الكامل .

(٤) يشوب : يخلط . (٥) الجوارح : الأعضاء ، وتكون بمعنى ذوات الصيد من السباع والطيور . ففيها قورية والمسكلب : معلم الكلام الصيد .

وَبَدَأَ لَهُ أَنْ الْوُقُوفَ بِبَابِهِ
 بَابُ لِفُفْرَانِ الذَّنُوبِ مُحَرَّبٌ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنْ مَطَامِعِي
 فِي جُودِهِ قَدْ غَارَ مِنْهَا أَشْعَبُ
 لَمْ لَا يَغَارُ وَقَدْ رَأَى دُونَهُ
 أَدْرَكْتُ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى مَا أُطْلَبُ
 مَاذَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ بِبَابِهِ
 وَصَحَائِفِي سُودٌ وَرَأْسِي أَشْيَبُ
 وَالْمُصْطَفَى الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الَّذِي
 يُخْصِي الرَّقِيبُ عَلَى الْمُسِيءِ وَيَكْتُبُ
 بِشَرِّ سَعِيدٍ فِي النُّفُوسِ مُعْظَمٌ
 بِمِقْدَارِهِ وَإِلَى الْقُلُوبِ مُحَبَّبٌ
 بِجَمَالِ صُورَتِهِ تَمَدَّحَ آدَمُ
 مِصْبَاحُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَإِمَامُهَا
 رِذْوَاقَتَيْسٍ مِنْ فَضْلِهِ فِيحَارُهُ
 فَلَکَلِّ سَارٍ مِنْ هُدَاهُ هِدَايَةٌ
 وَلِکَلِّ عَيْنٍ مِنْهُ بَذَرُ طَالِعٍ
 مَلَأَ الْعَوَالِمَ عِلْمُهُ وَنَنَاوُهُ
 وَهَبَ الْإِلَهُ لَهُ الْكَمَالَ وَإِنَّهُ
 كَشِيفَ الْغِطَاءِ لَهُ وَقَدْ أُسْرِى بِهِ
 وَلِقَابِ قَوْسَيْنِ انْتَهَى فَمَحَلُّهُ
 وَدَنَا دُنُوًّا لَا يُزَاحِمُ مَنْكِبًا
 فَاتَ الْعِبَارَةَ وَالْإِشَارَةَ فَضْلُهُ
 صَدَّقَ بِمَا حُدِّثَتْ عَنْهُ فِي الْوَرَى
 بَابُ لِفُفْرَانِ الذَّنُوبِ مُحَرَّبٌ
 فِي جُودِهِ قَدْ غَارَ مِنْهَا أَشْعَبُ
 أَدْرَكْتُ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى مَا أُطْلَبُ
 وَصَحَائِفِي سُودٌ وَرَأْسِي أَشْيَبُ
 يُخْصِي الرَّقِيبُ عَلَى الْمُسِيءِ وَيَكْتُبُ
 بِمِقْدَارِهِ وَإِلَى الْقُلُوبِ مُحَبَّبٌ
 وَبَيَانِ مَنْطِقِهِ تَشَرَّفَ يَعْرُبُ
 وَلِفَضْلِهِ فَضْلُ اخْلَاقٍ يُنْسَبُ
 مَا تَنْتَهِي وَشُمُوسُهُ مَا تَغْرُبُ
 وَلِكُلِّ عَافٍ مِنْ نَدَاهُ مَشْرَبٌ^(١)
 وَلِكُلِّ قَلْبٍ مِنْهُ لَيْثٌ أَغْلَبُ
 فِيهِ الْوُجُودُ مُنَوَّرٌ وَمُطَيَّبُ
 فِي غَيْرِهِ مِنْ جِنْسٍ مَا لَا يُوهَبُ
 فَعُلُومُهُ لَا شَيْءَ عَنْهَا يَعْرُبُ^(٢)
 مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الْمَحَلِّ الْأَقْرَبُ
 فِيهِ كَارِعَمُ الْمَكِيفِ مَنْكِبُ^(٣)
 فَعَلَيْكَ مِنْهُ بِمَا يُقَالُ وَيُكْتُبُ
 بِالْغَيْبِ عَنْهُ مُصَدِّقٌ وَمُكَدِّبُ

وَاسْمَعْ مَنَاقِبَ لِلْحَبِيبِ فَإِنَّهَا
 مُتِمِّمَاتُ الْأَخْلَاقِ إِلَّا أَنَّهُ
 يَشْفِي الصُّدُورَ كَلَامُهُ فِدَاؤُهُ
 فَاطْرِبْ لَتَسْبِيحِ الْحَصَى فِي كَفِّهِ
 وَالْجَذْعُ حَنْ لُهُ وَبَاتَ كَغَرَمٍ
 وَسَعَتْ لَهُ الْأَحْجَارُ فَهِيَ لِأَمْرِهِ
 وَاهْتَزَّ مِنْ فَرَحٍ ثَبِيرٌ تَحْتَهُ
 وَالنَّخْلُ أُمُورَ غَرَسَهُ فِي عَامِهِ
 وَبَنَانُهُ بِالْمَاءِ أَرَوَى عَسْكَرًا
 وَالشَّاةُ إِذْ عَطَشَ الرَّعِيلُ سَقَمَهُمْ
 وَشَفَى جَمِيعَ الْمُؤَلِّسَاتِ بِرَبِّقِهِ
 وَمَشَى تَظْلَلُهُ الْقِمَامُ لِظِلِّهَا
 وَتَسَكَّلَ الْأَطْفَالُ وَالْمَوْتَى لَهُ
 وَالْجَذَلُ مِنْ حَطَبٍ غَدَا لِمُكَاشَةِ
 وَعَسِيبُ نَخْلٍ صَارَ عَضْبًا صَارِمًا
 وَأَضَاءَ عُرْجُونَ وَسَوَاطِي الدُّجَى
 وَكَأَنَّ دَعْوَتَهُ طَلِيعَةُ قَوْلٍ كُنْ
 تَحْطَى بِهَا أَبْنَاءُ مَنْ يَدْعُو لَهُ
 لِلنَّاسِ فِيهَا وَابِلٌ وَصَوَاقِ

فِي الْحَسَنِ مِنْ عَنَقَاءِ مُغْرِبِ أَغْرَبُ
 فِي الْحَكْمِ يَرْضَى لِلَّهِ وَيَغْضَبُ
 طَوْرًا يَمُرُّ لَهَا وَطَوْرًا يَعْدُبُ
 فَمِنْ السَّمَاعِ لَذِ كَرِهِ مَا يُطْرِبُ
 قَلْقٍ يَفْقَدُ حَبِيبِهِ يَتَكَّرَبُ
 تَأْتِي إِلَيْهِ كَمَا يَشَاءُ وَتَذْهَبُ
 وَمِنْ الْجِبَالِ مُسَبِّحٌ وَمُؤَوَّبُ
 وَبَدَا مُعْنَدُمُ زَهْوِهِ وَالْمَذْهَبُ
 فَكَأَنَّهُ مِنْ دِيْمَةٍ يَتَصَبَّبُ
 وَهُمْ ثَلَاثُ مَثْنَيْنِ مِمَّا يَحْلُبُ
 بِاطْيَبَ مَا يَرْتَقِي بِهِ وَيُطَيَّبُ
 ذَيْلٌ عَلَيْهِ فِي الْمَوَاجِرِ يُسْحَبُ
 بِعَجَائِبِ فَلْيَعْجَبِ الْمُتَعْجَبُ
 سَيْفًا وَلَيْسَ السَّيْفُ مِمَّا يُحْطَبُ
 يَوْمَ الْوَعَى إِذْ كُلُّ عَيْنٍ تُقَلِّبُ
 عَنْ أَمْرِهِ فَكَأَنَّ كَلًّا كَوَّكَبُ
 مَا بَعْدَهَا إِلَّا الْإِجَابَةُ مَوْكَبُ
 فَكَأَنَّمَا وَقَفَ عَلَى مَنْ يُعْقَبُ
 نَفْسٌ بِهَا تَحْيَا وَنَفْسٌ تَعْطَبُ

وَالْمَحَلُّ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِلَاؤُهُ وَالرَّيْحُ يُشْمَلُ بِالسَّمُومِ وَيُجْنَبُ^(١)
 وَاسْتَسْلَمَ الْوَحْشُ الْمَرْوَعُ لِصَيْدِهِ جُوعًا وَصَرَ مِنْ الْحَرُورِ الْجُنْدُبِ
 وَالذَّنْبُ مِنْ طَوْلِ الطَّوَى يَبْكِي عَلَى رِمَمِ الْمَوَاتَى وَابْنُ دَايَةَ يَنْعَبُ^(٢)
 وَالنَّاسُ قَدْ ظَنُّوا الظُّنُونُ كَأَنَّمَا سَلَبَتْ قُلُوبُهُمُ الرِّيحُ الْقَلْبُ
 لَمْ تَبْكِ لِلْأَرْضِ السَّمَاءُ بِهِ وَلَا رَقَّتْ لِشَانِمِهَا الْهَرَقُ الْخَلْبُ
 فَدَعَاكَ مَحْبُوءًا لِكُلِّ كَرِيهَةٍ جَلَّتْ كَمَا يُجْنِبُ الْحَسَامُ وَيُنْدَبُ
 فَزَفَعْتَ عَشْرًا مِنْ أَنَايِلٍ دَاعِيًا فَانْهَلْ أَسْبُوعًا سَحَابٌ صَيِّبُ
 فطغى عَلَى بُنْيَانِ مَكَّةَ مَاؤُهُ أَوْكَادَ يَنْدُبُ فِي الْبُيُوتِ الطُّحْلُبُ
 لَوْلَا سَأَلَتِ اللَّهُ سَقِيَا رَحْمَةً مَاتَتْ بِهِ الْأَحْيَاءُ مِمَّا يَشْرَبُوا
 فَإِذَا الْبِلَادُ وَكُلُّ دَارٍ رَوْضَةٌ فِيمَا يَرُوقُ وَكُلُّ وَادٍ مُعْشَبُ
 فَدَجِثْتُ أَسْتَسْقِي مَكَارِمَكَ الَّتِي يَحْيَا بِهَا الْقَلْبُ الْمَوَاتُ وَيُنْحَصِبُ
 بِأَمْنٍ يُرْجَى فِي الْقِيَامَةِ حَيْثُ لَا أُمَّ تُرْجَى لِلنَّجَاةِ وَلَا أُبُ
 يَفَارِجُ الْكَرْبَ الْعِظَامُ وَوَاهِبَ الْـ مَنِّ الْجِسَامِ إِلَيْكَ مِنْكَ الْمُهْرَبُ
 هَبْ لِي مِنَ الْغُفْرَانِ رَبِّ سَعَادَةٍ مَا تَسْتَعَادُ وَنِعْمَةً مَا تَسْلَبُ
 أَيْضِيقُ بِي أَمْرٌ وَبَابُ الْمُصْطَفَى فِي الْأَرْضِ أَوْسَعُ لِلْعُقَاةِ وَأَرْحَبُ
 لَا تَقْنَطِي يَا نَفْسُ إِنَّ تَوْسَلِي بِالْمُصْطَفَى الْخُتَارِ لَيْسَ يُخَيِّبُ
 أَتَى يَخَيِّبُ وَقَدْ تَعَطَّرَ مَشْرِقُ^٣ بِمَدَانِي خَيْرَ الْأَنَامِ وَمَغْرِبُ
 آلَ النَّبِيِّ وَمَنْ لَهِم بِالْمُصْطَفَى تَجَدُّ عَلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ مُطْنَبُ^(٣)

(١) يشمل : يصير شاملاً . ويجنب : أي يصير جنوبياً . (٢) ابن داية : الغراب .

(٣) السبع الطباق : السموات . وطنيه تطنينا : مده بأطناط ، وهي الحبال ، التي تشد بها الخيمة .

حُزْنُكُمْ عَظِيمًا مِّنْ ثُرَاثِ نَبْوَةٍ
 اللَّهُ حَسْبُكُمْ وَحَسْبِيَ إِنِّي
 يَا سَادَتِي حُبِّي لَكُمْ مَا تَنْقُضِي
 مِّنْ مَّعْشَرٍ نَزَلُوا الْفَلَاحُ فَخُصُونَهُمْ
 مَا فِيهِمْ لِسِنَانٍ عَيْبٍ . مَطْمَئِنُّ
 وَكَلِّ الْخِصَاصَةَ يُؤَثِّرُونَ بَرَادِهِمْ
 لَا تَنْزِعُ اللَّوْأَمُ أَثْوَابَ النَّدَى
 جُبِلُوا عَلَى سِحْرِ الْبَيَانِ فِجَاءِهِمْ
 فَاسْتَسْلَمُوا لِلْعَجْزِ عَنْهُ وَذُو النَّهْيِ
 جَاءَتْ عَجَائِبُهُمْ أَمَامَ عَجَائِبِ
 مَا بَالُ مَنْ غَضِبَ إِلَهُهُ عَلَيْهِمْ
 كَفَرَتْ عَلَى عِلْمٍ بِهِمْ عُلَمَاؤُهُمْ
 كَهَلًا تَمَنَّى الْمَوْتَ مِنْهُمْ مَعْشَرُ
 أَفْيُؤْمِنُونَ بِهِ وَتَمَنَّيَ جَاءَهُمْ
 عَبْدُوا وَمَوْسَى فِيهِمُ الْعَجَلُ الَّذِي
 وَصَبُوا إِلَى الْأَوْتَانِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
 وَإِذَا الْقُلُوبُ قَسَتْ فَلَيْسَ يُبْلِيهَا

مَا كَانَ دُونَكُمْ لَهَا مِنْ يَحْجُبُ
 فِي كُلِّ مُفْضِلَةٍ بِكُمْ أَنْحَسَبُ^(١)
 أَعْمَارُهُ وَحِبَالُهُ مَا تُقْضَبُ^(٢)
 بِيَدٍ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ تُؤْشَبُ
 كَلَّا وَلَا لِحَسَامٍ رَبِّبٍ مَّضْرِبُ
 وَيَلِدُ مِنْ كَرَمٍ لَهُمْ أَنْ يَسْغَبُوا^(٣)
 عَنْهُمْ وَيُخْصِبُ جُودُهُمْ أَنْ يُجْدِبُوا
 حَقُّ الْبَيَانِ عَنِ الرِّسَالَةِ يُعْرِبُ
 تَأْتِي نَهَاةُ قِتَالٍ مَنْ لَا يُغْلَبُ
 أُمُّ الزَّمَانِ بَيْنَ حُبْلَى مُقَرَّبُ^(٤)
 حَادُوا عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَنَكَبُوا
 جَرَبَ الصَّحِيحِ وَلَمْ يَصِحَّ الْأَجْرُ
 جَحَدُوهُ فَامْتَحَنُوا الدَّوَاءَ وَجَرَّبُوا
 بِالْبَيِّنَاتِ مُقْتَلٌ وَمُصَلَّبُ
 ذُبِحُوا بِهِ ذَبَحَ الْعُجُولِ وَعَدُّوا
 وَالرُّسُلُ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْهِمْ تَنْدُبُ
 خِلٌّ يُلُومُ وَلَا عَدُوٌّ يَعْتِبُ

(٢) تقضب : تقطع .

(١) احتسبت بالشيء : اعتدلت به .

(٤) المقرب : قريبة الولادة .

(٣) الخصاص : الفقر . والسغب : الجوع .

وَأَخُو الضَّالَّةَ قَالَ عِيسَى رَبُّهُ
وَيَقُولُ خَالِقُهُ أَبُوهُ وَإِنِّه
أَهْبَذِهِ الْعَوْرَاتِ جَاءَتْ كُتُبُهُمْ
فَاعْوَجَّ مِنْهَا مَا اسْتَقَامَ طَلُوعُهُ
عَجَبًا لَهُمْ مَا بَاهَلُوهُ وَلَمْ أَبْتَ
وَلَقَدْ تَحَدَّى بِالْبَيَانِ لِقَوْمِهِ
فَتَهَيَّيْوْهُ وَمَا أَتَوْهُ بِسُورَةٍ
مَنْ لَمْ يُؤْهِلْهُ الْإِلَهُ لِحَالَةٍ
عَجَبًا لَهُمْ شَهِدُوا لَهُ بِأَمَانَةٍ
وَارْتَابَ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ وَلَمْ يَزَلْ
جَاحِدُوا النَّبِيَّ وَقَدْ أَتَاهُم بِالْهُدَى
لِلَّهِ يَوْمُ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ
وَالْجِنُّ تُنْشِدُ وَخُشَّةً لِفِرَاقِهِ
وَالْغَارُ قَدْ شَتَّتْ عَلَيْهِ غَارَةً
أَرَأَيْتَ مَنْ يَجْفُو عَلَيْهِ قَوْمُهُ
إِنْ يَكْفُرُوا بَكِتَابِهِ فَكِتَابُهُ
قَامَتْ لَنَا وَعَلَيْهِمْ حُجَجٌ بِهِ

وَنَبِيِّهِ فَأَخُو الضَّالِّ مَذْبَذَبٌ^(١)
رَبُّ وَإِنْسَانٌ أَلَا فَتَعَجَّبُوا
أَمْ حَرَفُوا مِنْهَا الصَّوَابَ وَوَرَبُّوا^(٢)
فَكَأَنَّمَا بَيْنَ النُّجُومِ الْقُرْبُ
أَخْبَارُ نَجْرَانَ الَّذِينَ تَرَهَّبُوا^(٣)
وَالِيَهُمْ يُعْزَى الْبَيَانُ وَيُنْسَبُ
مِنْ مِثْلِهِ وَبَيَانُهُمْ يُتَهَبَّبُ
فَاتَتْهُ وَهُوَ لِنَيْلِهَا مُتَأَهَّبٌ
حَتَّى إِذَا أَدَّى الْأَمَانَةَ كَذَّبُوا
بِالصَّدْقِ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ يُلْقَبُ
لَوْلَا الْقَضَاءُ سَأَلْتَهُمْ مَا الْمُوجِبُ
كَخُرُوجِ مُوسَى خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
شِعْرًا تَفِيضُ بِهِ الدُّمُوعُ وَتُسْكَبُ
أَعْدَاؤُهُ حِرْصًا عَلَيْهِ وَأَجْلَبُوا
تَعَنُّوْهُ عَلَيْهِ الْعَنْكَبُوتُ وَتَحَدَّبُ
فَلَكَ يَدُورُ عَلَى الْوُجُودِ مُكَوَّنٌ
فَبَدَا الصَّبَاحُ وَجَنٌّ مِنْهُ الْقَيْهَبُ

(١) مَذْبَذَبٌ : حيران أو متردد . (٢) التوريب : العُدول عن الشيء بالمعارضات .

(٣) المباهلة : الملاءمة . وهذا البيت ورد في م هكذا :

عجبا لهم عرفوا النبي وأعرضوا
عما يقول من الصواب وأضرَبوا
ما بالهم ما بَاهَلُوهُ وَلَمْ أَبْتَ
أخبار نجران الذين ترهبوا

فتصادمَ الحقُّ المبينُ وإفكهمُ
فدَعَوْا نَزَالَ فَأَوْقَدَتْ نيرانها
فإذا بدينِ الكُفْرِ يندُبُ فمقدَه
غالتُ بُغائهمُ بُرَاةُ كَرِيهَةٍ
حتى بكى عَمْرًا هِشامُ في الثرى
لا تُنْكِرُوا بُغْضِي عَدُوَّ الْمُصْطَفَى
أَفْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ نَارُ قَرِيحَتِي
هذا وَنُطْقِي دَائِمًا بِمَدِيحِهِ
أَهْدَى لَهُ طِيبَ الثَّنَاءِ وَإِنِّهِ
أُنِنِي عَلَيْهِ تَشَوُّقًا وَتَعَبُّدًا
مُسْتَضْحِبًا مُحِبًّا وَإِيمَانِي لَهُ
أَشْتَاقُ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ بِلَوَعَةٍ
مَالِي سِوَى ذِكْرِي لَهُ فِي رِخْلَتِي
وَتَحِيَّةٍ مِنِّي إِلَيْهِ يَرُدُّهَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ صَلَاتَهُ
مَاحَنٌ مُشْتَاقٌ إِلَى أَوْطَانِهِ
مِثْلِي وَرَاحَ بَوَاضِعِهَا يَتَشَبَّهُ

(١) العاديات الشرب : الخيل العتاق السريعة العدو .

(٢) عمرو بن هشام : هو أبو جهل . وحبي بن أخطب من رؤساء اليهود .

قال رحمه الله ^(١) مهنتاً فخر الدين عثمان بقدمه ؛ ويعرّض في هجاء بعض النصارى :

أَرْبِجُ الصَّبَا هَبَّتْ كُلِّي زَهَرَ الرُّبَا فَأَصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ قُطْرٍ مُطَيَّبًا
أَمِ الرِّاحُ أَهْدَتْ لِلرِّيَّاحِ مُخَارَهَا فَأَسْكَرَ مَسْرَاهَا الْوُجُودَ وَطَيَّبًا
أَلَمْ تَرَنِي هَزَّ التَّصَابِي مَعَاطِنِي وَرَاجَعَنِي مَارَاقَ مَنْ رَوَّنَقِ الصَّبَا
فَمَنْ مُحِبِّرِي مَاذَا السُّرُورُ الَّذِي سَرَى فَلَا بَدَّ حَتَّمَا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَبَا
فَقَالُوا : أَعَادَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فَخْرَهُمْ وَلِيَّا إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ مُحِبًّا
فَقُلْتُ : أَفْخَرُ الدِّينِ عُمَانُ ؟ قَالَ لِي : بَلَى ! ؟ قُلْ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ^(٢)
وَقَالَ الْوَرَى لِلَّهِ دَرْكُ قَادِمًا سَقِينَا بِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ صَيِّبًا ^(٣)
وَنَادَى مُنَادٍ بَيْنَهُمْ بِقُدُومِهِ فَرَهَّبَ مِنْهُمْ سَامِعِينَ وَرَغَبًا
فَأَوْسَعَهُمْ فَضْلًا فَأَمَّنَ خَائِفًا وَأَنْصَفَ مَظْلُومًا وَأَخْصَبَ مُجْدِبًا
وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ الْبَسِيطَةُ زِينَةً فَقَفَضَ مِنْهَا الزَّهَرَ حَلِيمًا وَذَهَبًا
فِيَا فَرَحَةَ الدُّنْيَا وَفَرَحَةَ أَهْلِهَا يَوْمَ لَهُ مِنْ وَجْهِ عُمَانِ أَعْرَبًا ^(٤)
وَشَاهِدْ مِنْهُ صُورَةَ يُوسُفِيَّةَ تَبَاهَى بِهَا فِي الْحُسْنِ وَالْبَاسِ مَوْكِبًا
مُقَوِّضُ أَمْرِ الْعَالَمِينَ لِزَأْيِهِ فَكَانَ بِهِمْ أَوْلَى وَأَدْرَى وَأَذْرَبًا ^(٥)
أَعِيدُوا عَلَى أَسْمَاعِنَا طِيبَ ذِكْرِهِ ^(٦) لِيُطْفِئَ وَجْدًا فِي الْقُلُوبِ تَلَهَّبًا
وَلَا تَحْجُبُوا الْأَبْصَارَ عَنْ حُسْنِ وَجْهِهِ فَقَدْ كَانَ عَنْهَا بِالْبُعَادِ مُحْجَبًا

(١) ت : وقال رضى الله تعالى عنه ، من الطويل . (٢) ت : قلت أهلاً وسهلاً ومرحباً .

(٣) ت : سقانا به . (٤) ن : عن وجهه . (٥) أذرب : أمضى وأحده .

(٦) هو فخر الدين عثمان ، استادرا الملك الكامل . توفي سنة ٦٢٩ هـ . السلوك للمقريزى « القسم الأول الجزء الأول ص ٢٤٤ ط دار الكتب سنة ١٩٣٤ » .

وَلِيَّ إِذَا ضَاقَتْ يَدِي وَذَكَرْتُه
تَوَسَّلْ بِهِ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ طَالِبٌ
وَعِشْ آمِنًا فِي جَاهِهِ إِنَّ جَاهَهُ
تَغَرَّبْتُ يَوْمًا عَنْ بِلَادِي وَزُرْتُهُ
عَلَى أَنْتِي مَا زِلْتُ مِنْ بَرَكَاتِهِ
وَكُنْتُ لِمَا يَرْضَاهُ بِالْغَيْبِ فَاعِلًا
وَلَا كَانَ دِينَارِي مِنَ النَّصْحِ بَهْرَجًا
أَمْوَالِي أَنْسَيْتُ الْوَرَى ذِكْرًا مَنْ مَضَى
وَلِيَّ أَدَبٌ خُرٌّ أَحْرَمُ بَيْعَهُ
وَقَدْ أَهَجَرُ الْعَذْبُ الرُّلَالَ عَلَى الصَّدَى
وَأَنْصَبُ أَحْيَانًا شِبَاكَ فَنَاعَةٍ
وَمَهْمَا رَأَى شَاعِرٌ مُتَأَسِّدٌ
أُرَاقِبُ مَنْ عَاشَرْتُ مِنْهُمْ كَأَنْتِي
كَأَنْتِي إِذَا أَهْدَيْتَهُمْ^(٤) عَنْ ضَلَالِهِمْ
فَلَا بُورِكَ الْمُسْتَخْدَمُونَ عِصَابَةً
إِذَا مَا بَرَى أَفْلَامُهُ خِلْتُ أَنَّهُ
يَعَالِطُنِي بَعْضُ النَّصَارَى جَهَالَةً

مَلَكَتُ نِصَابًا أَوْ تَوَلَّيْتُ مَنْصِبًا^(١)
فَكَمْ نَلْتُ مِنْهُ بِالتَّوَسُّلِ مُطْلَبًا
لِقَضَائِهِ رَاضٍ الزَّمَانَ وَهَذَبًا
فَنِلْتُ غِنَى مَا نَالَهُ مَنْ تَغَرَّبَا
غِنِيًّا وَفِي نَعْمَانِهِ مُتَقَلِّبًا
وَكُنْتُ لِمَا لَمْ يَرْضَهُ مُتَجَنِّبًا
لَدَيْهِ وَلَا بَرَقِي مِنَ الْوُدِّ خُلْبًا
وَأَغْنَى نَدَاكَ الْمَادِحِينَ وَأَتَعْبَا
وَمَا كَانَ يَنْبَغُ الْحَرَّ لِلْحَرِّ مَذْهَبًا
إِذَا كَدَّرْتُ لِي السَّمْهَرِيَّةُ مَشْرَبًا^(٢)
أَصِيدُ بِهَا نُونًا وَضَبًّا وَجُنْدَبًا
تَذَابَّ مِنْهَا خَيْفَةٌ وَتَشَعَّلَبَا
أُرَاقِبُ كَلْبًا أَوْ أُرَاقِبُ^(٣) عَقْرَبًا
أُبْصِرُ أَعْمَى أَوْ أَقُومُ أَحْدَبًا
فَكَمْ ظَالِمٍ مِنْهُمْ عَلَى تَعَصُّبَا
يَسُنُّ لَهُ ظُفْرًا وَنَابًا وَمُخْلَبَا
إِذَا أَوْجَبَ الْمُلَغَى وَالْفَقَى الْمَوْجِبَا^(٥)

(١) النصاب : من كل شيء : الأصل والمرجع ، ومنه نصاب الزكاة ، وهو قدر من المال إذا بنيه وجبت على مالكه زكاته ، نحو مئتي درهم ، وخمس من الإبل . والمنصب في كلام المولدين : ما يتولاه الرجل من العمل ، كأنه محل لنصبه . وفي الكلام القديم بمعنى الأصل والحسب والشرف .

(٢) في د : إذا كدرت في الماء فيه مشربا . وكذلك في الأصل الذي نقلت عنه النسخة التيمورية . ولكن

القول في رأى أن الشطر غير مستقيم ؛ فوضعه على النحو المذكور ، وأشار إلى ذلك في الهامش .

(٣) د : أراقب (٤) في الأصل : أهديتهم . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٥) د : إذ وجب الملغى وألقى الموجب . والموجب ، بتشديد الجيم للوزن : اللازم .

وما كانَ مَنْ عَدَّ الثَّلَاثَةَ وَاحِدًا بِأَعْلَمَ مِنِّي بِالْحِسَابِ وَأَكْتَبَا
وما اَلْحَقُّ فِي أَفْوَاهِ قَوْمٍ كَأَنهَا أَوَانُ حَوْتِ مَاءِ خَبِيثًا مَطْحَلِبَا
مُفْلَجَةٌ أَسْنَانُهَا فَكَأَنُّهَا أَصَابَ بِهَا الزُّنْجَارُ أَخْجَارُ كَهْرَبَا^(١)
كَأَنَّ ثَنَائِيَهُمْ مِنَ اَلْخَبَثِ الَّذِي تَحْضَرَمُ فِي نِيَّاتِهِمْ وَتَزَبُّبَا
عَجَبْتُ لِأَمْرِ آلِ اَلشَّيْخِ مُخْلِصًا^(٢) إِلَى أَنْ يُعَرِّى كَاللَّصُوصِ وَيُضْرَبَا
بَكَيْتُ لَهُ لَمَّا كَشَفْتُ ثِيَابَهُ وَأَبْصَرْتُ جَسْمًا بِالدِّمَاءِ مُخَضَّبَا
وَحَلَفْتُهُ بِاللَّهِ مَا كَانَ ذَنْبُهُ فَأَقْسَمَ لِي بِاللَّهِ مَا كَانَ مُذْنِبَا
وَلَكِنْ حَبِيبٌ رَاحَ فِيَّ مُصَدِّقًا كَلَامَ عَدُوٍّ مَا يَزَالُ مَكْذَبَا
فَقُلْتُ : وَمَنْ كَانَ الْأَمِيرُ حَبِيبَهُ فَلَا بَدَّ أَنْ يَرْضَى عَلَيْهِ وَيَغْضَبَا
فَصَبْرًا جَمِيلًا فَلَمَقْدَرُ كَأَنَّ فَقَدْ كَانَ أَمْرًا لَمْ تَجِدْ مِنْهُ مَهْرَبَا
فَابْلِيسُ لَمَّا كَانَ ضِدًّا لِآدَمَ تَخْتَلُ فِي عِضْيَائِهِ وَتَسْبَا^(٣)
وَقَدْ كَانَتْ الْعُقْبَى لِآدَمَ دُونَهُ فَتَابَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ وَاجْتِبَا^(٤)
وَمِنْ قَبْلِ ذَا فَدَكَنْتُ إِذْ كُنْتُ ذَا كِرَا نَهَيْتُكَ أَنْ تَلْقَى الْأَمِيرَ مُقْطَبَا
دَعَاكَ إِلَى أَمْرِ مُهِمٍّ فُخِئْتَهُ كَأَنَّكَ فِي عُرْسٍ أَتَيْتَ مُسْتَبَا
فَلَا تَنْسَ فِينَا لِلْأَمِيرِ قُضِيَّةً فَتَفْتَحَ أَبَاً لِلْعِتَابِ مُجْرَبَا
وَيَاكَ أَنْ تُبْطِئَ عَلَى بِرَاتِي فَيَبْقَى عَلَيْكَ اللَّوْمُ مِنْهُ مُرَبَبَا
وَحَفَّ صَارِمًا هَزَ الْمَدِيحِ فِرْنَدَهُ^(٥) حَبِيبُ إِلَيْهِ أَنْ يَهْزَ وَيُنْدَبَا

(١) الزنجار : هو صدأ النحاس . والكهربا : الكهرمان ، وهو صمغ شجرة معروفة . والفليج في الأسنان

بفتحتين : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات ، وبابه طرب . (٢) هكذا بالأصل .

(٣) تختل : أظهر الخلل ، وهو الخداع . وتسبب : أوجد أسبابا .

(٤) د : وجبا . (٥) فرند السيف : بريقه ولعانه .

فَلا فَارَقَتْ مِنْهُ السَّعَادَةُ قَائِمًا وَلَا فَلَّتْ مِنْهُ الْحَوَادِثُ مَضْرِبًا
وَلَا زَالَ دِينُ اللَّهِ يَرْضَى الَّذِي قَضَى بِهِ فِي بَنِي النَّعَالِ وَيَأْبَى الَّذِي أَبِي ^(١)

وقال ، عفا الله عنه ^(٢) ، يمدح بعض الأمراء :

لَا تَظْلُمُونِي وَتَظْلُمُوا الْحَسْبَةَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ^(٣) نِسْبَةٌ
غَيْرِي فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَا دَرَبٌ وَلَيْسَ فِي الْحَالَتَيْنِ لِي دُرْبَةٌ
فَهُوَ أَبُو حَبَّةٍ كَمَا ذَكَرُوا لَا يَتَغَاضَى لِلنَّاسِ ^(٤) فِي حَبَةٍ
وَقَامَ فِي قَوْمِهِ لِيُنْذِرَهُمْ فَهُوَ بِإِنْذَارِ قَوْمِهِ أَشْبَهُ
وَالنَّاسُ كَالزَّرْعِ فِي مَنَابِتِهِ هَذَا لَهُ تُرْبَةٌ وَذَا تُرْبَةٌ
تَاللَّهِ يَرْضَى فَضْلِي وَلَا أَدْبَى وَلَا طِبَاعِي فِي هَذِهِ السُّبَّةِ
أَجْلِسُ وَالنَّاسُ يَهْرَعُونَ إِلَى فَعَلَى فِي السُّوقِ عُصْبَةٌ عُصْبَةٌ
أَوْجَعُ زَيْدًا ضَرْبًا وَأَشْبَعُهُ سَبًّا كَأَنِّي مُرْقِصُ الدُّبَّةِ
وَيَكْسِبُ الْغَيْظُ مَقْلَتِي وَخَدَّتِي أَحْمَرًّا كَزَامِرِ الْقِرْبَةِ
وَأَمَرَ النَّاسَ بِالصَّلَاحِ وَلَا أَصْلَحُ نَفْسِي ، حُرْمَتُهَا حِسْبَةٌ
لَمْ أَرَ فِي قُبْحٍ فَعْلًا حَسَنًا كَالْكَلْبِ فِي السُّوقِ يُلْقِحُ الْكَلْبَةَ
وَمَا كَفَّاهَا حَتَّى يُخَيَّلَ لِي أَنْ اتَّبَعَ أَهْوَاهَا ^(٥) قُرْبَةٌ
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ كَمَنْ تَغْلِيهِ فِي الرَّقَاعَةِ الرَّغْبَةُ

(١) ت ، د : بَنَى النَّعَالَ . وَلَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنَ بِذَلِكَ . فَلَعَلَّهَا ؛ بَنَى النَّعَالَ : وَهُمْ مِنَ النَّصَارَى ، الَّذِينَ

يَعْرِضُ بِهِمْ فِي قَصِيدَتِهِ . (٢) ت : وَقَالَ لَمَّا أَمَرَهُ السَّابِقُ بِوَلَايَةِ الْحَسْبَةِ ، وَامْتَنَعَ مِنْهَا

وَعَادَنَهُ فِيهَا الْفَخْرُ الْفَيْشِيُّ . (٣) د : بَيْنَهُ . (٤) فِي الْأَصْلِ : لَا يَتَغَاضَى النَّاسُ . تَحْرِيفٌ .

(٥) ت : اتَّبَعَ أَهْوَاهَا ، د : اتَّبَعَ إِهْدَانَهَا . وَقَدْ رَجَعَتْ مَا أَثْبَتَهُ .

يمشى بها والصَّعَارُ تَفْشِدُهُ : أَمِيرُنَا زَارَنَا بِلَا رِكْبَةٍ^(١)
وما يزالُ الفُلاَمُ يَتَّبَعُهُ بِدِرَّةٍ مِثْلَ رَأْسِهِ صَلْبَةٍ
وَهُوَ يَقُولُ : افْسَحُوا لِمُحْتَسِبٍ قَدْ جَاءَكُمْ^(٢) مِنْ دِمَشْقٍ فِي عُلْبَةٍ
لَا تَنْفَقِلُ يَا فُلَانُ فِي بَلَدٍ لَمْ^(٣) تَنْفَقِلْ مِنْكَ بَيْنَهُمْ ضَبَّةً
فَرَسٌ تَبَاهَى بِأَنَّهُ وَتَدُ فَلْيَحْتَمِلْ^(٤) دَقَّ كُلِّ مِرْزَبَةٍ
مَا بَالُهُ خَائِلَ الزَّمَانِ بِهَا كَمْ كَانَ لِلَّيْلِ فِيكَ مِنْ صَبَّةٍ
وَقَائِلٍ لَمْ يَقُلْ أَنَاهُ كَذَا يَسْفَهُ فِي قَوْلِهِ وَلَا يُجِبُهُ
مَعْنَاهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَوَالِدِهِ فَهُوَ لَقِيطٌ رَمَتْ بِهِ قَجَبُهُ
قُلْتُ لَهُمْ عِنْدَ صَاحِبِي مُحَقٌّ فِي كُلِّ حِينٍ يُلْقِيهِ فِي نَكْبَةٍ
حَصَلَ مَا لَا بَحَاً وَعَدَدَةٌ مِنْ أَصْلِ مَالِ الزَّكَاةِ وَالْوَهْبَةِ
وَصَارَ عَدْلًا وَعَاقِدًا وَأَمِينَ الْحُكْمِ^(٥) مَنْ دَوَّنَ الْعُدُولَ فِي حِقْبَةٍ
مُنْبَهٍ^(٦) قَوْمَهُ عَلَى شُغْلٍ وَسَاعَدَ الْوَقْتُ سَعْدَ مَنْ نَبَهَ
وَخِفْتُ مِنْ عَتِيهِمْ عَلَى كَمَا خَافَ الْعَتَاهِي الْعَتَبَ مِنْ عَتْبَةٍ
فَطَارَ بُرْغُوهُ^(٧) خَلْفَتِهِ وَرَامَ يَنْجِي الْأَسْوَدَ فِي الْوِثْبَةِ
فَلَمْ يَرِمْ إِذْ رَمَتْهُ بِطَنْتِهِ^(٨) إِلَى وَهُودٍ^(٩) الْخَوْلِ مِنْ هَضْبَةٍ
أَغْرَقَهُ^(١٠) جَهْلُهُ وَمَا سَرَّتْ^(١١) قَطُّ^(١٢) لَهُ سُرَّةٌ وَلَا رُكْبَةٌ

(١) ت : أميرنا زارنا بركبته . (٢) د ، ت : كم جاءكم . (٣) ت ، د : قد .
(٤) د : فليتحمل . (٥) من : ساقطة من ت ، د : العدل ، وهذه رواية ت ،
(٦) ت ، د : نبه . (٧) د : من غوئه . (٨) ت : فطنته .
(٩) ت : وهاد . (١٠) ت : أغره . (١١) ت : ستر له .
(١٢) ساقطة من الأصل .

وَعَادَ تَمَوُّيَهُ^(١) عَلَيْهِ وَكَمْ أَخْجَلَ شَيْبُ الذُّتُونِ مَنْ حَصَبَهُ
وَرَأَحَ مِثْلَ النَّوَاتِ^(٢) فِي سُنَنِ خَيْرٍ لَهُ مِنْ سُلَافَةٍ عَطَبَهُ
وَسَاءَنِي مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الذُّسُوفِ يَوْمَ الْحَمِيرِ فِي التُّرْبَةِ
فَلَا تَسَلَّنِي فَمَا حَضَرْتُ لَهَا لَكِنْ سَمِعْتُ الصِّيَاحَ وَالثَّدْبَةَ
وَقَالَتِ النَّاسُ عِنْدَ مَا وَرَدَتْ لِعَزْلِهِ الْكُتُبُ هَانَتْ الْوَجَبَةُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَاحْذَوْهُ مَعِيَ عَلَى خَلَاصِي مِنْ هَذِهِ النَّسَبَةِ
الْيَوْمَ حَقَّقْتُ أَنَّ أَمْرَكَ بِالْحِسَابَةِ [لِي] لَيْسَ كَانَ لِي لُغَبُهُ
بِمَا جِدًّا مَا يَزَالُ يُنْقِذُ مَنْ رَمَاهُ رَيْبُ الزَّمَانِ فِي كُرْبِهِ
إِنِّي أَمْرٌ حَرِيقَتِي الْحِسَابُ فَلَا يَدْخُلُ رَيْبٌ عَلَيَّ فِي حِسَبِهِ
وَلَا تَرُدُّ الْكُتَابُ جَائِزَةً عَلَى حِسَابِ^(٣) مَنِّي وَلَا شَطْبَهُ
يَسْرِقُ مَنِّي بِرَيْقِهِ رَجُلٌ يَشْرَبُ مَالَ الْعُمَالِ فِي شَرْبِهِ
وَالشُّعْرُ مِيزَانُهُ أَقْوَمُهُ^(٤) وَلَيْسَ تَنْقَامُ مِنْهُ لِي حَدَبُهُ
فَاتِنِّي^(٥) لَا أَرَى^(٦) الْمَدِيحَ بِهِ لِلْعَالِ بَلْ لِلْوِدَادِ وَالصُّحْبَةِ
وَالشُّعْرُ عِنْدِي^(٧) أَخُو الْعَدَالَةِ لَا أَحْسِبُ أَقْوَالَهُ^(٨) وَلَا كَسْبَهُ
فَلَمْ أَكُنْ أَتَّبِعُ الْعَدُولَ إِلَى عَقْدٍ إِذَا مَا دُعَاؤُهُ خُطْبَهُ
مِنْ كُلِّ مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةً كَأَنَّهُ فِي ذَهَابِهِ عُقْبَهُ
يَذْبَحُهُ ظُلْمُهُ وَيَنْحَرُهُ الْجَهْلُ بِلا شَفَرَةٍ وَلَا حَرَبَةٍ

(١) د : تومعه . (٢) ت : النوق . (٣) د : حسابي : (٤) د ، ت : أقومها .

(٥) د : فاني . (٦) ت : لا أدري . (٧) ساة من د ، ت : وبدونها لا يستقيم الوزن .

(٨) ت : أقوامه .

كَمْ غَيَّةٍ قَدْ أَتَاكَ بِهَا الشَّاهِدُ فِي سَلَمٍ وَفِي كَذِبِهِ
يُنِيلُ نَيْلُ الْمُسَوِّقِ مِنْ فِيهِ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ جَعَبِهِ
فَلَيْسَ لِي فِي الشُّهُودِ مِنْ^(١) أَرْبٍ إِذْ وَصِفُوا كَالْيَهُودِ بِالْأَرْبَةِ
فَارْحَمَ لَبِيبًا يَوْمًا^(٢) دَعَاكَ وَقَدْ بَلَّغْتَ^(٣) الْجُوعُ رُوحَهُ الْإِلَهَ^(٤)
لَوْ عُمرَ ابْنُ الْعِمَارِ خَوَلَهُ نِيَابَةَ الْخِلْدَمَتَيْنِ وَالْخُطْبَةِ
وَلَمْ يَدَعَهُ كَلًّا^(٥) عَلَى أَحَدٍ بَغِيرِ نَفْعٍ كَأَنَّهُ وَلَيْسَ^(٦)
حَاشَاكَ يَا مَنْ أَبْوَابُهُ وَطْنِي تَخْتَارُ لِي أَنْ أَمُوتَ فِي الْغُرْبَةِ
وَأَنْ حَالِي وَحَالَ عَائِلَتِي لَا يَحْمِلُونَ النَّوَى وَلَا الْغُرْبَةَ
إِنْ كَانَ أَرْضَى الزَّمَانَ فُرَقْتَنَا فَاغْضَبْ عَلَى صَرْفِهِ لَنَا غَضَبَهُ
فَأَنْتَ مِنْ مَقْشَرِ تَطْيِيعُهُمُ الْيَأْمُ عَنْ رَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ
وَمِنْ مَالِكٍ مَافَوْقَ رُتْبَتِهِ عَلَى عَظِيمِ اتِّضَاعِهِ رُتْبَةٍ
مَا مَلِكُ الرُّومِ فِي جَلَالَتِهِ أَحَقُّ مِنْهُ بِالطَّيْرِ وَالْقُبَةِ
أَنْتَ الْأَمِيرُ الْمُعِيدُ أَلْسِنَتَنَا كَالْعُودِ مِنْهُ بِذِكْرِهِ رَطْبُهُ
وَالسَّابِقُ الْأَوَّلِينَ فِي كَرَمٍ لَمَّا جَرَى وَالْكَرَامُ فِي حَلْبَةٍ
وَالْهَارِيزُ الْجَيْشُ وَالْكَتَائِبُ بِالطَّفَنَةِ يَوْمَ الْوَعَى وَبِالضَّرْبَةِ
وَالطَّاهِرُ الذَّمِيلُ وَالطَّوْبَةُ أَوْ يَكْفِي السَّعِيدَ الْحَرَكَ وَالنَّصْبَةَ^(٧)
مَنْ خُلِقَ كَالنَّسِيمِ يَنْشُرُ إِنْ هَبَّ عَلَيْهِ مِنْ نَشْرِهِ هَبَّةٌ

(١) من : ساقطة من د ، ت . وقد أضعفها لوزن الشعر . (٢) إذا : إساقطة من د ، ت :

والزيادة من عندى للوزن . (٣) د ، ت : من شدة الجوع . والجوع : الخمة .

(٤) اللبة : المنحر . (٥) كلاً : عباً . (٦) يريد كأنه والبة ، وهى فراخ الزرع ، وقيل الزرعة تنبت من

عرق الزرعة الأولى . (٧) النصبه : المرة من النصب ، أى التعب .

وَمَنْ إِذَا ذَكَرْتَ سُودْدَهُ يَهْزُنِي عِنْدَ ذِكْرِ طَرَبِهِ
صَلَاحُهُ اسْتَعْدَمَ الزَّمانَ لَهُ فَصَارَ يَمْشِي قَدَامَهُ حَاجِبُهُ

قافية الحاء . قال يمدحه ، صلى الله عليه وسلم ، وهى من الكامل ^(١) :

أَمْدَانِيحٌ لِي فِيكَ أَمْ تَسْبِيحُ	لَوْلَاكَ مَا غَفَرَ الذُّنُوبَ مَدِيحُ
حُدَّتْ أَنْ مَدَانِيحِي فِي الْمُصْطَفَى	كَفَّارَةٌ لِي وَالْحَدِيثُ صَحِيحُ
أَرْبَعُ بَيْنَ أَهْدَى إِلَيْهِ مَنَاءُهُ	إِنَّ الْكَرِيمَ لَرَّابِحٌ مَرْبُوحُ
يَا نَفْسُ دُونَكَ مَدَحٌ أَتَحَدُّ إِنَّهُ	مِسْكٌ تَمَسَّكَ رِيحُهُ وَالرُّوحُ
وَنَصِيْبُكَ الْأَوْفَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي	مِنْهُ الْعَبِيرُ لِسَامِعِيهِ يَفُوحُ
إِنَّ النَّبَىَّ مُحَمَّدًا مِنْ رَبِّهِ	كَرَمًا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ مَمْنُوحُ
اللَّهُ فَضَّلَهُ وَرَجَّحَ قَدْرَهُ	فَلَيْسَ لَهُ التَّفْضِيلُ وَاللَّزْجِيحُ
إِنْ جَاءَ بَعْدَ الْمُرْسَلِينَ فَضْلُهُ	مِنْ بَعْدِهِ جَاءَ الْمَسِيحُ وَنُوحُ
جَاهُوا بِوَحْيِهِمْ وَجَاءَ بِوَحْيِهِ	فَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْكُوكَبِ يُوْحُ ^(٢)
حَارَتْ عَقُولُ النَّاسِ فِي أَوْصَافِهِ	وَتَبَلَّدَتْ وَلَهَا بِهَا تَنْفِيحُ
أَنْى يُكَيِّفُهَا أَمْرُوْهُ وَيَحْدُثُهَا	بِالْقَوْلِ وَهِيَ لِدَا الْوُجُودِ الرُّوحُ
رَدَتْ شَهَادَتَهُ أَنَاسٌ مَالَهُمْ	طَعْنٌ عَلَيْهِ بِهَا وَلَا تَجْرِيحُ
وَلَقَدْ أَتَى بِالْبَيِّنَاتِ صَحِيحَةً	لَوْ أَنَّ نَاطِرَ مَنْ عَصَاهُ صَحِيحُ
عَرَفُوهُ مَعْرِفَةَ الْيَقِيْنِ وَأَنَسَكُرُوا	إِنَّ الشَّقَى إِلَى الشَّقَاءِ جَمُوحُ

(١) ت : وقال ، رضى الله عنه وأرضاه ، من الكامل . (٢) يوح : الشمس .

فَأَبَادَ مَنْ أَبَدَى مُخَالَفَةً لَهُ فَالسَّيْفُ مِنْ تَعَبِ الْخِلَافِ قَرِيحُ
وَجَلَا ظِلَامَ الظُّلُمِ لَمَّا أَوْ مَضَتْ وَمَضَتْ لَدَيْهِ صَحَافٌ وَصَفِيحُ^(١)
شَيْثَانٍ لَا يَنْفِي الضَّلَالِ سِوَاهَا نُورٌ مُقَاضٍ أَوْ دَمٌ مَسْفُوحُ
عَجَبًا لَهُمْ لِمَ يُنْكِرُونَ نُبُوَّةَ ثَبَتَتْ وَلَمْ يُنْفِخْ بَادَمَ رُوحُ
مَالِي اشْتَقَلْتُ بِزَجْرِهِمْ فَكَانِي بَيْنَ الطَّوَائِفِ طَارِقُ^(٢) مَنْبُوحُ
لَا تُتَعَبِينَ بِذِكْرِهِمْ قَلْبًا غَدَا وَلَهُ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَرْوِيحُ^(٣)
وَأَنْشُرْ أَحَادِيثَ النَّبِيِّ فِكْلُ مَا تَرْوِيهِ مِنْ خَبَرِ الْحَبِيبِ سَلِيحُ
وَإِذَا كُرُ مِنْاقِبَهُ^(٤) الَّتِي أَلْفَاظُهَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِذِكْرِهَا وَاللُّوحُ^(٥)
أَعْجَبَتْ أَنْ غَدَتِ الْعِمَامَةُ آيَةً لِحَمْدٍ يَغْدُو بِهَا وَيَرْوَحُ
أَوْ أَنْ أَتَتْ سَرَحُ^(٦) إِلَيْهِ مُطِيعَةً فَكَأَنَّمَا أَتَتْ الرِّيَاضَ سُرُوحُ^(٥)
وَلَمَنْبَعِ الْمَاءِ الْمَعِينِ بَرَاةٍ رَاحَ الْخَصَى وَلَهُ بِهَا تَسْلِيحُ
أَوْ أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِ جِذْعُ يَاسٍ شَوْقًا وَيَشْكُو بَشَّةً وَيَنُوحُ^(٦)
حَتَّى دَنَا مِنْهُ النَّبِيُّ وَمَنْ دَنَا مِنْهُ نَأَى عَنْ قَلْبِهِ التَّبَرُّيحُ
وَبَانَ بِكَلَمِهِ الدَّرَاعُ وَكَيْفَ لَا يُفْضِي إِلَيْهِ بِسِرِّهِ وَيَبُوحُ
وَبَانَ يَرَى الْأَعْمَى وَتَنْقَلِبَ الْعَصَا سَيْفًا وَيَحْيَا الْمَيِّتُ وَهُوَ طَرِيحُ
وَبَانَ يُغَاثُ النَّاسُ فِيهِ وَقَدْ شَكَّوْا مُخَلَّلاً لَوَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُ كُلُوحُ^(٧)

(١) أومضت : لمعت . ومضت : من المضاء والجلدة . (٢) الطارق : الآق ليلا .
(٣) ترويح ، من الراحة . (٤) اللوح : الهواء . (٥) السروح : الدواب السارحة : جمع سرح ،
وقد تكون بمعنى الأشجار الكبيرة . (٦) البث : الحزن .
(٧) الكلوح : العبوس .

وَبَانَ يَفِيزَ لَهُ وَيَعْذَبَ مِنْهُ
يَا بَرْدَ أَكْبَادٍ أَصَابَ عِطَافُهَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ صَلَاتَهُ
أَسْرَى إِلَهُهُ بِجِسْمِهِ فَكَأَنَّهُ
وَدَنَا فَلَا يَدُ آمِلٍ مُتَدَّةٌ
حَتَّى إِذَا أَوْحَى إِلَيْهِ اللَّهُ مَا
عَادَ الْبُرَاقُ بِهِ وَثَوَّبُ أَدِيمِهِ
فَذَرُوا شَيَاطِينَ الْأَلَى كَفَرُوا بِهِ
تَاللَّهِ مَا الشُّبُهَاتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ
كَمْ بَيْنَ جِسْمٍ عَدَلَتْ حَرَكَاتِهِ
لَوْلَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَعُلُومُهُ
عَقَدَ إِلَهُهُ بِهِ الْأُمُورَ فَلَمْ يَكُنْ
ضَلًّا الَّذِينَ تَأَلَّهُوا أَحْبَارَهُمْ
يَا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ قَدْ عُوِفْتُمْ
فَاسْتَبَشِرُوا بِشِرَا إِلَهُهِ وَبَيَّعْكُمْ
وَتَعَوَّضُوا ثَمَنَ النَّفُوسِ مِنَ الْهَدَى
يَا مَنْ خَزَائِنُ جُودِهِ (٥) مَمْلُوءَةٌ
نَدْعُوكَ عَنْ فَقْرٍ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ

قَدْ كَانَ مُرًّا مَاؤُهُ الْمَذْرُوعُ
مَا يَبْرِيقُ مُحَمَّدٌ مَجْدُوحُ (١)
عَيْثُ لِعِلَّاتِ الذُّنُوبِ مُزِيجُ
بَطْلٌ عَلَى مَتْنِ الْبُرَاقِ مُشِيحُ (٢)
طَمَعًا وَلَا طَرْفٌ إِلَيْهِ طَمُوحُ
أَوْحَى وَحَانَ إِلَى الرَّجُوعِ جُنُوحُ (٣)
لَيْلًا بِمَاءِ حَيَاتِهِ مَنُضُوحُ (٤)
يُوحُوا إِلَيْهِمْ مَا عَسَى أَنْ يُوحَا
إِلَّا كَمَا يَتَحَرَّكُ الْمَذْبُوحُ
رُوحٌ وَعُودٌ مَيْلَتُهُ الرِّيحُ
لَمْ يُعْرِفِ التَّحْسِينَ وَالتَّقْبِيحُ
لِسِوَاهُ إِمْسَاكٌ وَلَا تَسْرِيحُ
لِيُحَرِّمُوا وَيُحَلَّلُوا وَيُبَيِّحُوا
مِمَّا ابْتَلُوا وَالْمُبْتَلَى مَفْضُوحُ
مِنْهُ فَيَزَانُ الْوَفَاءُ رَجِيحُ
فِيْنِ الْهَدَى ثَمَنُ النَّفُوسِ رَيْحُ
كَرَّمًا وَبَابُ عَطَائِهِ مَفْتُوحُ
وَجَهَالُ فَضْلِكَ لِلْعَفَاةِ (٦) فَسِيحُ

(١) المجدوح : المزوج . (٢) المشيح : الجاد في الأمور .
(٣) جنح إلى الشيء : مال إليه . (٤) الأديم : الجلد . ونفضه بالماء : أى رشه .
(٥) د : خزائن ملكه . (٦) د : للعباد .

فَاصْفَحْ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسِيءِ تَكَرُّمًا
وَاقْبَلْ رَسُولَ اللَّهِ عُدْرَ مُقَصِّرٍ
فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ صِفَاتِكَ هَائِمٌ
يَرْتَاحُ إِنْ ذُكِرَ الْحَيُّ وَعَقِيْقَةُ
شَوْقًا إِلَى حَرَمٍ بَطِيْنَةٍ آمِنٍ
إِنِّي لَا رَجُو أَنْ تَقَرَّ بِقُرْبِهِ
فَاكْحَلْ بِطَيْفٍ مِنْهُ طَرَفًا جَفْنُهُ
فَلَقَدْ حَبَانِي اللَّهُ فِيكَ مَحَبَّةً
دَامَتْ عَلَيْكَ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ
مَا اقْتَرَّ نَفْرٌ لِلْأَزَاهِرِ أَشْنَبُ
وَأَرَاكُهُ وَثَمَامُهُ وَالشَّيْخُ (١)
طَابَتْ بِذَلِكَ رَوْضَةٌ وَضَرِيحُ
عَيْنِي وَيُوسَى قَلْبِي الْمَجْرُوحُ (٢)
بِدُمُوعِهِ حَتَّى يَرَاهُ قَرِيحُ (٣)
قَلْبِي بِهَا إِلَّا عَلَيْكَ شَحِيحُ
يَتَلَوُّ غَبُوقَهُمَا لَدَيْكَ صَبُوحُ (٤)
وَأَنْهَلَ دَمْعٌ لِلِسَحَابٍ سَفُوحُ

قافية الدال : وقال (٥) يمدح أهل البيت عليهم السلام :

جَنَابِكَ مِنْهُ تُسْتَفَادُ (٦) الْفَوَائِدُ
فَطُوبَى لِمَنْ يَسْعَى لِشَهْدِكَ الَّذِي
إِذَا يَمَعَّتْهُ الْقَاصِدُونَ تَيَسَّرَتْ
تَحَقُّقَاتِ (٧) الْبُشْرَى لِمَنْ هُوَ رَاكِعٌ
فَعَقَّرَتْ الشَّبَانُ وَالشَّيْبُ أَوْجُهَهَا
وَلِلنَّاسِ بِالْإِحْسَانِ مِنْكَ عَوَائِدُ
تَكَادُ إِلَى مَغْنَاهُ تَسْعَى الْمَشَاهِدُ
عَلَيْهِمْ - وَإِنْ لَمْ يَسْأَلُوكَ - الْمَقَاصِدُ
يُرْجَى بِهِ فَضْلًا وَمَنْ هُوَ سَاجِدُ
بِهِ وَالْعَذَارَى حُسْرُ وَالْقَوَاعِدُ

(١) الأراك : شجر معروف . الثمام والشَّيْخ : من النبات . (٢) يوسى : يداوى .

(٣) القريح : الجريح ، د : حتى يراح . (٤) الغبوق : شرب آخر النهار . والصبح : شرب أوله .
والمعنى هنا ، أن يردد الصلاة على النبي صباح مساء .

(٥) ت : وقال ، عفا الله عنه ، من الطويل . (٦) د : تستفيد . (٧) د : تحققه .

هُوَ الْمَهْلُ الْعَذْبُ الْكَثِيرُ زِحَامُهُ
أُنْتُبْتُ إِلَيْهِ وَالرَّجَاهُ مُحَلًّا
فِيَالِكَ مِنْ يَأْسٍ بَلَغَتْ بِهِ الْمُنَى
أَلَذُّ مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ مَوَاقِعَا
سَلِيلَةً خَيْرَ الْعَالِينَ «نَفِيسَةٌ»
إِذَا جُحِدَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ضِيَاءُهَا
بَابَاثِكَ الْأَطْهَارِ زِينَتِ الْعُلَا
وَرِثَتْ صِفَاتِ الْمَصْطَفَى وَعُلُومُهُ
فَلَمْ يَنْبَسِطْ إِلَّا بِعِلْمِكَ عَالَمِ
مَعَارِفُ مَا يَنْفَكُ يُغْضِي بِسِرِّهَا (١)
يُضِيءُ مُحْيِيَاءَهُ كَانَ ثَنَاءُهُ
إِذَا مَضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ هُدَى أُنَى
تَبَلَّجَ مِنْ نَوْرِ الثَّبُوءِ وَجْهَهُ
وَفَاضَتْ بِحَارِ الْعِلْمِ مِنْ فُطْرٍ سُحْبَهَا
رَأَى زِينَةَ الدُّنْيَا غُرُورًا فَعَاثَهَا
كَانَ الْمَعَالِي الْأَهْلَاتِ بَغْيَرِهِ
إِذَا ذُكِرَتْ أَعْمَالُهُ وَعُلُومُهُ

فَرَدَهُ فَمَا مِنْ دُونِ وَرَدِكَ ذَائِدُ
فَمَا عُدْتُ إِلَّا وَالْمَحَلَّ وَارِدُ (٢)
وَعُسْرٍ لَا أَقْضَى الْبَسَارِ مَقَالِدُ
عَلَى كَيْدِ الظَّمَانِ وَالْمَاءِ بَارِدِ
سَمَتْ بِكَ أَعْرَاقُ وَطَابَتْ مَحَاتِدُ (٣)
فَفَضْلُكَ (٤) لَمْ يَجْهَدْهُ فِي النَّاسِ جَاحِدُ
فَحَبَّاتُ عِقْدِ الْمَجْدِ مِنْهُمْ فَرَاثِدُ
فَفَضْلُكُمَا لَوْلَا الثَّبُوءُ وَاحِدُ
وَلَمْ يَنْقَبِضْ إِلَّا بِزُهْدِكَ زَاهِدِ
إِلَى مَاجِدٍ مِنْ آلِ أَحْمَدَ مَاجِدِ
إِلَى الصُّبْحِ سَارٍ أَوْ إِلَى النَّجْمِ صَاعِدِ
إِمَامٌ هُدَى يَدْعُو إِلَى اللَّهِ رَاشِدِ
فَنَهْ عَلَيْهِ لِلْعُيُوبِ شَوَاهِدِ
عَلَيْهِ فَطَابَتْ لِلْوَرَادِ الْمَوَارِدُ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عَلَى الْفَضْلِ حَاسِدِ
رُبُوعٌ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا وَمَعَاهِدِ
أَقْرَبَ لَهَا زَيْدٌ وَبَكْرٌ وَخَالِدُ

(٢) ت : محامد .

(٤) د : ييسرها .

(١) محلاً : مصدر : من حلاه : بمعنى صده .

(٣) ت : لفضلك .

وَمَا يَسْتَوِي فِي الْفَضْلِ حَالٍ وَعَاطِلٌ
فَقُلْ لِبَنِي الرَّهْءَاءِ وَالْقَوْلُ قُرْبَةٌ
أَحَبُّكُمْ قَلْبِي فَأَصْبَحَ مَنْطِقِي
وَهَلْ حُبُّكُمْ لِلنَّاسِ إِلَّا عَقِيدَةٌ
وَإِنْ أَعْتَقَادًا خَالِيًا مِنْ حَبَّةٍ
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ سَيُلْحِقُنِي بِكُمْ
فَإِنَّ سِرَّاءَ^(٢) الْقَوْمِ مِنْهُمْ عَبِيدُهُمْ
فَدَتَكُمْ أَنْاسٌ نَازِعُوكُمْ سِيَادَةً
أَرَادُوا بِكُمْ كَيْدًا فَكَادُوا نَفُوسَهُمْ
فَإِنْ حَبِزَتِ الدُّنْيَا إِلَيْهِمْ فَإِنَّ مَنْ
وَلَوْ أَنْكُمْ أَبْنَاؤُهَا مَا أَتَيْتُمْ
إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْقَضَايَا الَّتِي جَرَتْ
وَجَدَدَتِ الذِّكْرَى عَلَى سَلَابِلًا
أَفِي مِثْلِ ذَلِكَ الْخُطْبِ مَا سُلِّ مَغْمَدٌ
تَعَاظَمَ رُزْءًا فَالْعَيُونُ شَوَاحِصُ
وَطُفَّفَ^(٥) يَوْمَ الطَّفِّ كَيْلُ دِمَائِكُمْ^(٦)
فِيَا فِتْنَةً بَعْدَ النَّبِيِّ بِهَا غَدَا

وَلَا قَاعِدٌ يَوْمَ الْوَعْيِ وَمَجَاهِدٌ
يَكِلُ لِسَانٌ فِيهِمْ أَوْ حَصَائِدُ^(١)
يُجَادِلُ عَنْكُمْ حِسْبَةً وَيُجَالِدُ
عَلَى أَسْهَا فِي اللَّهِ تُبْنَى الْقَوَاعِدُ
وَوُودٌ لَكُمْ آلَ النَّبِيِّ لِفَاسِدِ
وَلَا يُفِي فَيَدْنُو الْمَطْلَبُ الْمُتَبَاعِدُ
وَإِنْ حُرُوفَ النُّطْقِ مِنْهَا الزَّوَائِدُ
فَلَمْ أَدْرِ سَادَاتُ هُمْ أَمْ أَسَاوِدُ
بِكُمْ وَعَلَى الْأَشَقِّ تَعَوُّدُ الْمَكَائِدُ
نَفَى زَيْفَهَا سَلَامًا^(٣) إِلَيْهِمْ لِنَاقِدُ
وَمَا كَانَ مَوْلُودٌ لِيَأْبَاهُ وَالِدُ
أَقِضْتُ عَلَى جَنْبِي مِنْهَا الْمَرَاقِدُ
أُكَايِدُ مِنْهَا فِي الدُّجَى مَا أُكَايِدُ
وَلَا قَامَ فِي نَصْرِ الْقَرَابَةِ قَاعِدُ
لَهُ دَهْشَةٌ وَالنَّائِلَاتُ سَوَامِدُ^(٤)
إِذَا الدَّمُ جَارٍ فِيهِ وَالْدَّمْعُ جَامِدُ
يُهْدَمُ إِيْمَانُ وَتُبْنَى مَسَاجِدُ

(١) حصائد الألسنة : هو ما قيل في الناس باللسان . والأصل : لكل لسان فيهم أو حصائد ، ففيه أقواء

(٢) ت : صدور . (٣) السلم : السلام ، ضد الحرب .

(٤) سوامد : جمع سامة ، وبابه : دخل ، ومعناه الإلهية ، ويقصد هنا التي شغلها الحزن .

(٥) طفف : زاد على حده . والطف : المكان الذي قتل فيه الحسين بن علي قرب الكوفة .

(٦) د ، ت : ذمائكم ، بالذال المعجمة ، ووظن الصواب ما أثبتناه .

وَمَا فَتَنَتْ بَعْدَ ابْنِ عِمْرَانَ قَوْمَهُ
كَذَلِكَ أَرَادَ اللَّهُ مِنْكُمْ وَمَنْهُمْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَحْضُ سَعَادَةٍ
وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ أَذْهَبَ الرَّجْسُ عَنْهُمْ
إِذَا مَا رَضُوا لِلَّهِ أَوْ غَضِبُوا لَهُ
وَسَيِّئَانِ مِنْ بَجْرِ الْعِدَا مُتَوَقِّدٌ
وَقَدْتُ عَلَيْكُمْ بِالْمَدِيحِ وَكُلِّكُمْ
وَقَدْ بَيَّنْتُ لِي هَلْ^(١) أَتَى كَمْ أَتَى بِهَا
فَلَوْلَا تَغَاضِيَكُمْ لَنَا فِي مَدِيحِكُمْ
وَلَمْ أَرْتَرِّقْ مِنْ غَيْرِكُمْ بِتَجَارَةٍ
عَمَدْتُ لِقَوْمٍ مِنْهُمْ فَكَأَنَّنِي
أَطْلُبُ مِنْ قَوْمٍ سِوَاكُمْ مُسَاعِدًا
وَمَنْ وَجَدَ الزُّنْدَ الَّذِي هُوَ ثَاقِبٌ
وَحَسَنِي إِذَا مَدَحُ ابْنَةِ الْحَسَنِ الَّتِي
وَإِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَمَانِي قَلَانْدًا
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، هِيَ الرُّتْبُ الْعُلَا
كَأَنِّي إِذَا أَنْشَدْتُ فِي النَّاسِ مَدَحَهَا

بِمَا عَبَدُوا إِلَّا لِيَهْلِكَ عَابِدُ
وَلَيْسَ لَهُ فِيمَا يُرِيدُ مُعَانِدُ
لَكُمْ دُونَهُمْ لَمْ يُعْمِدِ السَّيْفَ غَامِدُ
فَلَيْسَ لَهُمْ خَطْبٌ وَإِنْ جَلَّ جَاهِدُ
تَسَاوَى الْأَدَانِي عِنْدَهُمُ وَالْأَبَاعِدُ
عَلَى بَهْرَمَانِ الصَّدَقِ مِنْكُمْ وَخَامِدُ
عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ بِالْمَدْحِ وَافِدُ
مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ لَكُمْ وَمَحَامِدُ
لَرُدَّتْ عَلَيْنَا بِالْعُيُوبِ^(٢) الْقَصَائِدُ
بَصَائِعُهَا عِنْدَ الْأَنَامِ كَوَاسِدُ
عَلَى عَمَدٍ لَا يَرِجُّ الْقَوْلُ عَامِدُ
وَقَدْ صَدَّه حِرْمَانُهُمْ أَنْ يُسَاعِدُوا^(٣)
فَلَنْ يَقْدَحَ الزُّنْدُ^(٤) الَّذِي هُوَ صَالِدُ
لَهَا كَرَمٌ بِحَدِّ طَرِيفٍ^(٥) وَتَالِدُ
إِلَيْهَا حَلَالٌ هَدْيُهَا وَالْقَلَانِدُ
هِيَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى لِمَنْ هُوَ قَاصِدُ
لِمَا ضَلَّ مِنْ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ نَاشِدُ

(١) سورة الإنسان وأولها: «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا». وأمله يشير إلى قوله تعالى فيها: «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا... الخ»، فقد روى أنها نزلت في علي بن أبي طالب.
(٢) د: في العيوب. (٣) د، ت: يساعد فأضفت إليها واو الجماعة.

(٤) الزند: العود الذي يقدح به النار، وهو الأعلى. والزندة، السفلى، فيها ثقب. والصالد: الخالي من الثقب.
(٥) الطريف: المستحدث. وهو ضد التالذ: القديم. وابنة الحسن: هي أنسيدة الورعة الثقية العالمة، نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب. توفيت بمصر سنة ٢٠٨ هـ.
ودفنت بمشهدها المعروف، وفيها قال البوصيري هذه القصيدة.

أَسَيِّدَتِي هَا ^(١) قَدْ رَجَوْتُكَ مُعَلِّناً
وَأَعْيُنُ آمَالِي إِلَيْكَ نَوَاطِرُ
وَمَا أَجْدَبَتْ قَوْمٌ أَتَى مِنْ لَدُنْهُمْ
وَلَوْلَا نَدَى كَفَيْكَ مَا اخْضَرَ يَابِسُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو يَا بَنَّةَ الْحَسَنِ الَّذِي
وَمَالِي لَا أَشْكُو لَالِ مُحَمَّدٍ
وَمَنْ لِيَصْرُوفِ الدَّهْرِ عَنِّي صَارِفُ
تَسَلَّطَ شَيْطَانٌ مِنَ النَّفْسِ غَالِبُ
فِيَا وَبِجْ قَلْبِي مَا تَزَالُ سَمَاوُهُ
فِيَا سَامِعَ الشَّكْوَى وَيَا كَاشِفَ الْبَلَا
وَيَا مَنْ هَدَى الطِّفْلَ الرَّضِيعَ وَلَمْ تَتُوبْ
وَيَا مَنْ سَقَى الْوَحْشَ الظَّمَاءَ وَقَدَحَتْ
وَيَا مَنْ يُزَجِّي ^(٢) الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لُطْفُهُ
وَيَا مَنْ هُوَ السَّمِيعُ ^(٣) الطَّوَّاقِ رَافِعُ ^(٤)
وَيَا مَنْ تُنَادِينَا خَزَائِنُ فَضْلِهِ
فَلَا الْبَابُ ^(٥) مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ مُغْلَقُ
دَعَوْنَاكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ

بِمَا أَنَا مِنْ دُرِّ الْمَنَاقِبِ نَاصِدُ ^(٦)
بِمَا أَنَا مِنْ عَادَاتِ فَضْلِكَ عَائِدُ
لِمُرْعَى الْأَمَانِي مِنْ جَنَابِكَ رَائِدُ
وَلَا اهْتَزَّ مِنْ أَرْضِ الْمَكَارِمِ هَامِدُ ^(٧)
لَقَيْتُ وَإِنِّي إِن شَكُوتُ لِحَامِدُ
خُطُوبُهَا ضَاقَتْ عَلَى الْمَرَاصِدُ
وَمَنْ لَهُ مُومِ الْقَلْبِ عَنِّي طَارِدُ
عَلَى وَشَيْطَانٍ مِنَ الْبُؤْسِ مَارِدُ
بِهَا لِشَيْطَانٍ الْخُطُوبِ مَقَاعِدُ
إِذَا نَزَلَتْ فِي الْعَالَمِينَ الشَّدَائِدُ
إِلَيْهِ قُوَى عَقْلٍ وَلَا اشْتَدَّ سَاعِدُ
مَوَارِدَهَا مِنْ أَنْ تُنَالَ الْمَصَائِدُ
وَهْنٌ جَوَارِ بَلٍ وَهْنٌ رَوَاكِدُ
وَمَنْ هُوَ لِلْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ مَاهِدُ
إِلَى رِفْدِهِ إِنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ رَافِدُ
وَلَا خَيْرَ مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ نَاقِدُ
وَكُلُّ بِمَا يَلْقَاهُ لِلصَّبْرِ فَاقِدُ

(١) هل : تحريف . (٢) نضد الشيء : وضع بعضه على بعض ، وبابه ضرب .
(٣) أرض هامة ، أى لا نبات بها . (٤) ت : يجرى .
(٥) ت : ليسع . (٦) ت : دافع . (٧) د : فلا باب .

وَأَفْضَتْ بِمَا فِيهَا إِلَيْكَ ضَائِرٌ^(١) وَأَنْتَ عَلَى مَا فِي الصَّائِرِ شَاهِدٌ
دَعَاكَ مُضْطَرِّينَ يَارَبَّ فَاسْتَجِبْ فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَفْ لَدَيْكَ الْمَوَاعِدِ
فَلَيْسَ لَنَا غَوْثٌ سِوَاكَ وَمَلْجَأٌ نُرَاجِعُهُ فِي كَرْبِنَا وَنُعَاوِدُ
فَقَدَّرَ لَنَا الْخَيْرَ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ فَمَا أَحَدٌ عَمَّا تُقَدِّرُ حَائِثُ
وَصَفَحًا عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي هُوَ سَائِقٌ^(٢) لِنَارِكَ إِلَّا أَنْ عَفَوْتَ وَقَانَدُ
وَصَلْ حَبْلَنَا بِالمُصْطَفَى إِنَّ حَبْلَهُ لِنَاصِلَةٍ يَارَبَّ مِنْكَ وَعَائِدُ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا أَحَدَ الشَّرَى إِلَيْهِ وَذَلَّتْ لِلْمَعْطَى فِدَاؤُهُ^(٣)

وقال في مدح^(٤) السيد المصطفى؛ صلى الله عليه وسلم؛ واعتذر فيها عن النار التي ظهرت
في أرض الحجاز؛ والنار التي احترق منها الحرم الشريف^(٥)؛ وردَّ على النصارى واليهود، وسَمَّاهَا:
«تَقْدِيسِ الْحَرَمِ، مِنْ تَدْنِيسِ الضَّرَمِ»، وكناها بِأَمِّ النَّارَيْنِ^(٦).

إِلَهِي عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ لَكَ الْحَمْدُ فَلَيْسَ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ حَدٌّ
لَكَ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ الزَّمَانِ وَبَعْدِهِ وَمَالِكَ قَبْلُ كَالزَّمَانِ وَلَا بَعْدُ
وَحُكْمُكَ ماضٍ فِي الْخَلَائِقِ نَافِذٌ إِذَا شِئْتَ أَمْرًا لَيْسَ مِنْ كَوْنِهِ بُدُّ
تُضِلُّ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ مِنَ الْوَرَى وَمَا بِيَدِ الْإِنْسَانِ غَيٌّ وَلَا رُشْدُ
دُعَا مَعَشَرَ الضَّلَالِ عَنَّا حَدِيثُكُمْ فَلَا خَطَأَ مِنْهُ يُجَابُ وَلَا عَمْدُ

(١) د : ضائري . (٢) د ، ت : سابق ، ونظن الصواب ما أثبتناه . (٣) ت : القدا ف .

(٤) ت : وقال رضى الله تعالى عنه . (٥) ت : صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٦) ظهرت هذه الزمان بالمدينة سنة ٦٥٤ هـ بسبب هزات أرضية . ثم حدث بعد ذلك أن احترق المسجد النبوى والحجرة النبوية ، لسقوط مرجة القيم ، كما ذكر ذلك المقرئى فى السلوك .

(٧) ت : بأَمِّ النَّارَيْنِ ، والقصيدة من بحر الطويل .

فَلَوْ أَنكُمْ خَلَقْتُمْ كَرِيمًا مُسِيحْتُمْ
 أَنَا نَا حَدِيثٌ مَا كَرِهْنَا بِمِثْلِهِ
 غَنَيْتُمْ عَنِ التَّوَلِيلِ فِيهِ بَظَاهِرِ
 وَأَعَشَى ضِيَاءَ الْحَقِّ صَغَفَ عَقُولَكُمْ
 وَلَنْ تَذَرِكُوا بِالْجَهْلِ رُشْدًا وَإِنَّمَا
 وَعِظْتُمْ فَزِدْتُمْ بِالْمَوَاطِظِ قَسْوَةً
 وَمَا كَيْنَتْ نَارُ الْحِجَازِ قُلُوبَكُمْ
 وَمَا هِيَ إِلَّا عَيْنُ نَارِ جَهَنَّمَ
 أَنْتَ بِشَوَاطِئِ مُكْفَرٍ نَحَاسَةٍ (١)
 فَمَا اسْوَدَّ مِنْ لَيْلٍ غَدَا وَهُوَ أَيْضٌ
 تُدْمِرُ مَا تَأْتِي عَلَيْهِ كَمَا صَفِ
 تَمَرُّ عَلَى الْأَرْضِ الشَّدِيدِ اخْتِلَافُهَا
 وَتَرْمِي إِلَى الْجَوِّ الصُّخُورَ كَأَنَّمَا
 وَتَخْشَى بَيُوتُ النَّارِ حَرَّ دُخَانِهَا
 فَلَوْ قُرِبَتْ مِنْ سَدٍّ يَأْجُوجَ بَعْدَ مَا
 وَلَمَّا أَسَاءَ النَّاسُ حِيَرَةَ رَبِّهِمْ
 أَرَاهُمْ مَقَامًا لَيْسَ يَرُوعَى كَلْجَارِهِ
 يَقُولُ لَكُمْ لَكِنْ بَيْنَ يُمْسَخُ الْقِرْدُ؟
 لَكُمْ فِتْنَةٌ فِيهَا لِمِثْلِكُمْ حَصْدُ
 وَمَنْ تَرَكَ الصَّمَمَ لَمْ يُغْنِهِ الْغَمْدُ
 وَشَمْسُ الضُّحَى تَعْتَشِي بِهَا الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
 يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّيْفِ وَالْجَلِيدِ النَّقْدُ (٢)
 وَلَيْسَ يُفِيدُ الْقَدَحُ إِنْ أَصْلَدَ الزُّنْدُ (٣)
 وَقَدْ ذَابَ مِنْ حَرِّهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
 تَرَدَّدَ مِنْ أَنْفَاسِهَا الْحَرُّ وَالْبَرْدُ
 فَلَوْحٌ مِنْهَا لِلضُّحَى وَالْدَّجَى جِلْدُ
 وَمَا بَيْضٌ مِنْ صُبْحٍ غَدَا وَهُوَ مُسْوَدُّ
 مِنَ الرِّيحِ مَا إِنْ يُسْتَطَاعُ لَهُ رَدُّ
 فَتَفْجِدُ غَوْرًا أَوْ يَغُورُ بِهَا تَجْدُ
 بِبَاطِنِهَا غَيْظًا عَلَى الْجَوِّ أَوْ حَقْدُ
 وَيَزْدَادُ طَغْيَانًا بِهَا الْفَرْسُ وَالْهِنْدُ
 بَنَى مِنْهُ ذُ الْقَرَنَيْنِ دُكَّ بِهَا السَّدُّ
 وَلَمْ يَرَعْهَا مِنْهُمْ رَيْسٌ وَلَا وَغْدُ
 ذِمَامٌ وَلَمْ يُحَفَظْ لِسَاكِنِهِ عَهْدُ

(١) النقد : تمييز الدراهم .

(٢) أصله : لم تخرج منه نار . الزند : الحديد الذي يقدح بها .

(٣) النحاس : دخان لا لهب فيه . .

مدينة نَارٍ أُخْكِمَتْ شُرُفَاتُهَا وَقَدْ أَبْصَرَتْهَا أَهْلُ بُصْرَى كَأَنَّمَا أَضَاءَتْ عَلَى بُعْدِ الزَّارِ لِأَهْلِهَا أَشَارَتْ إِلَى أَنَّ الْمَدِينَةَ قَصْدُهَا يَرُوحُ وَيَفْدُو كُلُّ هَوَلٍ وَكَرْبَةٍ فَلَمَّا التَّجَوَّأَ لِلْمَصْطَفَى وَتَحَرَّمُوا أَتَوْا بِشَمِيعٍ لَا يَرُدُّ وَلَمْ يَكُنْ فَاطُفَتِ النَّارُ الَّتِي وَقَفَ الْوَرَى فَإِنْ حَدَّثَتْ مِنْ بَعْدِهَا نَارٌ فَرِيَّةٌ فَاللهِ سِرُّ الْكَائِنَاتِ وَجَهْرُهَا وَقَدْ مَا حَمَى مِنْ صَاحِبِ الْفِيلِ يَبْتَهُ وَلِلَّهِ سِرٌّ أَنْ فَدَى ابْنَ خَلِيلِهِ فَلَا تُنْكِرُوا أَنْ يُحْرَمَ الْحَرَمُ الْغَنَى وَقَدْ فُدِيَتْ مِنْ مَالِهِ خَيْرُ أُمَّةٍ فَوَاعَجَبًا حَتَّى الْبِقَاعُ كَرِيمَةً فَإِنْ يَتَصَوَّعُ مِنْهُ طِيبٌ بِطَيِّبَةٍ وَإِنْ ذَهَبَتْ بِالنَّارِ عَنْهُ زَخَارِفُ أَلَا رُبَّمَا زَادَ الْحَبِيبُ مَلَاحَةً

وَأَبْرَاجُهَا وَالسُّورُ إِذْ أُبْدِعَ الْوَقْدُ هِيَ الْبَصْرَةُ الْجَارِي بِهَا الْجَزْرُ وَلَمَّا مِنَ الْإِبِلِ الْأَعْنَاقُ وَاللَّيْلُ مُرْبِدٌ^(١) قَرَأْنُ مِنْهَا لَيْسَ يَخْفَى بِهَا الْقَصْدُ عَلَى النَّاسِ مِنْهَا إِذْ تَرُوحُ وَإِذْ تَغْدُرُ بِسَاحَتِهِ وَالْأَمْرُ بِالنَّاسِ مُشْتَدُّ يَخْلُقِي سِوَاهُ ذَلِكَ الْهَوَلُ يَرْتَدُّ حَيَارَى لَدَيْهَا لَمْ يُعِيدُوا وَلَمْ يُبْدُوا فَمَا ذَلِكَ الشَّيْءُ الْفَرِيُّ وَلَا الْإِدُّ^(٢) فَكَمْ حَكْمٌ تَخْفَى وَكَمْ حَكْمٌ تَبْدُو وَلَمَّا أَتَى الْحُجَّاجُ أَمْسَكَهُ الْهَدْيُ بِذَنْجٍ وَلَوْ لَمْ يَفْدِهِ شَرِيعَ الْوَادُ وَسَاكِنُهُ مِنْ فَخْرِهِ النَّقْرُ وَالزُّهْدُ وَلَوْ خَيْرُوا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ لَمْ يُفْدُوا لَهَا مِثْلُ مَا لِسَاكِنِ الْجَاهُ وَالرَّقْدُ فَمَا هُوَ إِلَّا الْمَنْدَلُ الرَّطْبُ وَالنَّدُّ فَمَا ضَرَرُهُ مِنْهَا ذَهَابٌ وَلَا فَقْدُ إِذَا شَقَّ عَنْهُ الدَّرْعُ وَانْتَرَعَ الْعِمْدُ

(١) مرید : مظلم .

(٢) الإد : الفطیح .

وَكَمْ سُبْرَتٍ لِلْحُسْنِ بِالْحُلِيِّ مِنْ حُلَى
وَأَفْيَبُ مَا يَلْقَى الْحُسَامُ مَجْرَدًا
وَمَا تَلَكَ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا بَوَائِثُ
إِلَى تَرْبَةٍ صَمَّ الْأَمَانَةَ وَالْتَقَى
إِلَى سَيِّدٍ لَمْ تَأْتِ أَتْنَى بِمِثْلِهِ
وَلَمْ يَمْشِ فِي نَعْلٍ وَلَا وَطِئَ الثَّرَى
وَلَمْ تَخْدِ^(١) السُّكُومُ الْعِتَاقُ بِمِثْلِهِ
عَلِيمٌ كَرِيمٌ الْخَلِيمُ^(٢) مَا فَوْقَ عَلَيْهِ
نَبِيٌّ هُدًى أَهْدَى بِهِ اللَّهُ رَحْمَةً
وَبَصَرُهُ حَتَّى رَأَى كُلَّ غَائِبٍ
وَحَتَّى رَأَى مَا خَلْفَهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ
فِي لَيْلَةٍ أَسْرَى إِلَهُهُ بِعَبْدِهِ
وَفَلَا وَلَا وَعْدُ^(٣) وَرُدٌُّ وَلَا قَلَى
وَجَاءَهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ الَّتِي بَدَتْ
وَذِكْرٍ حَكَمَى مَغْنَاهُ فِي الْحُسْنِ لَفْظُهُ
وَقَدْ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ وَتَشَابَهَتْ

وَكَمْ جَسَدٍ غَطَّى حِمَامَتُهُ الْبُرْدُ
وَرَوْقَتُهُ أَنْ يَظْهَرَ الصَّفْحُ وَالْحُدُ
عَلَى أَنْ يَجِلَّ الشَّقُوقُ أَوْ يَنْظُمَ الْوَجْدُ
بِهَا وَالنَّدَى وَالْفَضْلُ مِنْ أَحْمَدٍ لَحْدُ
وَلَا ضَمَّ حَجَرٌ مِثْلَهُ لَا وَلَا مَهْدُ
شَبِيهِ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ وَلَا نِدُ
وَلَا عَدَّتِ الْخَلِيلُ السُّوسَمَةُ الْجُرْدُ
وَلَا مَجْدُهُ عِلْمٌ يَرَامُ وَلَا مَجْدُ
لَنَا لَمْ يَنْلِهَا السَّمْعُ مِنَّا وَلَا الْكَدُّ
وَصَارَ سِوَاهُ عِنْدَهُ الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ
يَقَابِ تَسَاوَى عِنْدَهُ الدَّوْمُ وَالشَّهْدُ
لَقَدْ نَالَ فِيهِ مَا يُؤَيِّلُهُ الْعَبْدُ
وَقُرْبُ وَلَا بُعْدُ وَوَصْلُ وَلَا صَدُ
بِرَاهِينِهَا كَالشَّمْسِ لَمْ يُخْفِهَا الْجَلْحَدُ
وَيُسَبِّهُ مَاءَ الْوَرْدِ فِي طَيْبِهِ الْوَرْدُ
فَلَا يَبْتَدِي وَرْدٌ وَلِلْمُنْتَهَى وَرْدُ

(١) تخد ، من الوخد : وهو السير السريع . والكوم : جمع كوماه ، وهي الناقة العظيمة السنم . والمسومة :

المعلمة . والجرْد : جمع أجرد ؛ وهو القصير الشعر من الخيل . (٢) الخليم : الطيبة والسجبة .

(٣) هذا البيت ورد في (د) هكذا :

وإن كان فيها كالنجوم تناسخ^(١)
 وإن قصرت عن شأوها كل فكر^(٢)
 فلما غموا عنها وصموا أراهم
 ومن لم يكن^(٣) منه إلى الحق جانب^(٤)
 وقد يعجز الداء الدواء من امرئ
 فغالبهم قوم كان سلاحهم
 ثقات من الإسلام إن يعدوا يفوا
 وأما مكان الصدق منهم فإنه
 إذا ادرعوا كانت عيون دُرّوعهم
 يشوقك منهم كل حلم ونجدة
 بهاليل^(٥) أما بذلهم في جهادهم
 فيه صديق النبي الذي له
 ومن كان للخيار في الغار ثانيا
 فإن يتخلل بالعباءة إنه
 ومن لم يخف في الله لومة لائم^(٦)
 ولا راعه في الله قتل شقيقه

فطالما سعد وغاربها سعد
 فليست يد للأجمل الزهر تمتد
 سيوقا لها برق وخيلا لها رعد
 يقول ألا أنت جانيبي القنا للرد
 ويشفي من داء به السكى والفسد
 نوب وأظفائر لهم فهم أسد
 وإن يسألوا يهدوا وإن يقصدوا يجحدوا
 مقالهم والطقن والضرب والوعد
 فلو با لها في الرّوع من بأسهم سرّد^(٧)
 تحلت بكل منهما الشيب والمرد
 فأنفسهم والمال والنصح والحمد
 فضائل لم يذكرك بعد لها حد
 وجاد إلى أن صار ليس له وجد^(٨)
 بذلك في خلّاتيه العلم الفرد
 ولم يعيه قسط يقام ولا حد
 ألا هكذا في الله فليكن الجلد

(١) صدر البيت ، ورد في م هكذا :

• ومن لم يان منه الحق جانب •

(٢) السرد : نسج الدرع . (٣) بهاليل : سادات .

(٤) الوجد : الجدة . أى ليس عنده شيء .

وَمِنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَاجْتَمَعَتْ بِهِ فَضَائِلُ مِنْهُ مِثْلُ مَا اجْتَمَعَ الزُّبْدُ
وَجَهَزَ جَيْشًا سَارَ فِي وَقْتِ غُسْرَةٍ تَعَدَّرَ مِنْ قُوَّتِهِ بِهِ الصَّاعُ وَاللُّدُ
وَمَنْ لَمْ يُغْفَرْ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ جَبِينٌ لَغَيْرِ اللَّهِ مِنْهُ وَلَا خَذُ
فَقِيَ الْحَرْبِ شَيْخُ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحِجَى عَلَى الَّذِي جَذُّ النَّبِيِّ لَهُ جَدُّ
وَمَنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ الْأَنَامِ بِفَضْلِهِ كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى وَذَلِكَ الْجَدُّ^(١)
إِذَا غَمَزَتْ كَفُّ الْخَطُوبِ قَنَاتَهُ تَوَهَّمَتْ أَنْ الْخَطْبَ لَيْسَ لَهُ زَنْدُ^(٢)
وَأَنْ عَجَبَتْ أَفْوَاهُهَا عُدَّ بَأْسِهِ أَفَادَتْكَ عِلْمًا أَنَّ أَفْوَاهَهَا دُرُّدُ^(٣)
يُورِدُ خَدْيَهُ الْجِلَادُ وَسَيْفُهُ فَذَلِكَ إِذَا شَبَّهَتْهُ الْأَسَدُ الْوَرْدُ^(٤)
وَعِنْدِي لَكُمْ آلُ النَّبِيِّ مَوَدَّةٌ سَلَبْتُمْ بِهَا قَلْبِي وَصَارَ لَهُ عِنْدَ
عَلَى أَنْ تَذْكَرَى لِمَا قَدْ أَصَابَكُمْ يُحَدِّدُ أَشْجَانِي وَإِنْ قَدَّمَ الْقَهْدُ
فِدَى لَكُمْ قَوْمٌ شَقَوْا وَسَعِدْتُمْ فِدَارُهُمُ الدُّنْيَا وَدَارُكُمْ الْخُلْدُ
أَتَرْجُونَ مِنْ أَبْنَاءِ هِنْدٍ^(٥) مَوَدَّةً وَقَدْ أَرْضَقْتَهُمْ دَرًّا بِفَضْطِهَا هِنْدُ
فَلَا قَبِيلَ الرَّحْمَنِ عُذْرَ عُدَاتِكُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَهُونَ وَإِنْ رُدُّوا
إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ عُذْرِي فَإِنِّي بِمُحَبَّتِكَ فِي قَوْلِي أَلَيْنُ وَأَشْتَدُّ
فَإِنْ ضَاعَ قَوْلِي فِي سِوَاكَ ضَلَالَةً فَمَا أَنَا بِالْمَاضِي مِنَ الْقَوْلِ مُعْتَدٍ
وَمَا أَمْتَدُّ لِي طَرْفٌ وَلَا لَانَ جَانِبٌ لِمَعِيرِكَ إِلَّا سَاءَنِي أَلَيْنُ وَاللَّدُ

(١) الجد : الحظ . (٢) زند وردت في د : رشد .

(٣) الدرد : جمع أورد ، وهو الفم الذي يسقط مقدم أسنانه .

(٤) الأسد الورد : سمى بلونه وهو بين الكهيت والأشقر . (٥) هند بنت عتبة أم معاوية . وقد أسلمت .

أَشْغَلُ عَنْ رِيحَانَتَيْكَ قَرِيحَتِي بِشِيحٍ وَرَنْدٍ لَنَا الشَّيْحُ وَالرَّندُ^(١)
وَأَدْعُو سِفَاهًا غَيْرَ آلِكَ سَادِي وَهَلْ أَنَا إِنْ وَقَعْتُ إِلَّا لَهُمْ عَبْدُ^(٢)
فَلَارَاحَ مَعْنِيًا بِمَذْحِي حَاتِمُ وَلَا عُنَيْتَ هَنْدٍ بِحُبِّي وَلَا دَعْدُ
وَلَا هَيْجَتُ شَوْقِي ظِلَالًا بِوَجَرَةٍ وَلَا بَعَمْتُ وَصْفِي نَقَاشُهَا الرُّبْدُ^(٣)
وَيَا طَيْبَ تَشْبِيهِ بِطَيْبَةٍ لَا تُنَى عِنَانَ لِسَانِي عَنْكَ غَوْرُ وَلَا نَجْدُ
فَهَبْ لِي رَسُولَ اللَّهِ قُرْبَ مَوَدَّةٍ تَقْرَأُ بِهِ عَيْنٌ وَتَرَوِي بِهِ كَيْدُ^(٤)
وَأِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يُقَرِّبَنِي إِلَى جَنَابِكَ إِذْ قَالَ الرَّكَائِبُ وَالْوُخْدُ^(٥)
وَلَوْلَا وَثُوقِي مِنْكَ بِالْفُوزِ فِي غَدٍ لَمَا لَدَّ لِي يَوْمًا شَرَابٌ وَلَا يَرْدُ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يُضْحِي بِطَيْبَةٍ لَدَيْكَ بِهَا وَقْدٌ وَيُمْسِي بِهَا وَقْدُ
وَدَامَتْ كَأَنْفَاسِ الْوَرَى فِي تَرْدُدٍ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ التَّحِيَّةُ وَالرَّدُ

وقال، عفا الله عنه، يمدح أبا العباس المرسلي؛ من الكامل^(٦)؛ ويعزيه في شيخه أبي الحسن الشاذلي^(٧)، عليهم رحمة الله، آمين .

كَتَبَ الْمَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدٍ بَغْضَاءٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُرْدِ
خَجَلْتُ عَيُونُ الْحُورِ حِينَ وَصَفْتُهَا وَصَفَ الْمَشِيبُ وَقُلْنِي لِي : لَا تَبْمَدُ
وَلِذَاكَ أَظْهَرْتَ انْكِسَارَ جُفُونِهَا دَعْدُ وَأَذَنْ جَدُّهَا بِتَوْرُدِ
يَا جِدَّةَ الشَّيْبِ الَّتِي مَا غَادَرْتَ لِنَفْسِنَا مِنْ لَذَّةٍ بِمَجْدُ

- (١) الرند : شجر طيب الرائحة . (٢) في الأصل : وهل أنا إلا أن . . . الخ .
(٣) التفائق : جمع نفق ، وهو ذكر النعام . والربد : جمع أربد ، وهو ما مال لونه إلى الغبرة .
(٤) د : تقر بها عين وتروى بها كبد . (٥) الإرقال والوخد : نوعان من السير السريع .
(٦) من الكامل : زيادة في ت . (٧) توفي أبو الحسن الشاذلي سنة ٦٥٦ .

ذَهَبَ الشَّابُّ وَسَوْفَ أَذْهَبُ مِثْلًا ذَهَبَ الشَّابُّ وَمَا امْرُؤٌ بِمُخْلَدٍ
 إِنَّ الْفَنَاءَ لَكُلٌّ حَتَّى غَايَةٍ مَحْتُمَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَكَّانٌ قَدِ
 وَارَحَتَا لِمَصَوِّرٍ مُتَطَوِّرٍ فِي كُلِّ طَوْرِ^(١) صُورَةُ الْمَتَرَدِّدِ
 فَذَفَّتْ بِهِ أَيْدَى النَّوَى مِنْ حَالِقٍ سَامِيِ الْحَلِّ إِلَى الْخَضِيزِ الْأَوْهَدِ
 مُسْتَوْحِشٍ فِي أَنْسِهِ مُتَمَاهِدٍ بِحَيْنِهِ شَوْقًا لِأَوَّلِ مَقَهْدِ
 حَمَعَتْهُ أَسْبَابُ لَدَيْهِ رَجُوعُهُ فَاشْتَقَ لِلْأَوْطَانِ شَوْقَ مُقَيَّدِ
 بِأَلَيْتِهِ لَوْ دَامَ نَسِيًا مَالَهُ مِنْ ذَاكِرٍ أَوْ أَنَهُ لَمْ يُؤَلَدِ
 حَمَلَ الْهَوَى جَهْلًا بِأَنْقَالِ الْهَوَى مُسْتَنْجِدًا بِعَزِيمَةٍ لَمْ تُنْجِدِ
 مَا مِنْ يَزَالُ بِمَا تَكَلَّفَ حَمَلُهُ فِي خُطَايَ خَسَفَ يَرْوَحُ وَيَفْتَلِدِ
 فَرَضًا لِأَمْرِ لَا تَطِيشُ سِهَامُهُ^(٢) وَمَعْرَضًا لِمُعْنَفٍ وَمُقَنَّدِ
 وَخَلِيفَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَوَعَّدٌ فِيهَا وَعِيدَ الْمُدْهَدِ
 وَجَبَّ السُّجُودُ لَهُ فَلَمَّا أَنْ عَصَى^(٣) قَالَتْ خَطِيئَتُهُ لَهُ أَرْكَعْ وَاسْجُدِ
 وَنَبَتَ بِهِ الْأَوْطَانُ فَهَوَّ بِغُرْبَةٍ مَا بَيْنَ أَعْدَاءِ يَسِيرٍ وَحُسَدِ
 أَنْفَاسِهِ تَحْصَى عَلَيْهِ وَعِلْمُ مَا^(٤) يَفْضَى إِلَيْهِ غَدَا^(٥) لَهُ حُكْمُ الْغَدِ
 أَبَدًا تَرَاهُ وَاحِدًا أَوْ عَادِمًا فِي حَايِرَةٍ لَفْظَاتِهَا لَمْ تُنْشَدِ
 بِمَسَى وَيُضْبِحُ مُتَمَرِّدًا أَوْ مُنْجِدًا لِمَعَادِهِ^(٦) مَعَ مُنْهَمٍ أَوْ مُنْجِدِ

(١) د : في طور كل ضرورة متردد ، ت في كل طور ، ك : في كل طور صورة وتردد . ونظن الصحيح

ما أثبتناه . (٢) ت ، ك : نباله . (٣) د : عفى .

(٤) ك : عليها . (٥) د : عدل . (٦) د : لعاش .

يَرْمِي بِهِ سَهْلًا وَوَعْرًا زَاجِرًا^(١) بَطْنُ الْمَسْنِ بِهِ كَطَهْرِ الْمُرْدِ
مُتَخَوِّفًا مِنْهُ الْمَصِيرَ لِمَنْزِلِ مُسْتَوْبِلِ الْمَرْعَى وَبِ^(٢) الْمُرْدِ
مَا إِنْ رَأَى الْجَانِي بِهِ أَعْمَالَهُ إِلَّا تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
حَسْبِيَ لَهُ حُبُّ النَّبِيِّ وَآلِهِ عِنْدَ الْإِلَهِ وَسَيْلَةٌ لَمْ تُرْدَدْ
فَإِذَا أُجِبَتْ سُؤَالُهُ فِي آلِهِ سَلْ تُعْطَ وَاسْتَمْدِدْ فَلَا حَافَ تُمَدَّدْ
وَأَمِنْ إِذَا قَامَ النَّبِيُّ مَقَامَهُ الْمَحْمُودَ فِي الْأَمْرِ الْمُتَمِّمِ الْمُعْمَدِ
وَتَزَوَّدِ النَّقْوَى فَإِنْ لَمْ نَسْتَطِعْ فَنِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ تَزَوَّدْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنْ صَلَاةَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ذَخِيرَةٌ لَمْ تَنْفَدْ
وَاسْمِعْ مَدَامَحَ آلِ^(٣) بَيْتِ الْمَصْطَفَى مَنِي وَدُونَكَ جَمْعُهَا فِي الْمُرْدِ
صِنُو النَّبِيَّ أَخُو النَّبِيِّ وَزِيرُهُ وَوَلِيِّهِ فِي كُلِّ خَطْبٍ مُؤِيدِ
جَدُّ الْإِمَامِ الشَّاذِلِيُّ الْمُتَمَيِّ شَرَفًا إِلَيْهِ لِسَيْدٍ عَنْ سَيِّدِ
أَسْمَاؤُهُمْ عِشْرُونَ دُونَ ثَلَاثَةِ جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ كَأُخْرَفٍ أَبْجَدِ
لِعَلِّيَّ الْحَسَنُ انْتَمَى لِحَمَدِ عَيْسَى وَسِرُّ مُحَمَّدٍ فِي أَحَدِ
وَاخْتَارَ بَطَّالُ لُورْدِ يَوْشَعَا وَيُوسُفِ وَأَفَى قُصَى يَقْتَدِي
وَبِحَاثِمٍ فَتَحَتْ سَيَادَةُ هُرْمُزِ وَغَدَا تَمِيمُ الْمَكَارِمِ يَهْتَدِي
وَبِعَبْدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ انْتَضَى لِلْفَضْلِ عَبْدُ اللَّهِ أَيْ مَهْنَدِ
وَأَتَى عَلِيٌّ فِي الْعَلَا يَتْلُوهُمْ فَاخْتَمَ بِهِ سُورَ الْعَلَا وَالسُّودِ

أَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ ^(١) الْإِمَامَ الْمُجْتَبَى مِنْ هَاشِمٍ وَالشَّاذِلِيَّ الْمَوْلَدِ
 فِي الْفَضْلِ وَاضِحَةً لِعَيْنِ الْمُهْتَدَى
 فَإِذَا فَعَلْتَ فَذَلِكَ أَخَذُ بِأَيْدِي
 وَحَقِيقَةٍ وَمُحَمَّدِيَّ الْمُجْتَدِي ^(٢)
 مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ سَنَاهُ يَلُوحُ مِنْ
 فَتَحَ أَتَى طُوفَانُهُ بِمَعَارِفِ
 قَدْ نَالَ غَايَةَ مَا يَرُومُ الْمُنتَهَى
 مُتَمَكِّنٌ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ دَهْشَةٍ
 مَنْ لَمْ يَلْقَ لَمْ يَلْقَ لَهُ فَإِنَّ كَمَالَهُ
 قُلْ لِلْمُحَاوِلِ فِي الدُّنُوِّ مَقَامَهُ
 وَالْفَضْلُ لَيْسَ بِنَالِهِ مُتَوَسِّلُ
 إِنْ قَالَ ذَلِكَ هُوَ الدَّوَاءُ فَقُلْ لَهُ
 بِمَشْيِ الْمَصْرُوفِ حَيْثُ شَاءَ وَغَيْرُهُ
 مَنْ كَانَ مِنْكَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَسْجَعٍ
 لِكَتَبِنِمَّا الْحُسْنَى وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْوَا
 كُلُّ لِمَا شَاءَ الْإِلَهُ مُبَسَّرُ

مِنْ هَاشِمٍ وَالشَّاذِلِيَّ الْمَوْلَدِ
 فِي الْفَضْلِ وَاضِحَةً لِعَيْنِ الْمُهْتَدَى
 فَإِذَا فَعَلْتَ فَذَلِكَ أَخَذُ بِأَيْدِي
 وَحَقِيقَةٍ وَمُحَمَّدِيَّ الْمُجْتَدِي ^(٢)
 مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ سَنَاهُ يَلُوحُ مِنْ
 فَتَحَ أَتَى طُوفَانُهُ بِمَعَارِفِ
 قَدْ نَالَ غَايَةَ مَا يَرُومُ الْمُنتَهَى
 مُتَمَكِّنٌ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ دَهْشَةٍ
 مَنْ لَمْ يَلْقَ لَمْ يَلْقَ لَهُ فَإِنَّ كَمَالَهُ
 قُلْ لِلْمُحَاوِلِ فِي الدُّنُوِّ مَقَامَهُ
 وَالْفَضْلُ لَيْسَ بِنَالِهِ مُتَوَسِّلُ
 إِنْ قَالَ ذَلِكَ هُوَ الدَّوَاءُ فَقُلْ لَهُ
 بِمَشْيِ الْمَصْرُوفِ حَيْثُ شَاءَ وَغَيْرُهُ
 مَنْ كَانَ مِنْكَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَسْجَعٍ
 لِكَتَبِنِمَّا الْحُسْنَى وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْوَا
 كُلُّ لِمَا شَاءَ الْإِلَهُ مُبَسَّرُ

(١) أبو الحسن الشاذلي ؛ هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرم بن حاتم بن قصى بن يوسف ابن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، مؤسس الطريقة الشاذلية ، توفي سنة ٦٥٦ هـ بصحراء عيذاب بمصر .

(٢) اتبع طريق الشاذلي فإنه محمد بن محمد بن الشريعة ، والحقيقة ، والمجتد ، أي هو صحيح النسب إلى الرسول ، ومتبع لسنته .

وَإِذَا تَحَقَّقْتَ^(١) الْعَنَاءَ فَاسْتَرَحْ وَإِذَا تَخَلَّفْتَ^(٢) الْعَنَاءَ فَاجْهَدْ
أَنْدَى عَلِيًّا فِي الْوُجُودِ^(٣) وَكَلِّمْهُ عَيْنُ الْوُجُودِ لِسَانُ سِرِّ الْمَوْجِدِ
قُطْبُ^(٤) الزَّمَانِ وَغَوْثُهُ وَإِمَامُهُ هَمُّ الْمُؤَوَّبِ لِلْعَلَا وَالْمُسْتَدِ
سَادَ الرِّجَالِ فَقَصَّرْتَ عَنْ شَأْوِهِ نُطْقُ رُوحِ^(٥) الْقُدْسِ أَيْ مُوَيِّدِ
فَتَلَقَّ مَا يُبَلِّغُ إِلَيْكَ فَنُطْقُهُ وَشَمِعْتَ رِيحَ النَّدَى مِنْ تَرْبِ النَّدَى
إِنَّمَا مَرَرْتَ عَلَى مَكَانٍ ضَرِيحِهِ^(٦) مُحْضَلَةٌ أَرْضًا فِي الْفَلَا مُحْضَرَةٌ
وَالْوَحْشُ أَمِنَةٌ لَدَيْهِ كَأَنَّمَا حُشِرَتْ إِلَى حَرَمٍ بِأَوَّلِ مَسْجِدِ
وَوَجَدْتَ تَعْظِيمًا بِقَلْبِكَ لَوْ سَرَى فِي جَلَمَدٍ سَجَدَ الْوَرَى لِلْجَلَمَدِ
فَقُلِ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا بَحْرَ النَّدَى الطَّامِي وَيَا نَحْرَ الْعُلُومِ الْمُزِيدِ
يَا وَارِنَا بِالْفَرَضِ عِلْمَ نَبِيِّ شَرَفًا وَبِالتَّعْصِبِ غَيْرَ مُفَنِّدِ
الْيَوْمِ أَحْمَدُ مِنْ عَلِيٍّ وَارِثُ حَظِّي نَحْلِي مِنْ وَرَائِهِ أَحْمَدُ
يُعْزَى الْإِمَامُ إِلَى الْإِمَامِ وَيُقْتَدَى^(٧) لِلْمُقْتَدَى بِهِدَاهُ فَضْلُ الْمُقْتَدَى

(١) د ، ت : تحققت ، وأظن الصواب : تخلفت . (٢) ك : فإذا .

(٣) ك : بالوجود . يقول إنه يفدى أبا الحسن الشاذلي بالوجود ، وذلك لأن كل إنسان يتخلص من كل سوء ببركة وجود الشاذلي ، لأنه القطب ، وبالقرب تحفظ دائرة الوجود .

(٤) القطب في اللغة : السيد ، وعند الصوفية : الخليفة . وغلافته هي المعبر عنها في اصطلاحهم بالغوثية ، إذ الفوث هو الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب وبدل ووتد . وقوله عين الوجود أي سيد الوجود ولسان سر الموجد : أي مبین سر الموجد الذي أوجد الكائنات .

(٥) يقول : إن الله قوى كلام الشاذلي ، وأيده بجهيزيل . (٦) ضريح الشاذلي بصحراء عيذاب .

(٧) ك : ينتسب .

وَالْمَرْءُ فِي مِيرَاثِهِ أَتْبَاعُهُ فَاقْدِرْ إِذَنْ فَضَلَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
خَيْرِ الْوَرَى صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا صَدَعَ الْأَسَى قَلْبًا بِسَجْعٍ مُعَرَّدٍ
وَسَرَى الشُّرُورُ إِلَى الْقُلُوبِ فَهَزَّهَا مَسْرَى النَّسِيمِ إِلَى الْقَضِيْبِ الْأَمْلَدِ
شَوْقًا^(١) لِمُرْسِيَةٍ رَسَتْ آسَاسُهَا بَعْلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَوْقَ الْفَرَفِدِ
الْيَوْمَ قَامَ فَتَى عَلَى^(٢) بَعْدَهُ كَيْمَا يُبْلَغُ مُرْشِدًا عَنْ مُرْشِدِ
فَكَانَ يُوْشَعُ بَعْدَ مُوسَى قَائِمٌ بِطَرِيقِهِ الْمُنَلَّى قِيَامَ مُؤَكَّدِ
فَلْيَقْصِدِ الْمُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِهِ دَارَ الْبَقَاءِ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِهِ فَاسْمَعْ كَلَامَ أَخِي النَّصِيحَةِ تَرْشُدِ
فَنِظَامُ أَعْمَالِ التَّقَى آدَابُهَا فَاصْحَبْ بِهَا أَهْلَ التَّقَى وَالسُّودِ
وَتَجَنَّبِ التَّأْوِيلَ فِي أَقْوَالِ مَنْ صَاحَبَتْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ أَسْعَدِ
قَدْ فَرَّقَ التَّأْوِيلُ بَيْنَ مُقَرَّبِ يَوْمَ السُّجُودِ لِأَدَمَ وَمُبَعَّدِ^(٣)
وَحَذَارِ أَنْ يَتَّقِيَ الْمُرِيدُ بِنَفْسِهِ وَاخْزِمَ فَمَا الْإِصْلَاحُ شَأْنُ الْمُفْسِدِ
فَالْوَصْفُ يَبْقَى حُكْمُهُ مَعَ فَقْدِهِ وَالْمَرْءُ مَرْدُودٌ إِذَا لَمْ يَفْقَدْ
إِنَّ الضَّالِّينَ بِنَفْسِهِ فِي الْأَرْضِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ وَابْسَ بِمُضْعَدِ
وَيَظُنُّ^(٤) إِنْ رَكَدَتْ سَفِينَتُهُ عَلَى أَنْوَاحِهَا وَرِيَاحِهَا^(٥) لَمْ تَرْكُدِ
فَاصْحَبْ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ آخِذَا يَدَ عَارِفِ بَهْوَى النَّفُوسِ مُنْجِدِ
فَإِذَا اسْتَطَقَتْ^(٦) عَلَى الْخَيْرِ بِدَائِهَا

(١) ك : شرفا . (٢) على هنا ، أبو الحسن الشاذلي . وفقى على ، هو أبو العباس المرسى .

(٣) يقول : إن التأويل قد فرق بين الملائكة المقربين وبين إبليس وهومن المبعدين .

(٤) ك : أظن . (٥) ك : ورواحه . (٦) د : استطعت .

وَإِذَا بَلَغْتَ بِمَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ مِنْ
فَتَى رَأَى مُوسَى الْإِرَادَةَ عِنْدَهُ
وَإِذَا الْفَتَى خَرَقَتْ سَفِينَةَ جِدِّهِ
وَتَبَدَّلَتْ أَبَوَا الْفُلَامِ بِقَتْلِهِ
وَأَقِيمَ مُنْقَضُ^(٢) الْجِدَارِ وَتَحْتَهُ
فَلَيْسَ جَمْعًا فِي الْفِرَاقِ دَوُّصَلَةٌ
مُغْرَى بِقَتْلِ النَّفْسِ عَمْدًا وَهَوْلًا
لِلَّهِ مَقْتُولٌ بِغَيْرِ حِنَابَةٍ
مَا زَالَ يَعْطِفُهَا عَلَى مَسْكُورِهِمَا
وَأَحْيَبَ دَاعِيهَا لِرَدِّ مُشَرِّدٍ
لَمْ تَتْرُكِ التَّقْوَى لَهَا مِنْ عَادَةٍ
فَلَيْسَ أَحَدٌ كِيَمِيَاهُ سَعَادَةٍ
جَعَلَتْهُ لَمْ يَرِ لِلْحَقِيقَةِ^(٤) طَالِبًا
أَلْفَاظُهُ^(٥) مَبْذُولَةٌ بِذَلِّ الْحَيَا
كُلُّ يَرْوَحُ بِشَرْبِ رَاحِ عُلُومِهِ
ضَمِنَ الْوَقَارَ لَهَا اعْتِدَالُ مِزَاجِهَا
فَضَحَّتْ مَعَارِفُهَا مَعَارِفَ غَيْرِهَا

عِلْمِيهِ فَانْقَعَتْ غَلَّةُ الْقَلْبِ الصَّدَى
خِضْرُ الْحَقِيقَةِ نَالَ أَقْصَى الْمَقْصِدِ
لِنَجَاتِهَا وَجَدَ الْأَتَى غَيْرَ^(١) الدَّدِ
بَأَبْرَ مِنْهُ لَوَالِدِيهِ وَأَرْشَدِ
كَزُّ الْوُصُولِ إِلَى الْبَقَاءِ السَّرْمَدِ
مِنْ قَاطِعٍ وَتَرْقِيًا مِنْ مُخْلِدِ
يُعْطَى إِلَى الْقَوَدِ الْقِيَادَ وَلَا الْيَدِ
كَفِّ يَحُبُّ الْقَاتِلِ الْمُتَعَمِّدِ
حَتَّى زَاكَتْ وَصَفَتْ صَفَاءَ الْعَسْجَدِ
مِنْ أَمْرِهَا طَوْعًا وَجَمْعَ مُبَدَّدِ
أَلْفَتْ وَلَا لِمَرِيضِهَا مِنْ عَوْدِ
صَحَّتْ فَلَا نَارَ عَلَيْهِ^(٣) تَفْتَدِي
إِلَّا يَمُدُّ إِلَيْهِ رَاحَةً مُجْتَدِي
وَمَصُونَةٌ صَوْنُ الْعَذَارَى الْخُرْدِ^(٦)
طَرِبًا كَغُضَنِ الْبَانَةِ الْمُتَأَوِّدِ^(٧)
فَتَرَابُهَا لَا يَذْبُقِي لِمُعْرَبِدِ
وَالزَّيْفُ مَفْضُوحٌ بِنَقْدِ الْجَيِّدِ

(١) ك : عين الرد . (٢) ك : منقض . (٣) ك : عليها .

(٤) علوم الحقيقة هي التي تتناول الإيمان بالله وطرق الاتصال بالذات الإلهية ، أما علوم الشريعة ،

فتتناول أحكام الدين . (٥) ك : ألفاظها . (٦) د ، ومصونة صون العذارى الهند . والخرود :

جمع غريدة ، وهي البكر . (٧) البانة : نوع من الشجر . والمتأود : المعوج .

كَشَفَتْ لَهُ الْأَسْمَاعُ عَنْ أَسْرَارِهَا فَإِذَا الْوُجُودُ لِمَقْلَتَيْهِ بِمَرَصَدٍ
وَأَرَتْهُ أَسْبَابَ الْقَضَاءِ مُبِينَةً لِلْمُسْتَقِيمِ بِعِلْمِهَا وَالْمُنْجِدِ
تَأْتِيْ عُلُومُكَ يَا فَتَى غَيْرِ الَّتِي هِيَ فَتَحُ غَيْبٍ فَتَحَهُ لَمْ يَسُدِّ
قُلْ لِلَّذِينَ تَسْكَنُوا زِيَّ النَّقَى وَتَخَيَّرُوا لِلدَّرْسِ أَلْفَ مُحَلِّلٍ
لَا تَحْسَبُوا كُحْلَ الْعِيُونِ ^(١) بِحِيلَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَمْ تَسْكُنْ بِالْإِنْمِدِ
مَا النَّحْلُ ذَلَّتِ الْهِدَايَةُ سَبِيلَهَا مِثْلَ الْخَيْرِ تَقْوَدُهَا لِلْمَوْرِدِ ^(٢)
مَنْ أُمَاتِ التَّقْوَى عَلَيْهِ وَأَنْفَقَتْ يَدُهُ مِنَ الْأَكْوَانِ لَا مِنْ مِزْوَدٍ
وَأَبَيْكَ مَا جَمَعَ الْمَالِي وَإِدْعَا ^(٣) جَمَعَ الْأُلُوفِ مِنَ الْحِسَابِ عَلَى الْيَدِ
إِلَّا أَبُو الْعَبَّاسِ أَوْحَدُ عَصْرِهِ أَكْرَمَ بِهِ فِي عَصْرِهِ مِنْ أَوْحَدٍ
أَفْنَتْهُ فِي التَّوْحِيدِ هِمَّةٌ مَاجِدٍ شَدَّتْ ^(٤) مَقَاصِدُهَا عَنِ الْمُتَشَدِّدِ
سَاحَتْ رِجَالٌ فِي الْفِقَارِ وَإِنَّ لَيْسَ يَسِيحُ فِي مَآكُوتٍ ^(٥) طَرْفُ مُسَهَّدٍ
وَلَهُ سِرَائِرُ فِي السُّلَا خَطَارَةٌ خَطَارَهَا ^(٦) وَرِكَائِهَا لَمْ تُشَدِّدِ
فَالْمُسْتَقِيمِ أَخُو الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ لَا كُلُّ مَنْ رَكِبَ الْأَسْوَدَ بِأَسْوَدٍ
وَأَجَلُ حَالٍ مُعَامِلٍ تَبَعِيَّةٍ أَخَذَتْ إِلَى أَدَبِ الْمُرِيدِ بِمَقْوَدٍ ^(٧)
فَأَتَى مِنَ الطَّرِيقِ الْقَرِيبِ مَنَاطُهَا وَأَتَى سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَبْعَدِ ^(٨)
سَيْفٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَاضٍ حَدُّهُ فَاضْرِبْ بِهِ فِي النَّاتِبَاتِ وَهَدِّدِ
أُنْبِي عَلَيْهِ بِبَاطِنٍ وَبِظَاهِرٍ لَا سِرَّ مِنْهُ بِمَقْعَدٍ وَبُجَرِّدِ

(١) ك : الجفون . والإيمد : الكحل . (٢) ك : مثل الخمار تقوده المرید . (٣) ك : وادعى .
(٤) ك : سدت . (٥) ك : الماكوت . (٦) ت ، د : خطواتها وركابها لم تشدد والتصحيح عن ك .
(٧) المعامل : الزبون . معنى البيت أن أفضل حال يعامل الإنسان فيها نفسه ، هو أن يجعلها تتبع آداب المرید
وتسلك سبيله . (٨) ك : طريق أبعد .

مِنْ مَّشَرٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَسَابَقُوا مَعَهُ الرِّيحَ بِكُلِّ نَهْدٍ أُجْرِدِ
 وَتَنَوَّا أَعْيَنَهُمْ وَقَدْ تَرَكَوا الْعِدَا بِالطَّمَنِ بَيْنَ مُجْدَلٍ وَمُقَدِّ^(١)
 مِنْ كُلِّ ذِمِرٍ^(٢) كَالصَّبَاحِ جَبِينُهُ ذَرِبُ بَخْوَصِ الْمُفْضِلَاتِ مُعَوَّدِ
 وَبِكُلِّ أَسْمَرٍ أَزْرَقٍ فُؤَادُهُ وَبِكُلِّ أَيْضٍ كَالنَّجِيعِ مُورَدِ
 شَهِدَ النَّهَارُ لِفَاضِلٍ بِمُسَدِّ مِنْ رَأْيِهِ وَإِطَاعِنِ بِمُسَدِّ^(٣)
 وَتَخَصَّصَتْ ظُلُمُ اللَّيَالِي مِنْهُمْ عَنْ رُكْعٍ لَا يَسْأُمُونَ وَسُجْدِ
 خَافَ الْعَدُوَّ مَفِيعُهُمْ لِشُهُودِهِمْ وَالْمَوْتَ يَكْمُنُ فِي الْحَسَامِ الْمُفْعَدِ
 السَّاتِرُ وَالْعَوْرَاتِ مِنْ قَتْلَى الْعِدَا يَوْمَ الْحَفِيطَةِ بِالْقَنَا الْمُتَقَصِّدِ
 وَالطَّاعِنُ النَّجْلَاءَ يُدْخِلُ كَفَّهُ فِي إِثْرِهَا الْآسَى مَكَانَ الْمِرْوَدِ
 سَلَّ مِنْ سَبِيلِهِمْ سُلُوكَ سَبِيلِهِمْ يُرْشِدُكَ أَحْمَدُ لِلطَّرِيقِ الْأَحْمَدِ^(٤)
 مُسْتَمْطِرًا بَرَّكَانِهِ مِنْ رَاحَةِ أَنْدَى مِنَ النَّيْثِ السَّكُوبِ وَأُجُودِ
 فَوَاهِبُ الرَّحْنِ بَيْنَ مُصَوَّبٍ مِنْهَا لِرَاجِي رَحْمَةٍ وَمُصْعَدِ
 يَأْمَنُ أُمْتُ لَهُ بِحِفْظِ ذِمَامِهِ وَيُحْسِنُ ظَنِّي فِيهِ لِي مُسْتَعْبِدِي^(٥)
 مَوْلَايَ دُونَكَ مَا شَرَحْتُ بَوَازِنِهِ وَرَوَّيْهِ قَلْبَ الْكُتَيْبِ الْأَكْمَدِ^(٦)
 فَاقْبَلْ شَهَابَ الدِّينِ عُذْرَ خَرِيدَةٍ^(٧) عَذْرَاءَ تَزُرِّي بِالْعَذَارَى التُّهَدِ
 مَعْسُولَةٍ أَنْفَاطُهَا مِنْ كَامِلٍ أَبْرَدُ حَشَى مِنْ رِيْقِهَا^(٨) بِمُبْرَدِ

(١) د ، ت : مفردا والتصحيح عن ك من قده بالسيف . (٢) الذمر : انشجاع .

(٣) البيت ورد في ك هكذا :

شهدوا النهار يفاضل بمسدد من رأيه ويطاعن بمسدد

(٤) ك : الأرشد . (٥) د : ويحسن ود فيه لي مستبعد . ك : ويحسن ظن فيه لي مستبعد .

(٦) ك : المكدة . (٧) ك : فريدة . (٨) ك : رجا .

طَلَعَتْ مَجْرَّةٌ فَضْلِهَا بِكَوَاكِبِ دُرِّيَّةٍ مَحْفُوفَةٍ بِالْأَسَدِ
 رَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ مِنْهَا مَارِدٌ لَمَّا أَتَتْكَ فَلَمْ يَجِدْ مِنْ مَقْعَدِ
 مِنْ مَنَهْلٍ عَذْبٍ صَفَا سِلْسَالُهُ لَامِنْ صَرَى يَشْوَى الْوُجُوهَ مُصَرَّدٌ^(١)
 بَعَثَتْ إِلَيْكَ بِهَا بَوَاعِثُ خَاطِرٍ مُتَحَبِّبٍ لِحَنَانِكُمْ مُتَوَدِّدٌ
 صَادَقَتْ دُرًّا مِنْ صِفَاكِ مُثَمَّنًا فَأَعْرَتْهُ مَنِيَّ صِفَاتٍ مُنْضَّدِ
 جَاءَتْ تَسَائِلُكَ^(٢) الْأَمَانَ نَخَافِ مِنْ رِبْقَةٍ بِذُنُوبِهِ مُتَوَعِدِ
 فَاضْمَنْ لَهَا دَرَكَ الْعَادِ ضَمَانَهَا بِالْقَوْرِ عَنْكَ لِإِسَامِيعِ وَلِئُشْدِ^(٣)
 فَإِذَا ضَمِنْتَ لَهُ فَلَيْسَ بِخَافٍ مِنْ مُبْرِقٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ مُرْعِدِ
 جَاءَ النَّبِيُّ لِكُلِّ عَاصٍ وَاسِعٌ وَالْفَضْلُ أَجْدَرُ بِاتِّرَاحِ الْمُجَنْدِي

وقال ، رضى الله^(٤) تعالى عنه ، يمدح المقرء العالى الصاحبى الزينى^(٥) زين الدين ،
 رحمهما الله^(٦) تعالى ، وذلك من الكامل :

أَهْلُ النَّقَى وَالْإِلْمِ أَهْلُ السُّؤْدُورِ فَأَخُو السِّيَادَةِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
 الصَّاحِبُ ابْنُ الصَّاحِبِ ابْنِ الصَّاحِبِ الْحَبِيزُ الْهَمَامُ السَّيِّدُ ابْنُ السَّيِّدِ
 لَا تُشْرِكَنَّ بِهِ أَمْرًا فِي وَضْفِهِ فَتَكُونَ قَدْ خَالَفْتَ كُلَّ مُوَحِّدِ
 الشَّمْسُ طَالَعَةٌ فَهَلْ مِنْ مُبْصِرٍ وَالْحَقُّ مُتَضَيِّعٌ فَهَلْ مِنْ مُهْتَدِي
 إِنَّ الْفَتَى مَنْ سَوَّدَتْهُ نَفْسُهُ بِالْفَضْلِ لَامِنْ سَادَ غَيْرَ مُسَوِّدِ

(١) الصرى الماء : الذى طال مكثه فى مستقره . والمصدر : المقلل ، وهو من التصريد ، بمعنى التقليل .

(٢) د ، ك : جاءتكَ تَسَائِلُكَ . (٣) ك : أَوْ مُنْشَدِ .

(٤) الزيادة التى بين الأقواس واردة فى ت والمملوح هوزين الدين أحمد ، حفيد الصاحب بهاء الدين

ابن حنا ، وكان وزيراً للصعبة ، ثم عزله المالك السعيد سنة ٦٧٧ هـ .

والناسُ مُخْتَلِفُو المَذَاهِبِ فِي الْعِلْمِ وَالْمَذْهَبُ الْمُخْتَارُ مَذْهَبُ أَحْمَدَ
وَفِي عُلُومِ الْأَوَّلِينَ حُقُوقُهَا وَالْآخِرِينَ وَفَاءَ مَنْ لَمْ يَجْعَدْ
فَكَأَنَّهُ فِينَا خَلِيفَةُ آدَمَ أَوْ آدَمُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
أَفْضَى بِهِ عِلْمُ التَّيَمِّينِ لَعَيْنِهِ وَرَأَاهُ حَاسِدُهُ بَعَيْنِي أَرْمَدَ
كَشَفَ النِّعَاطَ لَهُ فَلَيْسَ كَحَاثِرِ فِي دِينِهِ مِنْ أَمْرِهِ مُتَرَدِّدِ
قَدْ كَانَ يَحْكُمُ فِي الْأُمُورِ بِعِلْمِهِ شَهِدَ الْمَحِقُّ لَدِينِهِ أَمْ لَمْ يَشْهَدْ
لَوْلَا يُخَاطِبُنَا بِقَدْرِ عَقُولِنَا جَاءَتْ مَعَارِفُهُ بِمَا لَمْ نَعْمَدْ
وَرِثَ النُّبُوَّةَ فَلَيَقُمُ كَقِيَامِهِ مَنْ حَاوَلَ الْمِيرَاثَ أَوْ فَلَيَقْعُدُ
فَلِسَانُهُ الْعَضْبُ الْحَسَامُ الْمُنْتَضَى وَبَيَانُهُ بَحْرُهُ خِصْمُ الزُّبَيْدِ^(١)
وَبَصِيرَةٌ بِاللَّهِ يُشْرِقُ نَوْرُهَا وَيُغْنِي مِثْلَ الْكَوْكَبِ الْمَتَوَقَّدِ
وَحَلَائِقُ مَا شَابهَا مِنْ شَانِهَا فَأَتَتْ كَاءَ الزُّنْ فِي قَلْبِ الصِّدِّ
فَلِبَابِ زَيْنِ الدِّينِ أَحْمَدَ فَلْيَسِّرْ مَنْ كَانَ بِالْأَعْدَاءِ غَيْرَ مُقَيَّدِ
هُوَ كَمِثَّةِ الْفَضْلِ الَّذِي قَصَادُهُ قَدْ حَقَّقُوا مِنْهُ بُلُوغَ الْمَقْصِدِ
لَمَّا وَرَدَتْ عَلَى كَرِيمِ جَنَابِهِ فَوَرَدَتْ بِخَرِّ الْجُودِ عَذْبُ الْمَوْرِدِ
وَرَأَيْتُ وَجْهَهَا أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فَأَضَاءَ مِثْلَ الْكَوْكَبِ الْمَتَوَقَّدِ
أَغْرَضْتُ عَنْ لُحُومِ الْحَدِيثِ وَقُنْتُ يَا مَدَحَ الْوَرَى عَنِّي فَمَا أَنَا مِنْ دَرِ^(٢)
وَعَزَمْتُ فِي يَوْمِي عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي أَلْقَاهُ لِي نِعَمَ الذَّخِيرَةِ فِي غَدِ
مَدَحُ إِذَا أَعْمَلْتُ فِيهِ مَقُولِي جَاهَدْتُ عَنْ دِينِ الْهُدَى بِمَهْدِ

(١) د ، ت : البحر الخضم ، والصواب : ما أثبتناه . (٢) الدد : اللهو والعبث ، وهو من قول النسي :

• لست من دد ولا الدد مني ، أي لست من اللهو والعبث في شيء .

أَبَقِيَ لَهُ الذِّكْرُ الْخَلَدَ عَلَيْهِ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَمْرٌ لَا يَمْخُلُ
فَلَسْتُمْ فِدَتِ بوجوده آماله واختارَ عندَ اللهِ ما لم يَنْفَدِ
شُفِيتَ بِهِ الدُّنْيَا وَاتَّرَ اخْتِهَا حُبًّا فَأَوْهَمَ رَغْبَةً يَزِيدُ
وَأَتَى عَلَيْهَا جُودُهُ فَكَأَنَّهَا تَلَوَّانَهَا فِي نَفْسِهِ لَمْ تَوْجَدْ
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَقاصِدِهِ بِهَا أَبَدْتَ إِلَيْكَ حَقِيقَةَ الْمُتَجَرِّدِ
كَلِفُ بِمَا يَغْنِيهِ مِنْ إِسْعَادِ ذِي الْحَاجَاتِ فِي الزَّمَنِ الْقَلِيلِ الْمُسْعَدِ
يَطْوِي مِنَ التَّقْوَى حِشَاءً عَلَى الطَّوَى وَيَبِيتُ سَهْرَانًا مَقْضَى الْمَرْقَدِ
وَيَغُضُّ مِنْ مَسْئُولَتَيْنِ بِدَعْمِهِ مَكْحُولَتَيْنِ مِنَ الظَّلَامِ بِإِثْمِ (١)
عَوَّلَ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْعَرَبِ رَبُّ وَبَيْتِ مَالِ الْمُجْتَدِي (٢)
وَاسْتَمَطَرَ الْبَرَكَاتِ مِنْ دَعَوَاتِهِ حَيْثُ اسْتَقَلَّ (٣) سَحَابُ رَحْمَتِهِ النَّدَى
وَاسْمَعْ لِمَا يُوحَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي يُشْجِي الْقُلُوبَ لَوْ أَنَّهَا مِنْ جِلْدٍ
صَدَرَتْ جَوَاهِرُ لَفْظِهِ مِنْ بَاطِنٍ صَافِي التَّقَى مِثْلِ الْحَسَامِ الْمُقَمَّدِ
فَأَرَاكَ سَحَرِ الْبَيَانِ مُنْضَدًّا يَبْدِي الْبَلَاغَةَ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَدِّ
مُتَحَلِّيًا بِمَجَازِمِعِ الْكَلِمِ الَّتِي يُعْنَى بِهَا حَدِيثُ عَنَاءٍ تَجَلَّدِ
فَالْقَصُّ (٤) مِنْهُ إِذَا أَتَاكَ تَعَدَّدَتْ مِنْهُ الْمَعَانِي وَهُوَ غَيْرُ مُعَدَّدِ
قُلْ لِلْإِمَامِ الْمُتَعَدِّي بِعُلُومِهِ قَدْ فَازَ مَنْ أَضْحَى بِرَأْيِكَ بِقَتْدِي
يَأْمَنُ بِرَأْيِي لِلْفَضِيلَةِ حَقِّهَا لَتَلْذُ بِالْفَضْلِ لَا لَتَزِيدِ
لَمْ تُضْغِرْ لِلْعُلَمَاءِ إِلَّا مِثْلًا أَصْفَى سُلَيْمَانُ لِقَوْلِ الْهُدُودِ
عَجِبْتَ لِزُهْدِكَ فِي الْوِزَارَةِ مَعَشَرُ فَاجْتَبَهُمْ عَجَبًا إِذَا لَمْ يَزْهَدْ

(١) الأئمة : الكل . (٢) المجتدي : السائل .

(٣) استقل : ارتفع . (٤) القصص : الواحد .

ماضِرٌ حَبْرًا قَلَدَتْهُ أُمَّةٌ أَنْ لَمْ يَكُنْ لِنَاصِبٍ بِمُقَلِّدٍ
 وَإِذَا سَمَا بِاسْمِ الْعُلُومِ فَلَا تَسْلُ عَنْ حَطِّ نَفْسٍ بِالْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
 مَا الْمَجْدُ إِلَّا الْحَكْمَةُ أَوْ لَيْتَهَا بِنَحْطِ عَنْهَا قَدَرُ كُلِّ مَجْدٍ
 يَارْتَبَةُ لَا تَرْتَقِي بِسَلَامٍ وَسِيَادَةٍ مَا تُشْتَرَى بِالْعُسْجَدِ
 خَيْرُ الْمَنَاصِبِ مَا الْعُيُونُ كَالَيْلَةِ عَنْهُ وَمَا الْأَيْدِي لَهُ لَمْ تُمَدِّدِ
 مَوْلَايَ دُونَكَ مِنْ ثَنَائِي حُلَّةٌ تُبْلِي مِنَ الْأَيَّامِ كُلِّ مُجَدِّدِ
 جَاءَتْ مُسَارِعَةً إِلَيْكَ بِسَاعَةٍ سَعِدَتْ مُطَالَعَةً وَإِنْ لَمْ تُرْصَدِ
 يَوْمُ انْتِصَالٍ بِالْأَحْيَةِ ، حَبْدًا يَوْمُهُ بِانْقِطَعَتْ قُلُوبُ الْحَسَدِ
 مَا سِيرَتْ مَا بَيْنَ يَوْسُفَ مِثْلَهَا (١) قَدْ مُرَّ فِيهِ أَحْمَدُ بِمُحَمَّدٍ
 يَا حَبْدًا مَدْحُ لَالٍ مُحَمَّدٍ دُونَ التَّغْزُلِ فِي غَزَالٍ أَغِيدِ
 إِنَّ الْجَلَالََةَ مِنْذُ رُمْتُ مَدِيحَكُمْ لَمْ تَرْضَ لِي ذَكَرَ الْحِسَانِ الْخُرُودِ
 فَاللهُ يَجْمَعُ شَمْلَكُمْ سَادَاتِنَا جَمَعَ السَّلَامَةَ فِي نَعِيمٍ سَرْمَدِ

وقال لما مدح اليهود وذمَّ النصارى ، وسيأتي ذكرها في حرف الراء ، وهذَّه (٢)
 النصارى ، فالزموه فكتب :

مَا لِلنَّصَارَى إِلَى ذَنْبٍ وَإِنَّمَا الذَّنْبُ لِلْيَهُودِ
 وَكَيْفَ تَفْضِيلُهُمْ وَفِيهِمْ سِرُّ الْخَنَازِيرِ وَالْقُرُودِ

(١) ت : ما سيرة ما بين يوسف ، وفيه نحوض . (٢) ت : فلا هذوه والزموه كتب .

وقال قافية^(١) الراء : يمدح بها علي بن الصاحبي^(٢) :

حَيَّ بُلْبَيْسَ مَنْزِلًا فِي الْعِمَارَةِ وَتَوَجَّهْ تِلْقَاءَ بَنِي عُمَارَةٍ
فَالْبَيْتَاتِ^(٣) فَالْحِرَازِ قَتْنِيَّتِ^(٤) فَشَبْرَا الْبُيُومِ فَالْحَمَارَةِ
وَإِذَا جِئْتَ حَاجِرًا بَيْنَ بُلْبَيْسٍ وَقَلِيبٍ مِنْ خَرَابِ قَرَارِهِ
فَارْجِعِ السَّيْرَ بَيْنَ بَنِيهَا وَأَنْسِرِيبَ وَكُلَّ لِسَاطِيءِ الْبَحْرِ جَارِهِ
وَإِذَا مَا خَطَرْتَ مِنْ جَانِبِ الرَّمْلِ بِفَاقُوسٍ فَاقْصِدِ الْخَطَّارَةَ
وَشَمْنَدِيلَ وَهَيَّ مَنْزِلَةَ الْجَدِيشِ وَسَعْدَانَةَ مَحَلَّ غِرَارِهِ
خَلْنِي مِنْ هَوَى الْبَدَاوَةِ إِنِّي لَسْتُ أَهْوَى إِلَّا جَمَالَ الْحِصَارَةِ
وَاقْرِ تِلْكَ الْقُرَى السَّلَامَ فَإِنْ أَعْيَمَتْكَ مِنْهَا عِبَارَةٌ فَإِشَارَةٌ
إِنَّ قَلْبِي أَضْحَى إِلَى سَاكِنِيهَا بِاشْتِيَاقٍ وَمُهْجَتِي مُسْتَطَارَةٌ^(٥)
أَذْكَرُنَا عَيْنًا قَدِيمًا نَزَعْنَا هُ لِبَاسًا كَالْحَلَّةِ^(٦) الْمُسْتَمَارَةِ
وَزَمَانًا فِي الْحُسْنِ وَجَهَ عَلِيٍّ ذَا بَهَاءٍ وَبِهْجَةٍ وَنَضَارَةِ
صَاحِبٍ لَا يَزَالُ بِالْجُودِ وَالْإِفْضَالِ^(٧) طَلَّقَ الْيَدَيْنِ خُلُوَ الْعِبَارَةِ
كَمْ هَدَانَا مِنْ فَضْلِهِ يَكْتَابِ مُعْجَزٍ مِنْ عُلُومِهِ^(٨) بِأَثَارِهِ
وَجْهَهُ مُسْتَفِرٌّ لِعَافِيهِ مَا نَحْتَاجُ فِي الْجُودِ عِنْدَهُ لِسْفَارَةٍ^(٩)

(١) ت : وقال ، ساعده الله ، من الخفيف . (٢) يبدو أن هذه القصيدة قيلت في الصاحب

بهاء الدين علي بن محمد بن حنا ، وفيها كثير من الألفاظ والمعاني النامضة .

(٣) ت : فالبيئات . (٤) ت : فنقيت . (٥) هذا البيت ساقط من ت .

(٦) د ، ت : كالحسن ولا معنى له . (٧) والإفضال ساقطة من د ، ت ؛ فأضفها لوزن الشعر .

(٨) ت : أو من علمه . (٩) البيت في الأصل :

وجهه مسفر للمفاة وما نحتاج في الجود عنده لسفارة

يَدُهُ رُقْعَةُ الصَّباحِ فَاغْرَبَهَا مِنْ سَلَامَةٍ وَطَهَارَةٍ
يَذْكُرُ الوَعْدَ فِي أُمُورٍ وَلَا يَذْكُرُ جَذْوَى وَلَوْ بِكَلِّ إِمَارَةٍ
إِنَّمَا يَذْكُرُ العَطِيَّةَ مَنْ كَا أَنْتَ عَطَايَاهُ تَارَةً بَعْدَ تَارَةٍ
سَيِّدِي أَنْتَ نُصْرَتِي كُلَّمَا شَنَّ عَلَى الزَّمَانِ بِالْفَقْرِ غَارَهُ
شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأْسْتُ كَأَنِّي زَامِرُ الحَيِّ أَوْ صَغِيرُ الحَارَةِ ^(١)
وَابْنُ عِمْرَانَ وَهُوَ شَرُّ مَتَاعٍ لِللَّوَرَى فِي بَطَانَةٍ وَظَهَارَةٍ ^(٢)
حَسَنَ القُرْبِ مِنْكُمْ قُبُحٌ ذِكْرًا هُ كَتَحْسِينَ الْمِسْكِ ذِكْرَ الْفَارِهِ
فَهَوَى فِي الْمَدْحِ قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِي وَهُوَ فِي الهَجْرِ مِنْ زِنَادِي شَرَارَهُ
مَالَهُ مِيزَةٌ عَلَى سِوَى أَنْ لَهُ بَغْلَةٌ وَمَالِي حِمَارَهُ
وَعِيَاظُ تَدْوَى الدَّوَاوِينُ مِنْهُ لَا بَعْنَى كَأَنَّهُ طِنْجَهَارَةٌ ^(٣)
يَتَجَنَّى ^(٤) بِسُوءِ خُلُقٍ عَلَى النَّاسِ وَنَفْسٍ ظَلُومَةٍ كَفَّارَهُ
لَمْ تُهَذِّبْهُ كُلُّ قَاصِرَةِ الطَّرْقِ فِي أَجَادَتِ بِأَخْذِ عَيْنِهِ الْقَصَارَهُ
وَابْنُ يَغْمُورَ إِذْ كَسَاهُ مِنَ الدَّرَّةِ دِرْعًا كَأَنَّهُ غَفَّارَهُ
طَبَعَتْ رَأْسَهُ دَمًا وَبِسَاطِي ^(٥) جِلْدَةً أَوْ حَسْبَتُهُ جُلَّتَارَهُ
وَسَلِيَمَانُ كُلَّمَا قَرَعَ الْقَرْعَةَ طَنَّتْ كَأَنَّهَا نُقَارَهُ
وَقَعَاتُ تُنْفِى المَوَرِّخَ مَا كَا نَ مِنْ سُنْبِسٍ وَمِنْ زُنَارِهِ
إِنْ جِهَتْهُمْ مَا حَلَّ فِي سَاحِلِ ^(٦) الشَّيْخِ مِنَ الصَّفْعِ فَاسْأَلُوا ^(٧) الْبَحَّارَهُ

(١) يشير إلى المثل : « زامر الحى لا يطرب » .

(٢) ابن عمران : ناظر الشرقية في ذلك العهد ، وقد فصل البوصيرى من وظيفته فحقق عليه وعرض به .

(٣) هوى بكسر الواو يدوى بفتحها فهو ذو : أى مرضى : ولعله يريد تدوى بتشديد الواو المكسورة من

من الدوى وهو الصوت الشديد ، ولكن لا يوجد منه فعل ثلاثى . والطنجehارة : كذابا بالنون كما فى الأصل ،

وفى التاج : الطرجهارة : شبه كأس . وفى التكملة : شبه طاس يشرب فيه . (٤) ت : يتجمل .

(٥) د : بسطى . (٦) د : ساجة . (٧) د : فاسأله التجارة .

قَالَتِ الْبَيْتَةُ الَّتِي أَوْفَقَتْهُ^(١) أَنَا مَالِي عَلَى الْغُبُونِ مَرَارَهُ
 إِنَّ هَذَا شَيْخٌ^(٢) لَهُ بِجَوَارِيهِ مَعَ النَّاسِ كُلِّ يَوْمٍ صِهَارَهُ
 قُلْتُ لَا تَفْتَرِي عَلَى الشَّاعِرِ الْفَقِيرِ، قَالَتْ^(٣) : سَلِ الْفَقِيرَ عُمَارَهُ
 لَوْ أَنَّهُ فِي عَرْسِهِ شَطْرُ فَلَسٍ لَرَأَى^(٤) الْبَيْعَ رَجُلَةً وَشَطَارَهُ
 قُلْتُ هَذَا شَاؤُ الدَّوَابِّ، قَالَتْ مَا أَوَّلَى هَذَا عَلَى الْخَرَّارَةِ^(٥)
 قُلْتُ ذِي غَيْرَةِ الْأُيُورَةِ^(٦) إِلَّا تَشْتَهِي أَنْ تَفَارِقَ الْأَبَّارَةَ
 قَالَتْ أَقْوَى وَكَيْفَ أَغْيِرُ مَنِّي عِنْدَ شَيْخٍ كَلِّ بْنِغِيرٍ زِبَارَهُ^(٧)
 قُلْتُ : مَا تَكْرَهِينَ مِنْهُ ؟ فَقَالَتْ أَيْ بُخْلٍ فِيهِ وَأَيُّ قَتَارَةٍ
 أَنَا فِي الْبَيْتِ أَشْتَهِي كَفَّ تَبْنٍ وَمِنْ الْقُرْطِ أَشْتَهِي نُورَارَهُ
 وَعَلَيْقِي عَلَيْهِ أَرْخَصُ مِنْ مَا لِي الْمَوَارِيثِ فِي شِرَا ابْنِ جُبَارَهُ
 مَسَرَّقِ النَّصْفِ وَاشْتَرَى النَّصْفَ بِالنَّصْفِ وَأَقْوَى بَأَنِّ هَذَا تِجَارَهُ
 لَا تَلُمُوا إِذَا وَقَعْتُ مِنَ الْجَوِّ عِرْفَانِي مِنَ الْخَوَى خَوَّارَةَ
 مَا كَفَّاهُ مِنَ الطَّوَافِ بِيْلَيْنَسَ إِلَى أَنْ يَطُوفَ بِي السَّيَّارَهُ
 آهٍ مِنْ ضَيْعَتِي وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنِّ مَالِي عَلَى الْغُبُونِ مَرَارَهُ
 أَكْمَلْتُ خَلْقَتِي وَشَيْبِي وَمَالِي^(٨) فِي حُجُورٍ^(٩) أُخْتُ وَلَا فِي مِهَارَهُ^(١٠)
 أَيْ شَبْرِيَّةٍ^(١١) أَلَذُّ وَطَاءٍ مِنْ رُكُوبِي وَأَيْمًا شَبَّارَهُ

(١) أَوْفَقَتْهُ سَاقِطَةٌ مِنْ ت . (٢) ت : شَيْخ . (٣) د ، ت : فَقَالَتْ وَقَدْ حَذَفَتْ أَلْفَاءَ الْوِزْنِ .

(٤) ت : لَرَأَى . (٥) د : الْمَزْمَارَةُ . (٦) د ، ت : الْإِبْرَةِ .

(٧) أَقْنَا الْبَيْتَ عَلَى هَذَا النِّحْوِ ، وَكَانَ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا :

قَالَتْ أَقْوَى وَكَيْفَ أَغْيِرُ عَلَى شَيْخٍ خَصِي كُلِّ بَغِيرٍ زِبَارَهُ

(٨) ت : وَمَا فِي . (٩) حُجُورٌ ، جَمْعُ حَجَرٍ ، وَهِيَ أُنْثَى الْخَيْلِ . (١٠) مَهَارَةٌ بِالْكَسْرِ :

جَمْعُ مَهْرٍ ، وَهُوَ الْجَوَادُ الصَّغِيرُ . (١١) شَبْرِيَّةٌ ، كَلِمَةٌ عَامِيَةٌ تَطْلُقُ عَلَى سَرِيرٍ مَصْنُوعٍ مِنْ

قَوَائِمٍ مِنَ الْخَشَبِ وَظَهَرَ مِنَ الْجِبَالِ الْمُتَخَذَةِ مِنْ لَيْفِ النَّخِيلِ .

عَبَّرْتَنِي بِهَا بِغَالُ الطَوَاحِينِ، وَقَالَتْ تَمَّتْ عَلَيْكِ الْيَمَارَةُ
 دُرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ عِنْدَ الْمَنَاجِمِ فَيَا لَيْتَ أَنِّي دَوَّارَةٌ
 وَلَقَدْ أَنْذَرْتُهُ فَرَأَيْتُهُ^(١) جَاهِلِيًّا لَمْ تُغْنِ فِيهِ النَّذَارَةُ
 وَقَوَافِي لَيْسَ فِيهَا صِقَالٌ^(٢) مِنْ نَدَى^(٣) لَا^(٤)، وَلَيْسَ فِيهَا زَفَارَةٌ^(٥)
 كُلُّ عَذْرَاءٍ مَا تَرُدُّ مِنْ الْكُفِّ يَعْيِبُ وَلَا زَوَالِ^(٦) بَكَارَهُ
 سِرْنَ مِنْ حُسْنَيْنٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بِفَكْنِ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ
 لَنْ يَصِيدَهُنَّ^(٧) النَّوَالِ مِنْ بَحْرِ فِكْرِي أَوْ يُضْطَادُّ الدُّرُّ بِالسَّنَارَةِ ؟
 غَيْرَ أَنِّي أَعَدَدْتُهَا لِحَطَّائِيَا وَذُنُوبِ اسْتَلْقَتْهَا كِفَّارَهُ
 أَوْ لَمْ تَذَرِ أَنْ مَدَحَ عَلَيَّ مِثْلُ حَجٍّ وَعُمَرَقَةٍ وَزِيَارَهُ
 * * *
 أَيُّهَا الصَّاحِبُ الْمُؤَمِّلُ أَدْعُو لَكَ دُعَاءَ اسْتِغَاثَةٍ وَاسْتِجَارَةٍ
 أَنْقَلَتْ ظَهْرِي الْعِيَالُ وَقَدْ كُنْتُ زَمَانًا بِهِمْ خَفِيفَ^(٨) الْكَارَةِ
 وَلَوْ أَنِّي وَخَدِي لَكُنْتُ مُرِيدًا فِي رِبَاطٍ أَوْ عَابِدًا فِي مَنَارِهِ
 أَحَسِبُ الزُّهْدَ هِينًا وَهُوَ حَرْبٌ لَسْتُ فِيهِ وَلَا مِنْ النَّظَّارَةِ
 لَا تَكْنِي إِلَى إِسْوَاكَ فَأَخِيَا رُزْمَانِي لَا يَمْنَحُونَ خِيَارَهُ
 وَوُجُوهُ الْقُصَادِ فِيهِ حَدِيدٌ وَقُلُوبُ الْأَجْوَادِ فِيهِ حِجَارُهُ

(١) د ، ت : قرائته . ونظن الصواب ما أثبتناه . وفي وزن البيت خليل بن .

(٢) ت : مقال . وصقال من صقل الشيء : أوى جلده . (٣) ت : نديا .

(٤) ليست في د ، ت : وقد زدها الوزن . (٥) يقال زفر زفر إذا استقى فحمل . وفي الحديث

« إن امرأة كانت تزفر القرب يوم خيبر تسقى الناس » أي تحمل القرب المملوء ماء .

(٦) ت : يعيب ولا زنى أو بكاره . (٧) ت : ان يصف من النوال . وفي د : لن يصددهم .

وفي البيت اضطراب وتحريف في الألفاظ : ولعل صوابه :

لن يصيده النوال من بحر فكري أو يصطاد دره سناره ؟

(٨) خفيف الكارة : خفيف الحمل .

فَإِذَا فَازَ كَفَّ حُرٌّ بَيْرٌ^(١) فَهَوَ إِمَّا بِنَقْضَةٍ أَوْ نِشَارِهِ^(٢)
 إِنَّ بَيْتِي يَقُولُ قَدْ طَالَ عَهْدِي بِدُخُولِ التَّلَاسِ^(٣) لِي وَالشَّكَارَةِ
 وَطَعَامٍ قَدْ كَانَ يَعْهَدُهُ النَّاسُ مَتَاعًا لَهُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
 فَالْكَوَانِينُ مَا تَعَابُ مِنَ الْبَرِّ دِ بَطْبَآخَةٍ وَلَا شَكَّارَةٍ^(٤)
 لَا بِسَاطٍ وَلَا حَصِيرٍ بِدِهْلِيزِي وَلَا تَجْلِسِي وَلَا طَيَّارَةٍ
 لَيْسَ ذَا حَالٍ مَنْ يُرِيدُ حَيَاةَ إِيْعَالٍ وَلَا لَبِيتَ عِمَارَةٍ
 قُلْتُ إِنَّ الْوَزِيرَ أَشْكَنَ غَيْرِي فِي^(٥) مَكَانِي وَلِي عَلَيْهِ إِجَارَةٌ
 قِيلَ إِنَّ الْوَزِيرَ لَنْ يَقْصِدَ الْفَسْحَ ، فَلَمْ لَا رَاجَعَتْ فِي الْخَرَّارَةِ^(٦)
 أَسْقَطَتْهُ مِنْ ظَهْرِنَا فَأَرْتَنَا جَبِيَهُ لَازِمًا لِبَطْنِ الْحَارَةِ
 ثُمَّ شَدَّوهُ^(٧) بِالْإِزَارِ فِخْلْنَا هُ الْخِيَالِيَّ مِنْ وَرَائِ السُّتَارَةِ
 لَمْ يُفْضَلْ عَلَيْكَ غَيْرُكَ لَكِنَّ عَطَايَاهُ كَالْكُنُوسِ الْمُدَارَةِ
 فَسَاعِدُوهُ^(٨) بِهِ سَعِيدًا كَأَنِّي لَاعْتَدَلِ الرَّيِّعَ لِلشَّمْسِ دَارَهُ
 وَيَشُوقُ الْأَضْيَافَ فِي^(٩) بَادِهَنْجٍ مِنْ بَعِيدٍ قُرُونُهُ^(١٠) كَالْمَنَارَةِ
 إِنَّ بَيْتًا يَفْشَاهُ كُلُّ فَقِيرٍ مِنْ عَلِيٍّ فِي ذِمَّةٍ وَخِفَارَةٍ
 صَرَفَ اللَّهُ الشُّوَّ عَنْهُ وَآتَا هُ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَا مَا اخْتَارَهُ

(١) د ، ت : بين .

(٢) د ، ت : نقضه بنبر باء . (٣) التليس : الغرارة .

(٤) د ، ت : بشكارة ، والشكارة : المرأة التي تقطع اللحم . (٥) في ، ساقطة من د ، ت .

(٦) الخمرارة : اسم قرية من قرى الشرقية . (٧) د ، ت : شجوة .

(٨) ت : فساعدوه . وفي د ، فساعدوا ، والصواب : ما أثبتناه . (٩) ت : لي . (١٠) ت : زروته .

وقال يمدح^(١) أَيْدَمُرُ عَزَّ الدِّينَ^(٢) ، ويعزیه^(٣) في سيف الدين :

قد خُصَّ بِالْفَضْلِ قَطْلِيحَا^(٤) وَأَيْدَمُرُ وطابَ منه ومنكَ الْأَصْلُ وَالشَّمْرُ
بَحْرَانِ لَوْ جَادَ بَحْرٌ مِثْلَ جُودِهَا بِيَعَتْ بَارِخَصَ مِنْ أَصْدَافِهَا الدَّرَرُ
لِلَّهِ دَرَكٌ عَزَّ الدِّينَ لَيْثٌ وَغَى لَهُ مِنَ الْبَيْضِ نَابٌ وَالْقَنَا ظَفَرُ
أَلْقَى الْإِلَهِ عَلَى الدُّنْيَا مَهَابَتَهُ فَالْبَيْضُ تَرَعْدُ خَوْفًا مِنْهُ وَالسُّرُ
أَرَيْنَا فَضْلَ شَمْسِ الدِّينِ مُنْقَلَاً إِلَيْكَ مِنْهُ وَصَحَّ الْخَبْرُ وَالْخَبْرُ
إِنْ تُحْيِ آثَارَهُ مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَتْ فَإِنَّكَ النَّيْلُ تُحْيِ الْأَرْضَ وَالْمَطَرُ
وَإِنْ تَكُنْ أَنْتَ خَيْرَ الْوَارِثِينَ لَهُ فَمَا يُنَازِعُكَ^(٥) فِي مِيرَاثِهِ بَشَرُ
وَإِنْ تَكُنْ فِي الْعُلَاوِ الْفَضْلُ تَخْلُفُهُ فَالشَّمْسُ يَخْلُفُهَا إِنْ غَابَتِ الْقَمَرُ
أَخْجَلَتْ بِالْجِلْمِ سَادَاتِ الزَّمَانِ فَلَمْ يَغْفُوا كَعَفْوِكَ عَنْ ذَنْبٍ إِذَا قَدَرُوا
وَلَمْ تَزَلْ تَسْتُرُ الْعَيْبَ الَّذِي كَشَفُوا وَلَمْ تَزَلْ تَجْبُرُ الْعَظَمَ الَّذِي كَسَرُوا
لَوْ أَنَّ أَلْسِنَةَ الْأَيَّامِ نَاطِقَةٌ أَثْنَتْ عَلَى فَضْلِكَ الْأَصَالُ وَالْبُكَرُ
شَرَعَتْ لِلنَّاسِ طَرِيقًا مَابَهَا عُجْرٌ يَخَافُ سَائِلُهَا فِيهَا وَلَا بُجْرُ^(٦)
لَوْ يَسْتَقِيمُ عَلَيْهَا السَّالِكُونَ بِهَا كَمَا أَمَرَتْ مَشَتْ مَشَى لِمَهَا الْحُرُ
أَكْرَمَ بِأَيْدَمُرَ الشَّمْسِيِّ مِنْ بَطَلٍ بِذِكْرِهِ فِي الْوَعَى الْأَبْطَالُ تَفْتَحِرُ
تَخَافُ مِنْهُ وَتَرْجُوهُ كَمَا فَعَلَتْ فِي قَلْبٍ سَامِعِهَا الْآيَاتُ وَالشُّورُ

(١) ت : وقال عفا الله عنه من البسيط .

(٢) هو الأمير عز الدين أيبك الفخرى ، الذى أسندت إليه ولاية القاهرة ، بدلا من شمس الدين أبى بكر بن

إسباسلار ، الذى توفى سنة ٦٧٨ هـ . (٣) د : ويهته .

(٤) د : نقطليحا . (٥) ت : فلم .

(٦) أصل العجر : العروق المتعقدة فى الجسد . والبحر : العروق المتعقدة فى البطن . والمعنى هنا : أنك مهدت

للناس طرقا خالية من الصعاب .

مَعْنَى الْوُجُودِ الَّذِي قَامَ الْوُجُودُ بِهِ وَهَلْ بِغَيْرِ الْمَعْنَى ^(١) قَامَتِ الصُّورُ ؟
 بَنَانُهُ مِنْ نَدَاهُ ^(٢) الْغَيْثُ مُنْسَكِبٌ وَسَيْفُهُ مِنْ سَطَاهُ النَّارُ تَسْتَعِرُّ
 نَهْتُهُ عَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا نَزَاهَتُهُ وَشَرَدَ النَّوْمَ مِنْ أَجْفَانِهِ السَّهَرُ
 وَلَيْسَ يُضْجِرُهُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ وَكَيْفَ يُذْرِكُ مَنْ لَا يَتَعَبُ الضَّجْرُ
 يُنْمِى وَيُضْمِجُ فِي تَذِيرٍ مَمْلُوكَةٍ أَعْيَا الْخَلَائِقِ فِيهَا بَعْضُ مَا يَزُرُّ
 يَكْفِيهِ حَمْلُ الْأَمَانَاتِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى الْجِبَالِ فَكَادَتْ مِنْهُ ^(٣) تَنْفَطِرُ
 خَافَ الْإِلَٰهَ خَافَتُهُ رَعِيَّتُهُ وَالْمَرْءُ يُجْزَى بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُّ
 وَاخْتَارَهُ مَلِكُ الدُّنْيَا لِيُخْبِرَهُ فِي مُلْكِهِ وَهُوَ مُخْتَارٌ وَمُخْتَبَرُ
 فَطَهَرَ الْأَرْضَ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ فَلَا عَيْنَ لَهُمْ بَقِيَّةٍ فِيهَا وَلَا أَنْزُرُ
 وَدَبَّرَ الْمُلُوكَ تَذِيرًا يُقْصَرُ عَنْ إِذْرَاكِ أَيْسَرِهِ الْأَفْهَامُ وَالْفِكَرُ
 وَحِينَ طَارَتْ ^(٤) إِلَى الْأَعْدَاءِ مُسْمَعَتُهُ مَاتَ الْفَرَنْجُ بِدَاءِ الْخَوْفِ وَالتَّرُّ
 فَمَا يُبَالِي بِأَعْدَاءِ قُلُوبِهِمْ فِيهَا تَمَكَّنَ مِنْهُ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ
 وَكُلُّ أَرْضٍ ذَكَرْنَاهُ بِهَا غَنِيَّتُ عَنْ أَنْ يُجْرَدَ فِيهَا الصَّارِمُ الذَّكْرُ
 فَلَوْ تَجَرَّدُ مِنْ مِصْرِ عَزَائِمِهِ إِلَى الْعِدَا بَطَلُ الْبَيْكَارِ وَالسَّفَرِ ^(٥)
 فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى الْقَتْلَى بِصَارِمِهِ كَأَنَّا نُحِرتُ فِي مَوْسِمِ جُزُرُ
 كَأَنَّ صَارِمَهُ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ نَذِيرُ مَوْتٍ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ النَّذُرُ ^(٦)

(١) ت : المعالي . (٢) ت : يداه . وقد صححها تيمور باشا في الهامش فجعلها ، نداء .

(٣) د ، ت : كانت ، ونظن الصواب ما أثبتناه . كلمة منه : ساقطة من ت . (٤) الأصل من الأعداء .

(٥) البيكار : الحرب . (٦) هذا البيت ساقط من د .

شُكْرًا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ فِي وَلَايَتِهِ مَغْنَى كِرَامَتِهِ لِلنَّاسِ مُشْتَهَرُ
 عَمِّ الرِّعْيَةِ وَالْأَجْنَادِ^(١) مَعْدَلُهُ فَمَا شَكَ نَفَرًا مِنْ عَدْلِهِ نَفَرُ
 وَسَرٍّ أَسْمَاعُهُمْ مِنْهُ وَأَعْيُنُهُمْ وَجْهُهُ جَمِيلٌ وَذِكْرُهُ طَيِّبٌ عَطِرُ
 تَأَرَّجَتْ عَنْ نَظِيرِ الْمِسْكِ نَظَرَتُهُ^(٢) كَمَا تَأَرَّجَ عَنْ أَكْلِهِ الزَّهْرُ
 مِنْ مَعَشَرٍ فِي الْعُلَا أَوْفَوْا عُهُودَهُمْ وَلَيْسَ مِنْ مَعَشَرٍ خَانُوا وَلَا غَدَرُوا
 تَرَكُ تَزَيَّنَتْ الدُّنْيَا بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ لَهَا الْحَلِيُّ إِنْ غَابُوا وَإِنْ حَضَرُوا
 حَمَكْتَ ظَوَاهِرُهُمْ حُسْنًا بِوَاطِنِهِمْ فَهُمْ سِوَاهُ أَسْرُوا الْقَوْلَ أَوْ جَهَرُوا^(٣)
 بِيضُ الْوَجْهِ يَجْنُ اللَّيْلُ إِنْ رَكِبُوا إِلَى الْوَعَى وَيُضِي الصُّبْحُ إِنْ سَفَرُوا
 تَسْعَى لِأَبْوَابِهِمْ^(٤) قَصَادُ مَا لَهُمْ وَجَاهِهِمْ زُمَرًا فِي إِثْرِهَا زُمَرُ
 تَسَابَقُوا فِي الْعُلَا سَبَقَ الْجِيَادِ لَهُمْ مِنَ الشَّاءِ الْحُجُولُ الْبَيْضُ وَالْفَرَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ سَمِعْنَا مِنْ مَنَاقِبِهِمْ فَمِنْ مَنَاقِبِ عِزِّ الدِّينِ مُخْتَصَرُ
 مَوْلَى تَلَدْنَا أَخْبَارُ سُودُدِهِ كَانَ أَخْبَارُهُ مِنْ حُسْنِهَا سَمَرُ
 فَلَوْ أَدَارَتْ سُقَاةُ الرَّاحِ سِيرَتَهُ عَلَى النَّدَامَى وَحَيَّوْهُمْ بِهَا سَكِرُوا
 يَا حُسْنَ مَا يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَيُنْفِقُهَا كَالْبَحْرِ يَحْسُنُ مِنْهُ الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ
 لِكُلِّ شَرَطٍ جَزَاةٌ مِنْ مَكَارِمِهِ وَكُلُّ مُبْتَدَأٍ مِنْهَا لَهُ خَيْرُ
 فَمَا نَظَمْتُ مَدِيحًا فِيهِ مُبْتَكِرًا إِلَّا أَنَا نِي جُودُ^(٥) مِنْهُ مُبْتَكِرُ
 صَدَقْتُ فِي مَدْحِهِ فَازْدَادَ رَوْقُهُ فَمَا عَلَى وَجْهِهِ مِنْ رِيْبَةٍ قَتَرُ

(١) د : الأخبار . (٢) ت : نصرته . (٣) ت : أم .

(٤) ت : لأموالهم . (٥) د : جواد .

أَعْنَتَ عَطَايَاهُ فَقَرَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ
لِذَاكَ أَتَمَّنُوا عَلَيْهِ بِالذِّى عَلِمُوا
قَالُوا وَجَدْنَاهُ مِثْلَ الْكَرَمِ فِي كَرَمٍ
وَمَا يَزَالُ يُعِينُ الطَّائِعِينَ إِذَا
وَمَنْ أَعَانَ أُولَى الطَّاعَاتِ شَارَ كَهَمُ
فَمَا أَتَى النَّاسُ مِنْ فَرَضٍ وَمِنْ سُنَنِ
نَحِجٍّ وَهُوَ مُقِيمٌ وَالْحِجَازُ بِهِ
وَجَاهَدَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَائِفَةٌ
وَأَطَعَمَ الصَّائِمِينَ الْجَائِعِينَ وَمِنْ
وَلَمْ تَفْتَهُ مِنَ الْأُزَادِ نَاشِئَةٌ
يَطْوِي النَّهَارَ صَيَامًا وَهُوَ مُضْطَرِمٌّ
وَمَالُهُ فِي زَكَاةٍ كُلُّهُ نُصِبُ
أَعْمَالُهُ كُلُّهَا لِلَّهِ خَالِصَةٌ
كَمْ عَادَ بَغَى عَلَى قَوْمٍ عَلَيْهِ بَغَوَا
لَمْ يَخَفْ عَنْ عِلْمِهِ فِي الْأَرْضِ خَافِيَةٌ
فَلَا يَظُنُّ مُرِيبٌ مِنْ جِهَالَتِهِ
عَصَتْ عَلَيْهِ أَنْاسٌ لِاخْتِلَاقِ لَهُمْ
تَلَمَّسُوا ثُمَّ قَالُوا: إِنَّا عَرَبٌ
وَلَا عَهْدُ لَكُمْ تُزْعَى وَلَا ذِمَّةُ

فَسَلَّمُ عَنْهُمْ إِنَّ قُلُوبًا وَإِنْ كَثُرُوا
خَيْرًا فَيَا حُسْنَ مَا أَتَيْنَا وَمَا شَكَرُوا
يَنْفِي مِنْهُ عَلَيْنَا الظِّلُّ وَالذَّمُّ
تَطَوَّعُوا بِجَمِيلٍ، أَوْ إِذَا نَذَرُوا
فِي أَجْرِ مَا حَصَرُوا مِنْهُ وَمَا تَجَرَّوْا
فِي صَحِيفَتِهِ الْعَرَاءِ مُسْتَطَرٌّ
قَوْمٌ يُقِيمُونَ لِحَاجَتِهِ وَلَا اغْتَمَرُوا
وَخَيْلُهَا مِنْهُ وَالْهِنْدِيَّةُ الْبُيُوتُ
فَرَطِ الْخِلَاصَةِ فِي أَكْبَادِهِمْ سَعُرُ
فِي لَيْلَةٍ قَامَ يُغَيِّبُهَا وَلَا سَحَرُ
وَاللَّيْلُ يَطْوِي قِيَامًا وَهُوَ مُعْتَكِرُ
لَا الْخُسُوفُ فِيهِ لَهُ ذِكْرُ وَلَا الْعُسْرُ
وَنُصْحُهُ لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهُ كَدَّرُ
وَحَاقَ مَكْرُ بِأَقْوَامٍ بِهِ مَكْرُوا
كَأَنَّهُ لِلْجُودِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
بِأَنَّ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ عَنْهُ يَسْتَتِرُ
الشُّومُ شِيَمَتُهُمُ وَاللَّوْمُ وَالذَّبْرُ
فَقُلْتُ لَا عَرَبُ أَنْتُمْ وَلَا حَصَرُ
وَلَا بَيُوتُكُمْ شَعْرٌ وَلَا وَبْرُ

وَأَيُّ بَرِيَّةٍ فِيهَا يُبَيِّنُكُمْ
وَلَيْسَ يُنْجِيْ امْرَأًا رَامُوا أَذِيَّتَهُ
يَشْكُو جَمِيعُ بَنِي الدُّنْيَا أَذِيَّتَهُمْ
يَرَوْنَ كُلَّ قَبِيحٍ مِنْهُمْ حَسَنًا
مِنْ لَوْثٍ أَحْسَبُهُمْ إِنْ شَاتَمُوا رِيحُوا
كَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الرِّفْقَ أَبْطَرَهُمْ
زَجَرْتَهُمْ بِعُقُوبَاتٍ مُنَوَّعَةٍ
كَأَنَّهُمْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ أَنَّهُمْ
فَمَعَشَرَ رَكِبُوا الْأَوْتَارَ^(١) فَانْقَطَعَتْ
وَمَعَشَرَ قَطَعَتْ أَوْصَالَهُمْ قِطْعًا
وَمَعَشَرَ بِالطُّبَا طَارَتْ رُءُوسُهُمْ
وَمَعَشَرَ وَسُطُوا مِثْلَ الدَّلَاءِ وَلَمْ
وَمَعَشَرَ سَمُّوا فَوْقَ الْجِيَادِ وَقَدْ
وَأَخْرَوْنَ فَدَوْا بِالمَالِ أَنْفُسَهُمْ
مَوْتَاتُ سَوْءٍ تَلَقَّوْهَا بِمَا صَنَعُوا
وَقَدْ تَأَذَّبَتِ الْمُسْتَخْدَمُونَ بِهِمْ
فَعَفَّ كُلُّ ابْنِ أَنْتَى عَنْ خِيَاتِهِ

وَهَلْ هِيَ الشَّعْرُ قُولُوا لِي أُمِّ الدَّرِّ ؟
مِنْهُمْ فِرَارٌ فَقُلْ كَلَّا وَلَا وَزَرَ
فَهُمْ بِطُرُقِهِمُ الْأَحْجَارُ وَالْخَفَرُ
وَلَمْ يُبَالُوا أَلَامَ النَّاسِ أَمْ عَذَرُوا ؟
وَمِنْ حَقَارَتِهِمْ إِنْ قَاتَلُوا خَسِرُوا
وَالْفُسَادُ إِذَا أَكْرَمْتَهُمْ بِطَرُوا
وَفِي الْعُقُوبَاتِ لِلطَّاغِينَ مُزْدَجَرُ
لَا يَتْرَكُونَ الْأَذَى إِلَّا إِذَا قَهَرُوا
أَمْعَاؤُهُمْ فَتَمَتَّوْا أَنَّهُمْ نُحِرُوا
فَمَا يُلَفِّقُهَا خَيْطٌ وَلَا يُبْرِ
عَنِ الْجُسُومِ فَقُلْنَا إِنَّهَا أَكْرُ
تُرَبِّطُ حِبَالُهَا بِهَا يَوْمًا وَلَا بَكَرُ
شَدَّتْ جُسُومَهُمُ الْأُلُوحُ وَالْدُّسْرُ
وَقَالَتِ النَّاسُ خَيْرٌ مِنْ عَمَى عَوْرُ
وَمِنْ وَرَاءِ تَلَقَّيْتُمْ لَهَا سَقَرُ
وَالْعَافِلُونَ إِذَا مَا ذُكِّرُوا ذَكَرُوا
فَلَمْ يَخُنْ نَفْسَهُ أَنْتَى وَلَا ذَكَرَ

إِنْ كَانَ قَدْ صَلَحَتْ مِنْ بَعْدِ مَا نَسَدَتْ
 لَوْلَاكَ مَا عَدَلُوا مِنْ بَعْدِ جَوْرِهِمْ
 وَلَا شَكَرْنَاهُمْ مِنْ بَعْدِ ذِمَّتِهِمْ
 وَكُنْتُ وَصِيَّتُهُمْ أَنْ يَحْذَرُواكَ كَمَا
 وَقُلْتُ لَا تَقْرَبُوا مَا لَا حَوْتَ يَدُهُ
 وَحَازِرُوا مَعَهُ أَنْ تَرَكَبُوا غَرَرًا
 وَلَا تَصْدُوا لِمَا لَمْ يَرْضَ خَاطِرُهُ
 فَبَانَ نَصْحِي لَهُمْ إِذْ مَاتَ نَاطِرُهُمْ
 مُقَدَّمَاتُ : أَمَاتَاهُ وَأَقْبَرَهُ
 وَجَرَّسُوهُ عَلَى النَّعْشِ الَّذِي حَمَلُوا
 يَأْسُوهُ مَا قَرَّبُوا مِنْ كُلِّ مُخْزِيَةٍ
 وَكَبَّرُوا بَعْدَ تَضْفِيرِ جَرَائِمِهِ
 وَكَانَ جَمَعَ أَمْوَالًا وَعَدَّدَهَا
 فَأَذْنَتْ بِزَوَالِ عَنْهُ مُسْرِعَةً
 وَرَاحَ مِنْ خِدْمَةِ صِفْرِ الْيَدَيْنِ فَقُلْ
 مَا عَذَرُ مَا شِئَ بِالظُّلْمِ فِي طُرُقِ
 إِذَا تَفَكَّرْتَ فِي الْمُسْتَخْدِمِينَ بَدَأَ
 ظَنُّهُمْ عَمَرُوا الدُّنْيَا بِيَدِهِمْ
 فَطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ خَبَثُ

أَحْوَاهُمْ بِكَ إِنَّ الْكَسْرَ يَنْجِبُهُ
 عَلَى الرَّعَايَا وَلَا عَفْوًا وَلَا انْحَصَرُوا
 كَأَنَّهُمْ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ مَا كَفَرُوا
 وَصَّى الْحَكِيمُ بَنِيهِ وَهُوَ مُحْتَضِرُ
 فَالْفَتْحُ يَهْرُبُ مِنْهُ الطَّائِرُ الْخَذِرُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ مَنْ مَرَّ كُوبُهُ الْغَرَرُ
 إِنَّ التَّصَدَّى لِمَا لَمْ يَرْضَ خَاطِرُهُ
 وَقَدْ بَدَتْ لِلْوَرَى فِي مَوْتِهِ عِبْرُ
 مَشَاعِلِيَّابِ مَا أَدَّوْا وَلَا نَصَرُوا
 مِنَ الْفِرَاشِ إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي حَفَرُوا
 عَلَى جِنَازَتِهِ جَهْرًا وَمَا هَجَرُوا
 وَقَبَّحُوا مَا طَوَّرُوا مِنْهَا وَمَا نَشَرُوا
 وَظَهَرَا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ تَذَخُّرُ
 كَمَا يَزُولُ بِحَلْقِ الْعَانَةِ الشَّعْرُ
 لِلْعَامِيَيْنِ عَلَيْهَا بَعْدَهُ اعْتَبَرُوا
 رَأَى الْمَشَاءَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ عَبَرُوا
 مِنْهُمْ لِعَيْنَيْكَ مَا لَمْ يُبْدِهِ النَّظَرُ
 وَإِنَّمَا خَرَبُوا الدُّنْيَا وَمَا عَمَرُوا
 لَوْ يَغْسِلُونَهُمْ بِالْبَحْرِ مَا طَهَّرُوا

نِيرَانُ شَرٍّ كَفَانَا اللَّهُ شَرَّهُمْ
 فَاحْذَرْ كِبَارَ بَيْدِهِمْ إِيَّاهُمْ قُرْمٌ
 فَالْفِيلُ تَقْتُلُهُ الْأَقْمَى بِأَصْغَرِهَا
 وَاضْرِبْهُمْ بِقِنَاً^(٢) مِثْلَ الْحَدِيدِ بِهِمْ
 وَلَا تَتَّقِ بَوْفَاءَ مِنْ أَخِي حُمَى
 مِنْ كُلِّ مَنْ قَدَرُهُ فِي نَفْسِهِ أَبَدًا
 يَصُدُّ عَنْكَ إِذَا اسْتَعْنَى بِجَانِبِهِ
 كَأَنَّهُ الدَّلْوُ يَغْلُو حِينَ تَمْلُؤُهُ
 وَالذَّهْرُ يَرْفَعُ أَطْرَافًا كَمَا رَفَعَتْ
 حَسْبُ لِلْحَلَّةِ لَمَّا زَالَ نَاطِرُهَا
 وَأَنْ أَعْمَالَهَا لَمَّا حَلَّتْ بِهَا
 وَأَهْلَهَا فِي أَمَانٍ مِنْ مَسَاكِينِهَا
 مَلَأَتْ فِيهَا بُيُوتَ الْمَالِ مِنْ ذَهَبٍ
 وَالْمَالُ يُجْنَى كَمَا يُجْنَى الثَّمَارُ بِهَا
 وَتَابَعَتْ بَعْضَهَا الْغَلَاتِ فِي سَفَرٍ
 وَسَمِقَتْ الْخَلِيلُ لِلْأَبْوَابِ مُسْرَجَةً
 وَالْمُجَنُّ تَحْسِبُهَا سُحْبًا مُقَوَّفَةً^(٣)
 لَا يَزِيحُونَ وَلَا يُبْقُونَ إِنْ ظَفَرُوا
 وَاحْذَرْ صِفَارَ بَيْنِهِمْ إِيَّاهُمْ شَرُّ
 فِيهَا وَلَمْ تَخْشَ^(٤) مِنْ سِنِّهَا الصَّغَرُ
 فَلَيْسَ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ يَنْفَعُ الزُّبُرُ
 فَالْحَقُّ دَالَا عِيَالًا بِرُؤْيَا عَسِيرُ
 مُعْظَمٌ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مُحْتَقَرُ
 وَلَا يَزُورُكَ إِلَّا حِينَ يَفْتَقِرُ
 مَاءٌ وَيُفْرِغُ مَا فِيهِ^(٥) فَيَنْحَدِرُ
 أَذْنَابُهَا لِقِضَاءِ الْحَاجَةِ الْبَقَرُ
 أَنْ زَالَ مُذْزَالَ عَنْهَا الْبُؤْسُ وَالضَّرَرُ^(٦)
 تَعَارُ مِنْ طَيْبِهَا الْجَنَّاتُ وَالشَّهْرُ
 مِنْ فَوْقِهِمْ غُرْفٌ مِنْ تَحْتِهِمْ سُرُرُ
 وَفِضَةٌ صَبْرًا يَحْبِذُ الصَّبْرُ^(٧)
 حَتَّى كَأَنَّ بَنَى الدُّنْيَا لَهَا شَجَرُ
 بَعْضًا إِلَى شَوْنٍ^(٨) ضَاقَتْ بِهَا الْخُدُرُ
 لَمْ تَخْصَ عَدَاؤُ تَخْصَى الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
 فِي الْحَقِّ مِنْهَا فِضَاءُ الْجَوِّ مُنْحَصِرُ

(١) د : تغشه . (٢) د : بقتفع . ت : بتنى . ونظن الصواب ما أثبتناه .
 (٣) د : فيفرغ بما فيه . (٤) ت : البأس . (٥) يقال اشترى الشيء صبرة : أى بلا وزن ولا كيل .
 (٦) د : شؤون . (٧) مفوف : فيه خطوط بيض .

وَكُلُّ مُقْتَرَحٍ مَادَارَ فِي خَلَدٍ يَأْتِي إِلَيْكَ بِهِ فِي وَقْتِهِ الْقَدَرُ
وَمَا هَمَّتْ بِأَمْرِ غَيْرِ مَطْلَبِهِ إِلَّا تَيَسَّرَ مِنْ أَسْبَابِهِ الْقَسِيرُ
وَالْعَامِلُونَ عَلَى الْأَمْوَالِ مَا عَدُّوا مِنْ أَىِّ مَا جَاءَ يَأْتِي وَمَا شَعَرُوا
وَمَا أَرَى بَيْنَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ دَرَى مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لَهُ الْأَكْيَاسُ وَالْبِدَرُ
هَذَا وَمَا أَحَدٌ كَلَفْتَهُ شَطَطًا بَمَا فَعَلْتَ كَأَنَّ النَّاسَ قَدْ سَحَرُوا
بَلْ زَادَهُمْ فِيكَ حُبًّا مَا فَعَلْتَ بِهِمْ مِنْ الْجَلِيلِ وَذَنْبُ الْحُبِّ مُغْتَفَرُ
فَإِنْ شَكُوا بَغِضَةً مِمَّنْ مَضَى سَلَفُ فَمَا لِقَلْبٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مُضْطَرُ
فَالصَّبْرُ مِنْ يَدٍ مَنْ أَحْبَبْتَهُ عَسَلُ وَالشَّهْدُ مِنْ يَدٍ مَنْ أَبْغَضْتَهُ صَبْرُ
لَقَدْ جُبِلْتَ عَلَى عَدْلٍ وَمَعْرِفَةٍ سَارَتْ بِفَضْلِهِمَا الْأَمْثَالُ وَالسَّيْرُ
فَمَا حَكَمْتَ بِمَكْرُوهِهِ عَلَى أَحَدٍ حُكْمًا يُخَالِفُهُ نَصْرٌ وَلَا خَبَرُ
رُزِقْتَ ذُرِّيَّةً ضَاهَتِكَ طَيِّبَةٌ مِنْ طِينَةٍ غَارَ مِنْهَا الْعَنْبَرُ الْعَطِرُ
فَلَيْهِنَا الْيَوْمَ مِنْهَا الْفَضْلُ حِينَ غَدَا دِينَ الْإِلَهِ بِسَيْفِ الدِّينِ مُنْتَصِرُ
عَلَى صِفَاتِكَ دَلَّتْنَا نَجَاتَهُ وَبَانَ مِنْ أَيْنَ مَا الْوَرْدُ يُعْتَصِرُ
مِيزَانُهُ فِي الثَّقَى مِيزَانُ مَعْدَلَةٍ وَحِكْمَةٍ لِأَصْنَى^(١) فِيهَا وَلَا صِفَرُ
مَشَى صِرَاطًا سَوِيًّا مِنْ دِيَانَتِهِ فَمَا يَزَالُ بِأَمْرِ اللَّهِ يَأْتُرُ
تَرْضِيكَ^(٢) فِي اللَّهِ أَعْمَالُهُ وَتُغْضِبُهُ وَمَا بَدَأَ لِي أَمْرٌ مِنْكُمْ أَنْ تُكْرُ
قَالَتْ لِي النَّاسُ مَاذَا الْخُلُفُ؟ قُلْتُ لَهُمْ: كَمَا تَخَافَ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ
أَمَا عَصَى أَمْرَ مُوسَى عِنْدَ سَفْكَ دَمٍ مَا فِي شَرِيعَةِ مُوسَى أَنَّهُ هَدَرُ

(١) أصنى : نقص . يقال : أصنى الشيء ، بمعنى نقصه . (٢) ت : ترضيه .

وقد تعاطى ابنُ عَفَّانٍ لِأَسْرَتِهِ
وَلَنْ يَصْبِرَ أُولَى التَّقْوَى اخْتِلَافُهُمْ
مُشَمَّرٌ فِي مَرَايِ اللَّهِ مُجْتَهِدٌ
زَانِ اللَّيَالَى وَالْأَيَّامِ إِذْ بَقِيَتْ
وَقَعْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ مَهَابَتِهِ
وَقَصَّرْتُ كَلَامِي عَنْ مَدَائِحِهِ
فَاقْبَلْ بِفَضْلِكَ مَذْحًا قَدْ أَتَاكَ بِهِ
فَمَا عَلَى الْقَوْسِ مِنْ عَيْبٍ تُعَابُ بِهِ
وَالْبَسْ ثَنَاءَ أَجَادَتِ نَسِجَهُ فِكْرُ
مِنْ شَاعِرٍ صَادِقٍ مَا شَانَهُ كَذِبُ
يَهِيمٌ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ مَدَائِحِهِ
لَا يَنْظِمُ الشُّعْرَ إِلَّا فِي الْمَدِيحِ وَمَا
مَا شَاقَهُ لِعِزَالٍ فِي الظُّبَا غَزَلُ
مَدِيحُهُ فَيْكَ حُرٌّ لَيْسَ بِمِلِكِهِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا أَهْدَى كَرَامَتَهُ
تَبَّأَ لِقَوْمٍ قَدْ اسْتَعْنَوْا بِمَا نَظَّمُوا
فَلَوْ قَقَوْتُ بِأَخْذِ الْمَالِ إِثْرَهُمْ
خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ عِنْدِي مَذْحُ ذِي كَرَمٍ

وَمَا تَعَاطَى أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ
وَهُمْ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ قَدْ فُطِرُوا
وَبِالْعَفَافِ وَتَقْوَى اللَّهِ مُؤْتَرَرُ
كَأَنَّهَا غُرُرٌ فِي إِثْرِهَا طُرُرُ
وَقَالَتِ النَّاسُ مَيِّتٌ مَسَّهُ رِكَبَرُ
وَقَدْ أَتَيْتُ مِنَ الْخَالِنِ أَعْتَدِرُ
شَيْخٌ ضَعِيفٌ إِلَى تَقْصِيرِهِ قِصْرُ
إِنْ انْحَنَّتْ وَاسْتَقَامَ السَّهْمُ وَالْوَتَرُ
يَغَارُ فِي الْحُسْنِ مِنْهُ الْوَشْيُ وَالْحَبْرُ
فِيمَا يَقُولُ وَلَا عَيٌّْ وَلَا حَصْرُ
كَلَى مَعَانٍ أَضَلَّتْ حُسْنَهَا الْفِكْرُ
غَيْرُ الْمَدِيحِ لَهُ سُؤْلٌ وَلَا وَطَرُ
وَلَا لِعَانِيَةٍ فِي طَرَفِهَا حَوْرُ
مِنْ الْجُلُوَانِزِ أَمَانٌ وَلَا أَجْرُ
فَقَصَدُهُ شَرَفُ الْأَنْسَابِ لَا الْمَهْرُ
مِنْ امْتِدَاحِ بَنِي الدُّنْيَا وَمَا نَثَرُوا
لَعَوَّ قَتْنَى الْقَوَافِي فَيْكَ وَالْفَقْرُ
ذِكْرِي بِمَدْحِي لَهُ فِي الْأَرْضِ يَنْتَشِرُ

فَالصُّفْرُ مِنْ ذَهَبٍ عِنْدِي وَإِنْ صَفِرْتُ
بَقِيتَ مَا شِئْتَ فِيمَا شِئْتَ مِنْ رُتَبٍ
وَبَلَّغْتُكَ الْإِلَهِي مَا تَوَمَّلُهُ
وَقَدْ دَعَيْتُكَ لِي كُلَّ جَارِحَةٍ
يَدِي وَإِنْ غَنَيْتُ سَيَّانٍ وَالصُّفْرُ
عَلَيْهِ عُمَرُ الدُّنْيَا بِهَا عَمِرُوا
وَلَا تَعَدَّتْ إِلَى أَيَّامِكَ الْغَيْرُ
وَبِالْإِجَابَةِ فَضْلُ اللَّهِ يُنْتَظَرُ

وقال (١) :

جِوَارُكَ (٢) مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ يُجِيرُ
فَضَلْتَ بَنِي الدُّنْيَا فَفَضْلُكَ أَوَّلُ
وَأَنْتَ مُهَامٌ دَبَّرَ الْمَلِكُ رَأْيَهُ
إِذَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَازِلَ نَصْرَهُ
فَلَا تُنْسِ الْأَيَّامُ ذِكْرَكَ إِنَّهُ
إِذَا مَرَّ فِي أَرْضٍ بِجَيْشٍ عَرَمَزَمَ
وَتَحَسَّبَهُ قَدْ سَارَ بِرُوحِي بَرُوجَهَا
وَمَا قَلْبُهَا مِمَّا يَقَرُّ خُفُوقُهُ
سَوَالًا عَلَيْهِ خَيْلُهُ وَرِكَابُهُ
لَقَدْ جَهَلْتَ دَاوِيَةَ الْكُفْرِ بِأَسِهِ
فَلَا بُورٍ كُؤَامِنْ إِخْوَةٍ إِنْ أَمَّهُمْ
وَبَشْرُكَ لِلرَّاجِي نَدَاكَ بِشِيرُ
وَأَوَّلُ فَضْلٍ الْأَوَّلِينَ أَخِيرُ
خَبِيرُ بِأَحْوَالِ الزَّمَانِ بِصِيرُ
كَفَى الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ مِنْكَ نَصِيرُ
بِهِ فَرِحَ بَيْنَ الْمُلُوكِ فَخُورُ
تَكَادُ لَهُ أُمُّ النُّجُومِ تَمُورُ
مُخِيلٌ عَلَيْهَا كَالْبُرُوجِ يُغِيرُ
وَلَا طَرَفُهَا حَتَّى يَعُودَ قَرِيرُ
وَسَرَجٌ إِذَا جَابَ الْغَلَاةَ وَكُورُ
وَعَرْمُهُ بِالْمُسْلِمِينَ غَرُورُ
وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهَا الْبَنُونَ نَزُورُ

(١) ت . وقال رضى الله تعالى عنه من الطويل .

(٢) هذه القصيدة نظمها الشاعر في مدح الملك المنصور قلاوون الأتقى الصالحى ، بمناسبة بناءه المارستان المنصورى الكبير ، ومدرسة الحديث والفتية سنة ٦٨٤ هـ .

[فَإِنْ غَلَطْتَ مِنْهُمْ رِقَابٌ لِبُعْدِهِ] [أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا نُوَاصِلُ إِنْ جَفَوْا]
 [فَمَا انْحَطَّ عَنْهَا لِمَذَلَّةِ نِيرُ^(١)] [وَأَنَا عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ نَزُورُ]
 يَطْمُنُونَ خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ يَصُدُّهَا عَنِ الْعَدُوِّ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ دُحُورُ
 أَمَا زُلْزِلَتْ بِالْعَادِيَاتِ وَجَاءَهَا مِنَ التَّرْكِ جَمٌّ لَا يُعَدُّ غَفِيرُ
 أَتَوْا بِطُمَرَاتٍ مِنَ الْجُرُودِ سَيَّرَتْ^(٢) وَرَجُلٍ لَهُمْ مِثْلُ الْجُرَادِ طُمُورُ
 فَلَمْ يَرْقُبُوا مِنْ صَرْحِ هَامَانَ مَرْقَبًا بِهَامَتِهِ بَرْدُ السَّحَابِ بَكُورُ^(٣)
 وَصَبَّ عَلَيْهِمْ عَارِضٌ مِنْ حِجَارَةٍ وَنَبَلٍ وَكُلٌّ بِالْعَذَابِ مَطِيرُ
 وَسَامُوهُ^(٤) خَسَفًا مِنْ نُقُوبٍ كَانَهَا أَثَافٍ^(٥) لَهَا تِلْكَ الْبُرُوجُ قُدُورُ
 فَذَاقُوا بِهِ مَرَّ الْحِصَارِ فَأَصْبَحُوا لَهُمْ ذَلِكَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ حَصِيرُ^(٦)
 يَصِيحُونَ أَعْلَى السُّورِ خَوْفًا كَصَافِينَ^(٧) نَفَى عَنْهُ نَوْمَ الْمُقْلَتَيْنِ صَفِيرُ
 وَمَاذَا يَرُدُّ السُّورُ عَنْهُمْ وَخَلْفَهُ مِنَ الْخَيْلِ سُورٌ وَالصَّوَارِمِ سُورُ
 وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى الْأَسْرِ مَلْجَأُ وَإِلَّا إِلَى ضَرْبِ الرِّقَابِ مَصِيرُ
 فَلَمَّا أَحْسَسُوا بَأْسَ أَغْلَبَ هِمَّةٌ غَدُوًّا إِلَيْهِمْ بِالرَّدَى وَبَكُورُ
 دَعَاؤُهُ وَشَمْلُ النَّصْرِ مِنْهُمْ مُمَزَّقُ أَمَانًا وَجِلْبَابُ الْحَيَاةِ يَقِيرُ^(٨)

- (١) هذان البيتان زيادة في النسخة التيمورية . (٢) رجل ، جمع راجل ، وهو ضد الفارس .
 الطمور : الذهاب في الأرض والمقصود هنا سرعة الحركة والانتقال .
 (٣) برد السحاب : أى السحاب المصحوب بالبرد . (٤) ساموه : أذاقوه .
 (٥) أثاف : جمع إثقية ، وهى الأحجار التى توضع عليها القدر . (٦) حصير : الحبس .
 (٧) الصافين من الخيل : القائمين على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .
 (٨) يقير : مشقوق .

أَعَارَهُمْ أَفْرَنْسِيْسُ تِلْكَ وَسِيْلَةً رَأَى مُسْتَعِيْرًا غِبْهَا وَسَعِيْرَ
فَدَى نَفْسَهُ بِالْمَالِ وَالْأَلِ وَأَنْنَى تَطِيْرُ بِهِ مِنْ حَيْثُ جَاءَ طُيُوْرُ
فَلَاتَذْكُرُوا مَا كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْهُمْ فَذَاكَ لِأَحْقَادِ السُّيُوفِ مُثِيْرُ
فَلَوْ شَاءَ سُلْطَانُ الْبَسِيْطَةِ سَاقَهُمْ لِمَصْرِ وَتَحْتَ الْفَارِسِيْنَ بَعِيْرُ
تُبَشِّرُ مِصْرَ دَائِمًا بِقُدُوْمِهِمْ إِذَا فَصَلَتْ (١) مِنْهُمْ لَغَزَّةٌ عِيْرُ
تَسْرُهُمْ عِنْدَ الْقَوْلِ بِضَاعَهُ وَتَحْفَظُ مِنْهُمْ إِخْوَةً وَتَمِيْرُ (٢)
وَلَوْ شَاءَ مَدَّ النَّيْلَ سَيْلُ دِمَائِهِمْ وَرَفَّتْ (٣) نَحُوْرُ مَاءَهُ وَسُحُوْرُ (٤)
بَعِيْدٍ كَعِيْدِ النَّحْرِ يَاحْسَنُ مَا يَرَى بِهِ مِنْ عُلُوجٍ كَالْعُجُوْلِ جَزُوْرُ
وَلَكِنَّهُ مِنْ حِلْمِهِ وَاقْتِدَارِهِ عَفُوٌّ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيْمِ غَفُوْرُ
وَلَمْ يَبْفُهِمْ إِلَّا خَيْرًا (٥) لِيْلَهَا مَلِيْكٌ يَجِبُ الرَّأْيُ وَهُوَ خَبِيْرُ
يَرَى الرَّأْيَ مِنْ الرَّاحِ يُهْوِي عَتِيْقُهُ وَيُكْرَهُ مِنْهُ الْحُلُوْ وَهُوَ عَصِيْرُ
فَوَلَّوْا وَسُوهُ الظَّنَّ يَلُوِي وَجُوْهَهُمْ فَتَحَسِبُهَا صُوْرًا وَمَا هِيَ (٦) صُوْرُ
وَقَدْ شَعَرَتْ مِنْهُمْ حُصُوْنٌ أَوَاهِلُ وَمَا رَاعَهَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ شُعُوْرُ
فَلِلَّهِ سُلْطَانُ الْبَسِيْطَةِ إِنَّهُ مَلِيْكٌ يَسِيْرُ النَّصْرُ حَيْثُ يَسِيْرُ
وَيُعْمِدُ فِي هَامِ الْمُلُوْكِ حُسَامَهُ وَيَرْهَبُ مِنْ هَامِ الْمُلُوْكِ غَفِيْرُ
وَيَجْمَعُ مِنْ أَشْلَانِهِمْ مُتَفَرِّقًا بِصَارِمِهِ جَمَعَ الْهَشِيْمِ حَظِيْرُ (٧)

(١) فصل من البلاد ، خرج منها . (٢) تميز : تجلب لهم الطعام .

(٣) ت : وزفت . (٤) ت : صخور . وزفت : مصت ، والنحور ، جمع نحر ، وهو أسفل

الخلق . وسحور جمع سحر بفتح السين ، وهي الرنة .

(٥) د : حيرا . (٦) ١٠ : ساقطة من د . (٧) الحظير : يريد الحظيرة التي تعمل للدواب ونحوها .

فَأَخْلَقَ بَأْنَ يَنْبَقَى وَيَنْبَقَى لِلْمَلِكَةِ ثَمَاءٌ حَكَاهُ عَنَبَرٌ وَعَبِيرٌ
وَتَأْتِيهِ خَيْلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ يُؤَيَّدُ مِنْهَا بِالنَّفِيرِ نَفِيرٌ
وَيَحْمِلُ كُلُّ الْمَلِكِ عَنْهُ وَإِصْرُهُ^(١) حَرَىُّ بَتْدِيرِ الْأُمُورِ جَدِيرٌ
أَخُو عَزَمَاتٍ فَالْبَعِيدُ مِنَ الْعَلَا لَدَيْهِ قَرِيبٌ وَالْعَسِيرُ يَسِيرٌ
تَكَادُ إِذَا مَا أُبْرِمَتْ عَزَمَاتُهُ لَهَا الْأَرْضُ تُطْوَى وَالْجِبَالُ تَسِيرُ
دَعَانِي إِلَى مَعْنَاهُ دَاعٍ وَلَيْسَ لِي جَنَانٌ عَلَى ذَاكَ الْجَنَابِ جَسُورٌ
فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَسِيرِي لِلْمَجْدِ لَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ يُجِيرُ
إِذَا جِئْتُهُ وَحْدِي يَقُومُ بِنُصْرَتِي قِبَائِلُ مِنْ إِقْبَالِهِ وَعَشِيرٌ
فَتَى أَبَدَتْ الدُّنْيَا عَوَاقِبَهَا لَهُ وَأَفْضَتْ بِمَا فِيهَا لَدَيْهِ صُدُورٌ
فَمَقَلَّتُهُ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَمِ يَقْظَةُ وَغَيْبَتُهُ عَمَّا يُرِيدُ حُضُورٌ
وَمَا كُلُّ فَضْلٍ فِيهِ إِلَّا سَجِيَّةٌ يُشَارِكُ فِيهَا ظَاهِرٌ وَضَمِيرٌ
فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ النَّزَالِ مُحَرَّضٌ وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ النُّوَالِ سَفِيرٌ
هُوَ السَّيْفُ فَاحْذَرْ صَفْحَةً لِعِرَارِهِ^(٢) قَبَيْنَهُمَا لِلْأَمْسِينِ غُرُورٌ^(٣)
مَهْيَبٌ وَهَوْبٌ لِلْمُحَاوِلِ جُودُهُ جَوَادٌ وَلِلْيَثِ الْمَصُورِ هُصُورٌ
إِشَارَاتُهُ فِيمَا يَرُومُ صَوَارِمٌ وَسَاعَاتُهُ عَمَّا يَسَعْنَ دُهُورٌ
إِذَا هَجَرَ النَّاسُ الْهَجِيرَ لَكَرَّ بِهِمْ يَلْدُ لَهُ أَنَّ الزَّمَانَ هَجِيرٌ

(١) الإصر. الكل : العبء ، ومثلها .

(٢) غرار السيف : حده . (٣) يقصد بالغرور : الهلاك .

وَهَلْ يَتَّقِي حَرَّ الزَّمانِ ابْنُ غَادَةَ جَلِيلٌ عَلَى حَرِّ الزَّمانِ صَبُورٌ
يُحاذِرُهُ المَوْتُ الزُّوَامُ إِذا سَطَا وَلَكِنَّهُ مِنْ أَنْ يُلَامَ حَدُورٌ
وَسَتَهَوْنُ^(١) الْأَهْوالَ فِي المَجْدِ نَفْسُهُ وَاسْتَحْقِرُ المَوْهُوبَ وَهُوَ خَطِيرٌ
مَكَارِمُهُ لَمْ تَبْقَ فَقْرًا وَرَأْيُهُ إِلَى بَعْضِهِ أَغْنَى المُلُوكَ فَقِيرٌ
كَفَفَتْهُ سَطَاهُ أَنْ يُجَهِّزَ عَسْكَرًا وَأَرَاؤُهُ أَنْ يُسْتَشَارَ وَزِيرٌ
فِواطِنَ أَطرافِ البَسِيطَةِ ذِكْرُهُ وَصَيَّنَتْ حُصُونٌ بِاسْمِهِ وَتُغَوَّرُ
مُحْيَاهُ طَلَقَ بِاسْمِ رَوْضٍ كَفَّهُ أَرِيضٌ وَماءِ البَشْرِ مِنْهُ نَمِيرٌ^(٢)
حَكَّى البَحْرَ وَصَفًا مِنْ طَهارةِ كَفِّهِ فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَجْلِ ذاكَ طَهُورٌ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَيْمِيَاهُ سَعادَةٍ وَوَصَفَى لَتلكَ الكِيمياءِ شُدُورٌ
بِها قَامَ شِعْرِي لِلْإِخْلاصِ^(٣) فَمَا أَرَى لِشِعْرِي امْتِحانَ الناقِذِينَ نَصِيرٌ^(٤)
وَرُبَّ أَدِيبٍ ذِي لِسَانٍ كَمَبْرَدٍ^(٥) بَدَا مِنْ فَمٍ كَالْكَبِيرِ أَوْ هُوَ كَبِيرٌ
أَرَادَ امْتِحانًا لِي فَزَيَّفَ لَفْظُهُ نَتانٌ^(٦) بَدَا مِنْ نَظْمٍ وَخَرِيرٌ^(٧)
إِذا ما رَأَيْتَنِي عافِي وَاسْتَقْلَيْتَنِي كَأَنِّي فِي قَعْرِ الزُّجاجةِ سُورٌ^(٨)
وَيُعْجِبُهُ أُنَى نَحِيفٌ وَأَنَّهُ سَمِينٌ يَسُرُّ النَّاظِرِينَ طَرِيرٌ^(٩)

- (١) تَعَدَّاهَا هَيْئَةً .
(٢) النَمِيرُ : النَّاجِعُ مِنَ المَاءِ ، عَذْبًا كان ، أَوْ غَيْرِ عَذْبٍ .
(٣) د : لا إِخْلاصَ .
(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ .
(٥) د : مَكْرَر . (٦) ثَنانٌ كَمَكْرَمٍ وَضَرْبُ ثَنانَةٍ وَأَثَنانٌ فَهُوَ ثَنانٌ . وَلَمْ نَجِدِ الثَّنانَ بِغَيْرِ هاءٍ . وَهِيَ عَامِيَةٌ .
(٧) الْخَرِيرُ : صَوْتُ المَاءِ وَالرَّيْحِ . (٨) سُورٌ أَصْلُهَا سُورٌ ، وَهُوَ ما يَبْقَى مِنَ الشَّارِبِ فِي الإِناءِ .
(٩) الطَّرِيرُ : ذُو المَنْظَرِ الحَسَنِ .

وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الدَّرَّ بَصْعُرُ جِرْمِهِ وَمَقْدَارُهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ خَطِيرُ
فَقَامَ بِنَصْرِي دُونَهُ ذُو نَبَاهَةٍ حَلِيمٌ إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ وَقُورُ
وَلَا جَوْرَ فِي أَحْكَامِهِ غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى الْخَائِنِينَ الْجَائِرِينَ يَجُورُ
فَلَا تَنْظُرِ الْعَمَالُ لِلْمَالِ إِنَّهُ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ غَيُورُ
وَأَنَّ عَذَابَ الْمُجْرِمِينَ بَعْدَلِهِ طَوِيلٌ وَعُمَرُ الْخَائِنِينَ قَصِيرُ
لَهُ قَلَمٌ بِالْبَأْسِ يَجْرِي وَبِالنَّدَى فِي جَانِبَيْهِ جَنَّةٌ وَسَمِيرُ
تُحَلِّي الطُّرُوسَ الْعَاطِلَاتِ سَطُورُهَا كَمَا تَتَحَلَّى بِالْعُقُودِ نُحُورُ
أَجَلِّي لِحَاطِي فِي خَمَائِلِ حُسْنِهِ فَمِنْ حَيْرَةٍ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَحُورُ
عَلَا بَعْضُهُ فِي الْقَدْرِ بَعْضًا كَمَا عَلَا مَعَ الْحَسَنِ زَهْرٌ فِي الرِّيَاضِ نَضِيرُ
حَكَى حَسَنَاتٍ فِي صَحَائِفِ مُؤْمِنٍ يُسَرُّ كِبِيرِيٌّ بِهَا وَصَغِيرُ
فَكَانَتْ شُكُوكًا مِنْهُ زَانَتْ حُرُوفُهُ حَسَابًا قَلَّتْ ^(١) مِنْهُ الصَّحَاحُ كُسُورُ
فَقَلْتُ وَقَدَرَا عَتَى بِفَصْلِ خِطَابِهِ وَرَاقَتْ عِيُونَ النَّاطِرِينَ سُطُورُ
إِنَّ جَاءَهُمْ كَالْعَيْثِ مِنْهُ مُبَشِّرًا لَقَدْ جَاءَهُمْ كَالْمَوْتِ مِنْهُ نَذِيرُ
فَوَيْلٌ لِلْعَوْمِ مِنْ يَرَاجِ كَأَنَّهُ خِلَالُ ^(٢) يَرُوعُ الْأُسْدُ مِنْهُ صَرِيرُ
وَلَمْ لَا وَآسَادُ الْعَرِينِ لِذَاتِهِ ^(٣) يَكُونُ لَهُ مِثْلُ الْأَسَدِ زَنْبِيرُ
يَغُضُّ لَدَيْهِ مُقْلَتَيْهِ ابْنُ مُقْلَةٍ كَمَا غَضَّ مَنْ فِي مُقْلَتَيْهِ بُشُورُ
وَأَنَّى لَهُ لَوْ نَالَهُ مِنْ تَرَابِهِ لَيْسَ كَحَلِّ مِنْهُ مُقْلَتَيْهِ ذَرُورُ

(١) قلت: أبغضت . (٢) الخلال جمع خلة بكسر الخاء، وهي جفن السيف، والمقصود بها هنا السيف .

(٣) الأصل : لذاته ونظن الصواب ما أثبتناه .

وَقَدْ كَفَّ عَنْ كُوفِيَّةٍ كَفَّ عَاجِزٍ وَفِيهِ نَظِيمٌ دُرُّهُ وَنَشِيرٌ
وَوَدَّ الْعَذَارَى لَوْ يُعْجَلُ نِخْلَةٌ إِلَيْهِنَّ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ مُهَوَّرٌ
رَأَى مَا يَرُوقُ الطَّرْفَ بِلَ مَا يَرُوعُهُ فَخَارَ وَذُو الْقَلْبِ الضَّعِيفِ يَخُورُ
بَنَى مَا بَنَى كِسْرَى وَعَادَ وَتَبَعُ وَلَيْسَ سِوَاءَ مُؤْمِنٍ وَكَافُرٍ
وَدَلَّ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ أُسَاسُهُ كَمَا دَلَّ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُورُ
حِجَازِيَّةُ السُّحْبِ الثَّقَالِ يَسُوقُهَا عَلَى جَبَلٍ سَوَاقًا صَبًا وَدَبُورُ
وَمِنْهَا نُجُومٌ فِي بُرُوجٍ مَجْرَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ تَبْدُو تَارَةً وَتَغُورُ
تَضِيقُ بِهَا السُّبُلُ الْفِجَاجُ فَلَا يُرَى بِهَا لِلرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ مَسِيرُ
فَكَمْ صَخْرَةٍ عَادِيَّةٍ قَذَفَتْ بِهَا إِلَيْهِ سُهُولٌ جَمَّةٌ وَوُغُورُ
وَمَنْ عُمِدَ فِي هِمَّةٍ الدَّهْرِ قُوَّةٌ ^(١) وَفِي بَاعِهِ مِنْ طُولِهِنَّ قُصُورُ
أَشَارَ لَهَا فَأَقَادَ سَهْلًا عَسِيرُهَا إِلَيْهِ وَمَا أَمَرَهُ عَلَيْهِ عَسِيرُ
أَتَتْهُ بِهَا أُنْدَى الرِّيَّاحِ وَدُونَ مَا أَتَتْهُ بِهَا أُنْدَى الرِّيَّاحِ ثَمِيرُ
وَمَا كَانَ لَوْلَا مَالُهُ مِنْ كَرَامَةٍ لِيَأْتَيْنَا بِالْمُعْجَزَاتِ أَمِيرُ
لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْوَى وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ بِحُرٍّ ^(٢) مَبَانِيهِ الثَّلَاثُ تُشِيرُ
فَمِثْدَنَةٌ فِي الْجَوِّ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى عَلَيْهَا هُدًى لِلْعَالَمِينَ وَنُورُ
وَمِنْ حَيْنًا وَجْهَتْ وَجْهَكَ نَحْوَهَا تَلَقَّتْكَ ^(٣) مِنْهَا نَضْرَةٌ وَسُرُورُ

يَمُدُّ إِلَيْهَا الْحَاسِدُ الطَّرْفَ حَسْرَةً فَيَرْجِعُ ^(١) عَنْهَا الطَّرْفُ وَهُوَ حَسِيرٌ ^(٢)
فَكَمَّ حَسَدُهَا فِي الْعُلُوِّ كَوَاكِبُ وَغَارَتْ عَلَيْهَا فِي السَّكَالِ بُدُورُ
إِذَا قَامَ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مُؤَذِّنٌ فَمَا هُوَ إِلَّا لِلنَّجْمِ سَمِيرُ
فَلِلنَّاسِ مِنْ تَذْكَارِهِ وَأَذَانِهِ فَطُورٌ عَلَى رَجْعِ الصَّدَى وَسَحُورُ
وَقُبَّةٌ مَارِسْتَانِ لَيْسَ لِعِلَّةٍ ^(٣) عَلَيْهِ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ مُرُورُ
صَحِيحُ هَوَاءٍ لِلنَّفُوسِ بِنَشْرِهِ مَعَاذُ وَلِلْعَظْمِ الرِّيمِ نُشُورُ
يَهْبُتُ فَيَهْدِي كُلَّ رُوحٍ بِجِسْمِهِ كَأَنَّ صَبَاهُ حِينَ يَنْفُخُ صُورُ ^(٤)
فَلَوْ تَعَلَّمُ الْأَجْسَامُ أَنْ تُرَابُهُ مَهَادُ حَيَاةٍ لِلْجُسُومِ وَثِيرُ
لَسَارَتْ بِمَرْضَاهَا إِلَيْهِ أَسْرَةٌ وَصَارَتْ بِمَوْتَاهَا إِلَيْهِ قُبُورُ
وَمَا عَادَ يُبْلَى بَعْدَ ذَلِكَ مَيِّتًا ضَرِيحٌ وَلَا يَشْكُو الْمَرِيضَ سَرِيرُ
بِجَنَّتِهِ وَرُزْقُ تُرَاسِلُ مَاءُهُ يَشُوقُ هَدِيبُ مِنْهُمَا وَهْدِيرُ
وَقَدْ وَصَفَتْ ^(٥) لِي النَّاسُ مِنْهَا عَجَائِبًا كَأَوْجُهُ غَيْدٍ مَا لَهْنٌ سُفُورُ
مَحَاسِنُهَا اسْتَدْعَتْ نَسِيبِي وَمَادَعَا نَسِيبِي غَزَالٌ قَبْلَ ذَاكَ غَرِيرُ ^(٦)
وَبَاتَ بِهَا قَلْبِي يُمَثِّلُ حُسْنَهَا لَعِينِي وَنَوْمِي بِالشَّهَادِ غَزِيرُ
وَلَا وَصَفَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِوَاصِفٍ وَرُودٌ عَلَى مَوْصُوفِهِ وَصُدُورُ
بَدَتْ فَهِيَ عِنْدَ الصَّالِحِيَّةِ جِلَّتُ وَفِي تِلْكَ جَنَّتَاتٍ وَتِلْكَ قُبُورُ

(٢) حَسِيرٌ : متمتع ومنقطع من طول المدى .

(١) د : فرجع .

(٤) الصور: أرواح الموتى ، قيل إنه جمع صورة .

(٣) د : بعلة .

(٦) غَرِير : ساذج ، غير مجرب .

(٥) د : وصفوا .

وَلَوْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا لَتَبَادَرَتْ
 وَمَدْرَسَةٌ وَدَّ الْخَوَرَنَقُ أَنَّهُ
 مَدِينَةُ عِلْمٍ وَالْمَدَارِسُ حَوْلَهَا
 تَبَدَّتْ فَأَخْفَى الظَّاهِرِيَّةُ نُورُهَا
 بِنَاءُ كَانَ النَّحْلَ هَنْدَسَ شَكْلَهُ
 بَنَاهَا حَكِيمٌ لَيْسَ فِي عَزَمَاتِهِ
 بَنَاهَا شَدِيدُ الْبَأْسِ أَوْحَدُ عَصْرِهِ
 فَمَا صَنَعَتْ عَادٌ مَصَانِعَ مِثْلَهُ
 ثَمَانِيَّةٌ فِي الْجَوْثِ يَحْمِلُ عَرْشَهَا
 يَرَى مَنْ يَرَاهَا أَنَّ رَافِعَ سَمَكِهَا
 وَأَنَّ مَنَارًا قَائِمًا بِإِزَائِهَا
 كَانَ مَنَارَ اسْكَنْدَرِيَّةَ عِنْدَهُ
 بَنَاهَا سَعِيدٌ فِي بَقَاعِ سَعِيدَةٍ
 إِذَا قَامَ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مُؤَذِّنٌ
 فَصَارَتْ بُيُوتُ اللَّهِ آخِرَ عُمرِهَا
 ذَكَرْنَا لَدَيْهَا قُبَّةَ النَّسْرِ مَرَّةً
 فَإِنَّ نُسَبَتَ لِلنَّسْرِ فَالطَّائِرُ الَّذِي
 وَإِلَّا فَكَمْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَالُ دُونِهَا^(١)

مِنَ الدَّرِّ وَلِدَانُ إِلَيْهِ^(١) وَحُورُ
 لَدَيْهَا حَظِيرٌ وَالسِّدْرُ غَدِيرُ
 قُرَى أَوْ نُجُومٌ بَدْرُهُنَّ مُنِيرُ
 وَلَيْسَ بِظُهُرٍ لِلنُّجُومِ ظُهُورُ
 وَلَا نَتَ لَهُ كَالشَّمْعِ مِنْهُ صُخُورُ^(٢)
 فَتُورٌ وَلَا فِيمَا بَنَاهُ فَتُورُ
 خَلَتْ حَقَبٌ مِنْ مِثْلِهِ وَعُصُورُ
 وَلَا طَاوَلَتْهُ فِي الْبِنَاءِ قُصُورُ
 وَبَعْضُ لِبَعْضٍ فِي الْبِنَاءِ ظَاهِرُ
 عَلَى فِعْلٍ مَا أَعْيَا الْمُلُوكَ قَدِيرُ
 بَنَانٌ إِلَى فَضْلِ الْأَمِيرِ تَشِيرُ
 نَوَاةٌ بَدَتْ وَالْبَابُ فِيهِ نَقِيرُ
 بِهَا سَعِدَتْ قَبْلَ الْمَدَارِسِ دُورُ
 فَمَا هُوَ إِلَّا لِلنُّجُومِ سَمِيرُ^(٣)
 قُصُورُ خَلَتْ مِنْ سَادَةٍ وَخُدُورُ
 فَمَا كَادَ نَسْرُ لِّلْحَيَاءِ يَطِيرُ
 لَهُ فِي الْبُرُوجِ الثَّابِتَاتِ وَكُورُ
 إِلَى الْأَرْضِ عِقْبَانُ هَوَاتٍ وَنُسُورُ

(١) د : لديه . هذه الأبيات ساقطة من الديوان وواردة في خطط المقرئ في عند الكلام

عن المارستان المنصوري الكبير . (٤) د : حال .

تَبَيَّنَتْ فِي^(١) مِحْرَابِهَا وَهِيَ كَالدُّمَى قُدُودَ غَوَانٍ كُلُّهُنَّ خُصُورُ
وَقَدْ حُلِيَتْ مِنْهَا صُدُورٌ بِعَسْجِدٍ وَلَقَّتْ لَهَا تَحْتَ الْحِلِيِّ شُعُورُ
بِهَا عُمْدٌ كَأَثَرِنَ أَيَّامٍ عَامِهَا وَمِنْ عَامِهَا لَمْ يَمُضْ بَعْدُ شُهُورُ
مَبَانٍ^(٢) أَبَانَتْ عَنْ كَمَالِ بِنَائِهَا وَأَعْرَبَ عَنْ وَضْعِ الْأَسَاسِ هَتُورُ
سَمَاوِيَّةٌ أَرْجَاوُهَا فَكَأَنَّهَا^(٣) عَلَيْهَا مِنَ الْوَشْيِ الْبَدِيعِ سَتُورُ
تَوَهَّمُ طَرْفِي أَنْ تَجْزِيعَ بُسْطُهَا رُقُومٌ وَتَلْوِينُ الرُّخَامِ حَرِيرُ
وَكَمْ جَاوَزَ الْإِبْدَاعُ فِي الْحُسْنِ حَدَّهُ فَأَوْهَمَنَا أَنَّ الْحَقِيقَةَ زُورُ
فَلِلَّهِ يَوْمٌ ضَمَّ فِيهِ أُمَّةٌ تَدَفَّقَ مِنْهُمْ لِلْعِلْمِ بِحُجُورُ
وَشَمْسُ الْمَعَالِي مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ عَلَى النَّاسِ مِنْ لَفْظِ السَّكَلَامِ تُدِيرُ
وَقَدْ أَعْرَبَتْ لِلنَّاسِ عَنْ^(٤) خَيْرِ مَوْلِدٍ عَرُوبٌ^(٥) بِهِ وَالْفَضْلُ^(٦) فِيهِ كَثِيرُ
فَأَكْرَمَ يَوْمٍ فِيهِ أَكْرَمُ مَوْلِدٍ لِأَكْرَمِ مَوْلُودٍ نَمَتُهُ حُجُورُ
يُطَالِعُهُ الْمُسْلِمِينَ مَسْرَّةٌ وَلَكِنْ بِهِ لِلْكَافِرِينَ ثُبُورُ^(٧)
قَرَأْنَا بِهَا الْقُرْآنَ غَيْرَ مُبَدَّلٍ فَغَارَتْ أَنْجِيلُهُ وَغَارَ زُبُورُ
وَتَنَتَّ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ رَوَاتُهَا وَكَلَّتْ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ خَبِيرُ
وَتَلَّتْ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مُوَحِّدٌ ذَكَورٌ لِنِعْمَاءِ الْإِلَهِ شَكُورُ
وَمَا تَلَّكَ لِلسُّلْطَانِ إِلَّا سَعَادَةٌ يَدُومُ لَهُ ذِكْرُهَا وَأُجُورُ
دَعَاها إِلَيْهِ وَافِرُ الرَّأْيِ وَالْحِجَا يَزِينُ الْحِجَى وَالرَّأْيُ مِنْهُ وَقُورُ

(١) ت : من . (٢) د : إبان إبينت . (٣) ت : فكأنما .

(٤) د : من . (٥) الأصل عدوية إن الفضل فلعلها عروبة أو غلوا به .

(٦) د : إن الفضل . (٧) الثبور : الهلاك .

فَهَلْ فِي مُلُوكِ الْأَرْضِ أَوْ خُلَفَائِهَا لَهُ فِي الذِّى شَادَتْ يَدَاهُ نَظِيرٌ
عَلَى أَنَّهُمْ ^(١) فِي جَنْبِ مَا شَادَ مِنْ عُلَا وَلَوْ كَانَ كَالسَّعِ الطَّبَاقِ حَصِيرٌ ^(٢)
وَقَالَ ^(٣) :

ذُو يَرَاعٍ يَرُوعُ كَالسَّيْفِ إِمَّا بِصَلِيلِ عِدَاهُ أَوْ بِصَرِيرِ
مَا رَأَى النَّاسُ قَبْلَهُ مِنْ يَرَاعٍ لَوْزِيرِ صَرِيرُهُ كَالزَّيْرِ
فَإِذَا سَطَرَ الْكِتَابَ أَرَانَا بَخْرَ فَضْلِ أُمُوجِهِ مِنْ سُطُورِ
وَإِذَا اسْتَخْرَجَهُ يَسْتَخْرِجُ الدَّرَّ نَفِيسًا مِنْ بَخْرِهِ الْمَسْجُورِ ^(٤)
نَظَرْتُ مُقَلَّتِي إِلَيْهِ كَأَنِّي نَاطِرٌ فِي بَدِيعِ زَهْرٍ نَضِيرِ
ثُمَّ شَرَفْتُ مِسْمَعِي بِتَوَامٍ ^(٥) وَفَرَادَى مِنْ دُرِّهِ الْمَنُورِ
لَا نَطَاوِلُهُ فِي الْفَخَارِ فَمَا غَا دَرَّ فِي الْفَخْرِ مُرْتَقَى لَفْخُورِ
ذِكْرُهُ لَذَّةُ الْمَسَامِعِ فَاسْتَمْتَعْتُ بِهِ مِنْ لِسَانِ كُلِّ ذَكُورِ
ثُمَّ مَعْنَى وَصُورَةٍ فَهُوَ فِي الْحَا ^(٦) لَبِنِ مِلْهُ الْعُيُونِ مِلْهُ الصُّدُورِ
زُرْتُ أَبْوَابَهُ الَّتِي أَسْعَدَ اللَّهُ بِهَا كُلَّ زَائِرٍ وَمَزُورِ

(١) د : أنه . (٢) حصير : بخيل .

(٣) عبارة « وقال » ساقطة من النسخة التيمورية . وقد ترتب على سقوطها أن امتزجت هذه القصيدة بالتي قبلها . وقد علق ناسخ المخطوطة التيمورية على ذلك بقوله « الظاهر أن هذه الأبيات من قصيدة أخرى غير التي قبلها . فإن هذه من الضرب الأول من بحر الحقيف وتلك من الضرب الثالث من بحر الطويل . وحرف الروى في تلك مضموم وفي هذه الأبيات مكسور . وقد وجدت النسخة الأصلية كذلك فتبعتها والله أعلم . والنسخة المنقول عنها خلطت الثانية مع الأولى وجعلها قصيدة واحدة . وهذا خلاف الصواب . ولذا فصلتها عن التي قبلها » .

(٤) المسجور : الزاخر . (٥) التوام : كل اثنين ولدا في بطن واحد . (٦) د : للحالين .

كُلُّ مَنْ زَارَهَا يَعُودُ كَمَا عُدْتُ بِفَضْلِ مِنْهَا وَأُجْرٍ كَثِيرٍ
وَكَفَانِي سَعْيِي إِلَيْهَا لِأَهْدِي مِنْهُ بِالرُّشْدِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ^(١)
إِنَّ مَنْ دَبَّرَ الْمَالِكَ لَا يَنْزُبُ عَنْ حُسْنِ رَأْيِهِ تَدْبِيرِي
كَانَ رِزْقِي مِنْ جَدِّهِ وَأَبِيهِ أَيْ رِزْقِي مُبْتَسِرٍ مَوْفُورٍ
وَإِذَا كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ عَلَى الْوَالِدِ رِثَ إِمْنِي عَبْدٌ لِعَبْدٍ^(٢) الشَّكُورِ
فَارِسِ الْخَيْلِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ الْحَبِيرِ الْمَعَامِ الْخَلَّاحِلِ^(٣) النَّحْرِيرِ
لَمْ يَزَلْ مِنْ عُلُومِهِ وَتَقَاهُ بَيْنَ تَاجٍ مِنْ سُودُدٍ وَسَرِيرِ
أَبَدًا بِالصَّوَابِ^(٤) يَنْظُرُ فِي الْمُلْكِ وَفِي بَيْتِ مَالِهِ الْمَعْمُورِ
فَقَدَا الْجُنْدُ وَالرَّعِيَّةُ وَالْمَالُ لُبْخِيرٍ مِنْ سَعْيِهِ الْمَشْكُورِ
فَأَقْلُ الْأَجْنَادِ فِي مِصْرَ يَزْرِي مِنْ بِلَادِ الْعِدَا بِأَوْفَى أَمِيرِ
قُلُوبٍ مِنْ خَابَ قَصْدُهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْ مَأْمُورِ
يَمُومُ الصَّاحِبِ الَّذِي يُتَرَجَّى^(٥) فَتَحُ ثَغَرٍ^(٦) بِهِ وَسَدُّ ثَغُورِ
وَبَعِيدُ الْأُمُورِ مِثْلُ قَرِيبٍ عِنْدَهُ وَالْعَسِيرُ مِثْلُ يَسِيرِ
أَمَّا مِمَّا لَقِيتُ مِنْ غَيْبَتِي عَنْهُ وَمِنْ نِسْبَتِي^(٧) إِلَى التَّقْصِيرِ
كَثُرَ الشَّاهِدُونَ لِي أَنَّنِي مُتُّ وَفِي الْبُعْدِ عَنْهُ قَلَّ عَذِيرِي
مَنْ لَشَيْخِ ذِي عِلَّةٍ وَعِيَالٍ ثَقَلَتْ ظَهْرَهُ بِغَيْرِ ظَهِيرِ^(٨)
أَثَقَلُوهُ وَكَلَّفُوهُ مَسِيرًا^(٩) وَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ سَيْرُ ثَبِيرِ^(١٠)

(١) ت : آموري . (٢) د : إني لعبد شكور ، ت : إني عبد الشكور . وقد كتب تيمور باشا

أمام هذا الشطر في نسخهته ما نصه « ولعل الصواب إني عبد لعبد الشكور » وقد استصوبت هذا فأثبتته .

(٣) الخلاجل : السيد الركين . والنحرير : العالم المتقن . (٤) د : في الصواب .

(٥) د : يزجي . (٦) د : ثغور . (٧) د : ينسبني . (٨) الظهير : المعين .

(٩) د : سيرا . (١٠) ت : يسير .

فَهُوَ فِي قَيْدِهِمْ يُدَادُ مِنَ السَّعْيِ لِتَحْصِيلِ قُوَّتِهِمْ كَالْأَسِيرِ
وَعَتَّتْ أُمَّهُمْ عَلَى وَبَلَّتْ فِي عَتُوٍّ مِنْ كِبَرَتِي وَنُفُورِ
وَدَعَتْ دُونَهُمْ هُنَالِكَ بِالْوَيْلِ لِأَمْرِ فِي نَفْسِهَا وَالثُّبُورِ
حَسِبْتُ عَلَيَّ تَزُولُ فَقَالَتْ يَا كَثِيرَ التَّهَوُّينِ وَالتَّهَوُّيرِ^(١)
كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَوَاءٌ فَعَجَّلْ بِدَوَائِي دَاءَ غُضُوِّ خَطِيرِ
قُلْتُ مَهْلًا فَمَا يَمْلِحُ السَّقَنُوقُ رِ أَدَاوِي وَلَا يَلْخَمُ الذُّرُورِ
سَقَطَتْ قُوَّةُ الْمَرِيضِ الَّتِي كَانَتْ قَدِيمًا تُرَادُّ بِالْكَافُورِ
وَعَصَانِي نَظْمُ الْقَرِيضِ الَّذِي جَرَّ ذُبُولًا عَلَى قَرِيضِ جَرِيرِ
وَأَزْدَرَّتَنِي^(٢) بَعْضُ^(٣) الْوَلَادَةِ وَقَدْ أَضْبَحَ شِعْرِي فِيهِمْ كَخُبْرِ الشَّعِيرِ
وَعَسَلْتُ الَّذِي جَمَعْتُ مِنَ الشَّعْرِ بِقَيْضٍ^(٤) عَلَيْهِ غِسْلٌ صُخُورِ
وَنَهَيْتَنِي عَنِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ شِدَّةُ الْبَأْسِ مِنْ سَعَا فِي مَسِيرِ
وَهَجَرْتُ الْكِرَامَ حَتَّى شَكَانِي مِنْهُمْ كُلُّ عَاشِقٍ مَهْجُورِ
وَكَرْغِبِ الْقَطَا وَرَأَيْ فِرَاحٍ مِنْ إِنْثٍ أَعُولُهُمْ وَذُكُورِ^(٥)
يَتَعَاوَنُونَ كَالذَّنَابِ وَيَنْقَضُونَ مِنْ فَرَطِ جُوعِهِمْ كَالشُّورِ
وَفَتَاةٍ مَا جُهِّزَتْ بِجِهَازٍ خُطِبَتْ لِلدُّخُولِ بَعْدَ شُهُورِ
وَأَفْتَضَلْنِي الشُّوَارَ^(٦) بَغِيًّا عَلَى مَنْ بَيْتُهُ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُ^(٨) حَصِيرِ
هَذِهِ السُّورَةُ^(٩) الَّتِي أَقَعَدْتَنِي عَنْكَ آيَاتُهَا قَعُودَ حَسِيرِ

(١) التَّهَوُّيرُ : الغش . (٢) د : وازورتنى . (٣) د : لبعض . (٤) د : لغض ، ت : لغض ،
ولعل الصواب ما أثبتناه . (٥) ت ورأى . (٦) د : أو . (٧) الشوار : جهاز العروس .
(٨) د : إلا . (٩) د : الشوز ، ت : الشورة والصواب ما أثبتناه .

أَقْعَدْتَنِي بِقَرَبَةٍ أَسْلَمَتْنِي لِضِيَاعٍ مِنْ فَاقَتِي وَكُفُورِ
 كُلِّ يَوْمٍ مُنْقَصٍ بِطَعَامٍ أَوْ رَفِيقٍ مُنْقَصٍ بِشُرُورِ
 وَرِفَاقِي فِي خِدْمَةٍ طَوَّلَ عُمْرِي رِقَّتِي ^(١) فِي الْحِرَانِ مِثْلُ الْحَمِيرِ
 كُلَّمَا رُمْتُ أَنْسَهُمْ ضَرَبُوا مِنْ وَخْشَةٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي بِسُورِ
 وَأَبَوْا أَنْ يُسَاعِدُونِي عَلَى قُوَّةِ عِيَالِي بِخُلَاٍّ بِكَيْلٍ بَعِيرٍ ^(٢)
 فَسَيِّغُنِي إِلَهُهُ عَنْهُمْ بِجَدْوَى خَيْرِ مَوَالِي لَنَا وَخَيْرِ نَصِيرِ
 صَاحِبٍ يَبْلُغُ الْمُؤَمَّلُ مِنْهُ كُلَّ مَارَامِهِ بِغَيْرِ سَفِيرِ
 مِنْ أَنْاسٍ سَادُوا بَنِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فِي الْوَرَى لَهُمْ مِنْ نَظِيرِ
 سَرَّتِ النَّاطِرِينَ ^(٣) مِنْهُمْ وَجُودُهُ وَصِفَتُهَا بِالْجَمَالِ وَصَفَ الْبُدُورِ
 وَرَبُّوا الْأَرْضَ مِثْلَ مَا كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الذِّكْرِ بَعْدَ الزُّبُورِ
 فَهُمْ الْقَائِمُونَ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ بِالْقِسْطِ وَالزَّمَانِ الْأَخِيرِ
 وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَالْوَارِثُونَ الْفِرْدَوْسِ وَالْمُفْلِحُونَ فِي التَّفْسِيرِ
 عَبْدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ
 وَأَحَبُّوا آلَ النَّبِيِّ فَكَانُوا مَعَهُمْ فِي مَغْيِبِهِمْ وَالْحُضُورِ
 فِي مَقَامٍ مِنَ الصَّالِحِ وَأَمْنٍ وَمَقَامٍ مِنَ النَّعِيمِ وَثِيرِ
 أَهْلُ بَيْتِ مُطَهَّرِينَ مِنَ الرَّجَسِ وَهُمْ أَغْنِيَا ^(٤) عَنِ التَّطَهِيرِ
 حُجِّبُوا بِالْأَثَافِ عَنَّا وَبِالزَّيِّ وَأَخْفَوْا جِهَالَهُمْ بِالْخُدُورِ
 لَبَسُوا الزَّيَّ بِالْقُلُوبِ وَأَغْنَوْا صِدْقَهُمْ عَنِ لِبَاسِ تَوْبَى زُورِ

(١) د : روفقة . (٢) د : بغيري . (٣) د : الناطرين .

(٤) د : أغنياء ، ت : أغنياء عن تطهير ولعل الصواب ما أثبتناه .

وَأَرَوْنَا أَهْلَ التَّقَى فِي الزَّوَايا سَلَمُوا فِي الْبَقَا لِأَهْلِ الْقُصُورِ
وَأَتَوْا كُلَّهُمْ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَأَتَى غَيْرُهُمْ بِثَوْبٍ تَقِيرِ
وَحَسَكَنَّهُمْ ذُرِّيَّةٌ كَالدَّرَارِي مِنْ بَطُونِ زَكَاةٍ وَظُهُورِ
يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ لَا لِحِزَاءٍ يَتَرَجَّوْنَهُ وَلَا لِشُكُورِ
عَلَّمَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا جَهِلْنَا وَكَفَاهُمْ شُكْرُ الْعَالِمِ الْخَلْبِيرِ
وقال (١) :

ثَنَّاؤُكَ مِنْ رَوْضِ الْخَمَائِلِ أَغْطَرَ وَوَجْهَكَ مِنْ شَمْسِ الْأَصَائِلِ أَنْوَرُ
وَسَعْيُكَ مَقْبُولٌ وَسَعْدُكَ مُقْبِلٌ وَكُلُّ مَرَامٍ رُمْتُ فَهَوَ مَنَسِيرُ
وَجَاءَكَ مَا تَخْتَارُ مِنْ كُلِّ رِفْعَةٍ كَأَنَّكَ فِي أَمْرِ الْمَعَالِي مُخَيَّرُ
وَقَدَّرَكَ أَعْلَى أَنْ تُهَيَّجَ بِمَنْصِبٍ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا أَجَلٌ وَأَكْبَرُ
فِيَالِكَ تَسْمَأُ تَمَلَأُ الْأَرْضَ رَحْمَةً وَيَمَلَأُهَا شَوْقًا لَهُ حِينَ يُذْكَرُ
لَقَدْ مُلِئْتُ حُبًّا وَرُغْبًا قُلُوبُنَا بِهِ فَهَوَ بِالْأَمْرَيْنِ فِيهَا مُصَوَّرُ
وَقَدْ أَذْعَنْتَ مِنْهُ الْجَوَارِحُ طَاعَةً لَهُ إِنْ سُلْطَانَ الْجَوَارِحِ سُنْقَرُ
يَرُوعُ الْعِدَا مِثْلَ الْبَغَايَا (٢) إِمَانَةً إِذَا رَاعَهَا مِنْ رُحَى اللَّذَنِ مَنَسِيرُ (٤)
فِيأَيُّهَا الشَّمْسُ الَّذِي فِي صِفَاتِهِ عُقُولُ الْوَرَى مِنْ دَهْشَةٍ تَتَخَيَّرُ
تَعْلَمُ مِنْكَ النَّاسُ مَا مُدِحُوا بِهِ كَأَنَّكَ فِيهِمْ لِلْفَضَائِلِ عُنْصُرُ

(١) ت : وقال ساعده الله تعالى من الطويل .

(٢) يبدو أن هذه القصيدة نظمت بعد سنة ٦٨٦ وذلك لأن الشاعر يشير فيها إلى طرد الأقباط من الوظائف الحكومية وكان ذلك سنة ٦٨٦ حيث قال :

ومذكروه السلطان خد منهم له تمني النصارى أنهم لم ينصروا

(٣) ت : فله شمس . (٣) الأصل : البغاة ، ولعلها البغايا ، وهي طلائع الجيش .

(٤) المنسر : المنقار . والمقصود به هنا ، سن الرمح .

وَأَنْتَ هَاهُمْ قَدَمْتَهُ ثَلَاثَةَ
 مِنَ التَّرْكِ فِي أَخْلَاقِهِ بَدْوِيَّةً
 وَكَمْ فِتْنَةً بَيْنَ الْعَشِيرِ ^(١) أَزَالَهَا
 فَأَتَّخِذَ مَا بَيْنَ الْخَلِيلِ بَرًّا بِي
 وَقَدْ زَبَرْتَ زَبْرًا وَقَبْضًا وَحَارِثًا
 وَقَدْ أَخْرَبْتَ مَا لَيْسَ يَغْمُرُ عَامِرُ
 وَلَوْلَاهُ لَمْ نَخْذَمِ مِنَ الْقَوْمِ فِتْنَةً
 إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْغَازَ أَمْرِهِ
 فَإِنْ قَوَّضَ السَّلْطَانُ أَمْرَ بِلَادِهِ
 وَأَمْسَرَ رَأَى حَالَ الْمَحَلَّةِ حَائِلًا
 فَقَالَ لِأَهْلِ الرَّأْيِ مَنْ يُرْتَضَى لَهَا
 فَمَا غَيْرُ شَمْسِ الدِّينِ يَحْمِي دِيَارَهَا
 خَيْرٌ بِأَحْوَالِ الْأَنَامِ كَأَنَّهُ
 وَلَا يَسْتَرُ مَا بَيْنَ الرَّعَايَا وَبَيْنَهُ
 فَلَمَّا رَأَتْ أَهْلُ الْمَحَلَّةِ قَدْرَهُ
 تَنَاجَوْا وَقَالُوا : قَامَ فِينَا خَلِيفَةٌ
 هَامُوا لَهُ فَهَوَّ الرَّشِيدُ بَرًّا بِي
 فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا رَسُولُ سَيَادَةِ
 فَقُلْ لِلرَّعَايَا لَا تَخَافُوا ظُلَامَةً
 لَهَا الْمُتَنَهَّى قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَمَنْظَرٌ
 لَهَا يَغْتَزِي زَيْدٌ وَعَمْرُو وَعَنْتَرُ
 وَكَانَ بِهَا لِلنَّاسِ بَعْثٌ وَمُخْشَرُ
 وَنَابُلَسُ النَّارِ الَّتِي تَنْسَعُرُ
 كِنَانَةٌ مِثْلُ الْكَرَمِ إِبَانٌ يُزْبَرُ ^(٢)
 وَقَدْ قَتَلْتَ مَا لَيْسَ يَقْبَرُ مَقْبَرُ
 وَلَمْ يَنْعَقِدْ فِيهَا عَلَى الصَّلْحِ مَشُورُ ^(٣)
 يُنْطَقُ ذَا رَأْيٍ بِهِ وَيُبْصَرُ
 إِلَيْهِ فَمَا خَلَقَ بِهِ مِنْهُ أَجْدَرُ
 وَأَعْمَالَهَا وَالْجَوَرُ يَنْهَى وَيَأْمُرُ
 فَقَالُوا لَهُ اللَّيْثُ الْهَمَامُ الْغَضْبَفَرُ
 سَطَاهُ كَمَا يَحْمِي الْعَرِينَةَ قَسُورُ
 بِمَا فِي نَفُوسِ الْعَالَمِينَ يُخْبِرُ
 وَلَكِنَّهُ حِلْمًا عَلَى النَّاسِ يَسْتَرُ
 يُعَزِّزُ مَا بَيْنَ الْوَرَى وَيُوقِرُ
 وَلَكِنْ لَهُ مِنْ صَبَوَةِ الظَّرْفِ مَنَبَرُ
 وَبَيْنَ يَدَيْهِ جُودٌ كَفِيٍّ جَعْفَرُ
 وَصَارِمُهُ لِلنَّاسِ هَادٍ وَمُنْذِرُ
 وَلَا تَحْزَنُوا مِنْ حُكْمِ جَوْرِ وَأَبْشِرُوا

(١) العشير : قوم من العرب ، كانوا يعيشون في فلسطين في ذلك الوقت .

(٢) ورد هذا البيت في الأصل هكذا وفيه تمحوض . (٣) المشور : مجلس التشاور .

فَقَدْ جَاءَكُمْ وَالِ بُرُوقُ سُيُوفِهِ إِذَا لَمَعَتْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ مُنْكَرٌ
فَتَى حَسَنْتَ أَخْبَارُهُ وَاخْتِيَارُهُ وَطَابَ ^(١) مَغِيبُ مَنْ عُلَاهُ وَخَضِرُ
عَجِبْتُ لَهُ يُرْضِي الرِّعَايَا انِّضَاعُهُ وَيَغْضُمُ مَا بَيْنَ الرِّعَايَا وَيَكْبُرُ
وَيَرْمِي الْعِدَامِينَ كَفَّهُ بِصَوَاعِقٍ وَأَنْمُلُهَا ^(٢) أَنْهَارُ جُودِهِ تَحَدَّرُ
وَيَجْمَعُ سِرَّ الْمَاءِ وَالنَّارِ سَيْفُهُ وَفِي الْعُودِ سِرُّ النَّارِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ
وَيُجْرِي عَلَى وَفْقِ الْمَرَادِ أُمُورُهُ فَيَسْطُ فِيهَا مَا يَشَاءُ وَيَقْدُرُ
وَتَنْفَعِلُ الْأَشْيَاءُ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ لَهُ وَقَدْ اعْتَصَصَتْ ^(٣) عَلَى مَنْ يُفَكِّرُ
وَيَسْتَغْطِمُ الظُّلَمَ الْخَفِيرَ فَلَوْ بَدَأَ كَيْثُ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ فَاسِدٍ ^(٤)
وَمَهَّدَهُ لِلْسَّالِكِينَ ^(٥) مِنَ الْأَذَى فَشَرَّقَ وَغَرَّبَ فِي الْبِلَادِ فَكَمْ لَهُ
وَمَا كُلُّ وَالٍ مِثْلُهُ فِيهِ يَقْظَةٌ أَنْامَ الرِّعَايَا فِي أَمَانٍ وَطَرَفُهُ
فَلَا الْخَوْفُ مِنْ خَوْفٍ أَلَمْ بَارِضِهِ أُنَى النَّاسِ مِثْلَ الْفَيْثِ فِي أَرْضِ جُودِهِ
وَكَانَتْ وُلَاةُ الْحَرْبِ فِيهَا كَمَا صَفِىَ وَكُلُّ أَمْرٍ وَلَيْتُهُ فِي رَعِيَّةٍ
فَمَنْ حَسَنْتَ آثَارُهُ فَهُوَ مُقْبِلٌ لِمَا فِيهِ إِصْلَاحُ الرِّعِيَّةِ يَسْهَرُ
وَلَا الشَّرُّ فِيهَا بِالْخَوَاطِرِ يَخْطُرُ يَرْوِضُ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَيُزْهِرُ
مِنْ الرَّجْحِ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ تُدْمَرُ بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ يُؤَثَّرُ
وَمَنْ قَبِضَتْ آثَارُهُ فَهُوَ مُدْبِرٌ

(١) د : طابت .

(٢) الأنملة : أطراف الأصابع .

(٣) د : اعتصمت : صعبت .

(٤) ت : مفسد .

(٥) د : للساكنين .

وَكَمْ سَعِدَتْ بِالطَّالِعِ السَّعْدِ أُمَّةٌ
فَمَا بَلَغَ الْفُصَادُ غَايَةَ سُوءِهِمْ
وَمَنْ حَقَّهُ مِنْ حُسْنِ مَدْحِي وَإِفْرِ
أَمْوَالِي عَذْرَاءٍ فِي الْقَرِيضِ وَكُلُّ مَنْ
لَكَ الْهَيْمُ الْغُلْيَا وَكُلُّ مُحَاوِلٍ
تَبَاثَرَتْ الْأَعْمَالُ لَمَّا رَأَيْتَهَا
عَذَرْتُ الْوَرَى لَمَّا رَأَوْكَ فَهَلَّلُوا
دَعْوَكَ^(١) بِهَا كَسَرَى وَكَمْ لَكَ نَائِبٌ
عَمَرَتْ بِهَا مَالِيسٌ يَخْرَبُ بَعْدَهَا
تَفَاءَلْتُ لَمَّا قِيلَ أَقْبَلَ مِنْ سَخَا
فِيَمَّتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقُدُومِهِ
وَحَقَّقَ طَرْفِي أَنَّ مَرَاكَ جَنَّةٌ
وَلَوْلَمْ تَكُنْ شِمْسًا لَمَاسَرَتْ فِي الضُّحَى
وَأَقْبَلَتْ تُخَيِّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدَمَوْتِهَا
فَأَخْرَجَتْ مَرَعَاهَا وَأَجْرَيْتَ مَاءَهَا
وَلَوْلَاكَ مَارَعَاتُ بُحُورًا تَرَاغُمَا
فَهَا هِيَ تَخْشِي جَنَّةَ الْخُلْدِ نَزْهَةً

وَكَمْ شَقِيَّتْ بِالطَّالِعِ النَّحْسِ مَعْشَرُ
لَقَدْ خَابَ مَنْ يَرْجُو سِوَاهُ وَيَحْذَرُ
وَحَقَّقَى مِنْ إِحْسَانِهِ بَنِي أَوْفَرِ
شَكَا الْعَجْزَ عَنْ إِدْرَاكِ وَصْفِكَ يُعْذَرُ
مَدَاهَا وَكَمْ بِالْمَدْحِ مِنْ مَقْصَرٍ
يَمْرَأَكَ وَالْوَجْهَ الْجَمِيلُ مُبَشِّرُ
لِطَلْعِ شَمْسِ الْفَضْلِ مِنْكَ وَكَبَّرُوا
يُقِرُّ لَهُ فِي الْعَدْلِ كَسَرَى وَقَيْصَرُ
وَقَدْ أَخْرَبَ الْمَاضُونَ مَالِيسَ يَعْمُرُ
وَكُلُّ أَمْرٍ غَادٍ لِمَلَقَاهُ مُبَكِّرُ
وَطَائُرُ حَظِّي مِنْهُ بِالسَّعْدِ يُزْجَرُ^(٢)
وَبِشْرُكَ رِضْوَانٍ وَكَفْكَ كَوْنُ
تَسْرُّ عِيُونَ النَّاطِرِينَ وَتَبَهَّرُ
وَفِي الْجُودِ مَا يُخَيِّ الْمَوَاتِ وَيَنْشُرُ
غَدَاةَ بَحَارِ الْأَرْضِ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
وَلَا كَانَ مِنْ جِسْرِ عَلَى الْمَاءِ يُجَسِّرُ
وَمِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارُهَا تَنْفَجِّرُ

(١) د ، ت : دعوت . وقد صححها تيمور باشا ، فجعلها دعوك .

(٢) يزجر : يطير من على شجره ، ليتفاد به .

وَأَعْطَيْتَ سُلْطَانًا عَلَى الْمَاءِ عَالِيًا
فَخَذَ آتِيَّ مُوسَى وَعِيسَى بِقُوَّةٍ
فِيَا صَالِحًا فِي قِسْمَةِ الْمَاءِ بَيْنَهُمْ
فَفِي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِكَ الْمَاءُ رَاكِدٌ
فَهَذَا لَهُ وَقْتُ وَحْدَةٍ مُعَيَّنٌ
هَيْنًا لِلْإِبْنِ طَيْرٌ أَنْكَ زُرْتَهَا
دَعَتْ لَكَ سُكَّانُهَا وَمَسَاكِنُ
وَصَلُّوا بِهَا لِلَّهِ شُكْرًا وَصَدَقُوا
فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بِالْعَدْلِ مُخَصَّبٌ
أَتَيْتُكَ بِالذَّحْرِ الَّذِي جَاءَ مُظْهِرًا
فَخَذَهُ ثَنَاءً يُخْجِلُ الزَّهَرَ نَظْمُهُ
مِنْ الرَّأْيِ أَنْ يَهْدَى لِمِثْلِكَ مِثْلُهُ
فَتَنَيْتُ بِشِعْرِي وَهُوَ كَالسَّخْرِ فَتَنَةٌ
وَمَالِي أَزَكَّى النَّفْسَ فِيمَا أَقُولُهُ
وَهَا ^(٢) إِنْ شَمَسَ الدِّينَ لِلْفَضْلِ بَاهِرٌ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ^(٣) إِنْ صَفَوْا مَوَدَّتِي
وَإِنْ أَظْهَرَ الْأَصْحَابُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ
وَإِنْ غُرِسَتْ فِي أَرْضٍ قَلْبِي مَحَبَّةٌ

بِهِ يَزْخَرُ الْبَحْرُ الْخِصْمَ وَيُسْجَرُ
وَكُلُّ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ تَحْسَرُوا
وَلَا نَاقَةَ فِي أَرْضِهِمْ لَكَ تُعْفَرُ
وَفِي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِهِ يَتَحَدَّرُ
وَهَذَا لَهُ حَدٌّ وَوَقْتُ مُقَدَّرُ
وَشَرَّفَهَا مِنْ وَقْعِ خَيْلِكَ عَنَبَرُ
وَلَمْ يَدْعُ إِلَّا ^(١) عَامِرٌ وَمُعَمَّرُ
وَحَقٌّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُصَلُّوا وَيَنْحَرُوا
وَبِالْحَمْدِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ مُعْطَرُ
إِلَى النَّاسِ مِنْ حُبِّكَ مَا أَنَا مُضْمِرُ
وَهَلْ تَنْظُمُ الْأَزْهَارُ نَظْمِي وَتُنْثَرُ
جَهْلَتُ وَهَلْ يَهْدِي إِلَى الْبَحْرِ جَوْهَرُ
وَقُلْتُ كَذَا كَانَ أَمْرُ الْقَيْسِ بِشِعْرُ
وَأَتَّبَعُهَا فِيمَا يُذَمُّ وَيُشْكَرُ
وَلَيْسَ بِخَافٍ عَنْهُ لِلْفَضْلِ مَخْبَرُ
عَلَى كَدَرِ الْأَيَّامِ لَا تَتَكَدَّرُ
فَإِنِّي بِمَا عِنْدِي مِنَ الْوَدِّ مُظْهِرُ
فَلَيْسَ بِبُغْضٍ آخِرَ الدَّهْرِ تَنْمِرُ

وَيَمْلِكُنِي خُلُقٌ عَلَى السُّخْطِ وَالرَّضَا جَمِيلٌ كَمِثْلِ الْبُرْدِ يُطَوَّى وَيُنْشَرُ
وَقَلْبٌ كَمِثْلِ الْبَحْرِ يَفْلُو عُبابُهُ وَيَزْخَرُ مِنْ غَيْظٍ وَلَا يَتَغَيَّرُ
إِذَا سُئِلَ الْإِبْرِيذُ^(١) جَاشَ لُعَابُهُ^(٢) وَيَصْفُو بِمَا يَطْفُو عَلَيْهِ وَيَظْهَرُ
وَمَا خُلِقِي مَدْحُ^(٣) اللَّيِّمِ وَإِنْ عَلَتْ بِهِ رُتَبٌ لَا أَنْتِي مُتَكَبِّرُ
وَلَا أَبْتَغِي الدُّنْيَا وَلَا عَرَضًا بِهَا بِمَدْحِي فَإِنِّي بِالْقَنَاعَةِ مُكْبِرُ
لِيَعْلَمَ أَغْنَى الْعَالَمِينَ بِأَنَّهُ إِلَى كَلِمِي مَنَى لِدُنْيَاهُ أَفْقَرُ
وَأَبْسُطُ وَجْهِي حِينَ يَقْطُبُ^(٤) وَجْهَهُ فَيَحْسَبُ أَنِي مُوسِرٌ وَهُوَ مُعْسِرُ
أَنْظِمُ هَذَا الدَّرَّ فِي جِيدِ جَاهِلٍ وَأُظْلِمُهُ إِنِّي إِذْنٌ لِمُبْذَرٍ
وَعِنْدِي كَلَامٌ وَاجِبٌ أَنْ أَقُولَهُ فَلَا تَسْأَمُوا بِمَا أَقُولُ وَتَسْخَرُوا
وَلَمْ تَرَني لِلْمَالِ بِالْمَدْحِ مُؤَثِّرًا وَلَكِنِّي لِلْوَدِّ بِالْمَدْحِ مُؤَثِّرُ
فِيَا مَصْدَرَ الْفَضْلِ الَّذِي الْفَضْلُ دَابُهُ فَمَا اشْتَقُّ إِلَّا مِنْهُ لِلْفَضْلِ مَصْدَرُ
بَرْتُ مِنَ الْمُسْتَخْدَمِينَ^(٥) فَخَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ أَعْدَى وَأَدْوَى وَأُنْكَرُ
هَدَرْتُهُمْ مِثْلَ الرُّمَاقِ لِكَذِبِهِمْ وَعِنْدِي أَنْ الرِّءَا بِالْكَذْبِ يُهْدَرُ^(٦)
فَلَا تُدْنِ مِنْهُمْ وَاحِدًا مِنْكَ سَاعَةً وَلَوْ فَاحَ مِنْ بُرْدَيْهِ مِسْكٌ وَعَنْبَرُ
وَقَدْ قِيلَ كُتَّابُ النَّصَارَى مَنَاسِرُ فَمَا مِثْلُ كُتَّابِ الْمَحَلَّةِ مَنَسَرُ^(٧)
فَبَرَّدُ فَوَادِي بَاتِقَامِكَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَادَ قَلْبِي مِنْهُمْ يُتَفَطَّرُ^(٨)
مَنْعَتْ بِهِمْ حَظِّي شُهْرًا وَلَمْ أَصِلْ إِلَى حَظِّهِمْ حَتَّى مَضَتْ لِي أَشْهُرُ
وَحَسْبُكَ أَنِي مِنْهُمْ مُتَصَوِّرُ وَكُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ كَذَا يَتَصَوَّرُ

(١) ت : الأبرين . (٢) د : لغامه ، ت : نعامه ؛ والصواب ما أثبتناه .

(٣) ت : مدحى . (٤) ت : يقبض . (٥) ت : أدبت للمستخدمين .

(٦) هدرتهم . يقال هدرت دمه وأهدرته أى أبجته .

(٧) المنسرفى لغة المصريين : العصابة من الصوص . (٨) يتفطر : يتشقق .

فَوَاعَجَبَا مِنْ وَاقِفٍ مِنْهُمْ عَلَى
 يَقُولُونَ لَوْ شَاءَ الْأَمِيرُ أَزَالَهُمْ
 فَقَدَّ قَهَرَ السُّلْطَانُ كُلَّ مُعَانِدٍ
 وَمَا^(١) فِيهِمْ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ
 إِنْ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ كَانَ أَقْلَهُمْ
 كَأَنَّهُمْ الْبُرْغوثُ ضَعْفًا وَجُرْأَةً
 رِيَاسَتُهُمْ أَنْ يُضَفِّقُوا وَيَجْرَسُوا
 وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الصَّرْفِ صَابِرٌ
 وَمَذْكِرَةُ السُّلْطَانِ خِدْمَتُهُمْ لَهُ
 إِذَا كَانَ سُلْطَانُ الْبَسِيطَةِ مِنْهُمْ
 وَبِالرَّغْمِ^(٢) مِنْهُمْ أَنْ يَرَوَالِكَ كَاتِبًا
 وَيُعْجِبُهُمْ مَنْ جَدَّ جَدِيدُهُ بَطْرُسُ
 بِأَنَّ النَّصَارَى يَرْغَبُونَ لِبَعْضِهِمْ
 عَدَاوَتُهُمْ لِلْعَلَّكَ مَا لَيْسَ تَنْقُضِي
 وَمِنْهُمْ أَنَسٌ يُظْهِرُونَ مَوَدَّتِي
 وَكَمْ عَمَّرَ الْوَالِي بِلَادًا وَأَخْرَبُوا
 وَقَالُوا بِأَيَّامِي مَسَاقٌ مُحَرَّرٌ
 وَكَمْ زُورٍ^(٣) قَوْلٍ قُلْتُ أَيْ^(٤) حُجَّةٌ
 شَفَا جُرْفٍ هَارٍ مَعِيَ يَتَهَوَّرُ^(٥)
 قُلْتُ زَوَالُ الْقَوْمِ لَا يَتَصَوَّرُ
 وَمَا أَحَدٌ لِلْقَبِيطِ^(٦) فِي الْأَرْضِ يَقْهَرُ
 أَخُو قَلَمٍ إِلَّا يَحُونُ وَيَغْدِرُ
 عَلَى كُلِّ سُوءٍ يُعْجِزُ النَّاسَ أَقْدَرُ
 وَإِنْ يَشْبَعُ الْبُرْغوثُ لَوْلَا يَعْدُرُ
 وَدِينُهُمْ أَنْ يَصْلُبُوا وَيُسْمَرُوا
 وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الذِّلِّ أَصْبَرُ
 تَمَنَّى النَّصَارَى أَنَّهُمْ لَمْ يُنْصَرُوا
 يَغَارُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَاللَّهُ أَغْيَرُ
 وَمَا أَحَدٌ فِي فَنَاءِ مِنْهُ أَمَّهَرُ
 وَيَحْزَنُهُمْ مَنْ جَدَّ جَدِيدُهُ جَعْدَرُ
 وَمِنْ غَيْرِهِمْ كُلُّ رِاعٍ وَيُدْعَرُ^(٧)
 وَذَنْبُ أَخِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ يُغْفَرُ
 وَبَعْضُهُمْ لِي مِنْ قِفَا نَبِكَ أَشْهَرُ
 وَكَمْ آتَسَ الْوَالِي قُلُوبًا وَنَفَرُوا
 وَلَيْسَ لَهُمْ فَلْسٌ مَسَاقٌ مُحَرَّرُ
 وَكَمْ حُجَجٍ لِلْخَائِنِينَ تَزُورُ

(١) شفا : حافة . هار : متصدع ويتهور : يهديم .

(٢) د ، ت : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .

(٣) د ، ت : هذا البيت ساقط من د .

(٤) د : وكَمْ زور واق .

(٥) د : قلم الشد حجة .

(٦) د : للقطب .

(٧) د : ويرغم .

وَإِنْ تَنْصُرُونِي قُتْتُ فِيهِمْ مُجَاهِدًا فَإِنَّهُمْ لِلَّهِ أَغْصَى وَأَكْفَرُ
وَالْأَفْأَى لِلْأَمِيرِ مُذَكَّرٌ بِمَا قَعَلُوهُ وَالْأَمِيرُ مُنْظَرُ
وَكَمْ مُشْتَكٍّ مِنِّي شَكَالِي مِنْهُمْ كَمَا يَشْتَكِي فِي اللَّيْلِ أَعْمَى وَأَعْوَرُ
وَكُنْتُ وَمَالِي عِنْدَهُمْ مِنْ طِلَابَةٍ أَرْوَدُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَسْقَرُ
وَمَا ضَرَّنِي إِلَّا مَعَارِفُ مِنْهُمْ ذُنُوبُ وَدَادِي عِنْدَهُمْ لَا تُكْفَرُ
وَلَوْلَا^(١) حَيَاتِي أَنْ أَعَانِدَ مُنْسِكَأً لَخَقَى أَتَانِي الْحَقُّ وَهُوَ مُعَبَّرُ
فَإِنْ شَعَرُوا عَنْ سَاقِ ظُلْمِي فَإِنِّي لَدِمَهُمْ عَنْ سَاقِ جَدِّي^(٢) مُسَمَّرُ
وَإِنْ حَلَمُوا قَلْبِي وَسَارُوا فَنَطَقِي يُحْمَلُ فِي آثَارِهِمْ وَيُسَيَّرُ
وَإِنْ يَسْبِقُوا لِلْبَابِ^(٣) دُونِي فَإِنَّهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِالنَّاسِ أُخْرَى^(٤) وَأَجْدَرُ
فَإِنْ أَشْكُ مَا بِي لِلْأَمِيرِ فَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْهُ مَا أُسِرْتُ وَأَجْبَرُ
فَإِنْ أَشْكَتِ^(٥) الْأَيَّامُ تُلْقِي قِيَادَهَا إِلَيْهِ وَتَجْفُ مَنْ جَفَاهُ وَتَهْجُرُ
وَتُجْلِي عَلَى أَعْدَائِهِ مَا يَسُوءُهُمْ وَتُوحِي إِلَى أَسْمَاعِهِ مَا يُجَبِّرُ

[وَقَالَ يَدَاعِبُ بِهِاءَ الدِّينِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمٍ «بَنَ حَنَا»^(٦) مِنَ الْكَامِلِ :]

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ الَّذِي أَيَّامُهُ طَائِعَةٌ أَمْرَةٌ
وَمَنْ لَهُ مَنْزِلَةٌ فِي الْعُلَا تَكِلُهُ عَنْ أَوْصَافِهَا الْفِكْرَةُ
أَخْلَقَكَ الْغُرُّ دَعَتْنَا إِلَى الْإِذْلَاءِ^(٧) فِي الْقَوْلِ عَلَى غِرَّةِ
إِذْ لَمْ^(٨) تَزَلْ تَصْفَحُ عَمَّنْ جَنَى وَتُؤَثِّرُ الْعَفْوَ مَعَ الْقُدْرَةِ

(٢) د : حد .

(١) ت : وإلا .

(٥) د : شكت .

(٤) ت : أجرا .

(٣) ساقطة من ت .

(٨) د : ولم .

(٧) د : الإيلاء .

(٦) ما بين القوسين زيادة في ت .

حتى لقد يخفى على الناس ما تحب من أمر وما تكره إليك^(١) نشكو حالنا إننا أحدث^(٢) المولى الحديث الذي جرى عليهم بالخييط والإبره صاموا مع الناس ولكنهم إن شربوا فالبيز زير لهم إن شربوا فالبيز مسلوقة أقول مهما اجتمعوا حولها وأقبل العيد^(٣) وما عندهم فازحهم إن أبصر^(٤) كفكة تشخص أبصارهم نحوها فكم أقامى منهم لوعة كم قائل يا أبتا منهم ما صرت تأتينا بفلس ولا وأنت في خدمة قوم فهل

تكره عائلته في غاية الكثرة جري عليهم بالخييط والإبره كانوا لمن يبصرهم عبره ما برحت والشربة الجرة في كل يوم تشبه النشرة تنزهوا في الماء والخضرة قمح ولا خبز ولا فطره في يد طفل أو رأوا تمره بشقة^(٥) تنبهم زفره وك أمامى منهم حسره قطعت عنا الخبز^(٦) في كرهه بدرهم ورق ولا نقره^(٧) تخدمهم يا أبتا^(٨) سخره

(١) هذا الشطر ورد في فوات الوفيات هكذا « في قلة نحن ولكن لنا » .

(٢) هذا البيت ورد في د ، هـ هكذا :

أحدث المولى حديثا جرى لي معهم بالخييط والإبره

وفى ت : لهم فدا . وما أثبتناه هو رواية فوات الوفيات .

(٣) د ، ت : ولا ، وهذه رواية فوات الوفيات . (٤) فوات الوفيات : عاينوا .

(٥) د ، ت : شدة . وهذه رواية فوات الوفيات . (٦) فوات : الخير .

(٧) النقرة : سبيكة من الذهب أو الفضة والورق : الدراهم المضروبة . (٨) فوات : يا أبتى .

يَجْرَى ^(١) لَنَا أَجْرٌ وَلَا أُجْرَهُ
 [لَقَدْ تَعَجَّبْتُ لَهَا فِطْنَةً أَتَى بِهَا الطِّفْلُ بِلَا جَرِّهِ] ^(٢)
 وَكَيْفَ يَخْلُو الطِّفْلُ مِنْ فِطْنَةٍ وَكُلُّ مُوَلَّدٍ عَلَى الْفِطْرِ
 وَيَوْمَ زَارَتْ أُمَّهُمْ ^(٣) أُخْتَهَا وَالْأُخْتُ فِي الْعَيْرَةِ كَالضَّرَةِ
 وَأَقْبَلَتْ تَشْكُو لَهَا حَالَهَا وَصَبَرَهَا مِنْ عَلَى الْعُسْرَةِ ^(٤)
 قَالَتْ لَهَا كَيْفَ تَكُونُ النِّسَاءُ كَذَا مَعَ الْأَزْوَاجِ يَا غِرَّهُ ^(٥)
 قَوْمِي أَطْلُبِي حَقَّكَ مِنْهُ بِلَا تَخَلُّفٍ مِنْكَ وَلَا فَتْرَةٍ ^(٦)
 وَإِنْ تَأْتِي فَخُذِي ذِقْنَهُ نَمَّ انْتَفِيهَا شَعْرَةً شَعْرَهُ
 قَالَتْ لَهَا مَا عَادَتِي ^(٧) هَكَذَا فَإِنْ زَوَّجِي عَنْده ضَجْرَهُ
 أَخَافُ إِنْ كَلَّمْتُهُ كَلِمَةً طَلَقَنِي . قَالَتْ لَهَا : بَعْرَهُ
 فَهَوَّتْ ^(٨) قَدَرِي فِي نَفْسِهَا فَجَاءَتْ الزَّوْجَةَ مُحْتَرَّةً
 فَاسْتَقْبَلَتْنِي ^(٩) فَتَهَدَّدَتْهَا فَاسْتَقْبَلَتْ رَأْسِي بِأَجْرِهِ
 وَبَاتَتْ الْفِتْنَةُ مَا بَيْنَنَا مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى بُكْرِهِ
 وَمَا رَأَى الْعَبْدُ لَهُ مُخْلَصًا إِلَّا وَمَا فِي عَيْنِهِ قَطْرَهُ
 فَحَقُّ ^(١٠) مَنْ حَالَتُهُ هَذِهِ أَنْ يَنْظُرَ الْمَوْلَى لَهُ نَظْرَهُ ^(١١)

(١) د ، ت : تجرى لنا . (٢) ما بين القوسين ساقط من د . (٣) د ، ت : أمها .
 (٤) فوات : العشرة . (٥) د ، ت : ياعره . والفرة : الجاهلة . (٦) فترة : ضعف .
 (٧) فوات : ما هكذا عادت . (٨) فوات : وهونت . (٩) فوات : فقاتلتني .
 (١٠) نوات : وحق . (١١) فوات : أمره .

وله في عيد المسيح^(١) ؛ لم يخبز ولا نَبَّه النصارى لطعام العيد .

يَهُودُ بُلْبَيْسَ كُلِّ عِيدٍ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ النَّصَارَى
أَمَا تَرَى الْبَنَلَّ وَهُوَ بَقْلٌ فِي فَضْلِهِ يَفْضَلُ الْجِمَارَا
قافية السين :

قال يمدح صاحب شمس الدين بن صاحب برهان الدين ؛ من الكامل^(٢) :

إِنْ تُحَى آمالِي بِرُؤْيَا عَيْسَى فَلَطَالَمَا أَنْصَتُ إِلَيْهِ الْعِيسَا
وَحَظِيْتُ بَعْدَ الْيَأْسِ بِالْخَضِرِ الَّذِي مَا زَالَ يَرِقِي أَوْ حَكَّى إِذْ رِيسَا
لَوْلَا وَجُودُ الصَّاحِبَيْنِ كَلَيْهِمَا صَارَتْ بُيُوتُ الْعَالَمِينَ رُمُوسَا
كَمْ قُلْتُ لَمَّا أَنْجَبَ الْأَبُ ابْنَهُ لَا غَرَوُ أَنْ يَلِدَ النَّفِيسُ نَفِيسَا
فَلِلَّهِ شَمْسُ الدِّينِ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ فِينَا بُدُورًا لِلْهُدَى وَشُمُوسَا
رَدَّتْ لَنَا يَدُهُ الْغَضُوبَ وَأَسْكَنْتْ بِالْعَدْلِ آرَامَ الْكِنَاسِ الْخِيسَا
أَغْنَتْ مَكَارِمُهُ الْفَقِيرَ وَأَطْعَمَتْ مَنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ الزَّمَانِ يَتُوسَا
حَبْرٌ تَصَدَّرَ لِلنَّوَالِ فَلَمْ يَزَلْ يَتْلُو عَلَيْهِ مِنَ الْمَدِيحِ دُرُوسَا
دُعَى ابْنُ سَيْنَا بِالرَّئِيسِ وَلَوْ^(٣) رَأَى عَيْسَى لَسَمَّى نَفْسَهُ الْمَرْهُوسَا
وَحَسْبَتْهُ مِنْ بَأْسِهِ وَذَكَائِهِ بَهْرَامَ قَارَنَ فِي الْعُلَا بَرَجِيسَا
مِنْ مَعَشَرٍ لَيْسَارِ عُونٍ إِلَى الْوَعَى مُتَنَازِعِينَ مِنَ الْجِمَامِ كُوسَا

(١) ت : وله في عيد المسيح حيث لم يهد إليه النصارى طعام العيد .

(٢) من الكامل : زيادة في ت . وهو شمس الدين عيسى بن صاحب برهان الدين السنجاري توفى سنة ٥٦٨٢ هـ

وكان ينوب عن أبيه في الوزارة . (٣) د : ولا . (٤) ت : يتسارعون .

لَهُ الْخِصَامِ إِذَا تَشَاوَرَتِ الْقَنَا
وَأَخُو الْبَسَالَةِ مَنْ غَدَا بِذِرَاعِهِ
يُوفُونَ مَا وَعَدُوا كَأَنَّ وَعُودَهُمْ
يَأْتِيهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ وَمَنْ لَهُ
هَنَيْتَ تَقْلِيدًا أَتَاكَ مُجَدِّدًا
أُرْسَلَتْ مِنْهُ لِلْخَلَائِقِ رَحْمَةٌ
وَكَأَنَّ قَارِئَهُ بِيَوْمٍ عَرُوبَةٍ
وَنَظَّمَتْ شَمْلَ الْمُلْكِ بِالْقَلَمِ الَّذِي
وَبَسْطَتْكَ الْعَوْرَاتِ قَدْ كَشَفَ الْوَرَى
مِنْ كُلِّ مَشْدُودِ الْخِلَاقِ بِكُرْبَةٍ
أُطْفِئَتْ نِيرَانُ الْعَدَاوَةِ بَعْدَ مَا
وَأَرْحَمَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ تُخَيِّ لُهُمْ
هَلَكْتَ جَدِيسٌ وَطَسَمَ حِينَ تَعَادَتَا
يَا بَنَ الَّذِي يَلْقَى الْقَوَارِسَ بِاسْمًا
سَعِدَتْ بِكَ الْجُلُوسَاءُ فَاحْذَرِ بَعْضَهُمْ
بَحْسُوا ضِيُوفَ اللَّهِ عِنْدَكَ حَظَّهُمْ
وَأَعِزُّ مُجَدِّدَكَ أَنْ يَكُونَ بِطَائِفِ
فَاللَّهُ عَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ آدَمًا

لَمْ يَجْعَلُوا لَهُمُ الْحَدِيدَ لَبُوسًا
لَا دِرْعَهُ^(١) يَوْمَ الْوَعْدِ يُخْرُوسَا
كَانَتْ يَمِينًا بِالْوَفَاءِ نَعْمُوسَا
حِكْمَهُ أَغَارَتْ مِنْهُ رَسْطَالِيسَا
لِلنَّاسِ مِنْ سُلْطَانِهِمْ نَامُوسَا
عَمَّتْ قِيَامًا مِنْهُمْ وَجُلُوسَا
لَكَ يُعْرِبُ التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَا
حَلَّيْتَ مِنْهُ لِسُطُورِ طُرُوسَا
لَكَ بِالْدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ رُهُوسَا
نَفَسَتْ عَنْهُ رِخَاقُهُ تَنْفِيسَا
أَوْطَأَتْ مِنْهَا الْمُوقِدِينَ وَطِيسَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ دَاحِسًا وَبَسُوسَا
وَكَأَنَّ طَسَمًا لَمْ تَكُنْ وَجَدِيسَا
حَاشَاكَ أَنْ تَلْقَى الضُّيُوفَ عَبُوسَا
فَلَرُبَّمَا أَعْدَى الْجَلِيسُ جَلِيسَا
لَا^(٢) كَانَ حَظُّكَ عَنْدهُمْ مَبْخُوسَا^(٣)
مِنْ حَاسِدٍ بِنَيْمَةٍ تَمْسُوسَا
وَأَطَاعَ آدَمُ نَاسِيًا إِبْلِيسَا

(١) د : لدراعه . (٢) د : قاربه . (٣) د : لكن .

(٤) د : منحوسا . وهذا البيت وما يليه تعريض بطبيعة الفقهاء ودفاع عن الدراويش . وقد تناولت هذا

الموضوع بالتفصيل في كتابي « البوصيري : دراسة ونقد » .

إِنَّ الْمَرَّاحِلَ مَنْ أَضَاعَ أَجُورَهُ وَاعْتَاضَ عَنْهَا بِالْفَيْسِ خَسِيسًا^(١)
 فَارْغَبْ^(٢) إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي فِي الذِّكْرِ نِعَمٌ وَبِيسًا
 مَا أَنْتَ بِمَنْ تَسْتَبِيحُ صُدُورَهُمْ^(٣) حَقْدًا وَلَا أَعْرَاضَهُمْ تَذْنِيسًا
 أَدْعُوكَ لِلصَّفْحِ الْجَلِيلِ فَإِنْ تُجِبْ أَحْكَمْتَ بُنْيَانًا عَلَا^(٤) تَأْسِيسًا
 وَمِنْ السِّيَاسَةِ أَنْ تَكُونَ مُرَاعِيًا لِلصَّالِحِينَ تَبَرُّهُمْ وَتَسُوسَا^(٥)
 قَوْمًا إِذَا انْتَدَبُوا لِيَوْمِ كَرِهَتَهُ تَالَهُ مَا خَابَ أَمْرُؤُهُ مُتَوَسِّلُ
 وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ بِالْبَاقِينَ فَلَا تَحْزَلْ قَوْلِي ظُنُونًا فِيهِمْ وَحَدُوسَا
 وَرَأَيْتُ مِنْهُمْ مَا رَأَيْتُ^(٦) لِفَعْلِهِمْ أَذْهَبْتُ عَنْهُ مِنْهُمْ التَّلْبِيسَا
 مَا ضَرَّهْمُ قَوْلُ الْمُعَانِدِ إِنْهُمْ يَفْعَالِهِمْ أَقْوَى الْأَنَامِ نَفُوسَا
 كَمْ ذَمُّهُمْ جَهْلًا وَأَنْكَرَ حَالَهُمْ قَوْمٌ يَلُونَ الْحُكْمَ وَالتَّنْذِرِيسَا
 فَرَدَدْتُ قَوْمَهُمْ بِقَوْلِي ضَارِبًا مَثَلًا عَلَى الْخَضِرِ السَّلَامُ وَمُوسَى
 وَعَلَى سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ أَغْرَى رِحَالِيهِ عَلَى بَلْقِيسَا
 وَعَلَى فَتَى الْحَسَنِ الَّذِي سَطَوَاتُهُ مَرَّتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرَّ الْمُوسَى
 يَارُبَّ ذِي عِلْمٍ رَأَى نُصْحِي لَهُ فَأَجَابَنِي أَتَطِبُّ جَالِينُوسَا
 لَمْ يَذَرِ أُنَى كَلِمًا اسْتَعَطَفْتُهُ كَانَ الْحَدِيدَ وَكُنْتُ مِغْنَاطِيسَا

(١) د : نفيساً . (٢) د : أرغب . (٣) ت : ما أنت من تسبيح نفس صدورهم .
 (٤) ت : بنیان الملا . (٥) د : تسوسا .
 (٦) الخميس : الجيش الكثيف . (٧) ت : رويت .

لو كنتُ أرَضَى الجاهليَّةَ مِثْلَهُ أُمْلَيْتُ مَملَأَ القلوبَ نَسيباً^(١)
وَنَفَخْتُ نَارَ عداوَةٍ لا تُصْطَلَى بَلْ^(٢) لا يُطِيقُ لها العَدُوُّ حَسِيباً
لَمْ يُبْقِ لِي خَوْفُ المُعَادِ مُعَادِيَا فَيَهِيحُ مِنِّي لِلْهِبَاجِ رَسيباً^(٣)
أَوْ مَا تَرَى حُبَّ السَّلَامَةِ جَاعِلِي أَلْقَى السَّلَامَ مُسَالِماً وَالكِيسَا
أُمَكِّلَنِي نَظْمَ النَّسِيبِ وَقَدْ رَأَى عُوْدَ الشَّبَابِ الرُّطْبَ عَادَ يَبِيسَا
أَمَّا النَّسِيبُ فَمَا يَنَاسِبُ قَوْلُهُ شَيْخَا أَبَدَ مُعَمَّرَا مُنْكَوسَا^(٤)
مَا هَمَّ يَخْضِبُ شَيْبَهُ^(٥) مُتَشَوِّقَا زَمَنَ الصَّبَا إِلَّا اتَّقَى التَّدْلِيسَا
لَمَّا رَأَى زَمَنَ الشَّيْبَةِ مُذْبِرَا نَزَعَ السَّرَى وَتَدَرَّعَ التَّعْرِيسَا^(٦)
مَضَتْ الْأَحِبَّةُ وَالشَّبَابُ وَخَلَفَا لِي الْإِدَّكَارَ مُسَامِرَا وَأُنِيسَا
أَذْكَرْتَنِي عَهْدَ الطَّغَانِ فَلَمْ أُجِدْ رُحْمَا أَصُولُ بِهِ وَلَا دَبُوسَا^(٧)
أَيَّامَ عَزَمِي لَا تَقُوتُ رِسَامُهُ غَرَضًا وَسَهْمِي جُرْحُهُ لَا يُوسَى
ثَنَّتِ السَّنُونُ سِنَانُ صَعْدَتِي الَّتِي لَمْ تَلَقْ رَادِفَةً وَلَا قَرُوسَا^(٨)
فَقَنَاءَ حَرْبِي لَا أُرِذُ تَقْوِيمَهَا لِلطَّغْنِ إِلَّا رَدَّهَا تَقْوِيسَا
مَاحَالُ مَنْ مَنَعَ الرُّكُوبَ وَطَرَفُهُ يَشْكُو إِلَيْهِ رِبَاطُهُ مَحْبُوسَا
بِالْأَمْسِ كَانَ لَهُ الشَّمُوسُ مُذَلَّلَا وَالْيَوْمَ صَارَ لَهُ الدَّلُولُ شَمُوسَا^(٩)
لَا دَرَدَرُ الشَّيْبِ إِنْ نُجُومُهُ تَدَرُّ السَّعِيدِ مِنَ الرِّجَالِ نَحِيسَا

- (١) النسيب : غاية جهد الإنسان . (٢) د : بدلا . (٣) الرئيس : ابتداء الحمى وفى د : شكيبا
(٤) المنكوس : الضعيف . (٥) ت : فاحم بحمص سبيله .
(٦) السرى : السير بالليل . والتعريس ، من عرس القوم إذا نزلوا فى آخر الليل للاستراحة .
(٧) الدبوس : نوع من الأسلحة . (٨) صعقت : قتلت . والرادفة : الرادف الذى يركب خلف
الراكب والقربوس : حنجر السرج ، وهما قربوسان .
(٩) الشمس : يقال شمس الفرس ، إذا منع ظهره . والشموس ضد الدلول .

كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اجْتِمَاعِ جَاعِلِ
 لَوْ كَانَ لِي فِي بَيْتِ خَالِي نُصْرَةٌ
 وَنَصِيحَةٌ أَعْرَبْتُ عَنْهَا فَانْدَنْتُ
 إِنَّ النَّصَارَى بِالْحَلَّةِ وَدَهُمُ
 أَتَرَى النَّصَارَى يَحْكُمُونَ بَأَنَّهُ
 إِنِّ عَادَ إِسْمُحُوْهُ إِلَيْهَا ثَانِيًا
 صَرَفَ إِلَهُ السُّوءِ عَنْكَ بِصَرْفِهِ
 أَفْدَى بِهِ الْمُسْتَعْدِمِينَ وَإِنَّمَا
 لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ أَمْرَهُمْ مِنْ غَيْرَتِي
 يَرْعَوْنَ أَمْوَالَ الرَّعِيَّةِ بِالْأَذَى
 اللَّهُ أَرْسَلَهُمْ عَلَى أَقْوَاتِهِمْ
 مَلَأَتْ بُيُوتَهُمْ^(٤) الْغِلَالُ فَلَا^(٥) تَرَى
 مَنْ لَمْ يَقُمْ لِي مِنْهُمْ بِوِظَيفَتِي
 إِنِّي لَا أَنْذِرُ بَعْضَهُمْ وَكَأَنِّي
 لِي صَاحِبُ سَرَقِ اللُّصُوصِ نِيَابَهُ
 وَشَكَالِ الْوَالِي الْحَرْبِ سَارِقِ بَيْتِهِ
 وَكَأَنَّهُ قَاضٍ يَقُولُ لَخَصْمِهِ :
 وَمُحِبُّهُ أَصْحَابُ رَنْجٍ عِنْدَهُ
 بَيْنَ الْفِرَاشِ بِسَاكِنٍ مَأْنُوسًا^(١)
 جَمَعَتْ نَفْيَ الْخُلْدِ وَالْإِنْكِيسَا^(٢)
 كَالصُّبْحِ يَجْلُو ضَوْؤُهُ التَّغْلِيْسَا^(٣)
 لَوْ كَانَ جَامِعُهَا يَكُونُ كَنِيسَا
 مَنْ بَاشَرَ الْأَخْبَاسَ صَارَ حَايِسَا
 ضَرَبُوا عَلَى أَبْوَابِهَا النَّاقُوسَا
 فَاضْرَفُهُ عَنَّا وَاصْفَعِ الْقَسِيْسَا
 أَفْدَى بِتَيْسٍ كَالْيَهُودِ تَيْوُسَا
 لَمْ أَبْقِ لِلْمُسْتَعْدِمِينَ ضُرُوسَا
 لَوْ يُحْلَبُونَ لِأَشْبَهُوا الْجَامُوسَا
 سُوْسًا وَقَدْ أَمِنُوا عَلَيْهَا السُّوسَا
 مِنْهَا كَبَيْتِي فَارِغًا مَكْنُوسَا
 جَرَسَتْهُ بِمَلَامَتِي تَجْرِيْسَا
 فِي أُذُنِ بَغْلٍ الْكُوسِ أَضْرِبُ كُوسَا^(٦)
 لَيْلًا فَبَاتَ بِبَيْتِهِ^(٧) مَحْبُوسَا
 فَكَأَنَّمَا يَشْكُو لَهُ أَفْرَنْسِيْسَا
 هَذَا غَرِيْمُكَ أَثْبَتَ التَّغْلِيْسَا
 وَيُقَدِّمُوهُ فَيُظْهَرُ التَّعْبِيْسَا

(١) ت ، د : مكنوسا . (٢) الإنكيس : الضعيف . (٣) التغلس : الغلس ، ظلمة آخر الليل .
 (٤) ت ، د : د قلوبهم . ولعلها بيوتهم .
 (٥) د : متى .
 (٦) الكوس : الطبل .
 (٧) ت : بليله .

وَلَرُبَّمَا التَّمَسُّوهُ بِالْمَالِ الَّذِي
 مَلَأُوا الْبُيُوتَ بِمَالِهِ وَلَوْ اشْتَكَى
 كَمْ قُلْتُ إِذْ سَمِعَ الْوَلَاةُ كَلَامَهُمْ
 قَلْبَ الْعِيَانِ لَهُمْ وَكَمْ فِي عَلَيْهِ
 فَاَنْظُرْ لِمَنْ ذَهَبَ الْأُصُوصُ بِمَالِهِ
 رَفَعُوا الْقَوَاعِدَ مِنْ شَوَارِ^(١) ثِيَابِهِ
 قَدَكُنْتُ مِنْ خَوْفِ الْأُصُوصِ أَخَافُ أَنْ
 لَا زِلْتُ طَوْلَ الدَّهْرِ تَحْكِي فِي الْعُلَا
 مَا دَامَ يَتَّبِعُ النُّجُومَ مُنْجَمٌ^(٢) وَيُخَبِّرُ التَّنْثِيثَ^(٣) وَالتَّنْثِيثِ
 وَأَتَرَى الْوَلَاةَ تَفْسِدُ الْكَيْمُوسَ
 جَعَلُوا الدَّانِيَةَ الثَّقَالَ فُلُوسًا
 وَبِعَقْلِهِ يَعْنُو الْأُصُوصُ حُبُوسًا
 وَاسْتَأْصَلُوا الْمَنْصُوبَ وَالْمَلْبُوسَ
 أَهْدَى إِلَيْكَ مِنَ الْقَرِيضِ عَرُوسًا
 لَا زِلْتُ طَوْلَ الدَّهْرِ تَحْكِي فِي الْعُلَا
 مَا دَامَ يَتَّبِعُ النُّجُومَ مُنْجَمٌ^(٢) وَيُخَبِّرُ التَّنْثِيثَ^(٣) وَالتَّنْثِيثِ

وقال في رجل مغربي عانده في الشعر ، وشرع في هجائه وكان نزل^(٣) عند ولي الدولة
 المستوفى ضيفا^(٤) عنده ، وكان يعمل شعره نخلة^(٥) :

قُلْ لَوْلِي الدَّوْلَةُ الْمُرْتَجَى وَلِلتَّقَى فِي الْجُودِ وَالْبَاسِ
 فُزْتُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ حَتَّى حَكُوا عِنْدَكَ فَوْزًا^(٦) عِنْدَ عَبَّاسِ
 لَا سِيَّاهُ هَذَا الْأَدِيبُ الَّذِي أَتَى مِنَ التَّنْظِمِ بِأَجْنَسِ
 النَّابِ^(٧) الْمُفْلِقُ فِي مَدْحِهِ وَهَجْوِهِ وَالْجَارِحُ الْآسِ
 لَمْ أَرِ^(٨) مِنْ قَبْلِ وَقُوفِي عَلَى مَا قَالَ نَشَابًا بِقِرْطَاسِ

(١) خزانة توضع فيها الثياب أو صندوق .

(٢) د : ما دام تربيعة النجوم منجم ، ت ما دم تربيعة ... ونظن الصواب ما أثبتناه .

(٣) د : كان نزول عدول الدولة . (٤) د ، ت : صفا والصواب ما أثبتناه .

(٥) ت : بحلة . (٦) د : عبد . (٧) ت : بي . (٨) د : لم أدر .

وَنَخْلَةٍ تَشْكُرُ جَدَّوَالِكَ مِنْ أَصْلِ وَمِنْ فَرْعٍ وَمِنْ رَاسٍ
 شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِ مِصْرٍ تَرَى وَهِيَ حَوَالِي دَرْبِ دَوَّاسٍ
 وَرُقْعَةُ الشَّطْرِ نَجَحَتْ نَمَّ انْتَهَى وَلَمْ أَكُنْ لِلْفَضْلِ بِالنَّاسِ
 حَالِيَةً عَامِرَةً شُبَّهَتْ بِيَادِقٍ فِيهَا بِأَفْرَاسٍ
 فَقُلْ لَنَا مَنْ ذَا الْأَدِيبُ الَّذِي زَادَ بِهِ حُسْبِي وَوَسْوَاسِي؟
 إِنْ كَانَ مِثْلِي مَعْرِيًّا فَمَا فِي صُحْبَةِ الْأَجْنَاسِ مِنْ بَاسٍ
 وَإِنْ مِثْلِي عِنْدَهُ ^(١) الْيَوْمَ كَالصَّخْرَةِ عِنْدَ الْجَبَلِ الرَّاسِ
 وَبَيْنَ دَارَيْنَا كَمَا بَيْنَنَا وَأَيْنَ مُرَّاكِشٍ مِنْ فَاسٍ
 وَإِنْ يُكَذِّبُ نِسْبَتِي جِثَّتْ يَجْبِيَتِي الصُّوفِ وَدَقَّاسِي
 وَإِنْ يَجِدْ فِي لُغَتِي رِيْبَةً أَكْتَمَ بِنَا نَازَعْتُ إِفْلَاسِي ^(٢)
 قَافِيَةُ الْفَاءِ ^(٣) :

قال للقاضي عماد ^(٤) الدين ، يخرضه على كنفافة :

مَا أَكَلْنَا فِي ذَا الصِّيَامِ كُنْفَاةً آهٍ وَأُبْعَدَهَا عَلَيْنَا مَسَافَةً
 قَالَ قَوْمٌ إِنَّ الْعِمَادَ كَرِيمٌ قُلْتُ هَذَا عِنْدِي حَدِيثُ خُرَافَةٍ
 أَنَا صَيْفٌ لَهُ وَقَدْ مَتَّ جَوْعًا لَيْتَ شَعْرِي لَمْ لَا تُعْدُ الضِّيَافَةُ

(١) د : عبده .

(٢) ت : نازعت فلامسي . وكتب أمامها في الهامش :

وإن تجسد في لغتي ريبة أكتم بنا نازعت فلامسي

ولا معنى للشطر الثاني .

(٤) د : عماد الدين بن أبي .

(٣) ساقطة من ت .

وَهُوَ إِنْ يُطْعَمِ الطَّعَامَ فَمَا يُطْعِمُهُ إِلَّا بِسُوءَةٍ أَوْ خَافَةٍ
وَهُوَ فِي الْحَرِّ^(١) وَالْحَرِيفِ^(٢) وَفِي السَّبْتِ يَجْمَعُ الْحَطَامَ كَالْجِرَافَةِ
فَاعْلَمُوهُ عَنِّي وَلَا تَعْتَبُونِي إِنْ عِنْدِي فِي الصَّوْمِ بَعْضُ الْحِرَافَةِ^(٣)
فَهُوَ إِنْ لَمْ يُخْرِجْ قَلِيلًا^(٤) إِلَى الْحَا نُطِ فِي لَيْلَتِي طَلَعْتُ الْقِرَافَةَ

ولما أحضر الجنب السابق شيوخ صنعاء^(٥) وحلق نصف لحية كل منهم ، وعزم على أن
يخلصهم ، دخلوا عليه فكتب^(٦) له^(٧) هذه الأبيات :

أَخْبَرُونِي غَضَبَةً^(٨) وَصَلَفًا^(٩) أَنْكُمْ رُحْمٌ إِلَيَّ^(١٠) مَرَصِفًا
ثُمَّ قَالُوا عَنْ ذُقُونِ خُلِقْتَ قُلْتُ لَا بُدَّ لَهَا أَنْ تُخْلَفًا^(١١)
إِنَّ حَلَقَ الذَّقْنِ خَيْرٌ لَلْفَتَى يَا بَنِي الْأَعْمَامِ^(١٢) مِنْ أَنْ تُتَنَفَّا
وَالَّذِي حَلَقَ أَنْصَافَ اللَّحَى كَانَ فِي الْأَحْكَامِ عَدْلًا مُنْصِفًا
حَلَقَ النُّصْفَ بِذَنْبٍ حَاضِرٍ وَعَفَا بِالنُّصْفِ عَمَّا^(١٣) سَلَفًا

قافية اللام :

قال هذه القصيدة ، وسماها « المخرَج والمردود ، على النصارى واليهود » :

جَاءَ الْمَسِيحُ مِنَ الْإِلَهِ رَسُولًا فَأَبَى أَقْلُ الْعَالَمِينَ عُقُولًا
قَوْمٌ رَأَوْا بَشَرًا كَرِيمًا فَادَّعَوْا مِنْ جَهْلِهِمْ لِلَّهِ فِيهِ حُلُولًا

(١) د : البحر . (٢) د : لحريف .

(٣) هذا البيت ساقط من د . (٤) ت : الطعام .

(٥) د : ولما حضر الجنب السابق شيوخ صنعاء . (٦) د : كتب .

(٧) ساقطة من د . (٨) د : غصة . (٩) د : صنفا . (١٠) د : إليهم .

(١١) د : تجلفا . (١٢) د : المم . (١٣) د ، ت : عن . والصواب ما أثبتناه .

وعِصَابَةٌ مَا صَدَّقَتْهُ وَأَكْثَرَتْ بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ فِيهِ الْقِيَلَا
لَمْ يَأْتِ فِيهِ مُفَرِّطٌ وَمُفَرِّطٌ بِالْحَقِّ تَجَرِيحًا وَلَا تَغْدِيلًا
فَكَأَنَّمَا جَاءَ الْمَسِيحُ إِلَيْهِمْ لِيُكَذِّبُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَا
فَاعْجَبَ لِامْتِعِهِ الَّتِي قَدْ صَيَّرَتْ تَنْزِيهَهَا^(١) لِإِلَهِهَا التَّكْمِيلَا
[وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ فِتْنَةً مَعْشَرٍ وَأَضَلَّهُمْ رَأَوْا الْقَبِيحَ جَبِيلًا]^(٢)
هُمْ بَجَلَوْهُ بِبَاطِلٍ فَابْتَرَهُ أَعْدَاؤُهُ بِالْبَاطِلِ التَّبْجِيلَا
وَتَقَطَّعُوا أَمَرَ الْعَقَائِدِ بَيْنَهُمْ زُمَرًا أَلَمْ تَرَ عِقْدَهَا مَحْلُولَا
هُوَ آدَمُ فِي الْفَضْلِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَ حَالَ النَّفْعَةِ التَّكْمِيلَا

* * *

[تعليق الناظم] :

قال الناظم : لما رأيت كتب النصارى واليهود الآن مشحونة بما ينكرونه من بعث
النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها القول بخلاف ما يدعونه من ألوهية المسيح ، ومن صلبه ،
وإثبات رسالته إلى النصارى واليهود ، وما لا يخفى ، تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ماسهل
نظمه من ذلك ، وأردت أن أورد تحت كل أبيات منها ما أشارت إليه من النصوص التي
لا يستطيع النظم ذكرها بلفظها^(٣) ولا بترتيبها . فمن ذلك :

ذكروا أن المسيح عبد الله ورسوله وواسطته بينه وبين الناس بلفظهم الذي رضوا إظهاره
باللغة العربية ، واعترفوا أنها لفظ الإنجيل . قوله في إنجيل لوقا : أنه لم يُقتل أحد من الأنبياء
في وطنه ، فكيف يقتلونني ؟ ! وقوله حين خرج من السامرة : الحق بجلجال ، إنه لم يكرم

(١) د : تنزيهها .

(٢) زيادة في م .

(٣) د : بتلفظها .

أحد من الأنبياء في وطنه . فهذا دليل أنه ما جعل نفسه إلا نبيا . وكقوله في إنجيل مرقس^(١) :
 إن رجلا أقبل عليه وقال : أيها المعلم الصالح ، أيّ خير أعمل ، لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له
 المسيح : لم قلت لي صالحا ؟ إنما الصالح الله وحده . وفي إنجيل يوحنا : أن اليهود لما أرادوا
 القبض عليه وعلم بذلك ، رفع بصره إلى السماء ، وقال : « قد دنا^(٢) الوقت ياإلهي ! فشرّفتني لديك ،
 واجعل لي سبيلا إلى أن أملك كل ما تملككتني الحياة الدائمة ، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا
 بك إلهيا واحدا . وبالمسيح الذي بعثت ، فقد عظمتك على أهل الأرض ، واحتملت ما أمرتني به ،
 فشرّفتني لديك » . وكفى بذلك تذلا لله وعبودية ، وسؤالا واعترافا ، واثارا بأمر الله
 سبحانه وتعالى . وكقوله لتلاميذه : لا تنسوا أباكم في الأرض ، فإن أباكم الذي في السماء وحده .
 وفي إنجيل لوقا حين أحيا الميت بباب مدينة ، قام حين أشفق لأمه ، لشدة حزنها عليه ،
 فقال الناس : إن هذا نبي عظيم^(٣) . وإن الله يفيدك منه . فلو كان المسيح ادّعى أنه إله ،
 لما قيل عنه خلاف ما ادعاه في معرض الشكر والتصديق . وكقوله في إنجيل يوحنا لست
 أقدر أن أفعل من ذاتي شيئا ، لكنني أجيبكم بما أسمع ، لأنني لست أنفذ إرادتي ، بل إرادة
 الذي بعثني ؛ وكقوله في إنجيل يوحنا ، أيضا لليهود : قد عرفتموني وموضعي ، ولم آت من
 ذاتي ، ولكنني بعثني بالحق وأتم تجهلونه ؛ فإن قلت إني أجهله ، كنت كاذبا مثلكم .
 وأنا أعلم أنني نبيه ، وأنه بعثني . وكقوله لليهود : إن كنتم بنى إسرائيل ، فاقفوا أثره ،
 ولا تريدوا قتلي ، على أنني رجل أدبت لكم الحق الذي سمعته من الله تعالى ، غير أنكم

(١) إنجيل مرقس : الإصحاح العاشر :

« أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحا . ليس أحد
 صالحا إلا واحد هو الله » ووردت هذه العبارة أيضا في إنجيل لوقا ، إصحاح ١٨ .

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ « أيها الأب قد أنت الساعة . مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا إذ أعطيت
 سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيت . وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي
 وحده ويسوع المسيح الذي أرسلته . العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكلمته . والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك
 بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم .

(٣) إنجيل لوقا ، الإصحاح السابع .

تَقْفُونَ آثَارَ آبَائِكُمْ . وقال : لو أن أباكم الله ، لحفظتموني ، لأنى رسول منه خرجت مقبلا ، ولم أقبل من ذاتى ، ولكن هو بعثنى إليكم ، لكنكم لا تقبلون وصيتى . وفى الإنجيل أنه كان يوما يمشى فى أسطوان سليمان ، فأحاطت به اليهود ، وقالوا له : إلى متى تُخفى أمرَكَ ؟ فإن كنت المسيح الذى يُنتظر ، كما علمنا بذلك ولم يقولوا : إن كنت الله ولا الرب . وفيه أن اليهود أرادوا القبض عليه ، فبعثوا إليه الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم ، فقالوا لهم : لم تأخذوه ؟ فقالوا : ما سمعنا آدميا أنصف منه . فقالت اليهود : وأنتم أيضا مخدوعون . أترون أنه آمن به أحد من القواد ، ومن رؤساء أهل الكتاب ؟ إنما آمن به من الجماعة من يجهل الكتاب . فقال لهم يودنس القس : أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يُسمع منه ؟ فقالوا له : اكشف الكتاب ترى أنه لا ينجى من جَلْجال نبيّ قط ؛ فلو ظهر عنه دعوى غير أنه بشر رسول ، لما قالت الأعوان : ما سمعنا آدميا أنصف منه . ولا قالت اليهود : إنه لا ينجى من جَلْجال نبيّ قط ، وكقوله لتلاميذه إنه ستأتى ساعة يظن كل من يقتلكم أنه يقرب إلى الله تعالى قُرْبانا ، لأنه لم يعرف الله ولا أنا . وفى رسائل بولس : يسوعُ المؤتمِنُ عند من خلّقه . وقوله حكاية عن جبريل لأم المسيح : إنك ستعتلين جبلا ، وتلدن ابنا ، ويدعى اسمه يسوع : هذا يكون عظيما ، ومعظما لربه الإله كرسى داود أبيه . وقال بولس الرسول : عندهم إله سيدنا يسوع المسيح ، يعطيكم روح الحكم والبيان . وقال أناشدك الله سيدنا يسوع المسيح ، والملائكة المصطفين : وقوله إن هذا الرسول عظيم ، اختار إيماننا يسوع الذى صنعهُ مثل موسى . وكقوله كما زعموا : إلهى إلهى ، لماذا تركتنى . وقوله يستطاع أن تقرَّ عينى هذه الساعة . وكقوله : الآن كل شيء بقدرتك ، أجر عني هذا الكأس الذى ليس كإرادتى يكون ، بل كما تريد أنت . وكقوله : جرعت نفسى الآن ، فماذا أقول يارباه ، فسلمنى من هذا الوقت . وقوله وقد سئل عن الساعة : إنما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا تعلمها الملائكة ولا الأمم ، إلا الله وحده . وقوله لتلاميذه : آمنوا بالله ، وآمنوا بى . وكقوله للذى سأله ماذا أصنع لأعمل أعمال الله تعالى ؟ هذا هو عمل الله : أن يؤمنوا ببن أرسله . وفى زبور داود (ع)

خطاباً له من الله : إنه سيولد لك ولد أُدْعَى له أباً ، ويدعى لى ابناً : فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة ، كي يعلم الناس أنه بشر .

المفهوم من ذلك أن الله أطلع داود على من سيدعى بالمسيح ، فقال : اللهم ابعث جاعل السنة يعلم الناس أنه بشر ، وأن دعوى الربوبية له ، ما كان إلا بعد رفعه وموت حوارتيه ينحو من ثلاث مئة سنة ، ولا أعلم الناس أنه بشر بعده إلا النبي (ص) وكذلك قول المسيح في الإنجيل : اللهم ابعث البارقليط^(١) ، ليعلم الناس أن الإنسان بشر .

وفي الزبور : سَنِي لأعطيكَ الشعوب ترعاهم . وقول بولس : فإله واحد هو ، والواسطة بين الله وبين الإنسان يسوع المسيح . وقوله : وليعف بعضهم عن بعض ، كما عفا الله تعالى عنكم بالمسيح عليه الصلاة والسلام .

أَسْمِعْتُمْ أَنْ الْإِلَهَ لِحَاجَةٍ	يَتَنَاوَلُ الْمَشْرُوبَ وَالْمَا كَوَلَا
وَيَنَامُ مِنْ تَعَبٍ وَيَدْعُو رَبَّهُ	وَيَرُومُ مِنْ حَرِّ الْمَجِيرِ مَقِيلًا
وَيَمْسُهُ الْأَلَمُ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ	صَرَفًا لَهُ عَنْهُ وَلَا تَحْوِيلًا
بِالْيَتِ شِعْرِي حِينَ مَاتَ بِزَعْمِهِمْ	مَنْ كَانَ بِالْتَّذِيرِ عَنْهُ كَفِيلًا
هَلْ كَانَ هَذَا الْكَوْنُ دَبَّرَ نَفْسَهُ	مِنْ بَعْدِهِ أَمْ آتَرَ التَّعْطِيلًا
إِجْزُوا الْيَهُودَ بِصَلْبِهِ خَيْرًا وَلَا	تُخْزُوا يَهُودًا الْآخِذَ الْبِرْطِيلًا ^(٢)
زَعَمُوا الْإِلَهَ فَذَى الْعَبِيدِ بِنَفْسِهِ	وَأَرَاهُ كَانَ الْقَاتِلَ الْمَقْتُولَا
أَيَكُونُ قَوْمٌ فِي الْجَحِيمِ وَيَضْطَفِي	مِنْهُمْ كَلِيمًا رَبَّنَا وَخَلِيلًا
وَإِذَا فَرَضْتُمْ أَنْ عَيْسَى رَبُّكُمْ	أَقْلَمَ يَكُنْ لِفِدَائِكُمْ مَبْذُولًا

(٢) البرطيل : الرشوة .

(١) البارقليط : كلمة يونانية معناها محمد .

وَأُجِلُّ رُوحًا قَامَتِ الْمَوْتَى بِهِ عَنْ أَنْ يُرَى بِيَدِ الْيَهُودِ قَتِيلًا
 فَدَعُوا حَدِيثَ الصَّلْبِ عَنْهُ وَدُونَكُمْ مِنْ كُتُبِكُمْ مَا وَافَقَ التَّنْزِيلَ
 شَهْدَ الزَّبُورِ بِحِفْظِهِ وَنَجَاتِهِ أَفَتَجْعَلُونَ دَلِيلَهُ مَذْخُولًا
 أَيْكُونُ مَنْ حَفِظَ الْإِلَهَ مُضِيْعًا أَوْ مَنْ أَشِيدَ بِنَصْرِهِ مَخْذُولًا؟^(١)
 أَيْجُوزُ قَوْلُ مُنْزَرِهِ لِلَّهِ سُبْحَانَ قَاتِلِ نَفْسِهِ فَأَقُولُ؟^(٢)

* * *

[تعليق الناظم] :

في زبور داود (ع) : إن الله تعالى نجى مسيحه واستجاب له من سماء قدسه ، وكذلك قوله إن الله يوصى ملائكته بك ليحفظوك ، فإذا لم يكن ذلك الحفظ وتلك النجاة من الصاب والقتل ، فماذا يكون؟ وليس عند النصارى ولا اليهود خبر يأتون به ، ولا رواية صحيحة ، أن المسيح صلب ، فإن أحدا ما حضره من أصحابه عند ما أخذ شبهه ، ولا كانت اليهود يعرفونه ، وإنما دهم عليه رجل يقال له يهوذا ، ويسمونه يودنس الأسخريوطى ، وكان فيمن آمن بالمسيح وارتد .

* * *

أَوْ جَلَّ مَنْ جَعَلَ الْيَهُودَ بِزَعْمِكُمْ شَوْكَ الْقَتَادِ لِأَسِيرِهِ إِكْلِيلًا
 وَمَضَى بِحِمْلِ صَلْبِهِ مُسْتَسْلِمًا لِلْمَوْتِ مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ دَلِيلًا

(١) هذا البيت ورد في الأصل هكذا .

فيكون من حفظ الإله مضيعا ومن استبد بنصره مخذولا

(٢) زيادة في م .

وهذه رواية م .

كَمْ ذَا أَبْكُتْكُمْ وَلَمْ تَسْتَنْكِفُوا أَنْ تَسْمَعُوا التَّبْكِيَتَ وَالتَّخْجِيلَا
ضَلَّ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَأَقْسَمُوا لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الرَّشَادِ سَبِيلَا
جَعَلُوا الثَّلَاثَةَ وَاحِدًا وَلَوْ اهْتَدَوْا لَمْ يَجْعَلُوا الْعِدَّةَ الْكَثِيرَ قَلِيلَا
عَبَدُوا إِلَهًا مِنْ إِلَهٍ كَائِنًا ذَا صُورَةٍ صَلَوَا بِهَا وَهَيُولَى

* * *

[تعليق الناظم] :

وأعطوه على تعريفهم به ثلاثين درهما، ثم بدا له وردَّ الدراهم وندم ، وأن اليهود جاءوا إلى المكان الذى فيه المسيح فخرج إليهم رجل ، فقالوا له : أنت يسوع ، فقال نعم . فأخذه ومضوا ، وكانوا يستفهمونه ويقولون : أنت هو المسيح ؟ فيقول : أنتم تقولون ، فضوا به يوم الجمعة ، وقالت النصارى : إنه صلب فى يوم ... فى الساعة التاسعة ، وقالت اليهود : إنه أقام عندهم محبوسا أربعين يوما وهم يستخبرونه ويسألونه إن كان هو هو ، ويظهر لهم آية فلم يجبههم إلى مأسأله ، لافى حال أخذه ولا فى حال صلبه ، وقالت النصارى إن يودس الذى دل عليه اليهود خنق نفسه ندما ، وتأولوا له أنه قصد أن يموت قبل المسيح ليدخل النار ، فإذا مات المسيح مضى إلى الجحيم فخلصه من جملة بنى آدم وبنيه ، فإنهم كانوا يزعم النصارى منذ آدم وإلى ذلك اليوم فى الجحيم : نبيهم ورسولهم ومؤمنهم وكافرهم ، وإنه أخرج الجميع وخلصهم . وصلبه ، فما من اليهود من عرف المسيح ، ولا من أصحابه من حضره حيا ولا ميتا على زعمهم : وصدقوا فيه قول واحد مرتد ، ثم إنه عدم ، فقالوا خنق نفسه ، وتأولوا . وما يدريك أن الله ألقى شبه المسيح على ذلك الذى دل عليه بذنبه وبكفره ، والله أعلم .

* * *

ضَلَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ فَلَا تَكُنْ بِهِمْ عَلَى سُبُلِ الْهُدَى مَذْلُولًا
وَالْمَدْعُو التَّشْلِيثِ قَوْمٌ سَوَّغُوا مَا خَالَفَ الْمَقُولَ وَالْمَقُولَا
وَالْعَابِدُونَ الْعِجْلَ قَدْ فَتَنُوا بِهِ وَدُّوا اتِّخَاذَ الْمُرْسَلِينَ عَجُولًا
فَإِذَا أَنْتَ بُشِّرَى إِلَيْهِمْ كَذَّبُوا يَهْوَى النَّفُوسِ وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا
وَكَفَى الْيَهُودَ بَأْسَهُمْ قَدْ مَثَلُوا مَعْبُودَهُمْ بِعِبَادِهِ تَمْثِيلًا (١)
وَبَآنَ إِسْرَائِيلَ صَارِعَ رَبِّهِ وَرَمَى بِهِ شُكْرًا لِإِسْرَائِيلَا (٢)
وَبَأْنَهُمْ رَحَلُوا بِهِ فِي قُبَّةٍ إِذْ أَرْمَعُوا نَحْوَ الشَّامِ رَحِيلًا (٣)

* * *

[تعليق الناظم] :

أى شبه كان ، والله أصدق القائلين يقوله - وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك^(١) منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن - وما خرج أمره عن ذلك . وكذلك إخبارهم عن قيامه من القبر عن امرأتين مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، أخبرتا أنهما أتيتا إلى القبر فوجدتا فيه رجلا قال لهما إن يسوع المصلوب قام ولحق بجلجال ، وأخبارهم في ذلك وفي عقائدهم مثل ذلك . هذه الأخبار كلها هديانية .

(١) وفي التوراة ما يدل على التبديل : أن الله تعالى كالإنسان شخص وجوارح .

(٢) وفيها أن الله سبحانه تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب .

(٣) وفيها أن الله عز وجل لما أمرهم بالتوجه إلى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صورة كذا ، ينزل فيها في سيرة معهم . ثم إن موسى قال : يارب إن هذه الأمة القاسية رقابها لا تمضي إلى الشام حتى تمضي معها كما وعدتها ، فقال الله تعالى : نعم اعملوا لي قبة ، وعمل موسى القبة ، وسماها قبة العهد ، ونزل فيها من عرشه ، وسار معهم في داخل القبة ، ينزل

بنزولهم ، ويرحل برحيلهم . هذا نص ما ترجموه من التوراة . وتتمة الحديث مامعناه أنهم حملوا أموالا إلى موسى عليه السلام ، وتولى إنفاقها على القبة ، وأنهم حسبوا ما أنفق عليها فعجز ألف رطل وسبع مئة رطل ، فاتهموا فيه موسى حتى سمعوا صوتا من الهوا يخبر أن ذلك الوزن انصرف في القبة ورأس العمد .

* * *

وَبِأَنَّهُمْ سَمِعُوا كَلَامَ إِلَهِهِمْ وَسَبَّيْلُهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا الْمُنْقُولَا (١)
وَبِأَنَّهُمْ ضَرَبُوا لِيَسْمَعَ رَبُّهُمْ فِي الْحَرْبِ بُوقَاتٍ لَهُ وَطَبُؤَلَا (٢)
وَبِأَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ بَدَأَ لَهُ فِي خَلْقِ آدَمَ يَالَهُ تَجْهِيلَا (٣)
وَبَدَأَ لَهُ فِي قَوْمِ نوحَ وَإِنِّنَى أَسْفَا يَعَضُّ بَنَانَهُ مَذْهُولَا (٤)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن جميع بني إسرائيل سمعوا كلام الله بلا واسطة ، كما سمعه موسى ، فأى فضيلة لموسى عليهم بذلك ؟

(٢) وما نسبوه إلى التوراة أن الله أمرهم أن يضربوا البوق في عسكرهم قليلا قليلا ، حتى يلقوا عدوهم ، فحينئذ يضربون به بأشد ما يقدرون عليه ليسمعهم الله تعالى ، فيؤيدهم على عدوهم . كأن الله تعالى وتقدس وتنزه ؛ إنسان ، سبحانه وتعالى عن قولهم .

(٣) ومما ترجموه فيها أن الله تعالى ندم على خلق آدم ، وخاف أن يأكل من شجرة الحياة ، فيكون إلهامه ، وكذلك أخرجه من الجنة . وفيها : ورأى أن كثرة فساد الآدميين في الأرض فقدم على خلقهم ، فقال : سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض والحشاش

وطير السماء ، لأنى نادى على خلقهم جدا ، وفيها ذكر ندمه على ما فعل قوم نوح بلفظ أبشع من هذا فى البارى سبحانه وتعالى ، وأشد استحالة .

* * *

وَبِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَاوَلَ أَكْثَلَهُ حُبْزًا وَرَامَ لِرَجُلَيْهِ تَنْسِيلًا (١)
وَبِأَنَّ أَمْوَالَ الطَّوَائِفِ حُلَّتْ لَهُمْ رَبًّا وَخِيَانَةً وَغُلُولًا (٢)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن إبراهيم كان يوما قاعدا عند باب فسطاط الله تعالى ، وأبصر ثلاثة رجال واقفين منه على مقربة ، فخر إليهم ساجدا ، وقال يا هذا إن كنت راضيا عنى فلا يحلف عندك حتى أسوق ماتفسلون به أرجلكم وتستقبلون حتى هذه الشجرة ، وأقدم إليكم كسرة تقوّمون بها قلوبكم ، وبعد هذا تذهبون . زعموا أن إبراهيم إنما دعا الثلاثة باسم الواحد . علما بأنه الله سبحانه وتعالى ، وجوزوا عليه وعلى إبراهيم عليه السلام أن يطعم الله خبزا ، ليقوى بها قلبه ، ويفسل رجليه تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا . وجعلت النصارى ذلك دليلا على أن الثلاثة واحد ، وهم الذين ذكروهم فى القرآن بقوله تعالى وتقدس (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) .

(٢) اليهود تزعم أن موسى (ع) عليه السلام أمرهم أن يأخذوا أموال خزانهم من أهل مصر على سبيل الفدية ، ثم قال لهم : يقول لكم اهربوا بها ففعلوا ، وقالوا : هى أجرة سحرتنا مع فرعون وليست أجرتهم على الضعفاء والمساكين والعامة ، إنما أجرتهم على فرعون الذى استخدمهم . وفى التوراة : فلا تزن لأجل أن يباركك الرب إلهك . وفيها : لاتسرقوا ولا تكذبوا ولا يفجر المرء بأخيه ، فتأولوا إخوان اليهود خاصة دون سائر بنى آدم . وقد أخبر

الله تعالى عنهم بذلك فقال : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون ^(١) على الله الكذب وهم لا يعلمون » . ومن أقوالهم : احفظ سيك ، واصنع ماشئت .

* * *

وبأنهم لم يخرجوا من أرضهم فكأنهم حسبوا الخروج دُخُولاً (١)
وحديثهم في الأنبياء . فلا تسَلْ عنه واخلَّ غِطاءهُ مَسْدُولاً (٢)
لم ينتهوا عن قَذْفِ دَاوُدَ وَلَا لوطٍ فكيف يقدِّفهم رُوبِيلاً
وعزَّوْا إِلَى يَاقُوبَ مِنْ أَوْلَادِهِ ذِكْرًا مِنَ الْفِعْلِ الْقَبِيحِ مَهُولاً
وإلى السَّيِّحِ وَأُمِّهِ وَكُنِيَ بِهَا صِدِّيقَةً حَمَلَتْ بِهِ وَبَتُولاً
وَلِنْ تَعْلَقَ بِالصَّلِيبِ بِزَعْمِهِمْ لَعْنَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ مَكْفُولاً (٣)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن بنى إسرائيل يمشون في الأرض المقدسة إلى الانقراض ، وإخراجهم منها دليل كذبهم على الله تعالى في كتبه .

(٢) ترجوا في التوراة التي بأيديهم الآن من قذف الأنبياء الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى ما لا يجوز ذكره ولا التنويه به ، وذلك مما يدل على كذبهم ، فإن الله تعالى حيٌّ كريم ، عصم أنبياءه ، لا يذكر عنهم الفواحش في كتبه التي تقرأ على مر الأزمان ، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً .

(٣) وما يدل على كذبهم أنهم كتبوا في التوراة : ملعون ابن ملعون من تعلق بالصليب ؛ تهديداً لعذرهم بزعمهم أنهم صلبوا المسيح ، وأنه ليس المسيح الذي شهدت به ، وكذلك

النصارى نسبوا إلى كتاب عاموس النبي: إذا سمر في ثلاثة أعواد، سر في الأرض . فقال صهيون عبد لبدران الناموسى ، ونصب عليها علم الخلائق ، حينئذ يتلف بنى إسرائيل بالخرزى والجوع . وكلام النصارى في ذلك ضد كلام اليهود ، وكلاهما باطل في حديث الصلب الذى ضلوا فيه بالشبه .

* * *

وَجَنَوْا عَلَى هَارُونَ بِالْعِجْلِ الَّذِي نَسَبُوا لَهُ تَصْوِيرَهُ تَضْلِيلًا (١)
وَبَانَ مُوسَى صَوَّرَ الصُّورَ الَّتِي مَاحَلَ مِنْهَا نَهْيُهُ مَعْقُولًا (٢)
وَرَضُوا لَهُ غَضَبَ إِلَهِ فَلَا عَدَا غَضَبُ إِلَهِ عَدُوَّهُ الضَّلِيلًا (٣)
وَبَانَ سِحْرًا مَا اسْتَطَاعَ لآيَةٍ مِنْهُ وَلَا اسْطَاعَتْ لَهُ تَبْطِيلًا
وَبَانَ مَا أَبْدَى لَهُمْ مِنْ آيَةٍ أَبَدُوا إِلَيْهِ مِثْلَهَا تَخْيِيلًا
إِلَّا الْبَعُوضَ وَلَا يَزَالُ مُعَانِدًا لِلْهِ بِمَعُوضَةٍ مَحْذُولًا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفي التوراة : أن هارون صاغ لهم العجل الذى عبدوه ، وأمرهم أن يذبحوا له القرابين من دون الله تعالى ، ففعلوا واتخذوا له عيدا ، وجلسوا عنده يأكلون ويشربون ويتساقبون . فانظر هذا القول الذى لا يجوز نسبته إلى نبي اختاره الله تعالى لهداية خلقه . ولقد تحدثت مع بعض من أسلم منهم فى ذلك ، قال : ما عندهم خلاف أن ذلك فى التوراة منصوب ، وإنما الحلى الذى أحضروه إلى هارون كان فيه خاتم ذهب من خواتم يوسف الصديق (ع) ، عمل فى طالع الثور وعليه صورة الثور ، فلما سأل هارون الزينة وقلبا تصور منها العجل . فانظر هذه الأقاويل ، ما أضل قائلها !

(٢) وفي التوراة تحريم التصوير وعمل الأصنام ، واللعنة لمن عمل ذلك والغضب عليه ، ثم فيها أن موسى عمل صورة ملكين من الكروبيين من ذهب مفرغ ، أجنحتها مبسوطة ، ووجه كل منهما إلى الآخر ، ونصبهما على صحيفة ذهب تسمى صحيفة التطهير بكلمة الله تعالى ، ومن بينهما أنه أيضا عمل صورة حية من نحاس .

(٣) معناه أن اللعنة والغضب في التوراة على من صور الصور ، وقد نسبوا إلى موسى عملها ، وفي أن الله غضب على موسى وهارون ، ومنعهما من الدخول إلى الأرض المقدسة ، ثم تكرر ذلك في السفر الخامس ، فقال موسى : وغضب الله على أنا ، وحلف لا أدخل إلى الأرض الصالحة التي وهبها ربكم لكم .

وفيهما أن سحرة فرعون عملوا الآيات التسعة الأولى التي جاء بها موسى ، وأنهم ماقدروا أن يبطلوا شيئا من آياته ولا أبطل شيئا من سحرهم الذي جاءوا به ، والله تعالى وتقدس قال : (ما جئتم به ^(١) السحر ، إن الله سيبطله) .

* * *

وَرَضُوا لِمُوسَى أَنْ يَقُولَ فَوَاحِشًا
نَقَلُوا فَوَاحِشَ عَنْ كَلِمِ اللَّهِ لَمْ
وَأَظْنُهُمْ قَدْ خَالَفُوهُ فَعَجَّلَتْ
وَشَكَّتْ رِجَالَهُمْ مَصَادِرَ ذَيْلِهَا
خَتَمَتْ وَصِيَّتُهُ لَهُنَّ فَصُولًا (١)
يَكُ مِثْلُهَا عَنْ مِثْلِهِ مَنَقُولًا
لَهُمُ الْعُقُوبَةُ بَاخِلْنَا تَعَجُّيلًا
وَنَسَاوُهُمْ غَيْرَ الْبُعُولِ بُعُولًا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) ومن التوراة عندهم أن موسى (ع) قال لبني إسرائيل في الوصية التي وصاهم بها ، فقال عند آخرها : وإن كفرت وحدت عن سبيله وعبدت الآلهة الأجنبية ، يتليك الله بدواهي

معصر ، ويضرب الجرب من جسدك الذى يصدر عنه الذيل بالجرب والحكاك الذى لا دواء له ، وتنزوح زوجا ويضاجهما غيرك . ولا خلاف أن بنى إسرائيل عبدوا الآلهة ، فإما أن يكون هذا القول باطلا ، أو يكون قد ابتلوا بما أوعدهم الله به من علمه القطم والقرن ، فإن الجرب والحكاك الذى لا دواء له وهو القطم ، لأنه عين في مصدر الذيل من الجسد ، وليس البواسير التى يولونها لأن البواسير مرض كالبرص والجذام ، وكذلك أن يتزوج زوجة ويضاجها غيره ، فإن المقصود بذلك المعيرة في الموضعين ، ولا معيرة في برص .

وتعالى الله عما يقولون ، وتنزه في التوراة التى جعلها هدى ونورا للإنسان كليمُ الله عز وجل عن ذكر هذه الفواحش .

* * *

لَمِنَ الَّذِينَ رَأَوْا سَبِيلَ مُحَمَّدٍ	وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَضَلَّ سَبِيلًا
أَبْنَاهُ حَيَّاتٍ أَلَمَ تَرَأَاهُمْ	يَحْدُونَ دِرْيَاقَ السُّمُومِ قَتُولًا
مَذْفَرَقُوا الْعِجْلَ الَّذِي فُتِنُوا بِهِ	وَدُّوا اتِّخَاذَ الْأَنْبِيَاءِ عُجُولًا
فَإِذَا آتَى بَشَرٌ إِلَيْهِمْ كَذَّبُوا	بِهَوَى النَّفْسِ وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا
أَخْلَوْا كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَحْكَامِهِ	عَدَوْا وَكَانَ الْعَامِرَ الْمَأْهُولًا
جَعَلُوا الْحَرَامَ بِهِ حَلَالًا وَهُدًى	غِيًّا وَمَوْصُولَ الثَّقَى مَقْضُولًا
وَدَعَاهُمْ مَا ضَيَعُوا مِنْ فَضْلِهِ	أَنْ يَمْلِكُوهُ مِنَ الْكَلَامِ فُضُولًا
كَتَمُوا الْعِبَادَةَ وَالْمَعَادَ وَمَارَعَوْا	لِلْحَقِّ تَعْجِيلًا وَلَا تَأْخِيلًا

* * *

أعلم أن علماء المسلمين ذكروا أن التوراة والإنجيل لم يبق فيهما الآن إلا ما اختاره ضلّال النصارى واليهود ، بعد الحذف والاستدراك ، والتحريف والتبديل ، فالله تعالى يقول : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) . وكفى بذلك . واليهود مقرّون أن سبعين كاهنا منهم اتفقوا على أن بدلوا من التوراة ثلاثة عشر حرفا اعترفت اليهود بثلاثة حروف ، ومن اعترف بذلك فما ينكر ما قيل عنه من جنسه ، وفيما تقدم من نصوصهم الدالة على ذلك الكفاية . ومما يدل أيضا على ذلك ما أذكره ، وهو ما لا ينكره أحد من اليهود ، وذلك أن التوراة التي بأيديهم الآن ليس فيها ذكر البعث والقيامة ولا الدار الآخرة ولا الجنة ولا النار ، وكل ما ذكر من خير فيها إنما هو معجل في الدنيا فيجزون كما زعموا على الطاعة بنصر على الأعداء وطول العمر وطيب العيشة وسعة الرزق وطول المكث في الأرض المقدسة ، ويحزون على الكفر والمعاصي بالموت ومنع قطر السماء ومنع الثمرة وظهور الأعداء عليهم ، والشقاء والتعب والقروح والحيات والجرب واليرقان وريح السموم ؛ وتكون السماء عليهم مثل النحاس ، والأرض مثل الحديد ، فينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ويسقى عليهم التراب من السماء ويكونون يلتمسون الشيء نصف النهار كما يلتسمه الأعمى لا يبصرونه ولا يستقيم لهم أمر ، ويهربون ويسبون ، وتصيبهم عين سوء في ركبهم وفي سوقهم ، ولا يكون لهم شفاء . وليس في كتابهم اليوم ذم الدنيا ولا الزهد فيها ولا وظيفة صلاة معلومة ، بل فيها الأمر بالبطالة والأكل والشرب والقصف والغناء واللهو ، كل هذا نص فيما يزعمون أنها التوراة ، وأن موسى عليه السلام قال لله عز وجل : أطلب إليك يارب أن ترسل في هذه الرسالة غيري ، فاشتد غضب الله تعالى على موسى (ع) وقال الله تعالى : ولئن أنت غفرت لهم خطاياهم وإلا فاعنني من سفرك الذي كتبت : أي اعنني من النبوة ، وفيها أن بنى إسرائيل يتمنحهم الله بأنبياء كذابين يأتون بالآيات والعجائب ، وأن الله تعالى يأخذ الأبناء بذنوب

الآباء إلى ثلاثة خلوف ، إلى غير ذلك مما يعلم كل ذى بصيرة أن ذلك القول لا يأتى عن الله تعالى مثله . وفى التوراة أن الله تعالى قال لموسى : أنا هو الذى أدخل يدك فى حجرى وأخرجها مبروسة كالثلج ، وإذا أخرجها مبروسة فأى آية فيها ، إذ يياض البرص موجود فى الناس ، والله أخبرنا فى محكم كتابه العزيز أنه قال : (وأدخل^(١) يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) .

وفى التوراة عن اللوحين ، أنهما منقوشان بأصبع ، والله تعالى يقول : (وكتبنا له^(٢) فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء) وفى التوراة أن إسحاق هو الذبيح ، وإنما الذبيح إسماعيل ، ودليل ذلك أن النحر والذبح بنى موطن إسماعيل ، فإن قرون الكباش كانت معلقة فى الكعبة من عهد إبراهيم (ع) إلى دخول الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير فخرقت ، وفى التوراة أن الحية أغوت حواء فى أكل الشجرة ، فقال لها الله تعالى : سأجعل العداوة بين نسلك ونسلها ، وترصدين أنت أبداً عقبها وترصد أبداً رأسك لتقطعه ، إلى خبر كثير هو مثل خرافة . والله تعالى يقول : (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وُورِىَ عنهما من سوءاتهما) وفى التوراة أيضا عن نوح (ع) أنه رقد وأولاده أمامه فأنكشت عورته ، فضحك ابنه حام من ذلك ، فجاء ابنه سام وألقى قفاه إلى جهة عورة أبيه ، يمشى إلى وراء ، حتى غطاها واستيقظ نوح (ع) ودعا على حام : سيسود لونك ويكون أولادك عبيداً لأولاد أخيك ، إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان . وفى التوراة أن سليمان بن داود (ع) ختم أمره بالسحر وعبادة الأوثان ، وسب نساءه وبنيه وغير ذلك من الفواحش المنسوبة إلى الأنبياء وأبناء الأنبياء عليهم السلام ، ما يمنع من تسيطره والنطق به الحياء من الله سبحانه وتعالى ، والإشفاق على أعراض رسله الكرام المعصومة ، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين .

* * *

عَجَبًا لَهُمْ وَالسَّبْتُ يَنْعُ عِنْدَهُمْ لَمْ يَلْقَ مِنْهُ الْمُسْتَرُونَ مَقِيلًا^(١)
هَلَّا عَصَوْا فِي السَّبْتِ يُوشَعَ إِذْ غَدَا يَدْعُو جُنُودًا لِلْوَعَى وَخِيُولًا
أَوْ خَالَفُوا هَارُونَ فِي ذَبْحٍ وَفِي عَجَنِ بِهِ لَمْ يَبْدُ عَنْهُ نُكُولًا^(٢)
أَوْ أَخْلَقُوا بِهِمَا الْمَسِيحَ وَسَوَّغُوا التَّخْرِيمَ فِي الْحَالَيْنِ وَالتَّحْلِيلِ^(٣)
[أَوْ أَنْبَتُوا النَّسَخَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ قَدْ نَصَّ عَنْ شَعْيَا وَعَنْ يُونْيَاسَ
أَوْ لَمْ يَرَوْا حُكْمَ الْعَقِيقَةِ نَاسِخًا أَحْكَامَ كُتُبِ الْمُرْسَلِينَ الْأُولَى]

[تعليق الناظم] :

وفي التوراة تمسكوا بالسبت مادامت السموات والأرض ، وفيه من التغليظ والتشديد ما لا يخفى ، واليهود تقول : إن الله تعالى أمرنا بمعصية كل نبي ادعى ديناً يتضمن نسخاً لبعض ما شرعه في جميع الأيام المتصلة ، وأمرهم بتضعيف الحاربة يوم السبت ، وأن يلبثوا فيه إلى أن يجتمع الأئمة وسائر العساكر سبع مرات بأشد الحاربة ، فقال في نص التوراة : ويحيطون بالمدينة لقتال ، ويتسوزون عليها مرة واحدة ، ويصنعون ذلك في الستة أيام ، ويحمل سبعة أيام سبعة أبواق ، والشمع بين يدي الصندوق ، وفي اليوم السابع يحيطون بالمدينة سبع مرات والأئمة يضربون الأبواق . وفي التوراة يأمر هارون أن يذبح في يوم السبت كبشين أصيلين ابني سنة كاملة ومكيل سميد يعجن بالزيت ، فاعجب لهذا التناقض : كون حكم التوراة أن لا ينقض السبت ، وأى نبي جاءهم بما ينقض شيئاً من أحكامها لا يطاع ، وقد أطاعوا شعياً وهارون فيما نهوا

(١) المقيلاً من إقالة البيع وفسخه .

(٢) في م هكذا :

أَوْ جَهِلُوا هَارُونَ فِي ذَبْحٍ وَفِي عَجَنِ وَمَا كَانَ النَّبِيُّ جَهُولًا

(٣) في م هكذا :

أَوْ أَخْلَقُوا بِهِمَا الْمَسِيحَ وَأَوْجَبُوا لَهُ حَرِيمَ فِي الْحَالَيْنِ وَالتَّحْلِيلِ

وحلّلوا ما حرمت التوراة مع منعهم النسخ ، وأنكروا على المسيح إحياء الميت في يوم السبت ، وكفروا به ، لأنهم أنكروا ما في الكتابين ولا وافقوا ما فيهما وكل من الثلاثة نبي .

* * *

أَفَيَأْتِيُ الْكَفَّارُ أَنْ يَسْتَذِرَ كَمَا قَوْلًا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى مَنَحُولًا
لَا دَرَّ دَرُّهُمْ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ يَذَرُ الثَّرَى مِنْ أَدْمَعِي^(١) مَبْلُولًا
فَكَأَنِّي أَلْقَيْتُ مُقْلَةً فَاقْدِ تَكَلَّى وَمُوجَعَةٍ تُصِيبُ عَوِيلًا^(٢)
[ظَنُّوا بِرَبِّهِمُ الظُّنُونِ وَرُسُلِهِ وَرَمَوْا إِنَانًا بِالْأَذَى وَفُحُولًا]
إِنْ يَبْخَسُوهُ يَكِيلُ زُورٍ حَقَّهُ فَلَا وَسِقَمَهُمُ الْجَزَاءُ مَكِيلًا^(٣)
وَمِنَ الْغَيْبَةِ أَنْ يُجَازَى إِنْكَارَهُمْ صِدْقِي وَلَسْنَا فِي الْكَلَامِ شُكُولًا^(٤)

* * *

[تعليق الناظم] :

وفي التوراة : أن ملك الله قال لهاجر : إني أكثر ولدك ، ولا يحصى عددهم لكثرتهم ، وقال لها : إنك حامل ، وستلين غلاما ، وتدعين اسمه إسماعيل ، فإن الله تعالى قد سمع تعبدك ، ويكون هو وحش الناس ، يده على كل يد ، ويد كل به ، ويحلي على سهمى وأخوته كلهم . وفي نسخة هذا الكلام : ويكون عظيما في الأمم ، وفي نسخة : وتكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، فهذه بشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن إسماعيل لم يحل على سهم

(١) د : أدمع ، وهذه رواية م . (٢) هذه رواية م ، وأما د فهكذا :

فَكَأَنِّي بِالْغَيْبِ مُقْلَةٌ مَا جَد تَلَرُوْا لِمُوجَعَةٍ تَمْسُ عَقِيلًا

(٣) م : إِنْ يَبْخَسُوهُ بِالْكَيْلِ زُورًا حَقَّهُ . (٤) م يجازى .

إخوته ، ولا بسطوا أيديهم إليه بالخضوع ، ولا كانت يده على أيديهم ، ولا يده على كل يد ، ولا يد كل به ، لأن في التوراة أن إسماعيل وأمه خرجا منفين مطرودين ، ولم يورث إسماعيل مع إسحاق شيئا ، ولم يقل أحد إن إسحاق وولده خضعوا لإسماعيل وولده ، ولم تزل الفتوة والملك في ولد إسحاق ، حتى بعث الله محمدا (ص) فبسط بنو إسحاق حينئذ أيديهم بالخضوع له ، وعلت يده وأيدى بنى إسماعيل على كل يد ، وصارت يد كل بهم ، فكان ذكر إسماعيل مقصود به ولده .

* * *

[لَوْ يَصْدُقُونَ لَمَا أَتَتْ رُسُلُ لَهُمْ
إِنْ أَنْكَرُوا فَضَلَ النَّبِيِّ فَإِنَّمَا
اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
طَلَعَتْ بِهِ شَمْسُ الْهِدَايَةِ لِلْوَرَى
وَالْحَقُّ أَبْلَجُ فِي شَرِيعَتِهِ الَّتِي
لَا تَذْكُرُوا الْكُتُبَ السَّوَالِفَ عِنْدَهُ
دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا إِلَّا فَاسْتَخِيرُوا
تُخَبِّرُكُمْ التَّوْرَةُ أَنْ قَدْ بَشَّرَتْ
وَدَعَتْهُ وَحُشَّ النَّاسِ^(٥) كُلُّ نَذِيَّةٍ
أَتَرَى الطَّبِيبَ غَدًا يَزُورُ عَلِيلًا^(١)
أَرْخَوْا عَلَى صَوْنِ النَّهَارِ سُدُولا
وَكِتَابَهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيلًا
وَأَبَى لَهَا وَصْفُ الْكَمَالِ أَقُولَا
جَمَعَتْ^(٢) فَرَوْعًا لِلْوَرَى^(٣) وَأُصُولَا
طَلَعَ النَّهَارُ فَأَطْفَنُوا الْقِنْدِيلَا
مِنْهَا رُسُومًا قَدْ عَفَتْ وَطُلُولَا
قَدِّمًا بِأَحْمَدَ أُمَ^(٤) بِإِسْمَاعِيلَا
وَعَلَى الْجَمِيعِ لَهُ الْأَيْدِي الطُّوَلَى

(١) ما بين القوسين زيادة في م .

(٢) د : حقت ، ونظن الصواب ما أثبتناه .

(٣) د : فلهدي وهذه رواية م .

(٤) م : الغار .

تَجِدُوا الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ فَطَلَمَا صَدَّقَ الْحَبِيبُ هَوَى الْمَحَبِّ نَحُولَا
 مَنْ مِثْلُ مُوسَى قَدْ أَقِيمَ لِأَهْلِهِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ سِوَاهُ رَسُولَا
 أَوْ أَنَّ إِخْوَتَهُمْ بَنُو الْعِصْرِ الَّذِي نَقَلَتْ بَكَارَتُهُ لِإِسْرَائِيلَا
 تَالَهُ مَا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ فَتَى مُوسَى وَلَا عِيسَى وَلَا شُمُويلَا
 إِذْ لَنْ يَقُومَ لَهُمْ نَبِيٌّ مِثْلُهُ مِنْهُمْ وَلَوْ كَانَ النَّبِيُّ مِثْلَا
 طُوبَى لِمُوسَى حِينَ بَشَّرَ بِاسْمِهِ وَلِسَامِيعٍ مِنْ فَضْلِهِ مَا قِيلَا
 وَجِبَالُ فَارَانَ الرَّوَاسِي مِنْهَا نَالَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ التَّفْضِيلَا

* * *

[تعليق الناظم] :

وكما أن في مواضع كثيرة من التوراة ذكر يعقوب ، والمقصود به ولد يعقوب ، فن ذلك قوله في السفر الخامس : يا إسرائيل ، لأن تخشى الله ربك ، وتسلك في سبيله ، وتعمل له . فهذا خطاب لبني إسرائيل باسم أبيهم ، وذلك قوله في السفر الخامس : فسمن إسرائيل وأبر وجمع الأموال ونسى الله الذي خلقه ، وأسخط السيد الذي خلصه وأغضبه بالإنسان إلى ذبح الشياطين . وذلك قوله لقوم موسى : أسمع إسرائيل ثم احفظ واعمل ويحسن إليك ربك ويكرم وينعم . وفي التوراة يقول لإبراهيم وفي إسماعيل : قد سمعتك وباركته وكرمته جدا جدا وسيلد اثني عشر عظيما وأعطيه شعبا جليلا . وفي نسخة أخرى : وإسماعيل قد سمعت دعاك فيه ، وباركت عليه ، وعظّمته جدا جدا . وفي نسخة طيبا طيبا ، وقل حمدا حمدا ، وسيلد اثني عشر عظيما ، وأجعل له أمة عظيمة ، فهل كانت لإسماعيل أمة عظيمة ، لكن الأمة العظيمة لولده محمد (ﷺ) .

وفي التوراة : فدعا ملك الله هاجر وقال لها: مالك ياهاجر! لا تخشى، فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو ، فقومي فاحملِي الغلام وشدي يديك به ، فإنني جاعله لأمة عظيمة ، وفي التوراة هذه بركة موسى التي بارك بنى إسرائيل قبل وفاته قال : جاء الله من طور سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ومعه ربوة من الطهور من عن يمينه . وفي نسخة : تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ، فهذه إشارة نبوة عيسى ومحمد (ﷺ) .

فإن الطور مكان خص الله فيه موسى بمناجاته ، وساعير جبل الشام ، منه ظهرت نبوة المسيح عليه السلام بقرب الناصرة ، وهي البلدة التي ولد فيها ، وفاران مكة لا يخالف في ذلك أحد من أهل الكتاب .

وفيهما أقبل السيد من سيناء ، ومن البر تراءى لنا من جبال فاران ومعه الألف من الصالحين ، ومعه كتاب بارى وهو جيم الأجناس وجميع الصالحين في قبضته ، ومن تدانى من قدميه يصيب من عمله . وفي السفر الخامس من التوراة ، قال الله لموسى بن عمران : إني أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامي على فيه ، فمن عصاه انتقمته منه . وفي نسخة : والله ربك يقيم نبيا من إخوتك فاسمع له كالذى سألت ربك في حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربى لئلا أموت ، فقال الله لى نعم ما قالوا ، وسأقيم لهم نبيا مثلك من إخوتهم وأجعل كلامي فيه فيقول لهم كل شيء أمرته ، وأياما رجل لم يقطع من تكلم باسمي فإني أنتقم منه .

فإن قلت إن ذلك إنما هو يوشع بن نون ، فقد قال الله في آخر التوراة : لا يخلف من بنى إسرائيل نبي مثل موسى . وفي نسخة : لا يقوم في بنى إسرائيل أحد مثل موسى . وفي نسخة أخرى : مثل موسى لا يقوم في بنى إسرائيل أبدا . وانظر إلى من هم إخوة بنى إسرائيل ، فلا محالة أنهم العرب والروم . فأما بنو إسرائيل فلم يكن منهم نبي سوى أيوب ، وكان قبل موسى بزمان ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة . فلم يبق إلا العرب فهو محمد (ﷺ) وقد قال الله سبحانه وتعالى في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب ، إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته .

فكفى عن بنى إسرائيل بإخوة إسماعيل ، كما كفى عن العرب بإخوة بنى إسرائيل في قوله :

سأقيم لبني إسرائيل من إخوانهم مثلك ، ولم يكن يوشع كفوا لموسى ، بل كان خادما له في حياته ، مؤكدا لدعوته بعد وفاته ، ولكن كفؤ موسى محمد (ﷺ) فإنه مماثل في نصب الدعوة ، والتحدى بالمعجزات ، وشرع الأحكام ، وإجراء النسخ على الشرائع السالفة . وقوله أجعل كلامي في فمه إشارة إلى محمد (ﷺ) معناه أوحى إليه من غير ألواح ولاصحف ، لأنه أى لا يقرأ الكتاب ، ولا يخطه يمينه .

* * *

وَأَسْتَخْبِرُوا الْإِنْجِيلَ عَنْهُ وَحَازِرُوا مِنْ لَفْظِهِ التَّخْرِيفَ وَالتَّبْدِيلَ

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) ذكر بعض العلماء أن سبب التحريف والتبديل في الإنجيل ، وفساد عقائد النصارى ، أن الحواريين لما توفوا ، وتفرق شمل النصارى ، واختلفت أقوالهم ، واستضعفوا حتى لا يوجد أحد منهم إلا قتل ومثل به ، بعد انقضاء أربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام تمادت أعمال دينهم إلى نحو ثلاث مئة سنة ، وقيل مئتين وثلاثا وثلاثين سنة ، وفي ذلك الزمن اضطربت مملكة قسطنطين ملك الروم ، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلوكهم ، ويؤلف متفرقهم . فاستشار من لديه من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتبعوا القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه ، ويؤيد بجيشهم في نصره ، فوجدوا اليهود يزعمون أن في بعض تواريفهم خبرا عن رجل كان منهم ، هم أن ينسخ حكمة التوراة ، ويتفرد بالتأويل فيها ، فعمدوا إليه وهو في نفر من تبعه ، وظفروا بواحد منهم ، وشهد رجل واحد أنه ذلك المطلوب ، فصلبوه وما عندهم تحقيق أنه ذلك المصلوب بعينه ، إلا أن فقدهم إياه من حينئذ . فعمد قسطنطين إلى من وجد من أمة عيسى ، وقد اختلفت دعائها بعد المسيح بأربعين سنة ، فاستخرج قسطنطين ما تبقى من

رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ما شام ، وما رآه موافقا لاختياره ، كالقول بالصلوية ، ليتبعه قومه بطلب دم ، والقول بترك الختان ، لأنه شأن قومه ، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر ، فجميع أنصاره ورعاياه من الروم ذكر لهم أنه كان يرى في منامه آتيا أتاه ، فيقول له بهذا الرسم تغلب ، وتعرض عليه هيئة صليب ، فأعظم ذلك العامة ، وانفعلت لما سمعت منه . ثم بعث إلى امرأة كانت في ذلك الزمان فيها روح كهانة ، وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى ، وقوى تصديق العامة لذلك ، وفي ذلك كله لا يرون لذلك الرسم تأويلا ، ولا كان قسطنطين كشف لهم شيئا من أمره ، وخرج بهم إلى عدوه ، ووعظهم وهون عليهم أمر الرسم ، فحصل لهم كل ما أرادوا من جد القوم واجتهادهم معه ، فلما عادوا إلى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم ، ولجوا عليه فيه ، فقال : إنه قد أوحى في نومي أنه كان الله تبارك وتعالى هبط من السماء إلى الأرض ، وصلبته اليهود ، فهلم ذلك كثيرا مع ما حصل عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ، وانقادوا إلى قسطنطين انقيادا حسنا ، وصح له منهم ما أراد ، وشرع لهم هذه الشرائع على بعض ما هي عليه ، وقد ظهر لجماعة من أهل العلم في ذلك الزمان غير أولى الشرائع ، أن هذا الشخص الذي تعظمه النصارى وتصفه بالإلهية ، لم يكن وجوده في العالم ، ولكن قسطنطين ابتدع لهم ذلك كله ، واتفق مع نفر من أحبار اليهود وعلمائهم على أن بذل لهم ما شاءوا من متاع الدنيا ، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود ، فصلبته ، وأن يضع الأحبار ذلك مسطورا عند اليهود . ففعلت وألفت من أخباره شيئا ، وشهدت أن ذلك القول جميعه بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل ، فبقيت النصارى على ذلك ، الإحداث في شريعتهم ، مع السماعات بمنامات تدعيها النساء والمصبيان ، ومن لا يوثق به يدون ذلك وإبدال ما كان بأيديهم ، ورأوا ما في الإنجيل من إجراء صفات البشرية على المسيح ، فقالوا بالحلول . واختلفوا في تلك العقائد ، وسوغوها بألفاظ فلسفية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، ولا شهد بها كتاب قبل ذلك . وفي الإنجيل من تناقض

الأقوال، مما يدل على التبديل كثيرا ؛ فمن ذلك قول المسيح : أنا الباب ، فمن دخل على يسلم ويحذ فرجا أبدا ، فمن عرّض بمن قتله من الأنبياء فجعلهم لصوصا وسراقا ، فقال آمين آمين ، أقول لكم إني أنا باب الضأن ، والقادمون عليكم كانوا الصوصا وسراقا ، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئا ويقتل ، وأنا قدمت لتحيوا وتردادوا أجرا . وفي الإنجيل منه : إني كنت أشهد لنفسى ، فشهادتى حق ، لأننى أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب . وكيف تكون شهادته حقا وباطلا ، ومقبولة وغير مقبولة ، وكيف يجمع بين هذين فى كتاب ينسب إلى الله تعالى . وفى الإنجيل أنه حين استشعر بوقوف اليهود عليه بظنكم ، قال قد جزعت نفسى الآن ، فماذا أقول يا أبتا ؟ فلسننى من هذا الوقت ، وأنه حين رفع فى الخشبة صاح صياحا عظيما إلهى إلهى : لماذا تركتنى ؟ وفى موضع آخر من الإنجيل : أنه قال قبل ذلك : من أحب أن يقفو أثرى فليذهب ، فخرص على إتلاف النفوس ، فكيف يجزع مما حرض عليه ؟ أم كيف يكون إلهما ويجزع نفسه ؟ أم كيف يكون ابن الله ويدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت ، فلم يستجب له .

وفى الإنجيل عن يوحنا الحواري حين ذكر نسب عيسى عليه الصلاة والسلام من يوسف ابن يعقوب بن ينا بن أليعازر بن اليود بن أخيم ، وعدّ إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أبا . ثم فى إنجيل لوقا^(١) الحواريّ أنه ابن يوسف بن هالى بن لاوى بن ملجان بن ينا بن حنان ، وعدّ إلى إبراهيم نيفا وخمسين أبا ، فكيف يقع هذا الاختلاف فى كتاب الله ؟ وفيه أنه كان يوما نهام عن التجارة فى بيت المقدس ، وأن اليهود قالت له يومئذ : أى علامة تظهر لنا ؟ قال : تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام ، فقالت اليهود بيت بنى فى خمس وأربعين سنة ، تبنيه أنت فى ثلاثة أيام ؟ وفى موضع آخر منه لما ظفرت به اليهود بظنكم ، وحمل إلى بلاد عامل قيصر ، واسترعت عليه البنية أن شاهدى زور جاءا وقالا : هذا يقول أنا قادر على بنيان هذا البيت فى ثلاثة أيام ، اجزلى كيف استخرتم أن تسموها شاهدى زور ، وقد شهد نص كتابكم

(١) ورد نسب عيسى (ع) فى إنجيل لوقا متصلا بآدم (إصحاح ٣) كما ورد مختلفا فى إنجيل متى الإصحاح الأول .

أنه قال ذلك ! فإن قلت إن اليهود ظنوا بهذا القول عما عني عيسى عليه السلام فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل ، إنما شهدا على لفظه وما نطق به لسانه .

ومما هو نص في كتابكم ، وأى تأويل لهذا غير ما يظهر من خوى مجاوبة اليهود ، من أن البيت المعنى فيه بيت المقدس ، إنما أراد جسمه ، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام . ومن عجيب الأشياء أنكم تأولتم على اليهود في ذلك ما أقررتم أنهم لم يقصدوا له ، وذلك حين قال لهم عيسى اهدموا هذا البيت ، وأبنيه لكم في ثلاثة أيام ، فقالوا : بيت بنى في خمس وأربعين سنة تبنيه في ثلاثة أيام ! فقلتم في معنى ذلك إنها التربة التي صنعت منها الخمسة وأربعون من أقطار الأرض ، وأن الأحرف التي في ابتداء السطر إذا حصلت وجدت آدم ، وأكتم التصديق بهذا الهذيان الذي لا يؤدي إلى معنى ، بإخراج العدد من اسم آدم حين نزلت حروفه بحساب أبي جاد ، على خمسة وأربعين من العدد ، وأعجب الأشياء من هذا ، ولكن أسلافهم جرى بينهم وبين المسيح هذا المجلس . وفيه أن يحى قال فيه إنه يكثر ولا ينقص ، وكيف تجوز الزيادة والنقص على من كان إلها . وفيه عن لوقا أن عيسى عليه السلام قال لرجلين من تلاميذه : اذهبا إلى الحصن الذي يقابلكما ، فإذا دخلتما فتجدان فلورا مربوطا لم يركبه أحد ، فحلاه وأقبلا به إلى . وفيه لمن يذكر أنها كانت حمارة متعبة ، وكفى بذلك شكا . وفيه للوقا يخبر عن المرأة التي صبت الطيب على رجلي عيسى عليه السلام وشق ذلك على التلاميذ ، وقالوا هلا تصدقت به ، وفيه لمتى : أنها إنما صبت الطيب على رأس المسيح عليه السلام فما أبعد اليقين من كتاب فيه مثل هذا الاختلاف ! وفيه أن أم ابني سيده جاءت إلى عيسى عليه السلام ومعها ابناها ، فقال : ما تريدن؟ فقالت : أريد أن تجلس ولدى : أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك إذا جلست في مملكك ، فقال : تجهلين السؤال ، أيصبران على الكأس التي أشربها؟ فقالا : نصبر ، فقال : سيشربان بكأسي ، وليس إلى تجلسكما عن يميني ولا عن شمالي إلا بمن وهب ذلك إلى ، فهاهوذا عيسى عليه السلام قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء . ومن تناقض إنجيلكم أنه قال : لا تحسبوا أنني قدمت لأصلح

بين أهل الأرض . لم آت بصلاحكم لكن لألقى الحاربة بينكم ، إنما قدمت لأفرك بين المرء وأبيه ، البنت وأما ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته . وفيه عنه أنه قال : لم آت لأقض شريعة من قبلى إنما جئت لأتمم . ثم فيه بعد ذلك نقض التوراة وأحكامها بقوله : أما علمتم أنه قيل للقديماء لا تقتلوا ، ومن قتل فقد استوجب القتل ، وأنا أقول كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة ، ومن قذف أخاه فقد استوجب النفي من الجماعة ، ومن رماه بالخرق فقد استوجب نار جهنم . أما علمتم ما قد قيل للقديماء : من فارق امرأته فليكتب لها كتابا بطلاق ، وأنا أقول لكم من فارق امرأته ^(١) منكم فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا ، ومن تزوج بمطلقة فهو فاسق ، وقوله : أما بلفكم ^(٢) أنه قد قيل للقديماء : العين بالعين ، والسن بالسن ، وأنا أقول لكم : لا تكافئوا أحدا بسيئة . ولكن من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر ، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك فزده رداءك ، ومن سخرك ألف باع فاصحبه مثلها ، ومن سأل شيئا فأعطه ، ومن استسلفك شيئا فأسلفه . وفيه لمتى عن المسيح أنه قال لبيطره : طوبى لك يا شمعون بن الحماة وأنا أقول لك إنك الحجر ، وعلى هذا الحجر أبنتى بيعتى ، وكلما أحلته على الأرض يكون محلولاً من السماء ، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً فى السماء . ثم فيه بعد أحرف يسيرة : يقول له بعينه : اذهب عنى يا شيطان ، ولا تعارض فإنك جاهل ، فكيف شيطان يعطيه صاحب السماء ؟ وفيه أيضا أنه لم تلد النساء مثل يحيى ، هذا فى إنجيل متى ، ثم فى إنجيل يوحنا أن يحيى بعث إليه من اليهود من يكشف له عن أمره ، فسألوه : أهو المسيح ؟ قال : لا ، فقالوا : أنت نبي ؟ قال : لا ، قالوا : أخبرنا من أنت ؟ صوت كلام مناد فى الغار ، إلى كلام كثير ينبى عن نفسه كونه نبيا ، ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته فى هذا الكلام . وقد ذكر عيسى عليه السلام أنه لا يصلح أن يحل شركاء نعله ، وسماه خروف الله ، وأتم تقولون هو الله ، ولذلك تناولون من الإنجيل الذى بأيديكم أنه لانبى بعده . وفيه أيضا من جهة أخرى أنه يبعث أنبياء فى قوله لليهود : وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون وتجددون فى حاتمكم

(١) إنجيل متى إصحاح ٥ « وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعل الزنى يجعلها تزنى . ومن

تزوج مطلقة فإنه يزنى » . (٢) إنجيل متى ، الإصحاح الخامس .

وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى ، وفي كتبكم أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء ، منهم باريثا وشعمون ولوقيوس ومانالي ؛ وكذلك في كتبكم أنه قدم أنبياء من بيت المقدس ، وتكلم أحدهم وكان يسمى أنجيانوس ، وقال إنه يكون في البلاد حاجة وقحط شديد ، وفيها أن جرجيس الذي كان من بعده وبث إلى ملك الموصل وهو من أهل فلسطين ، وكان أذن لبعض الحواريين وأتم القائلون أن لاني بعد المسيح ، وأتم مصدقون نبوة هؤلاء كلهم ، ولم يكن من الذكر في الكتب ولا النبوات مثل الذي كفرتم به .

* * *

إِنْ يَدْعُهُ الْإِنْجِيلُ فَارْقُلِيطَهُ فَلَقَدْ دَعَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ إِيْلَا
وَدَعَاهُ رُوحَ الْحَقِّ لِلْوَحْيِ الَّذِي يُتْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
وَأَرَاهُ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا إِذَا أَزْفَعْتُ^(١) عَنْكُمْ لِلْإِلَهِ مَقُولَا
إِنْ أَنْطَلَقَ عَنْكُمْ يَكُنْ خَيْرٌ لَكُمْ لِيَجِيْثَكُمْ مَنْ تَرْتَضَوُهُ^(٢) بِدِيلَا
يَأْتِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ مِنْهُ مُبَارَكٌ مَا كَانَ مَوْعِدُ بَعْنِهِ مَمْطُولَا
يَتْلُو كِتَابَ الْبَيِّنَاتِ كِتَابَهُ وَيَرُدُّ^(٣) أَمْثَالِي بِهِ التَّأْوِيلَا^(٤)
وَيُفَنِّدُ الْعُلَمَاءَ تَوْبِيخًا لَهُمْ وَكَفَاهُمْ مِخْطِيطِهِ تَخْجِيلَا^(٥)
وَيُزِيحُ مُلُوكَ اللَّهِ مِنْكُمْ عَنُوءَ لِيُبَيِّحَهُ أَهْلَ التَّقَى وَيُنِيلَا^(٦)

(١) كذا في الأصل . (٢) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن « ترضون » . (٣) د : يرود .

(٤) البيت في م هكذا :

يتلو كتابا بالبيان كتابه وترد أمثالي به التأويل

(٥) البيت في م هكذا :

من فند العلماء غير محمد مهم وجهل رأيهم تجهيلا

(٦) م : وأزاح ملك الله عنهم عنوة ليبيحه أهل التقى وينيلا

وَمَا شَهِدْتُ لَهُ سِيشَهُدُ لِي إِذَا صَارَ الْعَلِيمُ بِمَا أَتَيْتُ جَهُولًا
يُبْدِي الْحَوَادِثَ وَالْغُيُوبَ حَدِيثُهُ ^(١) وَيَسُوسُكُمْ بِالْحَقِّ جِيلًا جِيلًا
هُوَ صَخْرَةٌ مَارُوحَتِ صَدَمَتْ فَلَا تَبْغُوا لَهَا إِلَّا النُّجُومَ وَغُولا
وَالْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ فَقَوْمُهُ أَخَذُوا عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ جَزِيلًا
وَالْمُنْحَمِنًا لَا تَشْكُوا ابْنُ آتَى لَكُمْ فَلَيْسَ بِحِجِيئِهِ بِجَهُولًا ^(٢)
وَهُوَ الْمُؤَكَّلُ آخِرًا بِالكَرَمِ لَا يَخْتَارُ مَالِكُهُ عَلَيْهِ وَكِلا

* * *

[تعليق الناظم] :

فن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل وبشارة المسيح عليه السلام قوله : اللهم ابش
الفارقليط يعلم الناس أن ابن الإنسان بشر، وفيه عن يوحنا: الفارقليط ^(٣) لا يبحثكم مالم أذهب،
فإذا جاء ولح العالم عن الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكنه مما يسمع يكلمكم،
ويسوسكم بالحق، ويخبركم الحوادث والغيوب .

إلى أن قال عنه : وسيعظمي . وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا، وتمادى في وصفه بكلام بين .
وقال هو سيشهد لي كما شهدت له، وأنا أجيبكم بالأمثال، وهو يحكم بالتأويل . وفيه عن يوحنا أن
المسيح قال للحواريين : من أبغضني فقد أبغض الرب . ولولا أني صنعت لكم بحضرتي صنائع لم
يصنعها أحد، ولم يكن لهم ذنب . ثم قل: فلو قد جاء المنحمن، فهو الذي يرسله إليكم من عند الرب
روح القدس، فهو شهيد علي، وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي . هذا أقول لكم كيلا تشكوا إذا
جاء. المنحمن بلسان السريانية، وتفسيره بالرومية: الفارقليط، وهو بالعربية محمد (ﷺ) . وفيه أنه قال

(١) م ، د : يبد الحوادث والغيوب سبيله .

(٢) د : والمنحمن لا تشكوان أن فيه .

(٣) الفارقليط: كلمة يونانية معناها محمد .

يه وليس أضرار النجوم وعلوا

اليهود، وأنا أقول لكم : لا تروني الآن حتى يأتي من تقولون له مبارك، يأتي على اسم الله . وفيه : إنما النبوة والكتاب إلى يحيى ، ومن بعده يكثر ملك الله وتوجد عنوة . فهذا بشارة بمحمد (ﷺ) في الأرض الذى قهر الأجناس ، وقتل من قتل بالسيف من اليهود، وصابر الكفرة انتقاما من الله . وتكاملت عليهم دماء المؤمنين المتفرقة على الأرض ، من دم هابيل الصالح ، إلى دم يحيى بن زكريا الذى قتلوه عند المذبح آمين آمين . أقول إنه سيأتى جميع ما وصف على هذه الأمة بؤسا ، ثم تقتل الأنبياء ، ورحم من بعث إليك . قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فرار يجمعها تحت جناحها . وفيه عن متى : أنه المحبس يحيى بن زكريا عليه السلام بعث تلاميذه إلى المسيح ، وقال لهم قولوا له أنت الآتى أم تتوقع غيرك . فأجابهم المسيح ، وقال : الحق اليقين أقول لكم إن لم يقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا . وأن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحى ، حتى جاء يحيى ، وأما الآن فإن شتم فافعلوا ، فإن إيليا المزمع أن يأتى . فمن كان له أذنان سامعتان فليسمع . فهذه بشارة محمد (ﷺ) . فإن زعمت أنه إنما بشر بالناس النبى ، فهذا من أعظم الجبل والكذب على الله تبارك وتعالى ، لأن الناس تقدم إرساله إلى قومه وصار إلى الله تعالى قول المسيح عليه السلام إن إيليا مزمع أن يأتى قائل هو الله تعالى . فجئ الله تعالى هو يحيى . رسوله بكتابه وأمره ، كما قال في التوراة جاء الله من طور سيناء ، وفيه أقول لكم إنه سيزاح عنكم ملك الله ، ويعطى الأمة المطيعة العاملة . ثم ضرب مثلا بصخرة ، من سقط على هذه الصخرة سينكر ، ومن سقطت عليه ينهشم . يريد بذلك محمد (ﷺ) من ناوأه وحاربه أظهره الله عليه . وفيه أنه ضرب مثلا للدنيا كمثل رجل غرس كرما وسبخ حوله ، وجعل فيه معصرة . وشيد فيه قصرا ، ووكل به أعوانا ، وتغرب عنه . فلما دنا أوان انقطافه بعث عبيده إلى أعوانه الموكلين بالكرم . وضرب المسيح مثلا للأنبياء ، ثم لنفسه فى كلام كثير ثم محمد (ﷺ) وجعل الموكل آخر الكرم ، وأفصح عن أمة محمد (ﷺ) وشرف وكرم .

* * *

وَهُوَ الَّذِي مِنْ بَعْدِ يَحْيَى جَاءَهُمْ إِذْ كَانَ يَحْيَى لِلْمَسِيحِ رَسِيلًا^(١)

وَسَلُّوا^(١) الزَّبُورَ فَإِنَّ فِيهِ الْآنَ مِنْ
فَهُوَ الَّذِي نَعَتَ الزَّبُورَ مُقْلِدًا^(٢) ذَا شَفَرَتَيْنِ مِنَ الشُّيُوفِ صَقِيلًا^(٣)
قُرْنَتْ بِهِبَتُهُ شَرِيعَةً دِينِهِ^(٤) فَأَرَاكَ أَخَذَ الْكَافِرِينَ وَبَيْلًا^(٥)
فَاضَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ رَحْمَةُ رَبِّهِ فَاسْتَشَفَّ مِنْ تِلْكَ الشَّقَاءِ عَلِيلًا
وَلِغَالِبٍ مِنْ خَمْدِهِ وَهَبَاهُ مَلَأَ الْأَعَادِيَ ذِلَّةً وَخُحُولًا
فِي أُمَّةٍ خَصَتْ بِكُلِّ كَرَامَةٍ وَتَفَيَّاتٍ ظِلَ الصَّلَاحِ ظَلِيلًا
وَعَلَى مَضَاجِعِهِمْ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ كَلٌّ يُسِرُّ وَيُعْلِنُ التَّهْلِيلَ^(٦)
رُهْبَانُ لَيْلٍ أَسْدُ حَرْبٍ لَمْ تَلْجُ إِلَّا الْقَنَا يَوْمَ الْكَرِيمَةِ غِيْلًا^(٧)
كَمْ غَادَرُوا الْمَلِكَ الْجَلِيلَ مُقِيدًا وَالْقَرَمَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ مَغْلُولًا^(٨)
فَاللَّهُ مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَنْ أَعَجَبْتَ مِنْ مَلِكٍ رَأَيْتَ مُقِيدًا
خَضَعَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ طَائِعَةً لَهُ وَشَرِيفٍ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ مَغْلُولًا
مَا زَالَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مُوَازِرًا وَغَدَا بِهِ قُرْبَانُهُمْ^(٩) مَقْبُولًا
لَمْ يَدْعُهُ ذُو فَاقَةٍ وَضَرُورَةٍ وَأَوَّلِي الصَّلَاحِ وَالْعُقَاةِ^(١٠) بَذُولًا
ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يَدْعُهُ ذُو فَاقَةٍ إِلَّا وَنَالَ بِجُودِهِ الْمَأْمُولَا
تَبَقَى الصَّلَاةُ عَلَيْهِ دَائِمَةً فَخُذْ إِلَّا وَكَانَ لَهُ الزَّمَانُ مُنِيْلًا
وَصَفَّ النَّبِيُّ مِنَ الزَّبُورِ مَقُولًا

* * *

(١) م : وسل . (٢) صَقِيلُ أَي مَصْقُولٌ بِمَعْنَى مَجْلُودٌ .

(٣) م : قُرْنَتْ شَرِيعَتُهُ بِيَأْسٍ بِمَعْنَى . (٤) وَبَيْلٌ : شَدِيدٌ .

(٥) ثَنِيَّةٌ : مُنْحَدَرٌ . (٦) النَّيْلُ : الْأَجْمَةُ . (٧) الْقَرَمُ : السِّيدُ . مَغْلُولًا : مُقِيدًا .

(٨) الْقُرْبَانُ : مَا يُقْرَبُ بِهِ . (٩) الْعُقَاةُ : جَمْعُ عَاقٍ وَهُوَ الْمَتَرَعِضُ لَطَابِ الْإِحْسَانِ .

[تعليق الناظم] :

ومن بشارة الزبور به (ﷺ): سبحوا الله تسبيحا جديدا ، سبحوا الذى هيكله الصالحون ،
وليفرح إسرائيل بخالقه صهيون ، من أجل أن الله اصطفى لهم أمة ، وأعطاهم النصر ، وسدد
الصالحين منهم بالكرامة ، ويسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم
سيوف ذات شفرتين ، لينتقم الله بهم من الأمم التى لاتعبده ، ويوثقون ملوكهم بالقيود ، وأشرفهم
بالأغلال . وفيه : تقلد أيها الجبار بالسيف ، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بيمينك ، وضهانك
مسنونة ، والأم تجرى تحتك .

وفيه : ويجوز من البحر إلى البحر ، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار ، وتخزله
أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويلحق أعداءه بالركب ، وتأتيه ملوك بالقرايين ، وتسجد له ،
وتدين له الأمم بالطاعة والافتقاد ، لأنه يخلص الناس من أقوى منه ، وينقذ الضعيف الذى
لاناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، وأنه يعطى ذهابا من بلاد شتى ، ويصلى عليه فى كل
وقت ، ويدوم أمره إلى آخر الدهر . وفى الزبور : أن الله أظهر من صهيون إكليل محمود ،
والإكليل ضرب مثلا للرياسة ، والحمود اسم محمد . وفى الزبور : يقول الله تعالى لداود عليه السلام
سيولد لك ولد أدعى له أبأ ، ويدعى لى ابنا ، فقال داود : اللهم ابث جاعل السنة ؛ كيما يعلم الناس
أنه بشر . فانظر إلى قول داود حين راعه ذلك ، وخاف أن يدعى ولده إلهأ : اللهم ابث جاعل
السنة ، ليعلم الناس أنه بشر ، وكذلك قال المسيح فى الإنجيل : اللهم ابث الفارقليط ، ليعلم
أن ابن الإنسان بشر .

* * *

وَكِتَابُ شَعْيَا مُخَيَّرٌ عَنْ رَبِّهِ فَاسْمَعُهُ يَفْرِحُ قَلْبَكَ الْمَتَّبُولَا
عَبْدِي الَّذِي سُرْتُ بِهِ نَفْسِي وَمَنْ وَخِي عَلَيْهِ مُنْزَلٌ تَنْزِيلَا

لَمْ أُعْطِ مَا أُعْطِيَتْهُ أَحَدًا مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَحَسْبُهُ تَخْوِيلًا
يَأْتِي فَيُظْهِرُ فِي الْوَرَى عَدْلِي وَلَمْ يَكُ بِالْهَوَى فِي حُكْمِهِ لِيَمِيلًا
إِنْ غَضَّ مِنْ بَصَرٍ وَمِنْ صَوْتٍ فَا غَضَّ التَّقَى وَالْفَضْلُ مِنْهُ كَلِيلًا
فَتَحَّ الْعُيُونُ الْعُورَ لَكِنَّ الْعِدَا عَنْ فَضْلِهِ صَرَفُوا الْعُيُونَ الْهُولًا
أَحْيَا الْقُلُوبَ الْغُلْفَ، أَسْمَعَ كُلَّ ذِي صَمَمٍ وَكَمْ دَاءَ أَزَالَ دَخِيلًا
يُوصِي إِلَى الْأُمَمِ الْوَصَايَا مِثْلَمَا يُوصِي الْأَبُ الْبَرَّ الرَّحِيمُ سَلِيلًا
لَا تُضْحِكُ الدُّنْيَا لَهُ سِنًا وَمَا لَمْ يُؤْتَ مِنْهَا عَدَّهُ تَنْوِيلًا^(١)
مَنْ غَيْرُ أَحْمَدَ جَاءَ يَحْمَدُ رَبَّهُ حَمْدًا جَدِيدًا بِالْمَزِيدِ كَفِيلًا
وَكِتَابُهُ مَا لَيْسَ يُطْفَأُ نُورُهُ وَالْحَقُّ مُنْقَادٌ إِلَيْهِ ذَلُولًا^(٢)
خَصَمَ الْعِبَادَ بِحُجَّةِ اللَّهِ الَّتِي أَمْسَى^(٣) بِهَا عُذْرُ الْوَرَى مَتَبُولًا^(٤)
فَرِحَتْ بِهِ الْبَرِّيَّةُ الْقُصُوصَى وَمَنْ فِيهَا وَفَاضَلَتْ الْوُعُورُ سُهُولًا
فَزَهَتْ وَنَالَتْ حُسْنَ لُبْنَانٍ^(٥) الَّذِي لَوْلَا كَرَامَةُ أَحْمَدٍ مَا نِيلَا
مُلِئَتْ مَسَاكِينُ آلٍ قِيدَارٍ بِهِ عِزًّا وَطَابَتْ مَنْزِلًا وَتَزِيلًا^(٦)

* * *

[تعليق الناظم] :

ذكر ما ورد في كتاب شُعْبَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْبَشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ (ﷺ) قوله : عبدی الذی
سرت به نفسی، أنزل وحی، فیظهر فی الأمم عدلی، ویوصیهم الوصایا، لا یضحک ولا یسمع صوته

(١) التَّنْوِيلُ : المَطَاءُ . (٢) م : ذَلِيلًا . وَالذَّلُولُ : السَّهْلُ الْانْقِيَادُ . (٣) م : م : أَمْسَى .
(٤) مَتَبُولًا : مَقْطُوعًا . (٥) د : قَبِيحَانِ وَالتَّصْحِيحُ مِنْ م . (٦) م : وَتَزِيلًا .

في الأسواق، يفتح العيون العور، والآذان الصم، ويحيى القلوب الغلف، وأعطيه ما لم أعط أحدا، يسبح بحمد الله حمدا جديدا، ويأتى من أقصى الأرض، يفرح البرية، وسكانها يهللون لله على كل مشرف، ويكبرونه على كل رابية، لا يضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصبة الضعيفة، بل يقوى الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهونور الله الذى لا يطفأ، أثر سلطانه على كتفيه. هذه ترجمة السريانيين، وترجمة اليونانيين: على كتفه علامة النبوة، وقوله يسفح هو محمد (ﷺ) بلسان السريانى، والسفح عندهم: الحمد.

* * *

جَمَلُوا السَّكْرَامَةَ لِلَّهِ فَأَكْرَمُوا	فَاللهُ يَجْزَى بِالْجَمِيلِ جَمِيلًا
وَلِبَيْتِهِ الْحَرَمِ الْحَرَامِ طَرِيقُهُ	يَتَلَو رَعِيلَ الْمُخْلِصِينَ رَعِيلًا
لَا تَخْطُرُ الْأَرْجَاسُ فِيهِ وَلَا يَرَى	مُخْطَاطُهُمْ فِي أَرْضِهِ تَنْقِيلًا
كَتِفَاهُ بَيْنَهُمَا عِلَامَةُ مُلْكِهِ	لِلَّهِ مُلْكٌ لَا يَزَالُ أَثِيمًا
مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِ الْإِلَهِ فَلَمْ يَزَلْ	مِنْهُ يَحْسُنْ عِنَايَةً مَشْمُولًا
هُوَ رَاكِبُ الْجَمَلِ الَّذِي سَقَطَتْ بِهِ	أَصْنَامُ بَابِلَ قَدْ أَتَاكَ دَلِيلًا ^(١)

* * *

[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شفعيا عليه السلام: أتت أيام الاعتقاد، أتت أيام الكمال، ثم قال: لتعلموا يا بنى إسرائيل الجاهلين أن الذى تسمونه ضالا هو صاحب النبوة، تقرأون ذلك على كثرة

ذنوبكم وعظم فجوركم . ومن كتاب شَعْيَا : قيل لى قم فانظر ما ترى فأخبر به ، فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها . ومن كتاب شَعْيَا : لأرفعنّ علما بجميع أهل الأرض يظفروهم فى أقاصى البلاد ، فإذا هم سراع يأتون ، يريد به النبي صلى الله عليه وسلم ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، وحجهم البيت الحرام من أقاصى الأرض .

ومن كتاب شَعْيَا عليه السلام يصف أمة النبي (ﷺ) : يدوسون الأمم كدياس البيادر بفدان ، ليهزموا بين سيوف مسلولة ، وقسى موتورة من شدة الملحمة : إشارة لانهزام العرب ببدر ، ثم آمنوا بالنبي (ﷺ) فداسوا به الأمم كدياس البيادر .

* * *

وَالْفَرَسُ فِي الْبَدْوِ الْمَشَارِ لِفَضْلِهِ ^(١) إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُهُ فَسَلْ حَزَقِيلَا (١)
غُرِسَتْ بِأَرْضِ الْبَدْوِ مِنْهُ دَوْحَةٌ لَمْ تَخْشَ مِنْ عَطَشِ الْفَلَاةِ ذُبُولَا
فَأَتَمَّتْكَ فَاضِلَةَ الْفُصُوفِ وَأَخْرَجَتْ نَارًا لِمَا غَرَسَ الْيَهُودُ أَكُولَا
ذَهَبَتْ بِكَرْمَةٍ ^(٢) قَوْمٌ سَوَاءٌ ذُلَّتْ بِيَدِ الْغُرُورِ قُطُوفُهَا تَذَلِيلَا
وَسَلُّوا الْمَلَايِكَةَ الَّتِي قَدْ أُيِّدَتْ ^(٣) قَيْدَارَ تُبْدِي الْعِلَّةَ الْمَعْلُولَا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) بشارة حزقيل النبي عليه السلام بمحمد (ﷺ) : فن ذلك قصة ذكر فيها ظهور اليهود

وكفرانهم النعمة ، فشبههم بالكفرة ، ثم قال : إني بلوت تلك الكفرة : إن قلت بالسخطة ، ورمى بها على الأرض ، فخرقت السماء ، فعند ذلك غرس غرسه في البدو ، أو في الأرض الممثلة العطشى ، فخرجت من أغصانها الفاضلة نار ، فأكلت تلك الكفرة ، حتى لم يوجد فيها قضيب .

ومن كلام حزقيل إخبارا عن الله تعالى : إني مؤيد قیدار بالملائكة ، وقیدار هو ابن إسماعيل ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

* * *

وَسَلَّمَ حَبَقُوقَ الْمُصْرَحَ بِاسْمِهِ وَبَوَصَفِهِ وَكَفَى بِهِ مَسْئُولًا^(١)
إِذْ أَوْصَلَ الْقَوْلَ الصَّرِيحَ بِذِكْرِهِ لِلسَّامِعِينَ فَأَحْسَنَ التَّوَصُّيْلًا
وَالْأَرْضُ مِنْ تَحْمِيدِ أَحَدٍ أَصْبَحَتْ وَبِنُورِهِ عَرَضًا تُضِيءُ وَطُولًا
رَوَيْتُ سِهَامَ مُحَمَّدٍ بِقِسِيهِ وَغَدَا بِهَا مَنْ نَاصَلَتْ مَنُضُولًا

* * *

[تعليق الناظم] :

من كتاب^(٢) حبقوق النبي (ع) يبشر رسول الله (ص) : جاء الله من تبيان ، وظهر قدس على جبال فاران ، وامتلات الأرض من تحميد أحمد وتقديسه ، وملك الأرض بيمينه ، وأضاءت الأرض بنوره ، وحملت خيله في البحر ، وملك رقاب الأمم . ومن صحف حبقوق : يضيء بنوره الأرض وسينزع في قسيك أعراب ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء . ومن كلامه : إذا جاءت الأمة الأخيرة يسبح صاحب الجبل (أو قال راكب الجبل) تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد . وفرحوا وسيروا في الأرض إلى صهيون يعلنون أمته بأصوات عالية بالتسبيحة الجديدة

(١) د : واملوا وهذه عن م . (٢) رجعتا إلى سفر حبقوق فلم نجد هذا الكلام .

التي أعطاهم الله في الأيام الأخيرة ؛ أمة جديدة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع أقطار الأرض ، وهذا تصريح لا يحتاج إلى تفسير .

* * *

وَأَسْمَعْ يَرُومِيَا بُخْتَنْصَرَ وَالتَّمِيسَ مِنْ دَانِيَالَ لَهَا إِذْنَ تَأْوِيلًا
وَسَلَوْهُ كَمْ تَمْتُدُّ دَعْوَةَ بَاطِلٍ لِنُزِيحِ عِلَّةٍ مُبْطِلٍ وَتُزِيلًا

* * *

[تعليق الناظم] :

كان بختنصر قد رأى رؤيا^(١) ، فأحضر دانيال النبي (ع) وسأله أن يخبره عن منامة رآها وتأويلها ، فقال له : رأيت صنما بارع الجمال ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضة ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك ، إذ دقه الله بحجر من السماء ، فضرب رأس الصنم ، فطحنه ، حتى اختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره ، ثم إن الحجر ربا وعظم ، حتى ملأ الأرض كلها ، فقال له بختنصر : صدقت ، فأخبرني بتأويلها ، فقال له دانيال : أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره ؛ فالرأس من الذهب : أنت أيها الملك ، (والفضة : ابنك من بعدك ، والنحاس : الروم ، والحديد : الفرس ، والفخار : أمتان ضعيفتان تملكهما) اسرأتان باليمن والشام ، والحجر : هو دين نبي وملك أبدي ، يكون في آخر الزمان ، يغلب الأمم كلها ، ثم يعظم ، حتى يملأ الأرض كلها ، كما ملأها ذلك الحجر^(٢) .

وفي صحف دانيال (ع) وقد بعث الكذابين ، فقال : لا تتم دعوتهم ، ولا يتم قربانهم ، وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل ، ولا يقوم كاذب . ليسرع كاذب ، دعوة الرب ثلاثون سنة ، وهذا أول دليل على الجاحدين لنبوّة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

* * *

وَأَرَمَ^(١) الْعِدَا بِبَشَائِرٍ عَنْ أَرَمِيَا إِذْ كَفَّ نَبْلُ كِنَانِهِ مَتَّبِعُولًا
 إِذْ قَالَ قَدْ قَدَّسْتُهُ وَعَصَمْتُهُ وَجَعَلْتُ لِلْأَجْناسِ مِنْهُ رَسُولًا
 وَجَعَلْتُ تَقْدِيرِي^(٢) قُبَيْلَ وُجُودِهِ وَعَدًّا عَلَى كِبَعْتِهِ مَفْعُولًا^(٣)
 وَحَدِيثُ مَكَّةَ قَدْ رَوَاهُ مُطَوَّلًا شَعِيًا فَخْذُهُ وَجَانِبِ التَّطَوُّيلِ
 إِذْ رَاحَ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ مُبَشِّرًا بِالنَّسْلِ مِنْهَا عَاقِرًا مَعْضُولًا
 وَتَشَرَّفَتْ بِاسْمِهِ جَدِيدُهَا فَادْعُهَا حَرَمَ الْإِلَهِ بَلَفَتْ مِنْهُ السُّوْلَا
 فَتَنَبَّهَتْ بَعْدَ الْحَوْلِ وَكَلَّتْ أَبْوَاهُهَا وَسُقُوفُهَا تَكْلِيلًا

[تعليق الناظم] :

من كتاب^(٤) إرميا قوله : قبل أن أخلفك فقد عصمتك ، من قبل أن أصورك في البطن قدستك وجعلتك نبيا للأجناس . هذه بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يبعث للأجناس غيره .

وفي الإنجيل من كلام المسيح لم أبعث إلى الأجناس ولكن إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل . وقال للحواريين : لا تسلكوا في سبيل الأجناس ولكن احضروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل .

(١) د : وَأَتِ الْعِدَا بِبَشَائِرٍ عَنْ أَرَمِيَا إِذْ كَفَّ نَبْلُ كِنَانِهِ مَتَّبِعُولًا وهذه رواية م . ومتبولا : مقطوعا . (٢) د : تَقْدِيرِهِ وَالتَّصْحِيحُ عَنْ م . (٣) م : مَسْئُولًا . (٤) الذي في سفر إرميا الإصحاح الأول هو : « قبلما صورتك - والخطاب من الله لارما - في البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبيا للشعوب » .

وَنَأتُ عَنِ الظُّلْمِ الَّذِي لَا يَدْتَعِي لِحِضَابِهِ شَيْبُ الزَّمَانِ نَصُولًا^(١)
 حَرَّمُ عَلَى حَمَلِ السَّلَاحِ مُحَرَّمُ فَكُنَّا نَمَّا يَسْقِي السُّيُوفُ قُلُولا
 وَتَخَالُ مِنْ تَحْرِيمِ حُرْمَتِهِ الْعِدَا عَزْلًا وَإِنْ لَبِسُوا السَّلَاحَ وَمِيلًا^(٢)
 لَمْ يَتَّخِذْ بَيْنَ سِوَاهُ قِبَلَةً فَازْدَدَ بِذَلِكَ لِمَا أَقُولُ قَبُولًا
 وَبَنُو نَبَايَتٍ لَمْ تَزَلْ خُدَامُهَا لَا تَبْتَغِي عَنْهَا لَهُمْ تَحْوِيلًا
 جُمِعَتْ لَهُ أَغْنَامُ قَيْدَارَ الَّتِي قَدْ كَانَ مِنْهَا ذِمُّ إِسْمَاعِيلَا
 فَنَمَتْ وَأَمِنْ خَوْفُهَا وَعَدُوُّهَا قَدْ بَاتَ مِنْهَا خَائِفًا مَهْزُولَا

* * *

[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شعبي يذكر مكة شرفها الله تعالى قوله : فقد أقسمت نفسي كقسي أيام نوح :
 لأغرقن الأرض بالطوفان . كذلك أقسمت لا أسخط عليك ولأبين فضلك ، وأن الجبال
 تزول ، والقلاع تنحط ، ورحمتي عليك لا تزول ، يامسكينة يامضطهدة ، مبانيك بالحجارة ، وتربتك
 بالجواهر ، وملسك بالمولؤ ، وسقفك بالزبرجد وأبوابك . وتبعدين من الظلم فلا تخافين .
 وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك . وكل لسان يقوم معك بالخصومة . ويسميك الله اسما
 جديدا . فقولوا واشرفي ، فإنه قد دنا نورك ، ووقار الله عليك . انظري بعينك فإنهم مجتمعون
 حولك ، يأتون بنيك وبناتك عدوا ، حينئذ تشرقين وترهرين ، ويخاف عدوك ، ويشبع قلبك .
 وكل غنم قيدار تجتمع إليك . وسادات نبايت يخدمونك ، وتفتح أبوابك دائما بالليل والنهار ،
 ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب . فهذا خطاب لمكة ، وقيدار بن إسماعيل .
 والاسم الجديد الذي سميت به الكعبة هو البيت الحرام ومدينة الرب حرم الله . وكل سلاح
 يصنعه صانع لا يعمل فيك ، إشارة إلى أمن الحرم . وقوله غنم قيدار تصريح بالهدى المجلوب إليها

(١) نصولا : من نصل أى خرج من الخطاب . (٢) ميلا : الأميل الذى لا سلاح معه .

في الحج والعمرة . وسادات نبايت يخدمونك : يعنى سدنة الكعبة ، وهم من ولد نبايت بن قيدار ابن إسماعيل ، واتخذها قبلة : غاية التصريح .

ومن كتاب شعيا (ع) أيها العاقر: قومي فأضيئي، فإنه قد دنا ضياؤك، وكرامة الرب عليك تظهر، لأن الظلمة قد غطت الأرض، وعليك يتجلى، وكرامة الرب عليك، تجيء الشعوب والملوك، ضوءك والنور المنظور عليك مدى نظرك إلى حدودك، فانظري إلى الجميع يتحزون ويأتون إليك عن بعد هنالك، فتضيئين وتفرحين، من أجل أنه يأتيك أقوياء الشعوب، وقوافل الجمال تغشاك، والأغنياء يأتون بالذهب، والكومان يحملونه بتسبيح الرب، وجميع غنم قيدار تجتمع إليك . هذا قول الرب القوى .

ومن كتاب شعيا (ع) أيها العاقر افرحي واجهرى وانطقى بالتسبيح، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى، إشارة إلى مكة فإنها عاقر، لأنها بواد غير ذى زرع، ولم يخرج منها نبى قبل ذلك غير إسماعيل ، ولم يكبر ولد بها .

* * *

وَكَلَامُ شَمْعُونَ النَّبِيِّ تَخَالَهُ	لِكَلَامِ مُوسَى قَدْ أَتَى تَذْيِيلاً
وَجَمِيعُ كُتُبِهِمْ عَلَى عِلَائِهَا	نَطَقَتْ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَعْلِيلاً
لَمْ يَجْهَلُوهُ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُ	أَبَقَتْ حُقُودًا عِنْدَهُمْ وَذُحُولًا ^(١)
فَلَسَمِعَ كَلَامَهُمْ وَلَا تَجْعَلْ عَلَى	مَآخِرَفُوا مِنْ كُتُبِهِمْ تَعْوِيلاً
لَوْلَا اسْتِحْجَالُهُمْ لَمَّا الْفَيْتَنِي	لَكَ بِالدَّلِيلِ عَلَى الْغَرِيمِ مُحْيِيلاً
أَوْ قَدْ جَهِلْتَ مِنَ الْحَدِيثِ رِوَايَةً	أَمْ قَدْ نَسِيتَ مِنَ الْكِتَابِ نَزُولا
فَانْزِلْ جِدَالَ أَخِي الضَّلَالِ وَلَا تَكُنْ	بِمِرَاءٍ مَنْ لَا يَهْتَدِي مَسْغُولًا
مَالِي أَجَادِلُ فِيهِ كُلِّ أَخِي عَمَى	كَيْمَا أَقِيمَ عَلَى النَّهَارِ دَلِيلاً

واضرف إلى مدح النبي محمد
 فإذا حصلت على الهدى بكتابيه
 لا تبغ بعد لفيره تحصيله
 ذكره بر ترقى إلى رتب العلا
 فتخل حامل آيه محمولا
 يذر المعارض ذا الفصاحة الكنا
 في قوله وأخا الحجا^(١) محبولا
 لا تنصين له حبال معانيد
 فتري بكفة آفة محبولا^(٢)
 إن كنت تنكر معجزات محمد
 يوما فكن عما جهلت سؤلا

* * *

[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شعيا (ع) : بحق أقول لكم ، لأعطين البادية كرامة لبنان وبيت المقدس ،
 وتسقيها مياه وقصور وإيوان في الأرض الفلاة . وأجعل هناك طريقا حراما ، لا يمر به أنجاس الأمم ،
 ويكون هناك طريق الخلف .

ومن صحف شعيا (ع) : ليفرح أهل البادية العطشى ، ولتبهج البوادي والفلوات ، لأنها
 ستعطى بأحمد محاسن لبنان ، وكثل حسن الدساكر والرياض .

ومن كلام شمعون : جاء الله بالبيان من جبال فاران ، وامتلات السموات والأرض من
 تسبيحه وتسبيح أمته ، يعني حكى موسى في قوله جبال فاران .

* * *

شهدت له الرسل الكرام وأشفقوا
 من فاضل يستشهد الفضولا
 قارنت نور النيرين بنوره
 قرأت نور النيرين ضئلا

وَنَسَبْتُ فَضْلَ الْعَالَمِينَ لِفَضْلِهِ
وَأَرَانِي الزَّمَنُ الْجَوَادَ بِجُودِهِ
مَا زَالَ يَرَفِّي فِي مَوَاهِبِ رَبِّهِ
حَتَّى انْتَنَى أَغْنَى الْوَرَى وَأَعَزَّهُمْ
بَثَّ الْفَضَائِلَ فِي الْوُجُودِ فَنَ يَرُدُّ
فَالشَّمْسُ لَا تُغْنِي الْكَوَاكِبُ جُمْلَةً
سَلَّ عَالَمَ الْمَلَكُوتِ عَنْهُ فَخَيْرُ مَا
فَنِ الْخَيْرُ عَنْ عَلَا مِنْ دُونِهَا
فَلَمِ اسْتَمَدَّ الْعَالَمُونَ عُلُومَهُ
فَتَلَقَّ مَا تَسْطِيعُ مِنْ أَنْوَارِهِ
فَلَرَبَّمَا أَلْقَى عَلَيْكَ كِتَابَهُ
ذَلِكَ الَّذِي رَفَعَ الْهُدَى بِيَمِينِهِ
أَوْ مَا تَرَى الدِّينَ الْخَلِيفَ بِسَيْفِهِ
وَالشَّرَّكَ رِجْسٌ فِي الْأَنَامِ وَخَيْرُ مَا
دَاجَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَسْمَعَ صَوْتُهُ الشَّقَلِينَ حَتَّى ظُنُّوا
لَمْ يَدْعُهُمْ إِلَّا لِمَا يُخْفِيهِمْ
تَحَدُّوْا عِزَّائِهِ الْعِبَادَ كَأَنَّمَا
يُهْدَى إِلَى دَارِ السَّلَامِ مَنْ اتَّقَى
وَيَظْلُ يُهْدَى لِلْجَحِيمِ بِسَيْفِهِ

فَلَسَبْتُ مِنْهُ إِلَى الْكَثِيرِ قَلِيلًا
لَمَّا وَزَنْتُ بِهِ الزَّمَانَ بِخِيَلَا
وَيَنَالُ فَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ جَزِيلًا
يَنْقَادُ مُخْتَجًا إِلَيْهِ ذَلِيلًا
فَضْلًا يَزِدُّهُ بِفَضْلِهِ تَفْضِيلًا
فِي الْفَضْلِ مَغْنَاهَا وَلَا تَقْصِيلًا
سَأَلَ الْخَلِيرُ عَنِ الْجَلِيلِ جَلِيلًا
ثَمَّتِ الْبُرَاقُ وَأُخِرَتْ جَبْرِيلًا
مَدَنَهُمُ الْقَطَرَاتُ مِنْهُ سَيُولَا
إِنْ كَانَ رَأَيْكَ فِي الْفَلَاحِ أَصِيلًا
قَوْلًا مِنَ السَّرِّ الْمُصُونِ ثَقِيلًا
عَلَمًا وَجَرَدَ صَارِمًا مَصْقُولًا
جَمَلَ الطُّهُورَ لَهُ دَمًا مَطْلُولًا^(١)
أَلْفَيْتُهُ بِدَمِ الْعِدَا مَفْسُولًا
دَاجَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَسْمَعَ صَوْتُهُ الشَّقَلِينَ حَتَّى ظُنُّوا
لَمْ يَدْعُهُمْ إِلَّا لِمَا يُخْفِيهِمْ
تَحَدُّوْا عِزَّائِهِ الْعِبَادَ كَأَنَّمَا
يُهْدَى إِلَى دَارِ السَّلَامِ مَنْ اتَّقَى
وَيَظْلُ يُهْدَى لِلْجَحِيمِ بِسَيْفِهِ

حتى يقول الناس اتعب مالكا
فاسمع شمله التي ذكرى لها
من خلقه القرآن جل ثاؤه
وإذا أتت آياته مدح
إن امرأ متبتلا بثنائه
إني لأورد ذكره لتعطي
والنيل يذكرني كريم بثنائه
من لي باني من بنان محمد
من راحة هي في السماحة كثر
سارت بطاعتها السحاب كأنما
أني دعا وأشار مبتلا بها
وأظنه لو لم يرذ إقلاعه
وكم اشتكت بلد أذاه فالبيت
يارحمة للعالمين ألم يكن
إذ قام عمك في الورى مستقيما
ورفعت عام الفيل عنهم فتنة
بسحاب الطير الأبايل التي
فقدوك مولودا وقيت نفوسهم
حتى إذا ما قمت فيهم من ذرا.

بحسامه وأراح عزرائيل
قد كاذ تحسبه القول شولا^(١)
عن أن يكون حديثه مملولا
رتلت منها ذكره ترتيلا
متبتل لإله تبتتلا^(٢)
فإخال أني قد وردت النيا
فأطيل من شوقي له التقبيل
بالأمر نلت المنهل المملولا
لكن واردها يزيد غليلا^(٣)
أمرت بما تختار ميكائلا
لياه مزن ما يزال هطولا
لأني بسيل ما يصب مسيلا
بدعائه من صخوة إكليلا
طفلا لضر العالمين مزيلا
كادت تجر على البطاح ذيولا
ألقيت فيها التابعين الفيلا
جاءتهم مطر الردى سجيلا
شديبا وشبانا معا وكهولا
أبدوا إليك عداوة وذولا

(١) شمله : خلقه . شولا : حمرا . (٢) متبتل بثنائه : انقطع لمدحه ، وأخلص فيه .

(٣) التغليل : العطش .

فَلَقِيَهُمْ فَرَدًّا بِعِزِّ مَا آتَنِي يَوْمًا وَحُسْنِ تَصَرُّفِ مَا عِيَلَا
وَوَكَّلْتُ أَمْرَكَ لِلْإِلَهِ وَيَاهَا نِقَّةً بِنَصْرِ مَنْ اتَّخَذَتْ وَكِيلَا
وَأُطْلِتْ فِي مَرَضَةٍ رَبِّكَ سُخْطَهُمْ فَجَرَعَتْ مِنْهُمْ عِلْقَمًا مَغْشُولَا
وَوَفَّقْتَ يَلْقَاكَ الصَّدِيقُ مُعَادِيَا وَالسُّلْمُ حَرْبًا وَالنَّصِيرُ خَذُولَا
وَدَعَوْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنَ الْهُدَى وَهَزَزْتَ فِيهِمْ صَارِمًا مَسْلُولَا
وَأَقَمْتَ ذَاكَ الْعِصْبَ فِيهِمْ قَاضِيَا وَنَصَبْتَ تِلْكَ الْبَيِّنَاتِ عُدُولَا^(١)
فَطَفَّقَتْ لَا تَنْفَكُ تَتْلُو آيَةً فِيهِمْ وَتَحْسِمُ بِالْحُسَامِ تَلِيلَا^(٢)
حَتَّى قَضَى بِالنَّصْرِ دِينَكَ دِينُهُ وَغَدَا لِدِينِ الْكَافِرِينَ مَزِيلَا
وَعَنْتَ لِسَطَوَتِكَ الْمُلُوكُ وَلَمْ تَزَلْ بَرًّا رَحِيمًا بِالضَّعِيفِ وَصُولَا
لَمْ تَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فِي أَمْرٍ وَلَمْ تَمْلِكْ طِبَاعَكَ عَادَةً فَتَحُولَا
اللَّهُ أُعْطِيَ الْمُصْطَفَى خُلُقًا عَلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَخَوَافِهِ تَجْبُولَا
عَمَرَ الْبَرِيَّةِ عَدْلُهُ فَصَدِيقُهُ وَعَدُوُّهُ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلَا^(٣)
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ حِفْظَ وَلِيِّهِ خَرَجَ الْهَوَى مِنْ قَلْبِهِ مَعَزُولَا
عُرِضَتْ عَلَيْهِ جِبَالُ مَكَّةَ عَسْجَدَا فَأَبَى لِفَاقَتِهِ وَكَانَ مُعِيلَا
رَكِبَ الْحِمَارَ تَوَاضَعًا مِنْ بَعْدِ مَا رَكِبَ الْبُرَاقَ السَّابِقَ الْهُذُولَا^(٤)
أَمَعْنِي أُنَى أَطِيلُ مَدِيحُهُ مَنْ عَدَّ مَوْجَ الْبَحْرِ عَدَّ طَوِيلَا
إِنِّي تَرَكْتُ مِنَ الْكَلَامِ نُحَالَهُ وَأَخَذْتُ مِنْهُ لُبَابَهُ الْمُنْخُولَا
مَاذَا عَلَى مَنْ مَدَّ حَبْلَ مَدَانِحِ فِيهِ بِحَبْلِ مَوَدَّةٍ مَوْصُولَا
فَقَدَرْتُهُ بِالنَّظْمِ إِلَّا أَنَّهُ سَبَقَ الْجِيَادَ إِلَى الْمَدَى مَشْكُولَا^(٥)

(١) العِصْبُ : السيف القاطع . (٢) تَلِيلًا : عِيقًا .

(٣) فَتِيلًا : الْفَتِيلُ : حَبْلٌ دَقِيقٌ مِنْ لَيْفٍ ، وَالسَّحَاءُ الَّتِي فِي شِقِّ النَّوَاةِ .

(٤) الْهُذُولَا : الْعَوِيلُ الصَّلْبُ وَالرَّيْحُ .

(٥) مَشْكُولَا : يُقَالُ شَكَلَ الدَّابَّةَ : أَيْ قَبَضَهَا . وَشَكَلَ الْكِتَابَةَ ضَبَطَهَا بِعَلَامَاتِ الْإِعْرَابِ .

وَأَضَاءَ الْأَيَّامِ مِنْ أَنْوَارِهِ
إِنِّي أَمَرْتُ قَلْبِي يُحِبُّ مُحَمَّدًا
أُحِبُّهُ وَأُمِّلُ مِنْ ذِكْرِي لَهُ
بِالْيَتَنَى مِنْ مَعَشَرٍ شَهِدُوا الْوَعَى
فَأَقُومُ عَنْهُ بِمَقُولٍ وَبِصَارِمٍ
طَوْرًا بِقَافِيَةِ يُرِيكَ نَبَاتُهَا
وَبِضْرَبَةٍ يَدْعُ الْمُدَجَّجَ وَتَرُهَا
وَبِطَعْنَةٍ جَلَّتِ السَّنَانُ فَثَلَّتْ
فِي مَوْقِفٍ غَشَى اللَّحَاطُ فَلَا بَرَى
فَرَشَفْتُ تَغَرَّ الْمَوْتِ فِيهِ أَشْنَبًا
وَأَخْلِيلُ تَسْبِيحُ فِي الدَّمَاءِ وَتَنْقِي
فَاطِرُ بَ إِذَا غَنَى الْحَدِيدُ فَخَيْرُ مَا
تَالَهُ يُبْنَى الْقَلْبُ عَنْهُ مَا نَبَى
أَبْضُنُّ عَنْهُ بِمَالِهِ وَبِنَفْسِهِ
فَلَا فُطْعَنَ حِبَالُ تَسْوِيفِي الَّتِي
وَلَا تُنْعَنُ الْعَيْنُ فِيهِ مَنَامَهَا
وَلَا زُمِينَ لَهُ الْفِجَاجُ بِضُمِّ
مِنْ كُلِّ دَائِمَةٍ الْأَيَّاطِلِ زِدْنَهَا
سَارَتْ تَقْيِسُ ذِرَاعَهَا سَقْفَ الْفَلَا

فَاسْتَضَحَبَتْ غُرًّا بِهَا وَحُجُولَا
وَيَلُومُ فِيهِ لَانْمَا وَعَدُولَا
لَيْسَ الْمَحِبُّ لِمَنْ يُحِبُّ مَلُولَا
مَعَهُ زَمَانًا وَالْكَفَاحُ طَوِيلَا
أَبَدًا قَتُولَا فِي رِضَاهُ فَعُولَا
كَفَّ الرَّدَى عَنْ عَرْضِهِ مَشُولَا
شَفَعَا كَمَا شَاءَ الرَّدَى مَجْدُولَا^(١)
عَيْنَا لِمَعْنِكَ فِي الْكَمِيِّ كَحِيلَا^(٢)
لَحَظَ بِهِ إِلَّا قَنَاءَ مِيلَا^(٣)
وَلَهَمْتُ خَدَّ الْمَشْرِفِ أُسَيْلَا^(٤)
أَيْدِي الْكُمَاةِ مِنَ النَّجِيعِ دُحُولَا^(٥)
سَمِعَ الْمَشُوقُ إِلَى النَّزَالِ صَلِيلَا
خَوْفُ الْمَنِيَّةِ عَامِرًا وَسَلُولَا
صَبَّ يَرَى لَهَا الْقَوَاتِ حُصُولَا
مَنْعَتِ سِوَايَ إِلَى حِمَاهُ وَصُولَا
وَلَا أَجْعَلَنَّ لَهَا الشُّهَادَ خَلِيلَا
كَالْنَبْلِ سَبَقًا وَالْقِسَى نُحُولَا^(٦)
عَنْقًا إِذَا كَلَّفَتْهَا التَّمْهِيلَا^(٧)
فَكَأَنَّمَا قَاسَتْ بِمِيلِ مِيلَا

- (١) مجدولا : مصروعاً على الأرض . (٢) الكمي : الشجاع . والكحيل الذي وقع في شدة
(٣) ميلا : مائلة للضرب . (٤) أشنب : الشنب ماء ورقة وعدوية في الأسنان . أسيل : طويلا حسنا .
(٥) النجيع : الدم الأسود . (٦) بضمير : بجياد ضامرة .
(٧) الأيطل : جمع أيطل ، وهو الخاضرة . يريد أدامها طول السير .

حَتَّى تَرِيكَ الْحَرْفَ مِنْ صَلْدِ الصَّغَا
 وَكَأَمَّا صَرَبَتْ بِصَخْرِ مِثْلُهُ
 قَطَعَتْ حِبَالَ الْبُعْدِ لَمَّا أَعْمَلَتْ
 حَتَّى أَضْمَّ بِطَيِّبَةِ الشَّمْلِ الَّذِي
 وَأَرْجَحَ مِنْ تَعَبِ الْخَطَايَا ذِمَّةً
 وَيُسَرَّ بِالْغُفْرَانِ قَلْبٌ لَمْ يَزَلْ
 وَأَعُودَ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَنْوَلًا
 وَإِذَا تَعَسَّرَتِ الْأُمُورُ فَإِنِّي
 يَارَبِّ هَبْنَا لِلنَّبِيِّ وَهَبْ لَنَا
 وَاسْتُرْ عَلَيْنَا مَا عَلِمْتَ فَلَمْ يُطِقْ
 وَاعْطِفْ عَلَى الْخَلْقِ الضَّعِيفِ إِذَا رَأَى
 يَوْمٌ تَضِلُّ بِهِ الْعُقُولُ فَتَشْخَصُ الْأَبْصَارُ خَوْفًا عِنْدَهُ وَذَهُولًا
 وَيُسِيرُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ نَدَامَةً
 وَيَظَلُّ مُرْتَادُ الْخِلَاصِ مُقَلِّبًا
 لِتَنَالِ مِنَ ظَمَأِ الْقِيَامَةِ نَفْسُهُ
 وَاجْعَلْ لَنَا اللَّهُمَّ جَاهُ مُحَمَّدٍ
 وَاصْرِفْ بِهِ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
 وَاجْعَلْ صَلَاتَكَ دَائِمًا مُنْهَلَةً
 مَا هَزَّتِ الْقَضْبُ النَّسِيمُ وَرَجَعَتْ
 أَخْفَافُهَا بِدِمَائِهَا مَشْكُولًا^(١)
 مِنْ مَيْسِمٍ فَكَفَافًا تَقْتِيلًا
 شَوْقًا لَطِيبَةً سَاعِدًا مَفْتُولًا
 أَنْضَى إِلَيْهَا الْعَرِمِسَ الشَّمْلِيلًا^(٢)
 ثَقَلَتْ عَلَيْهَا لِلذُّنُوبِ حُمُولًا
 حِينًا يَطُولُ إِسَاءَتِي مَشْكُولًا^(٣)
 وَكَفَى بِفَضْلِ مِنْهُ لِي تَنَوِيلًا
 رَاجٍ لَهَا بِمُحَمَّدٍ تَسْهِيلًا
 مَا سَوَّلَتْهُ نَفْسُنَا تَنَوِيلًا^(٤)
 مِنَّا أَمْرُؤُا لَخَطِيبَةً تَخْجِيلًا
 هَوْلَ الْمَعَادِ فَأُظْهِرَ التَّنَوِيلًا
 حِينًا وَحِينًا يُظْهِرُونَ تَنَوِيلًا
 فِي الشَّافِعِينَ لِحَافَتُهُ وَجُجِيلًا^(٥)
 رِيًّا وَمِنْ حَرِّ السَّمِيرِ مَقِيلًا
 فَرَطًا تَبَلَّغْنَا بِهِ الْمَأْمُولًا^(٦)
 كَرَمًا وَكُفَّ ضِرَامَهَا الْمَشْمُولًا
 لَمْ تُلَفِّ دُونَ ضَرْبِهِ تَهْلِيلًا
 وَرَقَاهُ فِي قَتَنِ الْأَرَاكِ هَدِيلًا^(٧)

(١) الصلد : الصلب الأملس . الصفا : الحجارة .

(٢) أنضى : أمزل . العرمس : الناقة الصلبة . الشمليللا : السريمة .

(٣) مشكولا : مقيدا . (٤) سولت : زينت . (٥) مرقاد : طالب .

(٦) فرطا : الفرط ما تقدم من أجر وعمل . (٧) رجعت : رددت ورقاه : نوع من الحمام . لفتنه :

الفصن . الأراك : شجر من ثفل الأعصان . هديلا : غناء .

وقال ^(١) رضى الله عنه ، وتسمى « ذخر المعاد ، فى وزن بانت سعاد » :

إلى متى أنت بالذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مشغول
فى كل يوم ترجى أن تتوب غدا وعقد عزمك بالتسوية مخلول
أما يرى لك فيما سر من عمل يوما نشاطا وعمما ساء تكسيل
فجرّد العزم إن الموت صارمه مجرد بيد الآمال مسلول
واقطع جبال الأمانى التى انصتت فأما حبها بالزور موصول
أنفقت عمرك فى مال تحصله وما على غير إنهم منك تحصيل
ورحمت تعمّر دارا لبقاء لها وأنت عنها وإن عمرت منقول
جاء النذير فشمّر للمسير بلا مهل فليس مع الإنذار تمهيل
وصن مشيبتك عن فعل شأن به فكل ذى صبوة بالشيب معدول
لا نذكرنه وفى القودين قد طلعت منه الثريا وفوق الرأس إكليل
فإن أرواحنا مثل النجوم لها من المنية تسير وترحيل
وإن طالعها منا وغار بها جيل يمر ويأتى بمده جيل
حتى إذا بعث الله العباد إلى يوم به الحكم بين الخلق مفصول
تبين الرّيح والخمران فى أمم تخالفت بيننا منها الأفاويل

(١) ت : وقال رضى الله عنه هذه القصيدة ، وتسمى « ذخر المعاد ، فى معارضة بانت سعاد » ، وهى فى ملحق

النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى من بحر البسيط :

• إلى متى أنت بالذات مشغول •

إلى آخر القصيدة وهى مشهورة .

فَأَخْسَرُ النَّاسَ مَنْ كَانَتْ عَقِيدَتُهُ فِي طَبْعِهَا لِنُشُورِ الْخَلْقِ تَعْطِيلُ
وَأُمَّةٌ تَعْبُدُ الْأَوْثَانَ قَدْ نُصِبَتْ لَهَا التَّصَاوِيرُ يَوْمًا وَالتَّائِيلُ
وَأُمَّةٌ ذَهَبَتْ لِلْعَاجِلِ عَابِدَةٌ فَنَالَهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعْجِيلُ
وَأُمَّةٌ زَعَمَتْ أَنَّ الْمَسِيحَ لَهَا رَبُّ غَدَا وَهُوَ مَصْلُوبٌ وَمَقْتُولُ
فَنَلَّشَتْ وَاحِدًا فَرَدًّا نُوحِدُهُ وَلِلْبَصَائِرِ كَالْأَبْصَارِ تَخْيِيلُ
تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا قَالَ جَاحِدُهُ وَجَاحِدُ الْخَلْقِ عِنْدَ النَّصْرِ مَخْذُولُ
وَالْقَوَزُ فِي أُمَّةٍ صَوِّهُ الْوُضُوءِ لَهَا قَدْ زَانَمَا غُرَّرَ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ^(١)
تَظَلُّ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ لَيْسَ بِهِ كَسَائِرِ الْكُتُبِ تَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلُ
فَالْكِتَابُ وَالرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ الْإِلَهِ أَنْتَ وَمِنْهُمْ فَاضِلٌ حَقًّا وَمَفْضُولُ
وَالْمُصْطَفَى خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ لَهُ عَلَى الرُّسُلِ تَرْجِيحٌ وَتَفْضِيلُ
مُحَمَّدٌ حُجَّةُ اللَّهِ الَّتِي ظَهَرَتْ بِسُنَّةٍ مَالَهَا فِي الْخَلْقِ تَمْحِيلُ
نَجَلُ الْأَكْرَامِ وَالْمُؤْمَرِ الَّذِينَ لَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الطُّولُ^(٢) وَالطُّولُ
مَنْ كَمَّلَ اللَّهُ مَعْنَاهُ وَصُورَتَهُ فَلَمْ يَفْتَهُ عَلَى الْحَالَيْنِ تَكْمِيلُ
وَحَصَّهُ بِوَقَائِرٍ قَرَأَ مِنْهُ لَهُ فِي أَنْفُسِ الْخَلْقِ تَعْظِيمٌ وَتَعْجِيلُ
بَادِيَ السَّكِينَةِ فِي مَخْطِئِهِ لَهُ رِضَا فَتَمَّ يَزَلْ وَهُوَ مَرْهُوبٌ وَمَأْمُولُ
يُقَابِلُ الْبَشَرَ مِنْهُ بِالْعَدَى خُلُقُ زَاكِ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَجْبُولُ
مِنْ آدَمَ وَلَحِينَ الْوَضْعِ جَوْهَرُهُ الْكَائِنُونَ فِي أَنْفُسِ الْأَصْدَافِ مَحْمُولُ
فَلِلْهُبَةِ إِيْمَامٌ وَمُبْتَدَأٌ بِهِ وَلِلْفَخْرِ تَعْجِيلٌ وَتَأْجِيلُ

(١) الغرة : بياض في الوجه . والتمجيد : بياض في القوائم . (٢) الطول : المن والفضل .

أَتَتْ إِلَى النَّاسِ مِنْ آيَاتِهِ جُمْلٌ أَعْيَتْ عَلَى النَّاسِ مِنْهُنَّ التَّفَاصِيلُ
 أَنْبَا سَطِيحٌ وَشِقٌّ وَأَبْنُ ذِي يَزْنَ عَنْهُ وَقَسٌّ وَأَحْبَارٌ مَقَاوِيلُ^(١)
 وَعَنْهُ أَنْبَاءُ مُوسَى وَالْمَسِيحِ وَقَدْ أَصْغَتْ حَوَارِيَهُ الْعُرُ الْبَهَائِلُ^(٢)
 بَأَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسُلِ الْمُبَاحُ لَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ تَقْسِيمٌ وَتَنْفِيلُ^(٣)
 وَلَيْسَ أَعْدَلُ مِنْهُ الشَّاهِدُونَ لَهُ وَلَا بِأَعْلَمَ مِنْهُ إِنْ هُمْ سَيَلُوا
 وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ عَنْهُ فَلَا حَرَجٌ إِنْ الْمَلَكُ عَنِ الدِّيْنَارِ مَسْئُولُ
 كَمْ آيَةٍ ظَهَرَتْ فِي حِينِ مَوْلِدِهِ بِهِ الْبَشَارُ مِنْهَا وَالنَّهَائِلُ^(٤)
 عُلُومٌ غَيْبٍ فَلَا الْأَرْصَادُ حَاكِمَةٌ وَلَا التَّقَاوِيمُ فِيهَا وَالتَّحَاوِيلُ^(٥)
 إِذِ الْهَوَاتِفُ وَالْأَنْوَارُ شَاهِدُهَا لَدَى الْمَسَامِعِ وَالْأَبْصَارِ مَقْبُولُ
 وَنَارُ فَارِسٍ أَضْحَتْ وَهِيَ خَامِدَةٌ وَهَرُّهُمْ جَائِدٌ وَالْفَرَحُ مَثْلُولُ^(٦)
 وَمُذْ هَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَبْعَثُهُ دَهَى الشَّيَاطِينِ وَالْأَصْنَامِ تَجْدِيلُ^(٧)
 وَانْظُرْ سَمَاءَ غَدَتِ تَمْلُوءُهُ حَرَسًا كَأَنَّهَا الْبَيْتُ لَمَّا جَاءَهُ الْفِيلُ^(٨)

(١) سطيح وشق : كاهنان . سيف بن ذي يزن : أحد ملوك اليمن . وقس بن ساعدة : الخطيب المشهور .

والمقاريل : جمع مقوال : وهو الفصحى القول .

(٢) الحواري : الناصر . وانقر : السادات . والبهاليل : جمع بهلول : وهو السيد .

(٣) التنفيل : الإعطاء من الغنيمة .

(٤) التهاويل من الهول . والتهاويل أيضا : زينة النقوش والألوان المختلفة . ففي هذه الكلمة تورية .

(٥) الأرصاد : ما يستعمل لرصد الكواكب . والتقاويم والتحاويل : من اصطلاحات المنجمين ، للاطلاع على

المنبيات ومعرفة الأوقات . (٦) الهواتف : جمع هاتف ، وهو ما يسمع صوته ، ولا يرى شخصه .

(٧) الصرح : القصر ، والمراد هنا إيوان كسرى . ومثلول : مهذوم ، من ثل بمعنى هدم .

(٨) جدله تجديلا : ألقاه على الجدالة مصروعا ، وهى الأرض .

فَرَدَّتِ الْجِنَّ عَنْ سَمْعِ ملائكة
 إِذْ رَدَّتِ الْبَشَرَ الطَّيْرُ الْأَبَائِلُ^(١)
 كُلُّ غَدَا وَلَهُ مِنْ جِنْسِهِ رَصَدٌ
 لِلْجِنَّ شُهْبٌ وَالْإِنْسَانِ سَجِيلٌ^(٢)
 لَوْ لَا نَبِيُّ الْهَدَى مَا كَانَ فِي فَلَائِ
 عَلَى الشَّيَاطِينِ لِلْأُمَلَاكِ تَوْكِيلٌ
 لَمَّا تَوَلَّتْ تَوَلَّى كُلُّ مُسْتَرْقٍ
 عَنْ مَقْعَدِ السَّمْعِ مِنْهَا وَهُوَ مَعْزُولٌ^(٣)
 إِنْ رُمْتَ أَكْبَرَ آيَاتِ وَأَكْمَلَهَا
 كِفَاكَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ تَنْزِيلُ
 وَانْظُرْ فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
 وَلَا كَقَوْلِ أَنَّى مِنْ عِنْدِهِ قِيلُ
 لَوْ يُسْتَطَاعُ لَهُ مِثْلُ الْجِيءِ بِهِ
 اللَّهُ كَمْ أَفْحَمَتْ أَفْهَامَنَا حِكْمُ
 يَهْدِي إِلَى كُلِّ رُشْدٍ حِينَ يَبْعَثُهُ
 تَزَادُ مِنْهُ عَلَى تَزَادِهِ مِقَّةٌ^(٤)
 وَرَبَّمَا حَجَّهُ قَلْبُ بِهِ رَبُّ
 وَكُلُّ قَوْلٍ عَلَى التَّزَادِ مَمْلُولٌ^(٥)
 مَا بَعْدَ آيَاتِهِ حَقٌّ لِمَنْتَبِعِ
 كَمَا يَمِجُّ دَوَاءَ الدَّاءِ مَمْلُولٌ^(٦)
 وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَحْمَةٌ بَعِثَتْ
 وَالْحَقُّ مَا بَعْدَهُ إِلَّا الْبَاطِلُ
 هُوَ الشَّنِيعُ إِذَا كَانَ الْمَادُّ غَدَاً
 لِلْعَالَمِينَ وَفَضَّلُ اللَّهِ مَبْذُولُ
 فَأَعْلَى غَيْرِهِ لِلنَّاسِ مُعْتَمَدُ
 وَاشْتَدَّ لِلْحَشْرِ تَخْوِيفٌ وَتَهْوِيلُ
 لَا عَلَى غَيْرِهِ لِلنَّاسِ تَعْوِيلُ
 إِنْ أَمْرًا سَمِلَتْهُ مِنْ شِفَاعَتِهِ
 عِنَايَةٌ لَا مَرْوُءٌ بِالْفَوْزِ مَشْمُولُ

(١) الأبائيل : الجماعات ، قيل : لا واحد له من لفظه . (٢) الرصد : الرقب . والسجيل : حجارة .

(٣) تولت : استولت . وتولى : فر . (٤) الترتيل في القراءة : الترتيل والتبيين .

(٦) مع // شراب

(٥) مقة : الحبة .

نَالَ الْمَقَامَ الَّذِي مَا نَالَهُ أَحَدٌ وَطَالَمَا مَيَّزَ الْقَدَارَ تَنْوِيلُ
 وَأَدْرَكَ السُّؤَالَ لَمَّا قَامَ مُجْتَهِدًا وَمَا بِكُلِّ اجْتِهَادٍ يُدْرِكُ السُّؤُولُ
 لَوْ أَنَّ كُلَّ عِلَّا بِالسَّغَى مُكْتَسَبٌ مَا جَازَ حِينَ نَزُولِ الْوَحْيِ تَرْبِيلُ^(١)
 أَعْلَى الْمَرَاتِبِ عِنْدَ اللَّهِ رَبَّنَتُهُ فَاعْلَمْ فَمَا مَوْضِعُ الْمُحِبُّوبِ بِجَهْلُ
 مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى لَهُ نَزْلُ وَحُقَّ مِنْهُ لَهُ مَثْوَى وَتَحْلِيلُ^(٢)
 مَرَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَعَادَ بِهِ لَيْلًا بُرَاقٌ يَبَارِي الْبَرْقَ هُذُلُ^(٣)
 يَاحِبِّدًا حَالُ قُرْبٍ لَا أَكْفِيَّهُ وَحِبِّدًا حَالُ وَضَلٍ عَنْهُ مَغْفُولُ
 وَكَمْ مَوَاهِبَ لَمْ تَذَرِ الْعِبَادُ بِهَا أَتَتْ إِلَيْهِ وَسِعَتْ الْأَيْلِ مَسْدُولُ^(٤)
 هَذَا هُوَ الْفَضْلُ لَا إِلَهَ دُونَهُ وَمَارَجَحَتْ بِهِ الْمَوَازِينَ مِنْهَا وَالْمَسْكَايِلُ
 وَكَمْ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بَيِّنَةٌ فِي فُضَاهَا وَافَقَ الْمَقُولَ مَقْعُولُ
 نُورٌ فَلَيْسَ لَهُ ظِلٌّ يَرَى وَلَهُ مِنْ الْقَمَامَةِ أَنَّى سَارَ تَظْلِيلُ
 وَلَا يَرَى فِي التَّرَى أَنْزَلَ لِأَخْصِرِ إِذَا مَتَى وَلَهُ فِي الْعَجْرِ تَوْحِيلُ^(٥)
 دَنَا إِلَيْهِ حَنِينُ الْجِدْعِ مِنْ شَفَفٍ إِذْ نَالَ مِنْهُ بَعْدَ الْقُرْبِ تَرْبِيلُ^(٦)
 فَلَيْتَ مِنْ وَجْهِهِ حَظَى مُقَابَلَةً وَلَيْتَ حَظَى مِنْ كَفَيْهِ تَقْمِيلُ
 بَيْضُ مَيَامِينُ يُسْتَسْقَى النِّعَامُ بِهَا لِلشَّمْسِ مِنْهَا وَلِلْأَنْوَاءِ تَخْجِيلُ^(٧)
 مَا إِنْ يَزَالُ بِهَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ لِلْقُلِّ كَثْرٌ وَلِلتَّصَعُّبِ تَنْهِيلُ^(٨)
 فَاعْجَبْ لِأَفْعَالِهَا إِنْ كُنْتَ مُذْرِكَهَا وَاطْرَبْ إِذَا ذُكِرَتْ تِلْكَ لِأَفَاعِيلِ

(١) ترميل : يقال زمله في نومه، أى لقه . (٢) تحليل من الحلول .

(٣) الهذلول : الدريع الخفيف . (٤) المسدول : المرعى . (٥) الأخصص : باطن القدم .

(٦) ترميل : مفارقة . (٧) ميامين : جمع ميمون، أى مبارك . (٨) النازلة : المصيبة والشدة .

كم عاودَ البرءَ من إغلالِهِ جَسَدًا بِلَعْسِهِ واستَبَانَ العَقْلَ مَحْبُولُ
 وَرَدَّ الْفَيْنِ فِي رِيٍّ وَفِي شَبِيعٍ إِذْ ضَاقَ بِاثنَيْنِ مَشْرُوبٌ وَمَأْكُولُ
 وَرَدَّ ماءً وَنُورًا بَعْدَ مَازَهَبَا رِيْقُهُ لَهُ بِكِلَا الْعَيْنَيْنِ مَتْفُولُ
 وَمَنْبَعُ الْمَاءِ عَذْبًا مِنْ أَصَابِعِهِ وَذَلِكَ صُنْعٌ بِهِ فِينَا جَرَى النَّيْلُ
 وَكَمْ دَعَا وَمُحْيَا الْأَرْضِ مُكْتَتِبُ ثُمَّ انْتَنَى وَلَهُ بِشْرٌ وَتَهْلِيلُ
 فَاصْبَحَ لِلْحُلِّ فِيهَا لَا حُلَّ لَهُ وَغَالَ ذِكْرُ الْغَلَا مِنْ خِصْبِهَا غُولُ^(١)
 فَيَاظْرَابِ ضُرُوبٌ لِلْقَمَامِ كَمَا عَنِ الْبِنَاءِ عَزَالِيهَا مَعَاذِلُ^(٢)
 وَأَصْ مِنْ رَوْضِهَا جِيدُ الْوُجُودِ بِهِ مِنْ لَوْلَاؤِ النُّورِ تَرْصِيعٌ وَتَسْكِيلُ^(٣)
 وَعَسْكَرٍ لَجِبٍ قَدْ لَجَّ فِي طَلَبِ لِفَزْوِهِ غَرَّةُ بَأْسٍ وَتَرْعِيلُ^(٤)
 دَعَا نَزَالَ قَوْلِي وَالْبَوَارُ بِهِ مِنَ الصَّبَا وَالْحَصَى وَالرُّغْبِ مَزُولُ^(٥)
 وَاعْيَرْتَا حِينَ أَضْحَى الْغَارُ وَهُوَ بِهِ كَمَثَلِ قَلْبِي مَعْمُورٌ وَمَأْهُولُ
 كَأَنَّمَا الْمُصْطَفَى فِيهِ وَصَاحِبُهُ الصَّدِيقُ لَيْثَانِ قَدْ آوَاهُمَا غَيْلُ
 وَجَلَّلَ الْغَارَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى وَهْنٍ فَيَا حَبَّذَا نَسْجُ وَتَجْلِيلُ
 عِنَايَةً ضَلَّ كَيْدُ الْمُشْرِكِينَ بِهَا وَمَا مَكَايِدُهُمْ إِلَّا الْأَصَالِيلُ

(١) القول : كل ما اغتال الإنسان .

(٢) الظراب : جمع ظرب : وهي الراية الصغيرة . والعزالي : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء من القرية .

ومعازيل جمع معزول : أي أنها لا تمطر على البناء ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم حوالينا ولا علينا » .

(٣) آص : رجع . والجيد : العنق . (٤) لجج : تهادى . الرعلة : الكثير من العيال . والمراد

هنا : كثرة الجيش . (٥) منزل : نازل .

إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ هُمَا كَانَ أَبْصَارُهُمْ مِنْ زِينِهَا حَوْلُ^(١)
 إِنْ يَقَطَعَ اللَّهُ عَنْهُ أُمَّةً سَفِهَتْ نفوسها فلها بالكفر تعليل^(٢)
 فَإِنَّمَا الرُّسُلُ وَالْأَمْلَاقُ شَافِعُهَا لَوْصَلَةٍ مِنْهُ تَسْأَلُ وَتَطْفِيلُ^(٣)
 مَا عُدُّرُ مَنْ مَنَعَ التَّصَدِيقَ مَنَظِفُهُ وقد بنا منه محسوسٌ ومعقولُ
 وَالذُّبُّ وَالْعَبْرُ وَالْمَوْلُودُ صَدَقَهُ وَالظُّبَى أَفْصَحَ نُطْقًا وَهُوَ مَحْبُولُ^(٤)
 وَالْبَدْرُ بَادِرٌ مُنْشَقًّا بِدَعْوَتِهِ لَهُ كَمَا شُقَّ قَلْبٌ وَهُوَ مَتَبُولُ^(٥)
 وَالنَّخْلُ أَمْرٌ فِي عَامٍ وَسُرٌّ بِهِ سَلْمَانُ إِذْ بَسَقَتْ مِنْهُ الْعَاكِيلُ^(٦)
 إِنْ أَنْكَرَتْهُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ عَلَى مَا بَيَّنَّتْ مِنْهُ تَوْرَاةٌ وَإِنْجِيلُ
 فَقَدْ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ فِي جُحُودِهِمْ لِلْكَفْرِ كُفْرٌ وَلِلتَّجْهِيلِ تَجْهِيلُ
 قُلْ لِلنَّصَارَى الْآلَى سَاءَتْ مَقَالَتُهُمْ فَمَا هِيَ غَيْرَ تَحْضِ الْجَهْلِ تَعْلِيلُ
 مِنَ الْيَهُودِ اسْتَفَذْتُمْ ذَا الْجُحُودِ كَمَا مِنَ الْغُرَابِ اسْتِفَادَ الدَّفَنُ قَابِلُ
 فَإِنَّ عِنْدَكُمْ تَوْرَاتُهُمْ صَدَقَتْ وَلَمْ تُصَدِّقْ لَكُمْ مِنْهُمْ أَنْجِيلُ
 ظَلَمْتُمُونَا فَأُضْحُوا ظَالِمِينَ لَكُمْ وَذَلِكَ مِثْلُ قِصَاصٍ فِيهِ تَعْدِيلُ
 مِنْكُمْ لَنَا وَلَكُمْ مِنْ بَعْضِكُمْ شُفْلُ وَالنَّاسُ بِالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَسَاغِيلُ
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ وَلَكِنْ صَدَّكُمْ حَسَدُ أَنَا بِمَا جَاءَنَا قَوْمٌ مَقَابِيلُ^(٧)

- (١) زاغت الأبصار : تحولت عن موضعها . (٢) سفهت نفوسها : خسرت نفوسها . تعليل :
 من العلة وهى المرض . (٣) يقول إن الملائكة والرسل يتوسلون إلى النبي محمد طالين منه الشفاعة .
 (٤) المحبول : المصطاد فى الحيلة ، وهى الشرك . (٥) قبله الحب : أى تيممه وذهب بعقله .
 (٦) بسقت النخل : بمعنى طالت . والعساكيل : جمع عسكول : وهو العلق الذى يحمل البلح .
 (٧) المقابيل : جمع مقبل من أقبل بمعنى عقل بعد حماقة .

أما عَرَفْتُمْ نَبِيَّ اللَّهِ مَعْرِفَةَ الْأَبْنَاءِ لَكُمْ قَوْمٌ مَنَاقِيلُ^(١)
 هذا الذى كنتم تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ لَوْلَا اهْتَدَى مِنْكُمْ لِلرُّشْدِ ضَلِيلُ^(٢)
 فَلَا تُرْجُوا جَزِيلَ الْأَجْرِ مِنْ عَمَلٍ إِنَّ الرِّجَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ تَحْذُولُ
 تَوَدُّنُونَ بَرَقَ مِنْ جَهَالَتِكُمْ بِهِ انْتِفَاحٌ وَجِسْمٌ فِيهِ تَرَهِيلُ^(٣)
 مُوتُوا بَغِيظٌ كَمَا قَدْ مَاتَ قَبْلَكُمْ قَابِيلُ إِذْ قَرَّبَ الْقُرْبَانَ هَابِيلُ
 يَا خِبَا مَنْ رُوِيَ لِلنَّاسِ مَكْرُمَةٌ عَنْهُ وَفُصِّلَ تَحْرِيمٌ وَتَحْلِيلُ
 كَمْ قَدْ أَتَتْ عَنْكَ أَخْبَارٌ مُحَبَّرَةٌ فِي حُسْنِهَا أَشْبَهَ التَّفْرِيعَ تَأْصِيلُ
 تَسْرَى إِلَى النَّفْسِ مِنْهَا كَلَّا وَرَدَتْ أَنْفَاسٌ وَرَدِ سَرَتْ وَالْوَرْدُ مُطْلُولُ
 مِنْ كُلِّ لَفْظٍ بَلِيغٌ رَاقٍ جَوْهَرُهُ كَأَنَّهُ السَّيْفُ مَاضٍ وَهُوَ مَصْفُولُ
 لَمْ تَبْقِ ذِكْرًا لِدَى نَطْقٍ فَصَاحَتُهُ وَهَلْ تُضِيءُ مَعَ الشَّمْسِ الْقَنَادِيلُ
 جَاهَدَتْ فِي اللَّهِ أَبْطَالَ الضَّلَالِ إِلَى أَنْ ظَلَّ لِلشُّرْكِ بِالتَّوْحِيدِ تَبْطِيلُ
 شَكَا حُسَامِكَ مَا تَشْكُو جُوعُهُمْ فَفِيهِ مِنْهَا وَفِيهَا مِنْهُ تَقْلِيلُ
 لِلَّهِ يَوْمُ حُنَيْنٍ حِينَ كَانَ بِهِ كَسَاعَةِ الْبَعْثِ تَهْوِيلُ وَتَطْوِيلُ
 وَيَوْمُ أَقْبَلَتْ الْأَحْزَابُ وَانْهَزَمَتْ وَكَمْ خَبَا لَهَبٌ بِالشُّرْكِ مَشْعُولُ
 جَاءُوا بِأَسْلَحَةٍ لَمْ تَحْمِ حَامِلَهَا إِنَّ الْكُمَاةَ إِذَا لَمْ يُنْصَرُوا مِيلُ^(٤)
 مِنْ بَعْدِ مَا زُلْزِلَتْ بِالشُّرْكِ أَبْنِيَّةٌ وَانْبَتَّ حَبْلٌ بِأَيْدِي الرِّيبِ مَقْتُولُ

(١) مناكيل : من النكال ، وهو الهلاك .

(٢) الاستفاح : الاستنصار . وكان اليهود يقولون للأَنْصَارِ سَبِّعْ نَبِيَّ فِتْنَتِهِ ، وَنَسْتَنْصِرُ بِهِ عَلَيْكُمْ ،

ولولا : للتخفيف كهلأ .

(٣) الترهيل : الانتفاخ . (٤) الميل : جمع أميل ، وهو الذى لا يثبت على الخيل .

وَوَظَنَ كُلُّ امْرِئٍ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ بَأَنَّ مَوْعِدَهُ بِالنَّصْرِ مَمْطُولُ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ أَمْلًا كَأَ مُسَوِّمَةٍ لِبُوسُهَا مِنْ سَكِينَاتِ سَرَايِيلُ^(١)
شَاكَ السَّلَاحَ فَاتَّشَكُوا الْكِلَالَ وَمِنْ صُنْعِ الْإِلَهِ لَهَا نَسِجٌ وَتَأْثِيلُ^(٢)
مِنْ كُلِّ مَوْضُونَةٍ حَصْدَاءُ سَابِقَةٍ تَرُدُّ حَدَّ الْمَنَايَا وَهَوَّ مَقُولُ
وَكُلٌّ أَتَى لِلْحَقِّ الْمُبِينِ بِهِ وَلِلضَّلَالَةِ تَعْدِيلٌ وَتَمِيلُ
لَمْ تَبْقِ لِلشَّرِّكَ مِنْ قَلْبٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَّا غَدَاً وَهُوَ مَتَّبُولٌ وَمَتَّبُولُ^(٣)
وَيَوْمٌ بَدَرٍ إِذِ الْإِسْلَامُ قَدْ طَلَعَتْ بِهِ بُدُورًا لَهَا بِالنَّصْرِ تَكِيلُ
سَيِّئَتْ بِمَا سَرَّنا الْكُفَّارُ مِنْهُ وَقَدْ أَفْنَى سَرَاتِهِمْ أَسْرُ وَتَقْتِيلُ
كَأَنَّمَا هُوَ عُرْسٌ فِيهِ قَدْ جُلِيتْ عَلَى الظُّبَا وَالْقَنَا رُوسٌ مَفَاصِيلُ
وَالْخِيلُ تَرْقُصُ زَهْوًا بِالْكَمَاءِ وَمَا غَيْرَ السِّيَوفِ بِأَيْدِيهِمْ مَنَادِيلُ
وَلَا مُهَوَّرَ سِوَى الْأَرْوَاحِ تَقْبَلُهَا الْبَيْضُ الْبَهَائِيرُ وَالسُّمُرُ الْعَطَائِيلُ^(٤)
فَلَوْ تَرَى كُلَّ عُضْوٍ مِنْ كَمَاثِهِمْ مُفَصَّلًا وَهُوَ مَكْفُوفٌ وَمَشْلُولُ^(٥)
كَأَخْرَفٍ أَشْكَتْ خَطًّا فَأَكْثَرُهَا بِالطَّغْنِ وَالضَّرْبِ مَنَقُوطٌ وَمَشْكُولُ
وَكُلُّ بَيْتٍ حَكَى بَيْتَ الْعَرُوضِ لَهُ بِالْبَيْضِ وَالسُّمُرِ تَقْطِيعٌ وَتَفْصِيلُ

(١) مسومة : معلمة . واللبوس : اللباس . والسراييل : الدروع .

(٢) الكلال : العجز . والتأثيل : التأميل .

(٣) المتبول : الهالك . والمتبول : المقطوع .

(٤) البهاتير : القصار جمع بهتر . والعطائيل : جمع عطبول .

(٥) مفصل : مقطع . مكفوف : ممنوع . ومشلول : معطل . وفي كل من هذه الكلمات تورية .

وَدَاخَلْتَ بِالرَّدَى أَجْزَاءَهُمْ عِلَلٌ غَدَا الْمُرْقَلُ مِنْهَا وَهُوَ مَجْزُولٌ^(١)
وَكُلُّ ذِي تِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ غَدَا يُقَادُ ذَلِيلًا وَهُوَ مَقُولٌ^(٢)
وَكُلُّ جُرْحٍ بِجِسْمٍ يَسْتَهْلُ دَمًا كَأَنَّهُ مَنَسِمٌ بِالرَّاحِ مَقُولٌ
وَعَاطِلٌ مِنْ سِلَاحٍ قَدْ غَدَا وَلَهُ أَسَاوِرٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَلَاحِيلُ
وَالْأَوْضُ مِنْ جُبْثِ الْقَتْلِ مُجَلَّلَةٌ وَالتُّرْبُ مِنْ أَدْمَعِ الْأَحْيَاءِ مَبْلُولُ
غَصَّتْ قُلُوبٌ كَأَغْصَى الْقَلْبِ^(٣) بِهِم فَلَأَسَى فِيهِمْ وَالنَّارِ تَأْكِيلُ
فَأَصْبَحَ الْبَيْتُ إِذْ أَهْلُ الْبَوَارِ بِهِ مِثْلُ الْوَطِيسِ بِهِ جُزُرٌ رَعَابِيلُ^(٤)
وَأَصْبَحَتْ أَيْمَاتٌ مُحْصَنَاتُهُمْ وَأُمَمَاتُهُمْ وَهِيَ الْمَتَاكِيلُ
لَا تُنْسِكُ الدَّمْعُ مِنْ حُزْنِ عِيُونُهُمْ إِلَّا كَمَا يُنْسِكُ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ
وَصَارَ فَقْرُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ غِنَى وَفِي الْمَصَائِبِ تَفَوُّتٌ وَتَحْصِيلُ
وَرَدَّ أَوْجُهُهُمْ سُودًا وَأَغْيَمَهُمْ بَيْضًا مِنْ اللَّهِ تَنْكِيدٌ وَتَنْكِيلُ^(٥)
سَالَتْ وَسَاءَتْ عِيُونٌ مِنْهُمْ مِثْلًا كَأَنَّمَا كُلُّهَا بِالشُّوْكِ مَسْمُولُ^(٦)
أَبْغَضَ بِهَا مَقَلًا قَدْ أَشْبَهَتْ لَبَنًا طَافَا الذُّبَابُ عَلَيْهِ وَهُوَ تَمَقُولُ^(٧)
وَيَوْمَ عَمَّ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ أَسَى بِفَقْدِ عَمِّكَ وَالْمَقْذُودُ مَجْذُولُ^(٨)
وَنَالَ إِحْدَى الثَّنَايَا الْكَسْرُ فِي أَحَدٍ وَجَاءَ يَجْبُرُ مِنْهَا الْكَسْرَ جَبْرِيلُ

(١) الترفيل : أن يزداد في البحر الكامل سبب على متفاعلين فيصير متفاعلات . والمجزول ساقط الرابع من

متفاعلين مع إسكان ثانيه في زحاف الكامل . (٢) الترة : النار .

(٣) القلب : البئر . (٤) الرعايل : جمع رعبولة ، وهي الخرقعة الممزقة .

(٥) د : تنكيل وتشكيل . (٦) مسمول من سمل عينه بمعنى فقأها ، د : سارت بدلًا من ساءت .

(٧) الممقول : المغموس . (٨) المجنول : الممرور .

وَفِي مَوَاطِنَ شَتَّى كَمْ أَتَاكَ بِهَا
 وَمَلَكَتْ يَدَكَ الْيَمْنَى مَلَائِكَةٌ
 يُسَارِعُونَ إِذَا نَادَيْتَهُمْ لَوَعَى
 مِنْ كُلِّ نَفْسٍ نُحُولٌ مَا يَزَالُ بِهِ
 بَنَانُهُ بِدَمِ الْأَبْطَالِ مُحْتَضِبٌ
 آلَ النَّبِيِّ يَمْنَى أَوْ مَا أَشْبَهَكُمْ
 وَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى مَدْحٍ يَكُونُ بِهِ
 يَأْتُومُ بِأَيْمَتِكُمْ أَنْ لَا شَبِيهَ لَكُمْ
 جَاءَتْ عَلَى تِلْوِ آيَاتِ النَّبِيِّ لَهُمْ
 مَعَاشِيرٌ مَارَضُوا إِنِّي لَمُبْتَهِجٌ
 وَإِنَّ مَنْ بَاعَ فِي الدُّنْيَا مَحَبَّتَهُمْ
 وَحَسَبُ مَنْ نَكَلَتْ عَنْهُمْ خَوَاطِرُهُ
 إِنْ لَمُودَّةَ فِي قُرْبَى النَّبِيِّ غَنَى
 وَكَمْ لِأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْكَرَامِ يَدُ
 قَوْمٍ لَهُمْ فِي الْوَعَى مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمْ
 كَأَنَّهُمْ فِي مُحَارِيبٍ مَلَائِكَةٌ
 نَصْرُ مِنَ اللَّهِ مَضْمُونٌ وَمَكْفُولُ
 غُرِّ كِرَامٍ وَأَبْطَالُ بَهَائِلِ
 إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا نُودُوا هَذَا لِيلُ^(١)
 إِلَى الْمَكَارِمِ جِدُّ وَهُوَ مَهْزُولُ^(٢)
 وَطَرَفُهُ بَسْنَا الْإِيمَانَ مَكْحُولُ
 لَقَدْ تَعَذَّرَ تَشْبِيهُ وَتَمْثِيلُ
 لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ تَأْهِيلُ
 مِنَ الْوَرَى فَاسْتَقْبِلُوا الْبَيْعَ أَوْ قَبِلُوا^(٣)
 دَلَائِلُ هِيَ لِلتَّارِيخِ تَذْيِيلُ
 بِهِمْ وَمَا سَخَطُوا إِنِّي لَمُكْشُولُ
 يَبْغُضُهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَى لَمَرْدُودُ
 أَنْ مَاتَ أَوْ عَاشَ تَنْكِيلُ وَتَشْكِيلُ
 لَا يَسْتَمِيلُ فَوَادَى عَنْهُ تَمْوِيلُ^(٤)
 عِنْدَ الْإِلَهِ لَهَا فِي الْفَضْلِ تَخْوِيلُ^(٥)
 حُسْنُ ابْتِلَاءٍ وَفِي الطَّاعَاتِ تَبْتِيلُ^(٦)
 وَفِي حُرُوبٍ أَعَادِيهِمْ رَأْيِيلُ^(٧)

(١) هَذَا لِيلُ : مَسْرُوعُونَ . (٢) النَّصْرُ : النَّجِيلُ .

(٣) بِأَيْمَتِكُمْ : عَاهِدَتِكُمْ . وَقَلَّتْ الْبَيْعُ أَقِيلُهُ : فَسَخَتْهُ . وَاسْتَقَالَ : طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْبِلَهُ .

(٤) التَّمْوِيلُ : كَثْرَةُ الْمَالِ . (٥) تَمْوِيلُ : تَمْثِيلُ . (٦) التَّبْتِيلُ : الْإِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ عَنِ الدُّنْيَا .

(٧) الرَّأْيِيلُ : جَمْعُ رَثَائِلَ ، وَهُوَ الْأَسَدُ .

حَكَى الْعِبَادَةَ قَلْبِي حِينَ كَانَ بِهَا لِّلَّالِ تَغْطِيَّةٌ وَالصَّحْبِ تَخْلِيلُ^(١)
وَلِي فُؤَادٌ وَنُطْقٌ بِالْوِدَادِ لَهُمْ وَبِالْمَدَامِحِ مَشْغُوفٌ وَمَسْغُولُ
فَإِنْ ظَنَنْتُ بِهِمْ خَتَلًا لِّبَعْضِهِمْ إِنِّي إِذْنُ بَعْرِورِ النَّفْسِ مَحْتُولُ^(٢)
أُتِمَّةُ الدِّينِ كُلُّ فِي مُحَاوَلَةٍ إِلَى صَوَابِ اجْتِهَادٍ مِنْهُ مَوْكُولُ
لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ قَدَرُهُ وَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
حَسْبِي إِذَا مَا مَنَحْتَ الْمُصْطَفَى مِدْحِي فِي الْحَشْرِ تَرْكِهٌ مِنْهُ وَتَعْدِيلُ^(٣)
مَدْحٌ بِهِ ثَقُلْتُ مِيزَانُ قَائِلِهِ وَخَفَّ عَنْهُ مِنَ الْأَوْزَارِ ثَقِيلُ
وَكَيْفَ تَأْتِي جَنَى أَوْصَافِهِ هَمُّ يَرُوقُهَا مِنْ قُطُوفِ الْعِزِّ تَذْلِيلُ
وَلَيْسَ يُدْرِكُ أَدْنَى وَضْعِهِ بَشَرٌ أَيْقَطُ الْأَرْضِ سَاعٍ وَهُوَ مَكْبُولُ^(٤)
كُلُّ الْفَصَاحَةِ عَيْ فِي مَنَاقِبِهِ إِذَا تَفَكَّرْتَ وَالتَّكْثِيرُ تَقْلِيلُ
لَوْ أَجْمَعَ الْخَلْقُ أَنْ يُحْصُوا حَاسِنَهُ أَغْيَتُهُمْ مُجَلَّةٌ مِنْهَا وَتَفْصِيلُ
عُدْرًا إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ كَلِمِي إِنَّ الْكَرِيمَ لَدَيْهِ الْعُذْرُ مَقْبُولُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْطِقِي فِي طَبِيعِ عَسَلًا فَإِنَّهُ بِمَدْحِي فِيكَ مَعْسُولُ
هَاجِلَةٌ بِخِلَالٍ مِنْكَ قَدْ رُقِمَتْ مَا فِي حَاسِنِهَا لِلْعَيْنِ تَخْلِيلُ^(٥)
جَاءَتْ بِجَبِيٍّ وَتَضَدِّيقِي إِلَيْكَ وَمَا حَبِّي مَشُوبٌ وَلَا التَّضَدِّيقُ مَدْخُولُ^(٦)

(١) تخليل : من تخلل الشيء بمعنى دخل في خلاله .

(٢) محتول : مخدوع . (٣) عدله : شهد بعدالته .

(٤) مكبول : مقيد .

(٥) خلل : خصل ، رقم الكتاب : كتبه ، والشوب : خطئه . وتخلل الشيء دخل في خلاله .

(٦) كل ما دخله عيب فهو مدخول .

أَلْبَسْتَهَا مِنْكَ حُسْنًا فَازْدَهَتْ شَرَفًا بِهَا الْخَوَاطِرُ مِنَّا وَالنَّوَابِلُ^(١)
 لَمْ أَنْتَحِلْهَا وَلَمْ أَغْصِبْ مَعَانِيَهَا وَغَيْرُ مَذْحِكَ مَقْصُوبٌ وَمَنْحُولُ^(٢)
 وَمَا عَلَيَّ قَوْلٍ كَعَبٍ أَنْ تُوَاظِنَهُ فَرُبَّمَا وَازَنَ الدَّرَّ الثَّقِيلُ^(٣)
 وَهَلْ تُعَادِلُهُ حُسْنًا وَمَنْطِقُهَا عَنْ مَنْطِقِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ مَعْدُولُ
 وَحَيْثُ كُنَّا مَعًا نَرْجِي إِلَى غَرَضٍ فَحَبَّذَا نَاضِلٌ مِنَّا وَمَنْضُولُ
 إِنْ أَقْبُ أَتَارَهُ إِنْی الْغَدَاةَ بِهَا عَلَى طَرِيقِ نَجَاحٍ مِنْكَ مَدْلُولُ
 لَمَّا غَفَرْتَ لَهُ ذَنْبًا وَصُنْتَ دَمًا لَوْلَا ذِمَامُكَ أَضْحَى وَهُوَ مَطْلُولُ^(٤)
 رَجَوْتُ غُفْرَانَ ذَنْبٍ مُوجِبٍ تَلَفِي لَهُ مِنَ النَّفْسِ إِمْلَاءٌ وَتَسْوِيلُ^(٥)
 وَلَيْسَ غَيْرَكَ لِي مَوْلَى أَوْ مَلَهُ بَعْدَ الْإِلَهِ وَحَسْبِي مِنْكَ تَأْمِيلُ
 وَلِي فَوَادٌ مُحِبٌّ لَيْسَ يَقْنَعُهُ غَيْرُ الْقَاءِ وَلَا يَشْفِيهِ تَعْلِيلُ
 يَمِيلُ بِي لَكَ شَوْقًا أَوْ يُخَيِّلُ لِي كَأَنَّمَا بَيْنَنَا مِنْ شُقَقٍ مِيلُ
 يَهْمُ بِالسَّعْيِ وَالْأَقْدَارُ تُمَسِّكُهُ وَكَيْفَ يَعْدُو جَوَادٌ وَهُوَ مَشْكُولُ^(٦)
 مَتَى تَجُوبُ رَسُولَ اللَّهِ نَحْوَكَ بِي تِلْكَ الْجِبَالِ نَجِيَّاتٍ مَرَاسِيلُ^(٧)
 فَأَنْتَنِي وَيَدِي بِالْقَوْزِ ظَافِرَةٌ وَثُوبُ ذَنْبِي مِنَ الْآثَامِ مَفْسُولُ
 فِي مَعْشَرٍ أَخْلَصُوا لِلَّهِ دِيْنَهُمْ وَفَوْضُوا إِنْ هُمْ نَالُوا وَإِنْ نِيلُوا

(١) ازدهت : افترخت . والنوابل : جمع منوال ، وهو معروف . وهى هنا بمعنى الأفكار .

(٢) انتحلها : ادعاه لنفسه ، وهو لغيره . (٣) مثقال الشيء : وزنه مثله .

(٤) اللام : العهد . المطلول : مهدر . (٥) سولت له نفسه كذا : أى زينت .

(٦) مشكول : مقيد . (٧) نجيات : جمع نجبية وهى الناقاة . مراسيل : سهلة الانقياد .

شُعْثُ لَمْ مِنْ نَرَى الْبَيْتِ الَّذِي شَرُفَتْ بِهِ النَّبِيُّونَ تَطْيِيبٌ وَتَكْمِيلٌ^(١)
 مُحَلَّتِي أَرْوُسٍ زِيدَتْ وَجُوهُهُمْ حُسْنًا بِهِ فَكَأَنَّ الْخَلْقَ تَرَجِيلٌ^(٢)
 قَدْ رَحَبَ الْبَيْتُ شَوْقًا وَالْقَامُ بِهِمْ وَالْحِجْرُ وَالْحَجَرُ الْمَثُومُ وَالْمِيلُ^(٣)
 نَذَرْتُ إِنْ جَعَتْ تَمَلُّ بِبَابِكَ أَوْ شَفَتْ فَوَادِي بِهِ قَوْدَاهُ شِمْلِيلٌ^(٤)
 أَبْلُ مِنْ طَيِّبَةٍ بِالْذَّمِّ طِيبَ نَرَى لِقَلَّتِي وَغَلِيلِي مِنْهُ تَبْلِيلٌ^(٥)
 دَامَتْ عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يَكْفُلُهَا مِنْ الْمَيِّمِينَ إِبْلَاغٌ وَتَوْصِيلٌ
 مَا لَاحَ صَوُّهُ صَبَاحٍ فَاسْتَسَرَّ بِهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ قِنْدِيلٌ فَقَنْدِيلٌ
 وَقَالَ^(٦) يَمْدَحُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَدَحُ النَّبِيِّ أَمَانُ الْخَائِفِ الْوَجِلِ فَاْمَدَحُهُ مُرْتَجِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَجِلِ
 وَلَا تُشَبِّبْ بِأَوْطَانٍ وَلَا دِمَنِ وَلَا تُعَرِّجْ عَلَى رَنْعٍ وَلَا طَلَلِ
 وَصِفْ بِجَمَالِ حَبِيبِ اللَّهِ مُنْفَرِدًا بِوَصْفِهِ فَهُوَ خَيْرُ الْوَصْفِ وَالْفَزَلِ
 رَيْنَحَانَتَاهُ عَلَى زَهْرِ الرُّبَا زَهْتَا فَمَا لِقَلَّتِي وَذِكْرِي الْبَانِ وَالْأَثَلِ^(٧)
 رَيْنَحَانَتَاهُ مِنَ الزَّهْرَاءِ فَاطِمَةَ خَيْرِ النِّسَاءِ وَمِنْ صِنُوفِ الْإِمَامِ عَلَى^(٨)

(١) الأشعث : الذي يدهن شعره ولم ينظفه . تطييب : اتخاذ الطيب . (٢) الترجيل : تسريح الشعر .

(٣) الميل : المنار الموضوع بين الصفا والمروة .

(٤) القوداه : الناقة العظيمة . والشمليل : السريمة .

(٥) الغلة : شدة العطش . والغليل : حرارة الحب والحزن . د : تغليل .

(٦) ت : وقال ، رضى الله تعالى عنه ، في مدح النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من البسيط .

(٧) ت : زهر الرياض زهت . (٨) هذا البيت ساقط من د .

إِذَا امْتَدَحْتُ^(١) نَسِيًّا مِنْ سُلَاطَتِهِ
فَهُوَ النَّسِيبُ لِمَذْحِي سَيِّدِ الرُّسُلِ
مُحَمَّدَ أَفْضَلَ الرُّسُلِ الَّذِي شَهِدَتْ
بِفَضْلِهِ أَنْبِيَاءُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ
لَمْ يَعُدَّهُ أَحْسَنُ فِي خَلْقِي وَفِي خَلْقِي
وَلَمْ يَزَلْ حُبُّهُ شُغْلًا لِكُلِّ خَلِيٍّ
وَقَفَّ^(٢) عَلَى سُنَنِ الْمُرَضِيِّ مِنْ سُنَنِ
فَإِنَّ^(٣) فِيهَا شِفَاءَ الْخُبْلِ وَالْخُبْلِ
وَنَزَهَ الْفِكْرُ فِي رَوْضَاتِ فِكْرَتِهَا
وَاجْنِ الْبَلَاغَةَ مِنْ أَغْصَانِهَا الدَّلِيلِ

وقال [رضي الله تعالى عنه] ^(٤) من الكامل :

الْيَوْمَ قَدْ حَكَمَ الْهَوَى بِالْمَعْدَلَةِ
وَتَبَدَّلَتْ مِنِّي الصَّبَابَةُ سَلَوَةً
مَالِي وَلِلْعُشَاقِ أَتْبَعُ مِنْهُمْ
صَيِّتُهَا بِهَا عِبْرَاتِي الْمُتَبَدِّلَةِ
مِنْ كُلِّ مَنْ^(٦) يَشْكُو جِنَايَةَ نَفْسِهِ
أَمَّا تَصِلُ عَنِ الرَّشَادِ مُضِلَّةً^(٥)
إِنِّي أَمَرُوا أَعْطَى السَّلَوةَ قِيَادَهُ
وَيَرُومُ مِنْ أَحْبَابِهِ مَا لَيْسَ لَهُ
وَدَعَا جَمِيلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ^(٧) مَدِيحَهُ
مَوَلَّى عَرَفْتُ بِجَاهِهِ^(٨) وَبِمَالِهِ
عِزَّ الْغِنَى وَجَهْلَتْ ذُلَّ الْمَسْأَلَةِ
وَأَتَمَّ حَظِّي بَعْدَ نَقْصَانِ فَكْرِهِ
مِنْ عَائِدِي مَنْ نَدَاهُ وَمِنْ صَلَهِ
وَجَبَتْ عَلَى لَهُ حَقُوقُ لَمْ أَقُمْ
مِنْهَا بِمَاضِيَةٍ وَلَا مُسْتَقْبَلَةٍ

(١) ت : مدحت . (٢) د : وقفته . (٣) د : له ففيها .

(٤) ما بين القوسين زيادة في ت . (٥) ومظله . (٦) د ، ت : ما .

(٧) جميل : معروف . وابن الزبير : هو زين الدين يعقوب بن عبد الرقيق بن الزبير الذي ولي الوزارة من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٦٥٩ هـ حيث عزله السلطان الظاهر . وكان آية في السكرم ، أديبا شاعرا ، توفي سنة ٦٦٨ هـ .

(٨) ت : بجاله . وقد علق عليها صاحبها في الهامش بقوله « ولعلها بجاهه » .

لَا أُسْتَطِيعُ جُودَهَا، وَشُحُودَهَا
مَا طَالَ حَمَتُ مَدَامِحِي عَنْ بَجْدِهِ
فَتَى هَمَمْتُ بِشُكْرِ سَالِفِ نِعْمَةٍ
مَنْ مِثْلُ زَيْنِ الدِّينِ يَعْقُوبَ الَّذِي
عَمَّ الْخَلَائِقُ جُودُهُ فَكَأَنَّمَا
حَكَمْتُ أَنَامِلَهَا لَهُ بِالرَّفْعِ مِنْ
وَأَحَلَّهُ الشَّرَفَ الرَّفِيعَ ذَكَوُهُ
سَلَّ عَنْهُ وَاسْنَأَلْ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ
إِنْ صَالَ كَانَ اللَّيْثُ مِنْهُ شَعْرَةٌ
كَمْ أَظْهَرْتَ أَفْلَامُهُ مِنْ مُعْجِزٍ
مَلَأَتْ بِإِمْلَاءِ الْخَوَاطِرِ كُتُبَهُ
وَبَدَتْ فَوَاصِلُهُ خِلَالَ سَطُورِهَا^(١)
مَا صَانَهَا نَقْصُ الْكَمَالِ وَلَمْ تَفُتْ
قَدْ أَغْنَتْ الْفُقَرَاءَ وَافْتَقَرَتْ لَهُمْ
مِنْ مَعَشَرٍ شَرَعُوا الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى
آلُ الزُّبَيْرِ الْمُرْتَجَى إِسْعَادُهُمْ
الْمَكْثُرُونَ طَعَامُهُمْ وَطِعَانُهُمْ

عِنْدِي بِمَا أَوْلَتْ يَدَاهُ مُعَدَّلَةً
إِلَّا لِأَنَّ صِلَاتِهِ مُسْتَرَسِلَةً
أَلْفَيْتُ سَالِفَتِي^(٢) بِأُخْرَى مُثْقَلَةً^(٣)
أَصْحَتْ بِهِ رُتَبُ الْفَخَارِ مُوَثَّلَةً
يَدُهُ بِأَرْزَاقِ الْوَرَى مُتَّكِلَةً
أَفْعَالِهِ الْحَسَنَى بِخَمْسَةِ أَمْنِلَةٍ
فَرَأَيْتُ مِنْهُ عُطَارِدًا فِي السَّنْبِلَةِ
تَسْمَعُ أَحَادِيثَ الْكِرَامِ مُسْلَسَلَةً
أَوْ جَادَ كَانَ الْبَحْرُ مِنْهُ أَمْنِلَةً
لِلطَّرَسِ لَمَّا أَنْ رَأَتْهُ مُرْسَلَةً
حِكْمًا عَلَى وَفْقِ الصَّوَابِ مُنْزَلَةً
شَهْدَى لِقَارِئِهَا الْعُقُودَ^(٤) مُفْصَلَةً
فِي الْحُسْنِ بِسَمَلَةِ الْكِتَابِ الْحَمْدَلَةِ
هِمُّ الْمُلُوكِ فَمَا تَزَالُ مُوَمَّلَةً
وَتَبَوَّهُوا مِنْ كُلِّ بَجْدٍ أَوَّلَةً
فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ وَمُعْضَلَةً
يَوْمَ النَّزَالِ وَفِي السَّنِينَ الْمُجْحَلَةِ

(٢) د : د : بآخر .

(١) د ، ت : سالفى . والصواب ما أنبتناه .

(٣) ت : سطوره . (٤) د عقود .

قَوْمٌ لِكُلِّهِمْ عَلَى كُلِّ الْوَرَى أَبَدًا يَدُ مَرْهُوبَةٍ وَمُنَوَّلَةٍ
 إِن يُسْأَلُوا كَرَمًا وَعِلْمًا أَعْجَزُوا يَبْدِيعُ أَجْوَبَةٍ لَتَلَكِ الْأَسْئَلَةُ
 أَنْفُوا ذُنُوبًا وَدَّ كُلُّ مُقْبَلٍ لَوْ أَنَّهَا حَسَنَاتُهُ الْمُتَقَبَّلَةُ
 لَوْلَا مَنَاقِبُكُمْ لَكَانَتْ هَذِهِ الدُّ نِيَامِنَ الذِّكْرِ الْجَلِيلِ مُعْطَلَةً

وله ؛ رحمه الله ؛ فيما كتب به لجناب السابق :

إِنَّ خُلُقَ الشُّهُودِ وَالْعُمَالِ مِثْلُ خُلُقِ الْعُشَاقِ وَالْعُدَّالِ
 كُلُّ عَدْلٍ مُضَاقٍ^(١) فِي وُصُولٍ كَعَدُولٍ مُضَاقٍ^(٢) فِي وَصَالٍ
 لَسْتُ أَذْرِي مَعْنَى التَّبَاغُضِ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ غَيْرَ حُبِّ الْمَالِ^(٣)
 فَإِذَا زَالَتِ الْمَطَامِعُ مِنْهُمْ أَذَّنَ الْخُلْفُ بَيْنَهُمْ بِالزَّوَالِ
 سَالَمْتَنِي الْمُسْتَحْدَمُونَ وَكَانُوا قَدْ أَعَدُّوا سِلَاحَهُمْ لِقِتَالِي
 وَرَأَيْ^(٤) بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَقَدْ بَا نَ لَكَ الْآنَ شِدَّةُ الْأَهْوَالِ
 وَرَأَى ابْنُ الْأَشْلِّ قَدْ كَانَ يَبْقَى كَاتِبًا مِثْلَ جَدِّهِ بِالشَّمَالِ
 فَالْتَجَا لِلْعَفَافِ مَنْ كَانَ يَوْمًا لَا لَهُ يَخْطُرُ الْعَفَافُ بِبَالِ
 وَلَهُمْ أَعْيُنٌ تَغْضُ عَنِ الْعَيْنِ وَأَيْدٍ تُمَدُّ عِنْدَ الْفِلَالِ

(٢٠١) د، و ت : يضايق .

(٣) هذا البيت ورد في د هكذا :

لست أدر معنى التباغض ما بين الفريقين غير حب المال

(٤) ت : رثا . وقد كتب أمامها « ولعله رأى » والصواب ما ورد في د .

بَابِي حَزْمُكَ الَّذِي طَرَّقَ الْأَنْذَالَ^(١) مِنْهُمْ طَرَائِقَ الْأَبْدَالِ
 لَا تُوْطِنُ قُلُوبَهُمْ^(٢) يَهْجَاءُ إِنِّهَا مِنْ سَطَاكَ فِي بَلْبَالِ
 مَا اسْتَوَى السِّيفُ وَاللَّسَانُ مَضَاءً أَتَسَاوَى حَقِيقَهُ بِمُحَالِ
 إِنَّ قَوْلِي هَزْلًا وَفِعْلَكَ جَدًّا مِثْلُ نَبْلِ الْحَصَى وَرَشَقِ النَّبَالِ
 وَلَلْفَنَى وَلِمْتُ بِالضَّرْبِ فِي الرَّمْلِ لِأَخْطَى بِأَسْمَدِ الْأَشْكَالِ
 كَحَمِدَتِ الطَّرِيقَ إِذَا أَشْهَدْتَ لِي حِينَ عَايَنْتُهُمَا بِحُسْنِ مَالِ
 وَغَدَا الْأَجْتِمَاعُ يَضْمَنُ لِي عَنْكَ بُلُوغَ الرَّجَاءِ وَالْآمَالِ
 أَنْبَتَ الْعِزُّ مِنْكَ فِي بَيْتِ نَفْسِي وَالْفَنَى مِنْ يَدَيْكَ فِي بَيْتِ مَالِي
 وَإِذَا كُنْتُ نُصْرَةً لِي فِيمَا أُرْتَجِيهِ فَذَاكَ عَيْنُ سُوءِ أَلِي

وقال يهجو النصارى واليهود ، لعنهما الله :

إِنَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ مَعَاشِرُ جُبِلُوا عَلَى التَّخْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ
 لَوْ أَنَّ فِيهِمْ عَوْرَ عَنْ بَاطِلٍ أَبْقَوْا عَلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

وقال لما استعار منه جمال الدين حرارته [وأبى^(٣)] أن يعيدها إليه ، بحكم أنه كانت له عند

صاحب الحمارة مبلغ من الدراهم :

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدْتَ^(٤) الْفَاطَهُ لِي بِأَنَّهُ فَاضِلٌ

(١) د : أنذال بغير لام . (٢) ت : قلبك .

(٣) ما بين القوسين زيادة في ت : ، في فوات الوفيات : كانت ه حمارة استعارها منه ناظر الشرقية ،

فأعجبه ، فأخذها وجهز له مائتي درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر « المملوكة حمارة البوصيري »

الآيات ، فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهم منه . (٤) د : شهدت له .

حاشاكَ مِنْ أَنْ أَجُوعَ فِي بَلَدٍ وَأَنْتَ بِالرِّزْقِ فِيهِ لِي كَافِلٌ
 أَلَمْ تَكُنْ^(١) قَدْ أَخَذْتَ عَارِيَةً مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تُرَدَّ فِي الْعَاجِلِ
 وَكَانَ عَزْمِي عِنْدَ الْوَصُولِ بِكُمْ أَجْمَلَ مِنْ أَنْ أُسَاقَ لِلْحَاصِلِ
 مَا كَانَ مِثْلِي يُعِيرُهُ أَحَدٌ قَطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلٌ
 لَوْ جَرَّسُوهُ عَلَىَّ مِنْ سَفَهٍ لَقُلْتُ غَيْظًا عَلَيْهِ يَسْتَاهِلُ
 طَالَ بِي^(٢) شَوْقٌ إِلَى وَطَنِي وَالشَّوْقُ دَاءٌ لَا ذُقْتُهُ قَاتِلٌ^(٣)
 وَبُغْيَتِي أَنْ أَكُونَ سَائِيَةً مِنْ بَلَدِي فِي جَوَانِبِ السَّاحِلِ
 لَا نَظْمُومُوا أَنْ أَكُونَ عِنْدَكُمْ فَذَاكَ مَا لَا يَرُومُهُ الْعَاقِلُ
 وَبَعْدَ هَذَا فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ مِلْكِي فَإِنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلٌ

قافية الميم ، وقال يمدح النبي ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ وهي من أشهر شعره . وهذه القصيدة تعرف بالبُرْدَة أو بالبُرْأة . وقد وفد بها على النبي ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ وهو مريض ، فعوفى من وقته وساعته .

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمٍ
 أَمْ هَمَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
 فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَّتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَقِ بِهَمٍ
 أَيْحَسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَرٌ مَا بَيْنَ مُنْجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ^(٤)

(١) د : أكن . (٢) د : طال بها ، ت : طال شوقا ، ونظن الصواب ما أثبتناه .

(٣) د : مائل . (٤) المنسجم : الدمع السائل . والمضطرم : القلب المشتعل بالحُب .

لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
فَكَيْفَ تَنْكَرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ
وَأَثَبْتَ الْوَجْدُ خَطِيءَ عِبْرَةٍ وَضَنَى
نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِّنْ أَهْوَى فَأَرَقَنِي
يَا لَأَيْمَى فِي الْهُوَى الْعُذْرَى مَعْدِرَةً
عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرْرِي بِمُسْتَتِرٍ
مَحْضَتْنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنِّي أَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدَلٍ
فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا انْعَمَطَتْ
وَلَا أَعَدَّتْ مِّنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ
مَنْ لِي بِرَدِّ جَاحٍ مِّنْ غَوَايَتِهَا
فَلَا تَرُمُ^(٦) بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ هُمِلَتْ شَبَّ عَلَى
فَاصِرٍ هَوَاهَا وَحَازِرٍ أَنْ تُؤَلِّهَ

وَلَا أَرَقْتُ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
بِعُودِكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ
مِثْلُ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَمِ^(١)
وَالْحُبُّ يَغْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمْ
عَنِ الْوُشَاقِ وَلَا دَائِي مِمَّنْ حَسِمِ^(٢)
إِنَّ الْمَحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمَمِ^(٣)
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التَّهَمِ
مِنْ جَهْلِهَا بِذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ^(٤)
ضَيْفٍ أَلَمْ يَرَأِ غَيْرَ مُخْتَشِمِ
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالْكَمِ^(٥)
كَأَيُّ رَدِّ جَاحٍ أُخْلِيلُ بِاللُّجُمِ
إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوَى شَهْوَةَ النَّهَمِ
حُبُّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّعَتْ يُنْفَطِمِ
إِنَّ الْهُوَى مَا تَوَلَّى يُضْمُ أَوْ يَصِمِ^(٧)

(١) البهار : ورد أصفر . والعلم : ورد أحمر . (٢) عدتك : تجاوزتك . ومنحسم : منقطع .

(٣) محضتني النصح : أخلصته . (٤) الأماراة بالسوء : هي النفس .

(٥) الكتم : نبت يخضب به كالحناء . (٦) لا ترم : لا تقصد ولا تطلب .

(٧) أن توليه : تجعله واليا عليك . ويصمي : يقتل ؛ من أصمى . ويصم : يعيب ؛ من وصم .

- وَرَاعِيهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْغَى فَلَانْسِمَ^(١)
كَمْ حَسَدَتْ لَذَّةَ الْغَزَاءِ قَارِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذَرْ أَنَّ الشَّمَّ فِي الدَّسَمِ
وَإِخْشَ الدَّسَائِسِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَيْعٍ قَرُبًا مَخْمَصَةً شَرًّا مِنْ التَّخَمِ^(٢)
وَاسْتَفْرِغَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدَامَتَلَأَتْ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمْ حِيَمَةَ النَّدَمِ^(٣)
وَخَالَفَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِيَهُمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكُ النَّصْحِ فَاتَّهِمِ
وَلَا تَطْعِ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحُكْمَ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِي عَقْمٍ
أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا اتَّعَمَرْتُ بِهِ وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرْضِي وَلَمْ أَصُمْ
ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَيَّ أَنْ اسْتَكْتَفَاهُ الضَّرْمُ وَرَمِ
وَشَدَّ مِنْ سَغَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحَامَتَرَفِ الْأَدَمِ^(٤)
وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشَّمَّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ
وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ^(٥)
وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالتَّقْلَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

(١) السوم : الرعى في العشب المباح . (٢) المخمصة : الجوع .

(٣) الحمية عن الشيء : الامتناع عنه .

(٤) السغب : الجوع . والكشح : ما بين الحاصرة إلى الضلع . والمترف : المنعم .

(٥) العصم : جمع عصمة ، وهي الحفظ .

نَبِينًا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
دَعَا إِلَى اللَّهِ فَلِلسُّتَمْسِكُونَ بِهِ
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خَلْقٍ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ
فَهَوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
مُنْزَعٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مُحَاسِنِهِ
دَعَا مَا دَعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ
وَانْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
لَوْ نَاسَبَتْ قُدْرَتُهُ آيَاتُهُ عِظَمًا
لَمْ يَمْتَحِنًا بِمَا تَعْنَى الْمُقُولُ بِهِ
أَعْيَا الْوَرَى فَهَمَّ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
كَالْمُسْتَضَى لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ
وَكَيفَ يُذَرِّكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
أَبَرَّ فِي قَوْلٍ «لَا» مِنْهُ وَلَا «نَعَمْ»
لِكُلِّ هَوَلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُفْتَحَمٍ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْفَصِمٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
غَرَّاقِينَ الْبَحْرِ أَوْرَشَفًا^(١) مِنَ الدِّيمِ
مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ^(٢)
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ^(٣)
فَجَوَّهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَذْحًا فِيهِ وَاحْتَكُمْ
وَانْسَبْ إِلَى قُدْرَتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ
حَدِّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمٍ
أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسُ الرَّمَمِ
حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمِ^(٤)
فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَجِمٍ^(٥)
صَغِيرَةً وَتَكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ^(٦)
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسْلَوْنَ عَنْهُ بِالْحُلْمِ

(١) الورش : المص . والدِّيم : جمع ديمة ، وهي المطار .

(٢) الحكم جمع حكمة وهي وضع الأشياء في مواضعها . (٣) الندم جمع نسمة ، وهي الإنسان .

(٤) لم نهم : لم نفضل . (٥) المنفجم : الساكت عجزا في المناظرة . (٦) تكل : تمتع . أمم : قرب .

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ ^(١)
وَكُلُّ آيِ الْرُّسُلِ الْكَرَامِ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
فَإِنَّهُ تَمَسُّسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِهُا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ بِالْحَسَنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٌ ^(٢)
كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالدُّرِّ فِي شَرَفٍ وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالذَّهْرِ فِي هِمَمٍ
كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ
كَأَنَّهُ اللُّوْلُو الْمَكُونُ فِي صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنٍ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُتَّبِعٍ
لَا طِيبَ يَعْدِلُ تَرْبَا ضَمَّ أَعْظَمُهُ طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَمِسٍ ^(٣)
أَبَانَ مَوْلِدَهُ عَنْ طِيبِ عَنْصُرِهِ يَوْمَ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ
وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدَعٌ كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِسٍ
وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمٍ ^(٤)
وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتَهَا وَرَدَّ وَارِدُهَا بِالْعَيْظِ حِينَ ظَمَى
كَأَنَّ النَّارَ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْنَا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ ^(٥)
وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ ^(٦)

(١) مبلغ العلم : غايته . (٢) متمم : متصف .

(٣) طوبى من الطيب قلبوا الياء واوا اللمة ما قبلها . والمنشق : من يشمه ، والمُلتَمِس : من يقبله .

(٤) تفرس : تعرب بالظن الصائب . (٥) ساهى : ساكن . والسدم : الحزن .

(٦) ساوة مدينة في بلاد فارس بين همدان الرى . (٧) الضرم : الالتهاب .

عَمُوا وَصَمُوا فَأِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
 وَبَعْدَ مَا عَابَتُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهْبِ
 حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَرِمٌ
 كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَيْرَاهَةٍ
 نَبَذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا
 جَاءَتْ لَدَعُونِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً
 كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ
 مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَتَى سَارَ سَائِرَةٍ
 أَفْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
 وَمَا حَوَى الْغَارِ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
 فَالْصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِ مَا
 ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
 وَقَايَةِ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ
 مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضِمًّا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
 وَلَا التَّمَسْتُ غَنِي الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
 لَا تُنْكَرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
 تَسْمَعُ وَبَارِقَةُ الْإِنْدَارِ لَمْ تَسْمَعْ^(١)
 بَأَنَّ دِينَهُمُ الْمُفَوِّجَ لَمْ يَقُمْ
 مُنْقَضَةً وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَمٍّ^(٢)
 مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَرِمٍ
 أَوْ عَسْكَرٍ بِالْخَصِيِّ مِنْ رَاحَتِيهِ رُمِي
 نَبَذَ الْمَسْبُوحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمٍ
 تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَمٍ
 فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ
 تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ^(٣) حَمَى
 مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ
 وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي
 وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ^(٤)
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ
 مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطَمِ^(٥)
 إِلَّا وَنَلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ
 إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمٍ
 قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْهَمِ^(٦)

(١) تسمع: تنظر. (٢) الوق: أي المائل. (٣) د: بالهجير.

(٤) لم يرها: لم يبرحها. وأرم على وزن كفف: العلم والأثر.

(٥) الأطم: الحصون. (٦) يقول: إن رؤيا النبي في المنام هي وحى من عند الله.

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمٍ^(١)
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَخَى بِمُكْتَسَبٍ وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ يُمْتَنِّمُ
كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِيًّا بِاللَّعْسِ رَاحَتُهُ وَأَطْلَقَتْ أَرْبَابًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّعْمِ^(٢)
وَأُحْيِيَتِ السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ دَعْوَتُهُ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصُرِ الدَّهْمِ^(٣)
بِعَارِضٍ جَادٍ أَوْ خِلَتْ الْبِطَاحَ بِهَا سَبَبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَبِيلٌ مِنَ الْعَرَمِ^(٤)
دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهُورَ نَارِ الْقَرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ
فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظِمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمٍ
فَمَا تَطَاوَلُ آمَالِ الْمَدِجِ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّمِّ^(٥)
آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّخْمَنِ مُحَدَّثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ^(٦)
لَمْ تَقْتَرِنْ يَزْمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَامٍ
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمْ
مُحْكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبُهٍ لَدَى شِقَاقٍ وَمَا تُبْقِينَ مِنْ حَكَمٍ
مَاحُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ أَعْدَى الْأَعَادَى إِلَيْهَا مُلْقَى السَّلَمِ
رَدَّتْ بِلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

(١) المحتلم الذي يرى الحلم في النوم، فحلم النبي كما يقول وحى لا ينكر .

(٢) الوصب : المريض . والأرب : المحتاج . والربقة أصلها الحبل . واللعم : الجنون .

(٣) السنة الشهباء : المجيدة .

(٤) أوخلت : أى إلى أن خلت . والبطاح : جمع أبطح ، وهو مسيل الماء . والسبب : الجرى . والعرم : الوادى

(٥) تطاول إلى كذا : طلب الوصول إليه . (٦) محدثة : إنزاعها محدث .

فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَىٰ عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمِ
إِنْ تَتَلَّهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى أَطْفَأَتْ نَارَ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّيْمِ
كَأَنَّهَا الْخَوْضُ تُبَيِّضُ الْوُجُوهُ بِهِ مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالْحَقَمِ
وَكَالصَّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ
لَا تَعْجَبَنَّ لِلْحُسُودِ رَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهَلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَازِقِ الْفَهْمِ
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمْدٍ وَيُنْكِرُ الْقَمُ طَمَمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْتِي الرُّسَمِ (١)
وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُفْتَسِرِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْسَ إِلَى حَرَمٍ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَيْتٌ (٢) تَرَفَّى إِلَى أَنْ نِلَتْ مَنْزِلَةً مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُذْرَكَ وَلَمْ تُرَمِ
وَقَدَمَتِكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسُلُ تَقْدِيمَ تَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّيِّعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأْنًا مُسْتَبَقٍ مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرَفَى لِمُسْتَدِمِ (٣)
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ نُودِيَْتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْفَرْدِ الْعِلْمِ (٤)
كَيْمَا تَقُوزَ بِوَصْلِ أَيْ مُسْتَبِرٍ عَنِ الْعِيُونِ وَسِرِّ أَيْ مُكْتَسِمِ

(١) المافون : طلاب الرزق . والآيتي : النياق . والرسم : التي ترسم : الأرض أى تعلمها .

(٢) د : فطلت . (٣) المستم : طالب الرفعة إلى السنام ، وهو أعلى الشيء .

(٤) بالإضافة إلى مقامك . والرفع الارتفاع وفيه تورية برفع الإعراب عند النحاة .

فَحَزَنَتْ كُلَّ فَخَّارٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ وَجَزَتْ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمٍ
بُشِّرِي لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنْ لَنَا مِنَ الْعِنَايَةِ رُسْنَا غَيْرِ مُنْهَدِمٍ
لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِيَنَا لِطَاعَتِهِ بِأَكْرَمِ الرُّشْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاهُ بِعَثَتِهِ كَنْبَاءُ أَجْفَلَتْ غَفْلًا مِنَ الْغَنَمِ
مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُفْتَرَكٍ حَتَّى حَاكَمُوا بِالْقَنَاءِ لِحِمَا عَلَى وَضَمٍ ^(١)
وَدَّوَالِ الْفِرَارِ فَكَادُوا يَغِيْطُونَ بِهِ أَشْلَاءُ سَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّحَمِ
تَمَضَى اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيْلِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
كَأَنَّمَا الدِّينُ صُنِفَ حَلَّ سَاحَتِهِمْ بِكُلِّ قَرَمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرِمٍ ^(٢)
يَجْرُ بِحَرِّ خَيْسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ ^(٣)
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُخْتَسِبٍ يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلِكُفْرِ مُضْطَمٍ ^(٤)
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرَّتِهَا مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ
مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَسِمْ ^(٥)
هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ مَا ذَارَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُضْطَدَمٍ
وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا فُصُولُ حَتَفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحَمِ ^(٦)
الْمُصْدِرِ الْبَيْضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ مِنْ الْعِدَا كُلِّ مُسَوِّدٍ مِنَ اللَّمَمِ ^(٧)

(١) الوضَم : كل خشبة يقطع عليها اللحم .

(٢) القرم : السيد . والقرم : بالتحريك شدة الشهوة إلى اللحم . (٣) السابحة : الخيل .

(٤) المنتدب : المحيَّب . (٥) التأييم : فقدان الزوج . (٦) الوحَم : الوباء .

(٧) اللمم : جمع لمة وهي الشعر إذا جاوز الأذن .

وَالكَاتِبِينَ بِسُورِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ أَفْلَاهُمُ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَمٍ
 شَاكِيَ السَّلَاحِ لَهُمْ سِمِيٌّ تُمَيِّزُهُمْ وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّمِيِّ عَنِ السَّلَمِ^(١)
 تَهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ فَتَحَسِبُ الزَّهْرَ فِي الْأَكَامِ كُلِّ كَمَى
 كَانَتْهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لِأَمِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ^(٢)
 طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَامِ مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقَا فَمَا تَفَرَّقُوا بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبَهْمِ^(٣)
 وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ إِنْ تَلَقَّهُ الْأَسَدُ فِي آجَائِهَا تَحِمُّ
 وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمٍ^(٤)
 أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمِ
 كَمْ جَدَلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمٍ^(٥)
 كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْتَأْدِيبِ فِي الْيُسْمِ
 خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ اسْتَفْقِيلٍ بِهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدَمِ
 إِذْ قَلَدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ كَأَنِّي بِهِمَا هَدَى مِنْ النِّعَمِ^(٦)
 أَطَعْتُ غَيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالنَّدَمِ
 فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ^(٧)

(١) السيمي : العلامة . السلم : نوع من الشجر .

(٢) الحزم : قوة الثبات . والحزم جمع حزام : وهي ما يشد به سرج الفرس ونحوها .

(٣) البهم جمع بهمة : وهي السخلة . والبهم جمع بهمة ، وهي الشجاع . (٤) المنقصم : المنقطع .

(٥) جدل : صرع . والجدالة : الأرض . والجلد : كثير الجدال . خصمه : غلبه . والمخيم :

شد يد الخصومة . (٦) الهدى : ما يهدي إلى الحرم ليذبح .

(٧) سام البائع السلعة : عرضها للبيع . وسامها المشتري : طلب شرائها .

وَمَنْ يَبِيعْ آجِلًا مِنْهُ بِعَاجِلِهِ يَبِينُ لَهُ الْعَبْنُ فِي بَيْعِهِ وَفِي سَلَمٍ^(١)
 إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَيْلِي بِمُنْصَرِمٍ
 فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
 حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ
 وَمُنْذُ أَلَزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَامَحَهُ وَجَدْتُهُ لَخْلَاصِي خَيْرَ مُتَزِمٍ
 وَلَنْ يَفُوتَ الْغَنَى مِنْهُ يَدًا تَرَبَّتْ إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَرْهَافَ فِي الْأَكَمِ^(٢)
 وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرَمٍ
 يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ^(٣)
 وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِهِ مُنْتَقِمٍ^(٤)
 فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ غُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ^(٥)
 يَانْفُسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ إِنَّ الْكِبَارَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّامِ^(٦)
 لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ
 يَا رَبِّ وَأَجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ^(٧)
 وَالطُّفْ بِعِبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنْ لَّهُ صَبْرًا مَتَى تَذْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ
 وَانْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ بِمَنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ^(٨)

(١) السَّلَامُ فِي الْبَيْعِ: هُوَ الْبَيْعُ الْمَوْجَلُ الدَّفْعُ . (٢) تَرَبَّتْ: افْتَقَرَتْ . وَالْأَكَمُ جَمْعُ أَكَّةٍ: وَهِيَ الرُّبُوبَةُ .

(٣) الْحَادِثُ الْعَمَمُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّتِي يَعْمُ الْخَلْقُ . (٤) تَحَلَّى: انْتَصَفَ . وَالْمُنْتَقِمُ: مَنْ أَسَاءَ اللَّهُ

(٥) ضَرَّتْ الدُّنْيَا: هِيَ الْآخِرَةُ . (٦) اللَّامُ: صِفَارُ الذُّنُوبِ .

(٧) الْمُنْخَرِمُ: الْمُنْقَطِعُ . (٨) الْمَنْهَلُ: السَّائِلُ بِشِدَّةٍ . وَالْمُنْسَجِمُ: السَّائِلُ بِهَدْوٍ وَرَفَقٍ .

مَارَنَحَتْ عَذَابَاتِ الْبَانِ رِيحٌ صَبَا
وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسَ بِالنَّعَمِ ^(١)
وقال [عفا الله عنه ^(٢) من الكامل] :

عَرَجٌ بِرَامَةٍ إِنَّمَا لِمَرَامِي
نَزَلُوا الْعَقِيقَ فَأَدُمِي شَوْقًا إِلَى
مَا لِلدِّيَارِ وَالْمُحِبِّ كَأَنَّمَا
عَهْدِي بِهَا وَكَأَنَّ مُهْلَ الْحَيَا
وَشَدَا الْحُلُمِ عَلَى الثَّمَامِ ^(٣) وَمَا لِي
وَذَهَلْتُ لَا أَدْرِي بِمَا أَنَا مَائِلٌ
نَمَّ الْوُشَاةُ بِنَا أَلَا إِنَّ الْهَوَى
وَتَحَدَّثُوا أَنِّي سَلَوْتُ هَوَاكُمُ
وَضَرَبْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ جَمَالِكُمْ
وَقَصَّتْ مَهَابَتَكُمْ بِتَرْكِ زِيَارَتِي
وَلَوْ أَنَّ نِيَّ حَاوَلْتُ نَقْضَ عَهْدِكُمْ
مَا ضَرَّكُمْ جَبْرُ الْكَسِيرِ وَحَسْبُهُ
وَلَقَدْ خَلَوْتُ بِذِكْرِكُمْ وَلِعَبَرَتِي
وَقَرَأْتُ سُلُوكَ السَّلَامِ فَلَيْسَ مِنِّي
قَسَمًا يُحْسِنُكَ الْمُصُونُ وَإِنَّهُ
لَأُغْفِرَنَّ بِأَرْضِكُمْ خَدْيًا مِنِّي

وَبِحَبِيرَةٍ فِيهَا عَلَى كِرَامِ ^(٣)
تِلْكَ الرُّبَا مِثْلُ الْعَقِيقِ دَوَامِ ^(٤)
مُزَجَّتْ حَامِمَهَا لَهُ بِحِمَامِ ^(٥)
دَمَعِي وَمُصَفَّرَ الْبَهَارِ سَقَامِي ^(٦)
مَرَّ الصَّبَا وَحَكَمَتْهُ عُودُ ثَمَامِ
بِشْدَا نَسِيمٍ أَوْ بِشْدُو حَامِ
لَمْ يَخْلُ مِنْ وَاشٍ وَلَا ثَمَامِ
كَيْفَ السُّلُوكُ مِنَ الزَّلَالِ الطَّامِي ^(٨)
حُجْبًا مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ
مَنْ ذَا يَزُورُ الْأُسْدَ فِي الْأَجَامِ
لَأَبَى جَمَالَكَمُ وَحَفِظَ ذِمَامِي
مَا يَلْتَقِي فِي الْجَبْرِ مِنْ آلامِ ^(٩)
بِتَسَهَّدٍ فِي الْجَفْنِ أَيْ زِحَامِ
رَوْمٍ لَهُ مِنِّي وَلَا إِثْمَامِ ^(١٠)
عِنْدَ الْحُبِّ لَا كَبِيرُ الْأَقْسَامِ ^(١١)
تَمْشَى أَلْمَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ ^(١٢)

- (١) رنحت : أمالت . وعذابات البان : أغصانه . والعيس : الإبل البيض . (٢) ما بين القوسين زيادة في ت .
(٣) رامة : موضع . ومرامى : طلبى وبغى . (٤) العقيق : موضع بظاهر المدينة ، والعقيق الثانية :
خز زأحمر . دوام : كالدم . (٥) بحمام : بموت .
(٦) مهل الحيا : منصب المطر . (٧) الثمام : نوع من الشجر .
(٨) الزلال : العذب الصافي البارد من الماء . والطامى الكثير . (٩) ت يتقى في الخبر من إيلام .
(١٠) روم : طلب . إثمَام : قرب ودنو . وهما من مصطلحات القراء . (١١) ت . أوكد .
(١٢) المهى : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . الآرام : جمع رَم ، وهو الظبي الخالص البياض .

وَلَا تُكَيِّنَنَّ عَلَى زَمَانٍ فَاتَنِي مِنْكُمْ بَعِيْنِي عُرُوَّةَ بْنِ حِزَامٍ^(١)
وَلَا هُدَيْنَنَّ إِلَى الْوَزِيرِ وَاللَّهِ دُرُّ الْمَدَامِحِ فِي أَجَلٍ نِظَامٍ
هُدَى الْإِنَامُ بِهِمْ إِلَى طُرُقِ الْعُلَا لَمَّا غَدَوْا^(٢) فِي الْفَضْلِ كَالْأَعْلَامِ
صَانَ النَّدَى أَعْرَاضَهُمْ وَزَهَتْ بِهِمْ فَكَأَنَّمَا الْأَزْهَارُ فِي الْأَكَامِ^(٣)
وَتَأَثَّلَتْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهِمْ عَلَيَا تُخَلِّقُ جَدَّةَ الْأَيَّامِ^(٤)
وَحَمَى الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَنَابَهَا مِنْ رَأْيِهِ بِحُسَامٍ
لَمَّا أَصَابَ بِهَا مَقَاتِلُ الْعِدَا عَلِمُوا بِأَنَّ الْقَوْسَ فِي يَدِ رَامٍ
اللَّهُ وَفَقَّهُ فَوْقَ كُلِّ مَا يَنْوِيهِ مِنْ نَقْصٍ وَمِنْ إِهْرَامٍ
فَكَأَنَّمَا الْأَقْدَارُ فِي تَصْرِيفِهَا مُنْقَادَةٌ لِمُرَادِهِ بِزِمَامٍ
وَصَلَّ النَّهَارَ بِلَيْلِهِ فِي طَاعَةٍ وَصَلَاتِهِ مَوْصُولَةٌ بِصِيَامٍ
كُحِلَتْ بِتَقْوَى اللَّهِ مُقْلَتُهُ الَّتِي لَمْ تَسْكُنْ أَحْفَافُهَا بِمَنَامٍ
يُمْنِي وَيُضْبِحُ طَاوِيًّا أَحْشَاءُهُ كَرَمًا عَلَى سَفْبٍ وَحَرًّا أَوْامٍ^(٥)
عَجَبًا لَهُ يُطَوِّى حَشَاهُ عَلَى الطَّوَى وَتَحْضُهُ التَّقْوَى عَلَى الْإِطْعَامِ
نَزَعَتْ^(٦) وَمَا هَمَّتْ بِهِ النَّفْسُ الَّتِي نَزَعَتْ عَنِ الشَّهَوَاتِ نَزَعَهُ هُمَامٍ
فَتَنَعَّمَ الْأَرْوَاحَ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ إِلَّا بِتَرْكِ تَنْعَمِ الْأَجْسَامِ
قَرَنَ الْوِزَارَةَ بِالْوِلَايَةِ فَوَوْ فِي حِلٍّ مِنَ التَّقْوَى وَمِنْ إِحْرَامٍ^(٧)

(١) د : على الزمان فإنني ، وهذه رواية ت : (٢) د : غدا . الأعلام : جمع علم ، وهو العلامة

والجبل والراية . (٣) د : الآكام . (٤) تأثلت : تأصلت . تخلق : قبل .

(٥) سغب : جوع . أوام شدة العطش . (٦) د : دعه . ونزعت نفسه عن الشيء : أى رغبت عنه .

(٧) أى أنه حل في التقوى وأحرَم بها .

فَاقَتْ مَنَاقِبَهُ الْعُقُولَ فَوَصَفُهُ مَا لَيْسَ بِذِكْرِكَ فِي قُوَى الْأَفْهَامِ
فَقَرَأْنِي فِيهَا أَنْتَ مِنْ مَدْحِهِ كَالنَّحْلِ يَأْتِي الزَّهْرَ بِالْإِلْهَامِ
أَوْ مَا تَرَاهَا رِبْقًا يُحِلِّي الْجَنَى وَيُنَاوِيهَا فِي غَايَةِ الْإِحْسَامِ
وَإِذَا رَعَتْ كَرَمَ الْمَكَارِمِ أَخْرَجَتْ شَهْدَ الْمَدَائِحِ فِيهِ سُكْرَ مُدَامِ
تَكْسُو مُحَاسِنَهُ الْمَدِيحَ جَلَالَةً فَيَجِلُّ فِيهَا ^(١) قَدْرُ كُلِّ كَلَامِ
يَهْتَزُّ لِلْجَدِّ اهْتِزَازَ مُثَقِّفٍ كَرَمًا وَيُنْتَدِبُ انْتِدَابَ حُسَامِ ^(٢)
كَيْفَ بِإِسْدَاءِ الصَّنَائِعِ مُغْرَمٌ لَا زَالَ ذَا كَلَفٍ بِهَا وَغَرَامِ ^(٣)
يَرْتَاحُ إِنْ سُئِلَ النَّوَالُ كَأَنَّمَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ بِشَارَةٌ بِغُلَامِ
تَفْدِيهِ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ عِنْدَ السُّؤَالِ صَحَائِفُ الْآثَامِ
كَمْ بَيْنَ ذِكْرِ الصَّاحِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِينَا وَذِكْرِ أَوْلَيْكَ الْأَقْوَامِ
شَوْقًا لِمَا مَسَّتْ أَنَامِلُهُ فَيَا هَوْنَ النَّضَارِ وَعِزَّةَ الْأَقْلَامِ
أَكْرَمَ بِالْأَقْلَامِ غَدَا قَسَمِي بِهَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَوْفَرَ الْأَقْسَامِ
فَكَمْ أَرْتَفَعْتُ بِبَنِيهَا لِضُرُورَةٍ فَكُنَّا اسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ ^(٤)
وَعَدَفْتُ آمَالِي عَلَيْهَا جَاهِلًا فَكُنَّا عَدَفْتُ عَلَى الْأَصْنَامِ
وَرَجَعْتُ عَنْهَا آيِسًا فَكُنَّا رَجَعَ الرِّضِيعُ مُرَوَّعًا بِفِطَامِ ^(٥)
زَانَ الْوُجُودِ بِخُمْسَةِ سَمَاهُمْ مِنْ أَحَدٍ وَحُمْدٍ بِأَسَايِ
قَتَشَبَهَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ وَعَنُوا عَنِ التَّعْرِيفِ بِالْأَعْلَامِ
فَتَنَاهَ وَاحِدِهِمْ ثَنَاهُ جَمِيعِهِمْ فِي الْفَضْلِ لِلتَّغْنِيمِ وَالْإِدْغَامِ
مِثْلُ الثَّرَيَّا وَهِيَ عِدَّةُ أَنْجُمِ يَدْعُونَهَا بِالنَّجْمِ لِلْإِعْظَامِ

(١) ت : فيه . (٢) مثقف : الروح المستوى . ينتدب : يدعى . حسام : سيف .

(٣) الصنائع : جمع صنعة ، وهي المعروف . (٤) استقسم : طلب القسم . والأزلام : جمع زلم ، وهو

السهم والقدح . (٥) د : آسأ . وهذه رواية ت .

أَتَيْتُ عَلَىٰ كُلِّكُمْ حَسَنًا أُنَىٰ فِي الْفَضْلِ مَسْئُوبٌ خَيْرُ إِمَامٍ
فُتِحَتْ بِهِ سُنَنُ الْعُلَا وَفُرُوضُهَا فَكَانَتْ تَكْبِيرَةُ الْإِحْزَامِ
وَكُنَّا نَكُمُ فِي فَضْلِكُمُ رَكَعَاتُهَا مَخْتُومَةٌ بِتَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ
إِنَّ الْعُلَا لَمْ تَسْتَقِمْ إِلَّا بِكُمْ بِاخْتِصَافِ كَدَّائِمِ الْإِسْلَامِ
أَنْتُمْ أَنْامِلُهَا وَلَيْسَ لَهَا غَنَى عَنْ خِنْصِرٍ مِنْكُمْ وَلَا لِبَنَاهِمِ
أَنْتُمْ قَوَى الْإِذْرَاكِ مِنْ إِحْسَاسِهَا لَمْ تَفْتَقِرْ مَعَكُمْ إِلَى اسْتِفْهَامِ
وَأَلَكُمْ بِأَصْحَابِ الْعِبَادَةِ نَسَبَةً بِتَبَعِيَّةٍ بِتَنَاسُبِ الْإِقْدَامِ (١)
حَامِيَتُهُ عَنْهُمْ وَحَامَوْا عَنْكُمْ إِنَّ الْكَرِيمَ عَنِ الْكَرِيمِ بِحَايِ
فَاللَّهُ حَسْبُكَ يَا مُحَمَّدُ صَاحِبَا وَمُؤَاوِرًا فِي رِحْلَةٍ وَمَقَامِ
يَا مَنْ أَعَارَ الْبَدْرَ مِنْ أَوْصَافِهِ حُسْنَ الْحَيَا وَالْمَحَلِّ السَّامِيِّ
جَعَلَ الْإِلَهُ بِكَ الْحَمِيسَ مُبَارَكًا الْحَرَكَاتِ فِي الْإِنْجَادِ وَالْإِتْهَامِ
مُتَمَنِّقًا مِثْلَ الْبُدُورِ وَسَائِرَا بِبِنْدَاكِ فِي الْآفَاقِ سَيْرَ غَمَامِ
جَادَتْ عَلَى سُكَّانِ مِصْرَ غَيُومُهُ وَدَهَتْ صَوَاعِقُهُ فَرَنْجَ الشَّامِ
صَدَقَتْ سَوَاحِلُهُمْ بِرُوقِ سَيُوفِهِمْ وَتَعَقَّدَتْ رَأْيُكَ فِيهِمْ فَلَقِيَتُهُمْ
أَطْفَاتُ نِيرَانِ الْوَعَى بِدِمَائِهِمْ وَلَهَا بِقَرْعِ النَّبْعِ أَيْ ضِرَامِ (٢)
وَأَذَقَتْ بِالزُّمَحِ الصِّمِيمِ كُنَاهَا طَعْمَ الرَّدَى وَالصَّارِمِ الصَّمْصَمِ (٣)
وَلَيْسَتْ فِيهَا سَابِغَاتُ عَزَائِمِ تُغْنِي الْكُمَاةَ عَنْ أَدْرَاعِ اللَّامِ (٤)
فُتِحَتْ بِهِمَتِكَ الْقِلَاعُ وَحُصِّنَتْ فَأَبَى تَنَاوُلُهَا عَلَى الْمُسْتَامِ (٥)

- (١) أصحاب العباد (هم النبي صلى الله عليه وسلم، والإمام علي، والحسن، والحسين، وفاطمة) سموا بذلك لأن الذي دعاهم وغطاهم بعبادة، فزلت فيهم آية «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا». (٢) لُحَامٌ : عَظِيمٌ . (٣) هـ : يَقْرَعُ .
(٤) الصِّمِيمُ : الْخَالِصُ . كُنَاهَا : شَجَاعَتُهَا . الرَّدَى : الْمَوْتُ . وَالصَّمْصَمُ : الَّذِي لَا يَنْتَفِي .
(٥) سَابِغَاتُ : جَمْعُ سَابِغَةٍ ، أَيْ طَوِيلَةٌ وَاقِيَةٌ . أَدْرَاعُ : لِبَاسُ الدَّرْعِ . وَاللَّامُ : جَمْعُ لَامَةٍ ، وَهِيَ الدَّرْعُ . وَيُقَالُ بِالْهَمْزِ أَيْضًا .

اللَّهُ أَفْلَامُ الْوَزِيرِ فَإِنَّهَا نَظْمُ الْعُلَا وَمَفَاتِحُ الْإِظْلَامِ
 نَسَجَتْ بُرُودَ بِلَاغَتِهِ وَأَبْدَتْ الْإِبْدَاعَ فِي الْأَسَادِ وَالْأَجَامِ
 فَالنَّظْمُ مِثْلُ جَوَاهِرِ بَقْلَانِدٍ وَالتَّنْزِيلُ مِثْلُ أَزَاهِرِ بَكِيَامِ
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَوَاقِعِ نَقْشِهَا فِي الطَّرْسِ قُلْتَ أَخِلَّةُ^(١) الرَّقَامِ
 وَرِثْتَ مَكَارِمَهُ بَنُوهُ فَحَبَّذَا كَرَمُ السَّجَايَا مِنْ تَرَاثِ كِرَامِ
 مَا كَانَ إِلَّا الشَّمْسُ فَضْلًا أُعْصِبَتْ مِنْ وَارِثِهِ بِكُلِّ بَذْرِ تَمَامِ
 أَوْ لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَهُ وَمُحَمَّدٌ بَلَقَا مِنْ الْعُلْيَا كُلَّ مَرَامِ
 فَلَيْتَ هَذَا أَنَّ هَذَا صِنُوهُ وَكِلَاهُمَا لِأَبِيهِ حَدُّ حُسَامِ
 ضَاهَتْكُمَا فِي الْمَكْرُمَاتِ بَنُوهُمَا وَالسَّبِيلُ فِيمَا قِيلَ كَالضَّرْغَامِ
 بِأَبِيهِ كُلٌّ يَقْتَدِي وَبِعَمِّهِ مِنْ أَكْرَمِ الْأَبَاءِ وَالْأَعْمَامِ
 مَوْلَايَ زَيْنَ الدِّينِ يَا مَنْ جُودُهُ كَنْزُ الْعُقَاةِ وَمُهْلِكُ الْإِعْدَامِ
 أَمَّا مَقَامُكَ فِي الصَّلَاحِ فَإِنَّهُ فِيمَا عَلِمْنَاهُ أَجَلُّ مَقَامِ
 بِمَزَادَعْنِكَ أَبُو يَزِيدَ^(٢) وَقَدْ غَدَتْ مِصْرُ مُقْصَلَةً عَلَى بَسْطَامِ
 لَمَّا عَمِلْتَ^(٣) بِمَا عَلِمْتَ مُرَاقِبًا لِلَّهِ فِي الْإِقْدَامِ وَالْإِحْجَامِ
 طَوَّحْتَ بِالْدُّنْيَا وَقُلْتَ لَهَا اخْلُقِي بِمَعَاشِرِ الْوُزَرَاةِ وَالْحُكَّامِ

(١) الْأَخِلَّةُ : هِيَ النُقُوشُ الَّتِي تَرَسُمُ عَلَى الثِّيَابِ بِالتَّطْرِيزِ .

(٢) هُوَ طَيْفُورُ بْنُ عَيْسَى أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ ، وَلَدَ فِي قَرْيَتِهِ بَسْطَامَ بِخُرَّاسَانَ سَنَةَ ١٦١ هـ وَاخْتَلَفَ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ فَقِيلَ سَنَةُ ٢٣١ هـ أَوْ ٢٣٤ هـ وَذَكَرَ ابْنُ خُلِّكَانَ أَنَّهُ تَوَفَّى سَنَةَ ٢٦١ هـ أَوْ ٢٦٤ هـ وَكَانَ زَاهِدًا مَتَّصِفًا .

(٣) د : لَمَّا عَمِلْتَ بِمَا عَمِلْتَ .

وَنَسِيتَ مَا لَمْ يُنْسَ مِنْ لَذَائِهَا وَعَدَدَتَهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَنَامِ
 مَوْلَايَ عَذْرَاءَ فِي الْقَرِيضِ فَلَيْسَ لِي فِي النَّظْمِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ إِيَّامِ
 لَوْ لَمْ أَرْضُ عَقْلِي بِمَكْتَبِ صَبِيَّةٍ حَمِيتُ عَلَى عَوَارِضِ الْبِرْسَامِ^(١)
 مَا زِلْتُ أَرْغَبُ أَنْ أَكُونَ مُعَلِّمًا فَيَكُونَ فَضْلِي مُكْمِلَ الْإِعْلَامِ
 قَدْ صَارَ كِتَابِي وَبَيْتِي مِنْ بَنِي غَيْرِي^(٢) وَأَبْنَائِي كَكَبْرِجِ حَمَامِ
 أَعْطَيْتُهُمْ عَقْلِي وَأَخَذُوا عَقْلَهُمْ فَأَبِيعُ نَوْرِي مِنْهُمْ بِظِلَامِ
 لَوْ أَنَّ لِي عَنْ كُلِّ طِفْلٍ مِنْهُمْ أَوْ طِفْلَةً شَاءَ مِنَ الْأَنْعَامِ
 لَضَرَبْتُ لِلْأَمْثَالِ لَابِنِ نِفَايَةِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَبْقَارِ وَالْأَغْنَامِ
 وَبَلَيْتِي عِرْسٌ بُلَيْتُ بِمَقْعِهَا وَالْبَعْلُ تَمَقُّوتٌ بِغَيْرِ قِيَامِ
 جَعَلْتُ بِإِفْلَاسِي وَشَيْبِي حُجَّةً إِذَا صِرْتُ لَاخِنِي وَلَا قُدَّامِي
 بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ الْعَتَى^(٣) وَنُكِّسْتُ فِي الْخَلْقِ وَهَى صَبِيَّةِ الْأَرْحَامِ
 إِنْ زُرْتُهَا فِي الْعَامِ يَوْمًا أَنْتَجَتْ وَأَنْتَ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ بِعِلَامِ
 أَوْ هَذِهِ الْأَوْلَادُ جَاءَتْ كُلُّهَا مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ لَيْسَ بِالْقَوَامِ
 وَأَطْنُ أَنْهُمْ لِعُظْمِ بَلَيْتِي حَمَلَتْ بِهِمْ لَاشَكَّ فِي الْأَجْلَامِ
 أَوْ كُلٌّ مَا حَمَلَتْ بِهِ حَمَلَتْ بِهِ مَنْ لِي بِأَنَّ النَّاسَ غَيْرُ زِيَامِ
 يَالَيْتَهَا كَانَتْ عَتِيماً أَيْسَا أَوْ لَيْتَنِي مِنْ جُمْلَةِ الْخُدَامِ
 أَوْ لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ تَزْوِجِي بِهَا لَوْ كَفْتُ بَعْتُ حَلَالَهَا بِحَرَامِ

(١) البرسام : كلمة فارسية أطلقها العرب على التهاب الصدر . (٢) عرس : زوجة .
 (٣) د : غير . (٤) د : القتي .

أَوْ لَيْتَنِي بِمَعْزُ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ مَنْ يُحْصِنُ دِينَهُ بِغُلَامٍ
كَيْفَ الْخُلَاصُ مِنَ الْبَيْنِ وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَرَأَى وَآخِرُونَ أُمَامِي
لَمْ يُرْزَقِ الرِّزْقَ الْمَقِيمَ بِأَهْلِهِ فَشَكُّوا عَنَّا بُعْدِي وَفَقَرُ مُقَامِي
فَارْتَقَتْهُمْ طَلَبًا لِرِزْقِهِمْ فَلَا صَرْفِي يَسْرُهُمْ وَلَا اسْتِخْدَامِي
مَنْ كَانَ مِثْلِي لِلْعِيَالِ فَإِنَّهُ بَعْلُ الْأَرَامِلِ أَوْ أَبُو الْأَيْتَامِ
أَصْبَحْتُ مِنْ حَمَلِي هُمُومُهُمْ عَلَى هَرَمِي كَأَنِّي حَامِلُ الْأَهْرَامِ
فَإِنْ اعْتَدَرْتُ لَهُمْ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي مَدْحِي الْوَزِيرَ فَحُجَّةُ الْأَفْدَامِ
كَالشَّيْبِ يُغْدِقُ بِالْهُمُومِ ذُنُوبَهُ وَالذَّنْبُ فِيهِ لَكَثْرَةُ الْأَعْوَامِ^(١)
لَا بَلَّ رَكِبْتُ لَهُمْ جَوَادَ خِلَاعَةٍ مَازَلْ يَجْمَعُ بِي بَغِيرَ الْحِجَامِ
إِنِّي أَمْرُوٌّ مَآدَّةَ عَيْنِ خِلَاعَتِي طَمَعٌ لِدِينَارٍ وَلَا دِرْهَامِ
وَإِذَا مَدَحْتُ الْأَكْرَمِينَ مَدَحْتُهُمْ بِجَوَائِزِ الْإِعْزَازِ وَالْإِكْرَامِ
فَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَن قَوَائِي الَّتِي حَظَّيْتُ لَدَيْكَ بِأَوْفَرِ الْأَقْسَامِ
إِنْ يُحْنِي جُودُكَ لِي أَبَادُفٍ غَدَا حَيًّا لَهُ فَضْلِي أَمَا تَمَامِ

وقال يهجو جماعة سرقوا حمارته :

أَرَى الْمُسْتَخْدِمِينَ مَشَوْا جَمِيعًا عَلَى غَيْرِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
مَعَانِيرُ لَوْ وَلُّوا جَنَاتِ عَدْنٍ لَصَارَتْ مِنْهُمْ نَارَ الْجَحِيمِ
فَمَا مِنْ بَلَدَةٍ إِلَّا وَمِنْهُمْ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْطَانٍ رَجِيمِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ النُّجُومُ لَهَا رُجُومًا إِنْ خَلَّتِ السَّمَاءُ مِنَ النُّجُومِ

وقال أيضا لما دخل إلى المَحَلَّة وعزموا^(١) عليه بنو عَرَّام على دخول الحمام فأدخلوه ، فقال :

كُونُوا^(٢) مَعِيَ عَوْنًا عَلَى الْأَيَّامِ لَا تَخْذُلُونِي يَا بَنِي عَرَّامِ
إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ وَحَاشَا فَضْلَكُمْ صُرِّي^(٣) لِحُسْبِي زَلَقَةً الْحَمَامِ

وقال وكتب بها للجناب العالى السابق ، ببسط له فى حق القاضى عماد الدين أبى طلحة
[رحمهم الله أجمعين^(٤)] :

مَا فِي الزَّمَانِ جَوَادُ يُرْجَى لِذِفْعِ الْعَظَامِ^(٥)
وَلَا لِنَيْلِ مُرَادٍ وَلَا لِيَذَلِ الْمَكَارِمِ
سَوَاكَ يَا خَيْرَ وَالٍ يُدْعَى وَيَا خَيْرَ حَاكِمِ
انْظُرْ بِحَقِّكَ حَالِي فَأَنْتَ بِالْحَالِ عَالِمُ
إِنَّ الْعِمَادَ أَرَانَا بِأَنَّهُ الْيَوْمَ صَائِمُ
وَلَيْسَ يَرْجُو ثَوَابًا وَلَا يَخَافُ مَاتِمِ
وَلَيْسَ يَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ لَا صِيَامَ لِيْظَالِمِ
وَصَوْمُنَا فِي اتِّبَاعِ لَهُ صِيَامُ الْبَهَائِمِ
فَخُذْ لَنَا الْيَوْمَ مِنْهُ غَدَاءَنَا وَهُوَ رَاغِمُ

(١) د : وعزموا . (٢) ت : كانوا . (٣) د : صر في .

(٤) ما بين القوسين : زيادة فى ت . (٥) العظام : الشدائد .

وقال :

سَارَتِ الْعَيْسُ يُرْجَعَنَّ الْحَنِينَا وَيُجَاذِبَنَّ مِنَ الشَّقَوِي الْبُرِينَا^(١)
 دَامِيَاتٍ مِنْ حَقِّي أَخْفَافُهَا تَقْطَعُ الْبَيْدَ سُهُولًا وَحُزُونًا
 وَكَلَى طُولٍ طَوَاهَا حُرِمَتْ عُشْبَهَا الْمُخْضَرَّ وَالْمَاءَ الْعَمِينَا
 كَلِمَا جَدَّ بِهَا الْوَجْدُ إِلَى غَايَةٍ لَمْ تَدْرِهَا إِلَّا ظَنُونَا
 قُلْتُ لِلْحَادِي أَعِذْ أَشْوَاقَهَا بِالشَّرَى إِنْ مِنْ الشَّقَوِي جُنُونَا^(٢)
 آهِ مِنْ يَوْمٍ بِهِ أَبْكِي دَمًا إِنَّ لِلْعَيْسِ وَلِي فِيهِ شُؤْنَا
 أَسْرَتْ أَلْبَابَنَا لَمَّا سَرَتْ تَحْمِلُ الْحَسَنَ بُدُورًا وَغُصُونَا
 كُلُّ سَمَرَاءَ وَمَا أَنْصَفْتُهَا فَضَحَتْ سُمَرَّ الْقَنَا لَوْنًا وَلِينَا
 أَعْدَتْ الْقَلْبَ فُتُورًا وَضَنَى لَيْتَهَا مِنْ وَسَنٍ تُعْدِي الْجُفُونَا^(٣)
 تَفَرَّهَا الدَّرِيُّ مِنْ أَنْفَاسِهِ مِسْكُ دَارِينَ وَخَرُّ الْأَنْدَرِينَا^(٤)
 أَخَذَتْ قَلْبِي وَصَبْرِي وَالْكَرَى يَوْمَ بَيَعِي النَّفْسَ مِنْهَا أَرْبُونَا^(٥)
 لَا أَقَالَ اللَّهَ لِي مِنْ حُبِّهَا بَيْعَةً يَوْمًا وَلَا فَكَّ رُهُونَا^(٦)
 صَاحِبِي قَفَ بِي فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ لِي عَلَى الْوَجْدِ وَلَا الصَّبْرِ مُعِينَا
 وَسَلِ الرَّبْعَ الَّذِي سُكَّانُهُ رَحَلُوا عَنْهُ عَسَاءُ أَنْ يُدِينَا
 نَسَخَتْ آيَاتِهِ أَيْدِي الْبَلَى فَأَرَتْ عَيْنِي مِنْهُ الصَّادَ شِينَا^(٧)

- (١) يرجع : يرددن . والبرين : جمع برة ، وهي حلقة توضع في أنف البعير ، ويشد بها الزمام .
 (٢) أعاده : حماه بالتماويل التي تقرأ على المجانين ليفيقوا : أي جعل السرى مكان التعاويذ .
 (٣) الوسن : التعاس . (٤) الأندرين : موضع بالشام . (٥) الأربون : العربون .
 (٦) أقال البيع : فسخه .
 (٧) الصاد شكله يشبه البيت الممور ، والشين شكله يشبه البيت الحرب .

وَجَنُوبُ وَشَمَالُ جَعَلَا تُرْبَهُ فِي جَهَنَّمَ الدَّهْرِ غَضُونَا
 قَرَاهُ وَحَصَاهُ أَبَدَا يَفْضُلَانِ الْمِسْكَ وَالذَّرَّ الثَّمِينَا
 سَحَبَتْ فِيهِ الصَّبَا أَذْيَالَهَا بِمَدْيَحِي لِإِمَامِ الْمُرْسَلِينَا
 أَحْمَدَ الْهَادِي الَّذِي أُمَّتُهُ رَضِيَ اللَّهُ لَهَا الْإِسْلَامَ دِينَا
 كَانَ سِرًّا فِي ضَمِيرِ الْغَيْبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ كَوْنٌ أَوْ يَكُونَا
 تَشْرِيقُ الْأَكْوَانِ مِنْ أَنْوَارِهِ كَلَّمَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ جَبِينَا^(١)
 أَسْجَدَ اللَّهُ لَهُ أُمْلَاكَهُ يَوْمَ خَرُّوا لِأَيِّهِ سَاجِدِينَ
 وَدَعَا آدَمُ بِاسْمِ الْمُصْطَفَى دَعْوَةً قَالَ لَهَا الصَّدْقُ أَمِينَا
 فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ هُنَّ كَنْزُ الْمُذْنِبِينَ
 وَبِهِ جَنَاتُ عَذْنٍ رُفِعَتْ عَلَمًا أَبْوَابُهَا لِلْمُسْلِمِينَ
 وَدُعَا أَنْ تَلَكُمُ الدَّارُ لَكُمْ فَادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ
 وَبِهِ نُوحٌ دَعَا فِي فُلْكَهِ فَأَغَاثَ اللَّهُ نُوحًا وَالسَّفِينَا
 وَأَغَاثَ اللَّهُ ذَا النُّونِ بِهِ بَعْدَ مَا أَعْرَى بِهِ فِي الْبَحْرِ نُونَا^(٢)
 وَشَقَى أَيُّوبَ مِنْ ضَرِّ كَا سَرَّ يَعْقُوبَ وَتَدَّكَ حَزِينَا
 وَخَلِيلُ اللَّهِ هَمَّتْ قَوْمُهُ أَنْ يَكِيدُوهُ فَكَانُوا الْأَخْسَرِينَ
 وَبَنُورِ الْمُصْطَفَى إِطْفَاءُ مَا أَوْقَدُوهُ وَتَوَلَّوْا مُذْبِرِينَ
 وَجَدَّتْهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَاجِدًا مَا يَجِدُونَا

(١) الجبين : ناحية الجهة ، وهما جبينان ، عن يمين الجهة وشمالها . والمراد به هنا كل جد من أجداد الرسول . (٢) النون : الحوت .

مَصْدَرُ الرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ فَلَا عَجَبَ أَنْ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ
 حَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَجْبُلَ مِنْ آدَمَ طِينًا
 فَهَوَّ فِي آبَائِهِمْ خَيْرُ أَبٍ وَهُوَ فِي أَبْنَائِهِمْ خَيْرُ ابْنٍ
 قَدْ عَلَا بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ عَلَا رَجَعَتْ مِنْ دُونِهَا الرُّوحُ الْأَمِينَا
 وَرَأَى مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الَّذِي رَدَّ مُوسَى دُونَهُ مِنْ طُورِ سِينَا
 وَوَحِيهَا كَانَ مُوسَى عِنْدَهُ مِثْلَمَا قَدْ كَانَ جَبْرِيلُ مَكِينَا
 صَلَوَاتُ اللَّهِ ذِي الْفَضْلِ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ إِلَيْنَا أَجْمَعِينَ
 أَكْرَمُ الْخَلْقِ هُمُ الرُّسُلُ لَنَا وَأَبُو الْقَاسِمِ خَيْرُ الْأَكْرَمِينَ
 فَتَعَالَى مَنْ بَرَأَ صُورَتَهُ مِنْ جَمَالٍ أَوْدَعَ الْمَاءَ الْمُهَيَّنَا
 وَاصْطَفَى تَحْتَهُ مِنْ دَوْحَةٍ أَنْبَتَتْ أَفْنَانُهَا عِلْمًا وَدِينَا
 مِنْ أَنْاسٍ جَانَبَتْ أَحْسَابُهُمْ طُرُقَ الذَّمِّ شِمَالًا وَيَمِينَا
 مَا رَأَيْنَا كَرَمَ الْأَخْلَاقِ فِي غَيْرِ مَا يَأْتُونَهُ أَوْ يَدْعُونَا
 يَفْضُبُ الْمَوْتَ إِذَا مَا غَضِبُوا وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَفْقِرُونَا
 مَعَشَرَ صَانِهِمُ اللَّهُ لِأَنَّ يُودَعُوا مِنْ أَحَدِ السَّرِّ الْمَصُونَا
 هَذَبَ السُّودُودُ أَخْلَاقَهُمْ فَلَهُمْ مِنْ شَرَفٍ مَا يَدْعُونَا
 عَجَبًا وَالْمُصْطَفَى الشَّمْسُ الَّذِي ظَهَرَتْ أَنْوَارُهُ لِلْمُبْصِرِينَ
 شَهِدَ الْكَفَّارُ بِالْغَيْبِ لَهُ وَأَتَاهُمْ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ^(١)

(١) الإيلاس : الانكسار والحزن ، يقال أبلس فلان : إذا سكت غما .

أَغْلَقُوا بَابَ الْهُدَى مِنْ دُونِهِمْ بَعْدَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَفْتِحُونَا
وَعَمُوا عَنْهُ فَلَا وَاللَّهِ مَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ لَدَى الْقَوْمِ الْعَمِينَا
وَأَنَاهُمْ بِكِتَابٍ أَخِيكَتَ مِنْهُ آيَاتُ الْقَوْمِ يَعْقِلُونَا
سَمِعْتَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ فَإِذَا أَنْكَرُوا مِنْ فَضْلِهِ الْحَقِّ الْمُبِينَا
عَجَزُوا عَنْ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَهُمْ الْيَوْمَ لَهُ مُسْتَسْمُونَا
قَالَ لِلْكَفَّارِ إِذْ أَفْجَمَهُمْ بِالتَّحْدَى مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَا
قَصَّ مَا بَأَى عَلَيْهِمْ مِثْلًا قَصَّ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الْأُولَانَا
وَأَتَتْ أَخْبَارُهُ فِي حِكْمٍ فَتَأَمَّلْهَا نِمَارًا وَفُتُونَا
قَسَمَ الرَّحْمَةُ فِي قُرْآنِهِ وَعَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْمُسْتَقْسِمِينَا^(١)
مَالَهُ مِثْلٌ وَفِي أَمْثَالِهِ أَبَدًا مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَا
رَحِمَ اللَّهُ بِهِ الْخَلْقَ وَكَمْ أَهْلَكَ اللَّهُ بِآيَاتِهِ قُرُونَا

وقال على لسان مسجد الشيخ عبد الظاهر ، إلى الملك الصالح ؛ وكان قد أخرج ثلاثة آلاف دينار صدقة على طلبة المدارس ، وفرض أمرها إلى الفقيه بهاء الدين المسردى ، ففوض أمرها إلى والده الشهاب ، رحمه الله تعالى :

لَيْتَ شِعْرِي مَا مُقْتَضَى حِرْمَانِي دُونَ غَيْرِي وَالْأَلْفُ لِلرَّحْمَنِ
أَتَرَانِي لَا أَسْتَحِقُّ لِكَوْنِي جَامِعًا شَمَلَ قَارِئِ الْقُرْآنِ

(١) المستقسمون : هم كفار قريش ، وكانوا يستقسمون بالمهام ، أى يضمنون ويقولون أفعل أولا أفعل ، ويعملون بما يظهر لهم مهما كانت نتيجته .

أَمْ لِيَكُونِي فِي إِثْرِ كُلِّ صَلَاةٍ بِى يُدْعَى لِدَوْلَةِ السُّلْطَانِ
وَبِأَيِّ الْأَسْبَابِ يُعْطَى مَكَانَ صَدَقَاتِ السُّلْطَانِ دُونَ مَكَانِ
حُمِلَتْ مِنْ عَطَائِهِ أَلْفُ دِينَارٍ إِلَيْنَا مِنْ بَعْدِهَا أَلْفَانِ
مَا أَتَانِي مِنْهَا وَلَا الدَّرْهَمُ الْقَرْدُ وَهَذَا حَقِيقَةُ الْعُدْوَانِ
زَعَمَ ابْنُ الْبَهَاءِ أَنَّ عَطَايَا الْمَلِكِ الصَّالِحِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
مَا كَفَتْ سَائِرَ الْمَدَارِسِ أَوْ ضُمَّ إِلَيْهَا مِنْ مَالِهَا دِرْهَمَانِ
وَلَعَمْرِي لَقَدْ تَوَقَّرَ نِصْفُ الْمَالِ مِنْهَا وَرَاحَ فِي النَّسِيَانِ
إِنْ أَكُنْ مَا أَقُولُهُ مِنْهُ دَعَا فَاظْلُبُونِي عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ
أَوْ مَا كَانَ عِدَّةَ الْفَقْهَاءِ أَلْفُ فَقِيهِ مِنْ بَعْدِهَا مِثْلَانِ
فَاخْشَوْهَا بِمُقْبَضِ الصَّرْفِ دِينَارًا وَرُبْعًا لِلْحِلَّةِ الْأَعْيَانِ
تَحْدُودَهَا أَلْفًا وَخَمْسَ مِثَاطٍ غَيْرَ مَا خَصَّهَا مِنَ النِّقْصَانِ^(١)
وَالْبِخَاسِ الَّذِي أُضِيفَ إِلَى النَّفَقَةِ وَالْبَخْسِ مِنْ يَدِ الْوَرَّانِ
أَنَا لَا أَنْسُبُ الْبَهَاءَ عَلَى ذَا لِكَ إِلَّا لِقِلَّةِ الْإِيمَانِ
هُوَ وَلَّى أَهْلَ الْخِيَانَةِ فِيهَا وَتَوَلَّى الْجَوَادِ كَالْخَوَّانِ^(٢)
كُلَّمَا جَاءَتْ الدَّنَائِيرُ يَنْقُضُ عَلَيْهَا الْبَهَاءُ كَالشَّيْطَانِ
مَدَّ فِيهَا يَدَ الْخِيَانَةِ فَا مَتَدَّ إِلَيْهِ بِالذَّمِّ كُلُّ لِسَانٍ

(١) جاء تحت هذا البيت ما نصه : وهو منع الغياب منها ومن حوصص أيضا أو ضمه موضعان (شرح البيت الأخير) كانت ورقة عدة الفقهاء ألفا ومائتي طالب فأخروا عنهم النفقة حتى خرج من خراج من المدرسة أيام البطالة ، فنقص من العدة . وقواه : ومن حوصص يعنى طلبة المدرسة . ابن سكرى كان أعطى كل طالب ستة . وسلموا ومن ضمه موضعان ، أى يكون اسم الطالب فى مدرستين وثلاثة ، فيعطى عن أحدهم وينزل عن الباقي . (٢) ت : هؤلاء أهل الخيانة فيها .

وَلَعَمْرِي لَوْ اتَّقَى اللَّهُ فِي السَّرِّ انْتَقَتَهُ الْأَنَامُ فِي الْإِعْلَانِ
وَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي مِنْ سُؤَالِهِ أَعْفَانِي
فَلَقَدْ حَلَّ فِي الْمَدَارِسِ فِي الْأَخْذِ كَثْرَةُ الْأَذَى وَالْهَوَانِ
وَأُزِيلَتْ بِالسَّبِّ أَعْرَاضُ مَنْ فِيهَا فَمَا قَامَ الرَّبُّعُ بِالْخُسْرَانِ
كَيْفَ أَنْسَى قَوْلَ الشَّهَابِ جِهَارًا قَبَّحَ اللَّهُ كُلَّ ذِي طَيْمَسَانِ
خَدَعُونَا وَاللَّهِ مِمَّا يَمْدُو نَ أَكْفًا كَكِفَّةِ الْمِيزَانِ
أَمْ وَاضِيعَةُ الْمَسَاكِينِ إِنْ وُلِّىَ أَمْرَ الطَّعَامِ فِي رَمَضَانَ
وقال يهبجو عامل أسوان :

انْظُرْ بِحَقِّكَ فِي أَمْرِ الدَّوَابِّينِ فَالْكُلُّ^(١) قَدْ غَيَّرُوا وَضَعَ الْقَوَانِينِ
لَمْ يَمُقْ شَيْءٌ عَلَى مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ إِلَّا تَغْيِيرَ مَنْ عَالٍ إِلَى دُونِ
الْكَاتِبُونَ وَلَيْسُوا بِالرَّامِ فَمَا مِنْهُمْ عَلَى الْمَالِ إِنْسَانٌ بِمَا تُؤْنِ
وَالْكُلُّ جَمْعًا بِمِثْلِ الْمَالِ قَدْ خَدَمُوا وَمَا سَمِعْنَا بِهِذَا غَيْرَ ذَا الْحِينِ
فَهُمْ عَلَى الظَّنِّ لَا التَّحْقِيقِ بَدَلُهُمْ وَمَا تَحَقَّقُ أَمْرٌ مِثْلَ مَظْنُونِ
نَالُوا مَنَاصِبَ فِي الدُّنْيَا وَأَخْرَجَهُمْ حُبُّ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا^(٢) عَلَى الدِّينِ
قَدْ طَالَ مَا طَرُدُوا عَنْهَا وَمَا انْظَرَدُوا إِلَّا وَقَوْمٌ عَلَيْهَا كَالَّذِ بَابِينَ
وَطَالَمَا قُطِعَ أَذُنَابُ الْكِلَابِ لَهُمْ^(٣) فَاسْتَخْدِمُوا بَعْدَ تَقْطِيعِ الْمَصَارِينِ

(١) ساقطة من د . (٢) ت : على الدين . (٣) ت : بهم : بدلا من لهم .

قَدْ يَنْفَعُ النَّاسَ حَتَّى الْحَشُّ مِنْ غَرَضٍ وَغَيْرُهُ مِنْ رِيَّاحِينَ وَبَشَنِينَ ^(١)
 ضَمَانُ رِيحٍ يَطِيرُ فَوْقَ طَائِرِهِمْ يَطِيرُ وَالرَّيْحُ شِيَاعٌ بِمَضْمُونِ
 لَوْ أَمْسَكَ الْقَوْمُ وَزْنَ الْمَالِ لَا تَخْذُوا لَهُ الْمَوَازِينَ مِنْ بَعْدِ الْقَبَائِينِ
 وَمَسَحَهُمْ لِلْسَّمَوَاتِ الْعُلَى افْتَعَلُوا فِيهَا كَمَا يَفْعَلُ الْمَسَاحُ لِلطَّيْنِ
 وَلَمْ يُبَالُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ مِنْ أَحَدٍ كَلَّا وَلَا رِجُومٍ لِلشَّيَاطِينِ
 عَزُّوا وَأَكْرَمَهُمْ قَوْمٌ لِحَاجَتِهِمْ مَا نَالَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْعِزِّ مِنْ هُونِ
 وَطَاعَنُوا النَّاسَ بِالْأَقْلَامِ وَاسْتَكْبَرُوا مِنْهُمْ يَهَا كُلُّ مَعْلُومٍ وَمَكْنُونِ
 وَمِنْ مَوَاشٍ وَأَطْيَارٍ وَأَنْبِيَةٍ وَمِنْ زُرُوعٍ وَمَكْيُولٍ وَمَوْزُونِ
 لَهُمْ مَوَاقِفُ فِي حَرْبِ الشَّرُودِ كَمَا حَرْبُ الْبَسُوسِ وَحَرْبُ يَوْمِ صِفِينِ
 لَا يَكْتُبُونَ وَصُولَاتٍ عَلَى جِهَةٍ مُفَصَّلَاتٍ بِأَسْمَاءٍ وَتَبَيِينِ
 إِلَّا يَقُولُونَ فِيمَا يَكْتُبُونَ لَهُ مِنَ الْخُفُوقِ وَمَاذَا وَقْتُ تَعْيِينِ
 فَاسْمَعْ وَكَاسِرِ وَحَسَّ الرَّيْحِ يَافِطِنًا فَلَسْتَ أَوَّلَ مَقْهُورٍ وَمَغْبُونِ
 هُمْ الْأَصْوَصُ وَمِنْ أَقْلَامِهِمْ عُتْلٌ يَهَا يَسْقُونَ أَمْوَالَ السَّلَاطِينِ
 وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْرُوفٌ وَمَضْرُفُهُمْ لِلشَّيْخِ يُوسُفَ أَبِي هَبْصِ بْنِ لَطَمِينِ
 وَلِلشَّرَابِ وَتَبَيُّتِ الْخَطَاءِ بِهِ يَجْلُو الْعُقَارَ بِأَجْنَسِ الرِّيَّاحِينَ
 وَلِلْعُلُوقِ وَأَنْوَاعِ الْفُسُوقِ مَعًا وَلِلْخُرُوقِ الْكَثِيرَاتِ التَّلَاوِينِ
 وَلِلْبَغَالِ الْوَطِيَّاتِ الرَّكَابِ تَرَى غِلْمَانَهُمْ خَلْفَهُمْ فَوْقَ الْبَرَاذِينِ

(١) الحش بفتح الحاء : النخل القصير الناقص النمو . البشنين : نوع من الأزهار .

وَلِلْمَنَادِيلِ فِي أَوْسَاطٍ مِّنْ مَّكَوَا وَلِلْمَنَاطِقِ فِيهَا وَالْهَامَيْنِ
وَلِلرَّبَاعِ^(١) الْعَوَالِي الْأَرْتِفَاعِ بِنَا وَلِلدَّسَاتِينِ تَنْشَا وَالْدَّكَ كَيْنِ
وَلِلْفَجَاجِ وَحُلَّانِ النَّعَاجِ وَأَطْيَارِ الدَّجَاجِ وَأَنْوَاعِ السَّمَائِينَ
وَلِلشَّبَارِي^(٢) وَلِلْأَنْطَاعِ نَفْرَشُ فِي تَمْوَزَ فَوْقَ رُحَامٍ فِي الْأَوَاوِينَ
وَلِلْمَجَالِسِ فِي أَوْسَاطِهَا خَرْكُ^(٣) وَلِلطَّنَافِسِ فِي أَيَّامٍ كَانُونَ
وَلَسْتُ^(٤) أَخْضُرُ الْوَوَانَا لِأَطْعِمَةٍ تَفَنَّنَ الْقَوْمُ فِيهَا كُلَّ تَفَنِينِ
وَلِلدَّلَاسِ كَمْ ثَوْبٍ مُلَوَّنَةٍ فِيهَا الْعِرَاقِي مَعَ الْهِنْدِيِّ وَالْبُونِي^(٥)
وَكَمْ ذَخَائِرَ مَا عِنْدَ الْمُلُوكِ لَهَا مِثْلُ فَمِنَ مُودَعٍ سَقَقًا وَمَدْفُونِ
وَكَمْ مَجَالِسِ أَنْسٍ عَمِئَتْ لَهُمْ تَنْسِي الْهُمُومَ وَتُسْلِي كُلَّ مَحْزُونِ
وَكَمْ حُلِيٍّ نِسَاءٍ لَا يُثْمِنُهُ مُقَوِّمٌ قَطُّ فِي الدُّنْيَا بِنَثْمِينَ
فَقُلْ إِسْطَاطَانَ مِصْرٍ وَالشَّامِ مَعَا يَا قَاهِرًا غَيْرَ خُفْيٍّ الْبَرَاهِينَ
وَمَنْ يُخَوِّفُ مِنْ سَيْفٍ بِرَاحَتِهِ ذَوِي السُّيُوفِ وَأَصْحَابَ السَّكَاكِينِ
اكَشِفْ بِنَفْسِكَ أَسْوَانًا وَمَنْ مَعَهَا مِنْ الصَّعِيدِ بَلَاءَ قَوْمٍ مَسَاكِينِ
عَمَّالُهَا^(٦) قَدْ سَبَّوْهُمْ مِنْ تَطَلُّبِهِمْ مَا لَا يَسْكُونُ بِمَقْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
كُلُّ تَرَى كَاتِبًا لِلْسُّوءِ يُنْظَرُهُ^(٧) لِمَنْبِهِمْ كَمْ كَذَا^(٨) عَامٍ وَكَمْ حِينِ
سَبَّوْا الرَّعِيَّةَ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ وَلَا أَمَانَةَ لِلْقَبِيْطِ الْمَلَاعِينِ

(١) د : للرياح .

(٢) وللشبادي . والصواب الشباري جمع شبرية وهي كلمة عامية تطلق على سرير قوائمه من الخشب وسطحه

من حبال متخذة من الليف . (٣) خرك : كلمة تركية ، وهي نوع من الأبسطه (٤) د : وليس .

(٥) البوني : نسبة إلى بون ، كورة في اليمن ، ويفتح الباب بلدة بإفريقية .

(٦) د : عامل (٧) تظلمهم . (٨) ت : يرى .

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى الْأَمْوَالِ سَارِقَهَا
وَحَلَّ غَزَوْ^(١) هَلَاكُو وَالْفَرَنْسِ مَعَا
وَإِغْزَنَ عَامِلُ أَسْوَابٍ تَنَالُ بِهِ
وَكُلَّ أَمْنَالِهِ فِي الْقَبِيطِ أُغْزُهُمْ
وَأَسْلَبَهُمْ نِعْمًا قَدْ شَاطَرُواكَ بِهَا
فَقَدْ تَوَاطَوْا عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْجَمَهَا
وَصَانَعُوا كُلَّ مُسْتَوْفٍ إِذَا رَفَعُوا
وَرَبَّحُوهُ فَقَالَ الشَّيْخُ وَالِدُنَا
مِنَّا لَهُ الْعُذْرُ فِيمَا حَلَّ يَقْبَلُهُ
وَاللَّيْثُوتِ وَإِقَادِ الْكُنَائِسِ كَمْ
فَذَاكَ فِي الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَاتِ بِهِ
وَكَيْفَ يَقْبَلُ بَرًّا مِنْ مُصَانَعَةٍ
وَكَيْفَ يَقْبَلُ مِنْهَا مِنْ مُصَانَعَةٍ
كَمْ هَكَذَا سَرَفُوا كَمْ هَكَذَا ظَلَمُوا
أَتَرَكَ ذَنْبِ^(٥) وَسُؤَالَ لِمَغْفِرَةٍ
وَقَالَ قَوْمٌ لَقَدْ أَحْصَى مَنَالَهُمْ
فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا وَصَفِي لِأَنْشُرَهَا
وَلِأَمَّا ذَلِكَ فَجَهْدِي وَمَقْدَرِي

وَلَا تُقَرِّبْ عَدُوَّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
وَأَنْهَضَ بِفِرْسَانِكَ الْغُرَّ الْمِيَامِينَ^(٢)
جَنَّتِ عَدْنُ بِإِحْسَانٍ وَتَمَكِينِ
فَالْغَزَوُ فِيهِمْ حَلَالُ الدَّهْرِ وَالْحَيْنِ
كَمَا يُشَاطَرُ فَلَاخُ الْفَدَّادِينَ
وَفَذَّلَكُوا كُلَّ تِسْعِينَ بِعِشْرِينَ
لَهُ الْحِسَابَ يَسُحَّتْ كَالطَّوَاعِينَ^(٣)
قَسُّ الْقُسُوسِ وَمُطَرَانِ الْمَطَارِينَ
إِنَّمَا بِرَسْمٍ مِدَادٍ أَوْ لِصَابُونِ
وَلِلدَّقِيقِ الْمُهَيَّا لِلْقُرَّائِينَ
يُسَحَّبُ عَلَى الْوَجْهِ أَوْ يُقَلَّبُ بِسَجِينِ^(٤)
وَمِنْ سَحَابٍ بِتَخْرِيكِكَ وَتَسْكِينِ
مِنْ كُلِّ مَسْكِينَةٍ فِيهِ وَمَسْكِينِ
كَمْ هَكَذَا أَخَذُوا مَالَ السَّلَاطِينِ
عِنْدَ الْإِلَهِ لِقَوْمٍ كَالْجَانِينِ
وَقَامَ فِيهَا بِمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
فِيَا يَقَوْمُ بِهِ مَرْحَى وَتَبْيِيدِي
وَطَاقِي فِي حِجَابَاتِ الثَّعَابِينَ

(١) في ص : هلاكون ، وفي ت : هولاء . (٢) ت : والفرنسي .

(٣) سحت : الحرام . (٤) سجين : واد بهجم .

(٥) د : فترك ذنب أسوال مغفرة . ت : فترك ذنب ولا سؤال مغفرة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقال :

تَكَلِّتُ^(١) طَوَائِفَ الْمُسْتَحْدَمِينَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا
فَخُذْ أَخْبَارَهُمْ مِنِّي شِفَاهًا وَأَنْظِرْنِي^(٢) لِأَخِيرِكَ الْيَمِينَا
فَقَدْ عَاشَرْتَهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِمْ مَعَ التَّجْرِبِ مِنْ عُجْرَى سِينَا
حَوَتْ بُلْبَيْسُ طَائِفَةً لُصُوصًا عَدَلْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَنَا
فُرَيْحِي^(٣) وَالصَّفَى وَصَاحِبِيهِ أَبَا يَقْطُونَ وَالنَّشَوَ السَّيْمَا
فَكُتَّابُ الشَّمَالِ هُمْ جَمِيعًا فَلَا صَحْبَتِ شِمَالَهُمُ الْيَمِينَا
وَقَدْ^(٤) سَرَقُوا الْغِلَالَ وَمَا عَلِمْنَا كَمَا سَرَقَتْ بَنُو سَيْفٍ الْجُرُونَا
وَكَيفَ يُلَامُ فُسَّاقُ النَّصَارَى إِذَا خَانَتْ عُدُولُ الْمُسْلِمِينَا
وَجُلُّ النَّاسِ خَوَّانٌ وَلَكِنْ أَنَاسٌ مِنْهُمْ لَا يَسْتُرُونَا
وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا لَبِسُوا حَرِيرًا وَلَا شَرِبُوا خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا
وَلَا رَبَّوْا مِنَ الرُّزْدَانِ قَوْمًا^(٥) كَأَغْصَانِ يَمُنٍ^(٦) وَيَنْحَنِينَا
وَقَدْ طَلَعَتْ لِبَعْضِهِمْ ذُقُونٌ وَلَكِنْ بَعْدَ مَا نَقَفُوا^(٧) ذُقُونَا
بَأَى أَمَانَةٍ وَبَأَى ضَبْطٍ أُرِدُّ عَنْ الْخِيَانَةِ فَاسْقِينَا
وَلَا كَيْسًا وَضَعْتُ عَلَيْهِ شَمْعًا وَلَا بَيْتًا وَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَا
وَأَقْلَامُ الْجَمَاعَةِ جَانِلَاتٌ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي لَاعِينَا
فَإِنْ^(٨) سَاوَقْتَهُمْ حَرْفًا^(٩) بِحَرْفٍ فَكُلُّ اسْمٍ يَحْطُوا مِنْهُ سِينَا

(١) فوات الوفيات : نقدت . (٢) ت : انظر . (٣) ت : فريجا .

(٤) فوات : فكم . (٥) د : فتیان .

(٦) فوات : مردا . (٧) فوات : يملن .

(٨) فوات : حلقوا . (٩) فوات : فقد .

(١٠) بدل « فإن » ساوقتهم ، كما في الأصل ولعلها ساومتهم . وفي رواية الوفيات : ساوقتهم بالفاء .

وَلَا تَحْسَبْ حِسَابَهُمْ صَحِيحًا فَإِنْ بَخَصِمِهِ الدَّاءُ الدَّفِينَا
 أَلَمْ تَرَ بَعْضَهُمْ قَدْ خَانَ بَعْضًا وَعَنْ فِعْلِ الصَّفَا سَلَّ الْمَكِينَا
 وَلَمْ يَتَقَاسَمُوا^(١) الْأَسْفَالَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْخَ مَا احْتَمَلَ الْقُبُونَا
 أَقَامُوا^(٢) فِي الْبِلَادِ لَهُمْ جُبَاةٌ لِقَبْضِ مُغْلَهَا كَالْمُقْطَعِينَا
 وَإِنْ كَتَبُوا لِجَنْدِيٍّ وَصُولًا عَلَى بَلَدٍ أَصَابَ بِهِ كَمِينَا
 وَمَا تَقْدِيرُ السُّلْطَانِ إِلَّا مَعَ الْمُسْتَخْدَمِينَ مُجَرَّدِينَا
 فَكَمْ رَكِبُوا لِخِدْمَتِهِمْ نَهَارًا وَلَيْسَ لَا يَسْأَلُونَ وَيَضْرَعُونَا
 وَكَمْ وَقَفُوا بِأَبْوَابِ النَّصَارَى عَلَى أَسْيَارِهِمْ مُتَوَّكِينَا
 وَلَمْ يَنْفَعَهُمُ الْبَرْطِيلُ^(٣) شَيْئًا وَمَا زَادُوا بِهِ إِلَّا دُيُونَا
 كَانَهُمْ نِسَاءٌ مَاتَ بَعْلٌ لَهُ وَلَدٌ قَوْرَتْنِ الثَّمِينَا^(٤)
 وَقَدْ تَعَبَتْ خِيُولُ الْقَوْمِ مِمَّا يَطُوفُونَ الْبِلَادَ وَيَرْجِعُونََا
 عَذْرَتُهُمْ إِذَا بَاعُوا حَوَالَا تِهِمْ بِالرُّبْعِ لِلْمُسْتَخْدَمِينَا
 وَأَعْطَوْهُمْ بِهَا عِوَضًا^(٥) فَكَانُوا لِنِصْفِ الرُّبْعِ فِيهِ خَاسِرِينَا
 أَمْوَالَنَا^(٦) الْوَزِيرُ غَفَلَتْ عَمَّا يُهَيِّمُ مِنَ الْكِلَابِ الْخَلَائِدِينَا
 انْطَلَقُ جَامِكِيَّاتِ^(٧) لِقَوْمٍ وَتُنْفِقُ فِي قَوْمٍ آخِرِينَا
 فَلَا تُهْمِلْ أُمُورَ الْمَلِكِ حَتَّى يَذِلَّ الْجُنْدُ لِلْمُتَعَمِّمِينَا
 فَهَلْ مَلَكَوْا بِأَقْلَامٍ قِلَاعًا وَهَلْ فَتَحُوا بِأَوْرَاقٍ حُصُونَا

(١) ت : ولم يتقاسم . الأسفال : هكذا في الأصل ولعلها الأسفال بالعين ، جمع سفل يفتح فكون

أو سفل على وزن كفف ومعناه : المتخذ المهبول .

(٢) ت : وقاموا . (٣) البرطيل : الرشوة .

(٤) الثمين : تصغير الثمن وهو ما يخص الزوجة ذات الأولاد من ميراث زوجها .

(٥) ت : عرضا . (٦) فوات : أمولاي . (٧) جامكيات : كلمة فارسية معناها معاشات .

وَمَنْ قَتَلَ الْفَرَنْجَ أَشَدَّ قَتْلٍ وَمَنْ أَسَرَ الْفَرَنْسِيَّ الْعَيْنَا
 وَمَنْ خَاضَ الْهَوَاجِرَ وَهُوَ ظَالِمٌ إِلَى أَنْ أُورِثَ التَّعَرُّ الْمُنُونَا
 وَلَا قُوَّةَ الْمَوْتِ دُونَ حَرِيمٍ مُضَرٍّ وَصَانُوا الْمَالَ مِنْهُمْ وَالْبَيْنَا
 وَلَمْ تُوْخَذْ كَمَا أُخِذَتْ دِمَشْقُ وَلَا حُصِرَتْ كَمَيَّا فَارِقِينَا
 وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِأَخْذِ مَالٍ مِنَ الْأَنْرَاكِ وَالْمُتَجَنِّدِينَا^(١)
 وَمَنْ لَمْ يَذْخِرْ فَرَسًا جَوَادًا لِوَأَقِصَةِ وَلَا سَيْفًا نَمِينَا
 فَبَعْدَ الْمَوْتِ قُلْ لِي أَيْ شَيْءٍ لَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَا
 إِذَا أُمْنَاؤُنَا قَبِلُوا الْهَدَايَا وَصَارُوا يَتَجَرُّونَ وَيَزْرَعُونَا
 فَلَمْ لَا شَاطَرُوا فِيهَا اسْتَفَادُوا كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يُفْعَلُونَا
 وَكُلُّهُمْ عَلَى مَالِ الرِّعَايَا وَمَالِ رِعَايَتِهِمْ يَتَحَيَّيْلُونَا
 تَحَيَّلَتْ^(٢) الْقُضَاةُ فَخَانَ كُلُّ أَمَانَتِهِ وَسَمَوُهُ الْإِمِينَا
 وَكَمْ جَعَلَ الْفَقِيهُ الْعَدْلَ ظُلْمًا وَصَيَّرَ بَاطِلًا حَقًّا مُبِينَا
 وَمَا أَخْشَى عَلَى أَمْوَالِ مُضَرٍّ سِوَى مَنْ مَعَشَرَ يَتَأَوَّلُونَا
 يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَنَا حُقُوقٌ بِهَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى الْآخِذِينَا
 وَقَالَ الْقَبِيطُ إِنَّهُمْ بِمِصْرَ الْمُلُوكِ وَمَنْ سِوَاهُمْ غَاصِبُونَا^(٣)
 وَخَلَّتِ الْيَهُودُ بِحِفْظِ سَبْتِ لَهُمْ مَالِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِينَا
 فَلَا تَقْبَلُ مِنَ النَّوَابِ عُدْرًا وَلَا النَّظَارِ فِيهَا يُهْمِلُونَا

(١) د : المستخدمينا . (٢) د : تفقحت .

(٣) هذا البيت ورد في وفات الوفيات هكذا :

وقال القبط نحن ملوك مصر وإن سواهم هم غاصبوننا

فَلَا تَسْأَلِ الْأَمْوَالَ حَتَّى
وَالَا أَيْ مَنفَعَةٍ يَقُومُ
أَلَيْسَ الْآخِذُونَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَأَنَّ الْكَازِبِينَ الْمَالَ مِنْهُمْ
تَوَرَّعَ مَعْشَرٌ مِنْهُمْ وَعُدُّوا
وَقِيلَ لَهُمْ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ
فَلَا تَقْبَلْ عَفَافَ الْمَرْءِ حَتَّى
وَلَا تُغْنِبَ لَهُمْ عُسْرًا إِذَا مَا
فَإِنَّ الْأَصْلَ يَعْرِى عَنْ فَمَارٍ
فَإِنَّ قَطَارِعَ الْعُرْبَانِ صَارَتْ
فَوَلَّى أَمْرَهَا ابْنُ أَبِي مُلَيْسَحٍ
وَنَاطَحَ وَهُوَ أَفْرَعُ كُلِّ كَبْشٍ
وَقَدْ شَهِدَتْ بِذَاهِلِهَا سُؤْدُ
وَكَمْ رَأَتْ لِبَغْلَتِهِ شِمَالًا
وَلَوْلَا ذَاكَ مَا وُلُّوا فِرَارًا
إِذَا تَنَزَّوُا الدَّرَاهِمَ فِي مَقَامٍ
إِذَا جَبَّشَتْ (٢) جَبْشًا فِي غَزَاةٍ

يَكُونُوا كُلُّهُمْ مُتَوَاطِئِينَ
إِذَا اسْتَحَفَّظْتَهُمْ لَا يَحْفَظُونَا
لَنَا فَوْقَ الْكِفَايَةِ حَائِنِينَ
أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
مِنَ الزَّهَّادِ وَالْمُتَوَرَّعِينَ
وَقَدْ مَلَّثُوا مِنَ السُّخْتِ الْبُطُونَا
تَرَى أَتْبَاعَهُ مُتَعَفِّفِينَ
غَدَتْ أَلْزَامُهُ مُتَمَوِّلِينَ
وَأُورَاقٍ وَيَكْسُوهَا الْفُصُونَا
لِعُمَالٍ لَهَا مُسَارِفِينَ
فَأَصْبَحَ لَا هَزِيلَ وَلَا سَمِينَا
فَكَيْفَ وَقَدْ أَصَابَ لَهُ قُرُونَا
وَهَلْبَا بَعَجَةٍ (١) حَرْبًا زَبُونَا
وَكَمْ رَأَتْ لِبَغْلَتِهِ يَمِينَا
مِنَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ لَطُورِ سِينَا
ظَنَنْتَ بِهِ الدَّرَاهِمَ يَأْسَمِينَا
تَرَى كُتَابَهُمْ مُتَبَايِرِينَ

(١) هلبا سويد وهلبا بعجة : بلدتان من أعمال بلييس .

(٢) ت : جهزت .

وَإِنْ رَجَعُوا إِلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ^(١) بِخَيْرٍ
وَقَدْ ثَبَتَتْ عَدَاؤُهُمْ فَمَيِّزٌ
وَلَمَّا أَنْ دُعُوا إِلَى الْبَابِ قُلْنَا
وَكأنُوا قَدْ مَضَوْا وَهُمْ غُرَاةٌ^(٢)
وَصَارُوا يَشْكُرُونَ السَّجْنَ حَتَّى
فَقُلْتُ لَعَلَّكُمْ فِيهِ وَجَدْتُمْ
فَقَالُوا : لَا وَلَكِنَّا أَسَانَا
وَقُلْنَا : الْمَوْتُ مَا لَا بَدَّ مِنْهُ
فَلَمْ تَتْرُكْ مِنَ الْأَقْوَالِ شَيْئًا
نُحِيلُ عَلَى الْبِلَادِ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَإِنْ مَنَعُوا تَقَوْلُنَا عَلَيْهِمْ
وَجَهَرْنَا وَلَا تَعْلَمُ الْحَرْبُ لَيْلًا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ
فَجِئْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا
وَجِئْنَا بِمَشَارِفِ^(٣) بُعِثُوا شُهُودًا
وَمَنْ أَلْفَ الْخِلْيَانَةَ كَيْفَ يُرْجَى
وَمَا ابْنُ قُطَيْبَةَ^(٤) إِلَّا شَرِيكَ

فَلَمْ تَرَ كَاتِبًا إِلَّا حَزِينًا
بِعَيْنِكَ مَنْ يَكُونُ لَهُ مُعِينًا
بِأَنَّ الْقَوْمَ لَا يَخْلَصُونَ
فَجَاءُوا بَعْدَ ذَلِكَ مُكْتَسِبِينَ
تَمَنَّى النَّاسُ لَوْ سَكَنُوا السُّجُونَ
بِطُولِ مُقَامِكُمْ مَا لَا دَفِينًا
بِأَنْفُسِنَا وَخَالَفْنَا الظُّنُونَا
فَإِذَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَا
وَخَاطَرْنَا وَجِئْنَا سَالِمِينَ
أُنَاسًا يَعْصِمُونَ وَيَظْلَمُونَا
بِأَنَّهُمْ عُصَاةٌ مُفْسِدُونَ
عَلَى أَنْ يَكْبِسُوهُمْ مُضْجِعِينَ
وَصَلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا
وَجَاءُوا بِالرَّجَالِ مُصَفَّدِينَ
فَإِنَّ مِنَ الْوُثُوقِ بِهِمْ جُنُونًا
لَهُ أَنْ يَحْفَظَ الْأَعْنَ الْخُنُونَا
لَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَتَخَفَتُونَا

(١) ت : أرضهم . (٢) د : ولهم . (٣) ت : مشاف .

(٤) قطية : بلدة في مديرية الشرقية بالقرب من الصالحية .

أَغَارَ عَلَى قُرَى فَأَقُوسَ مِنْهُ
وَجَاسَ خِلَالَهَا طُولًا وَعَرَضًا
فَسَلَ أَذْنَيْنِ^(٢) وَالْبَيْرُوقَ عَنْهُ
فَقَدْ نَسَفَ التَّلَالَ الْحُمْرَ نَسْفًا
وَصَيَّرَ عَيْنَهَا حِمْلًا وَلَكِنْ
وَأَصْبَحَ شُعْلُهُ تَحْصِيلَ نَبْرٍ
وَقَدَّمَهُ الَّذِينَ لَهُمْ وَصُولُ
وَفِي دَارِ الْوِلَايَةِ^(٣) أَيْ نَهَبٍ
وَمَا فَرَعُونَ^(٤) فِيهَا غَيْرَ مُوسَى
إِذَا أَلْقَى بِهَا مُوسَى عَصَاهُ
وَفِيهَا عُصْبَةٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ
وَشَاهِدُهُمْ إِذَا اتَّهَمُوا يُوَدَّى^(٥)
وَمَنْ يَسْتَعْطِ بِالْأَقْلَامِ رِزْقًا
وَأَلَسْتُ مُبَرَّنًا كُتَابَ دَرَجٍ
فَهَاكَ قَصِيدَةٌ فِي السَّرِّ مَنَى
يَجُورِ^(١) يَمْنَعُ النَّوْمَ الْجُفُونَا
وَوَدَّعَ عَالِيًا مِنْهَا حُرُونَا
وَمَنْزِلَ حَاتِمٍ وَسَلَّ الْعَرِينَا
وَلَمْ يَتْرُكْ بَعْرَصَتَهَا جُرُونَا
لِمَنْزِلِهِ وَغَلَّتْهَا خَزِينَا
وَكَانَتْ رَاوُهُ مِنْ قَبْلُ نُونَا
فَتَمَّمَ نَقْصَهُ صِلَةُ الَّذِينَ
فَلَيْتَكَ لَوْ نَهَبْتَ النَّاهِيَيْنَا
يَسُومُ الْمُسْلِمِينَ أَذَى وَهُونَا
تَلَقَّفَتِ الْقَوَافِلَ وَالسَّفِينَا^(٦)
عَلَى كُلِّ الْوَرَى يَتَعَصَّبُونَا
عَنِ الْكُلِّ الشَّهَادَةَ وَالْيَمِينَا
تَجِدُهُ عَلَى أَمَانَتِهِ ضِينَا^(٧)
إِذَا اتَّهَمْتَ لَدَى النَّاسِخُونَا
حَوَتْ مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ فُنُونَا

(١) ت : مجود . د : لجور (٢) د : أذنين (٣) فوات : الوكاية

(٤) هذا الشطر ورد في فوات الوفيات هكذا : فقام بها يهودى خبيث

(٥) ت : السينيا (٦) د : بقيوا . ت : بقيت . (٧) ظنينا

وقال لما سُرقت حماته :

قُلْتُ لَكُمْ عِنْدَ الشَّرَاقِ مُبَلِّغٌ أَخَذِي عَنِ الْمَذْكَورِ مَامَعْنَاهُ
لَا تَجْمَعُونِي فِي الْحَيْرِ كَنَظِيمٍ سَرَقَتْ يَدَاهُ فَقَطَعْتَ أَذْنَاهُ

في بعض^(٢) تواريخ مصر أن الملك الظاهر عين أربعة نضاة. لكل مذهب قاضيا؛ فنظم
البوصيري هذه الأبيات :

غَدَا جَامِعُ ابْنِ الْعَاصِ كَهْفَ أُمَّةٍ فَفِيهِ كَهْفُ لِلْأُمَّةِ جَامِعُ
لَقَدْ سَرَرْنَا أَنْ الْقَضَاةَ ثَلَاثَةٌ وَأَنْتَ تَاجُ الدِّينِ لِلْقَوْمِ رَابِعُ
بِهِمْ بَنِيَّةُ الْإِسْلَامِ صَحَّتْ وَكَيْفَ لَا تَصِحُّ وَهُمْ أَرْكَانُهَا وَالطَّبَائِعُ
فَهُمْ رُخَصًا أَبَدُوا لَنَا وَعَزَائِمًا هَدَيْنَا بِهَا فَهِيَ النُّجُومُ الطَّوَالِعُ
فَلَا تَبْتَئِسْ إِنْ وَسَّعَ اللَّهُ فِي الْهَدَى مَذَاهِبَنَا بِالْعِلْمِ وَاللَّهُ وَاسِعُ
تَفَرَّقَتْ الْأَرَاةُ وَالْدِّينُ وَاحِدٌ وَكُلٌّ إِلَى رَأْيٍ مِنَ الْحَقِّ رَاجِعُ
فَهَذَا اخْتِلَافٌ جَرَّ لِلخَلْقِ رَاحَةً^(١) كَمَا اخْتَلَفَتْ فِي الرَّاخَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

القصيدة المُضْرِبَةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ^(٣) :

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍّ وَالْأَنْبِيَاءِ وَاجْمَعِ الرُّسُلَ مَاذَكَرُوا
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْهَادِي وَشِيعَتِهِ وَصَحْبِهِ مَنْ لَطَى الدِّينَ قَدْ نَشَرُوا
وَجَاهِدُوا مَعَهُ فِي اللَّهِ وَاجْتَهِدُوا وَهَاجِرُوا وَلَهُ أَوْزَا وَقَدْ نَصَرُوا
وَبَيَّنُوا الْفَرَضَ وَالْمُسْنُونَ وَاعْتَصَبُوا لِلَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَانْتَصَرُوا

(١) هكذا في الأصل .

(٢) هذه القصيدة وردت في « ت » ولم ترد في د : ولذلك وضعتها في نهاية الديوان

(٣) نقلتها عن المجمة الكبرى في القصائد الفخرى طبع تركيا ص ٧٠ .

أَزْكَى صَلَاةٍ وَأَنْمَاهَا وَأَشْرَفَهَا يُعْطَرُ الْكَوْنُ رَبًّا نَشْرَهَا الْعَطِرُ
مَفْتُوحَةً بِعَبِيرِ الْمِسْكِ زَاكِيَةً مِنْ طَيِّبِهَا أَرْجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ
عَدَدَ الْخَصَى وَالْتَرَى وَالرَّمْلِ يَنْبَعُهَا تَجْمُ السَّمَاءُ وَنَبْتُ الْأَرْضِ وَالْمَدَرُ
وَعَدَدَ مَا حَوَتْ الْأَشْجَارُ مِنْ وَرَقٍ وَكُلُّ حَرْفٍ غَدَا يُتْلَى وَيُسْتَطَرُ
وَعَدَدَ وَزْنِ مَنَاقِيلِ الْجِبَالِ كَذَا يَلِيهِ قَطْرُ جَمِيعِ الْمَاءِ وَالْمَطَرُ
وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْأَنْمَاقِ مَعَ نَعَمٍ يَتَلَوْنَهُمُ الْجِنُّ وَالْأَمْلاَكُ وَالْبَشَرُ
وَالدَّرُّ وَالنَّمْلُ مَعَ جَمْعِ الْحُبُوبِ كَذَا وَالشَّمْرُ وَالصُّوفُ وَالْأَرْيَاشُ وَالْوَبَرُ
وَمَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَمَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ الْمَأْمُونُ وَالْقَدَرُ
وَعَدَدَ نَعْمَاتِكَ الْإِلَاقِي مَمْنَتَ بِهَا عَلَى الْخَلَائِقِ مُذْ كَانُوا وَمُذْ حُسِرُوا
وَعَدَدَ مِقْدَارِهِ السَّامِيِّ الَّذِي شَرَفَتْ بِهِ النَّبِيِّينَ وَالْأَمْلاَكُ وَافْتَخَرُوا
وَعَدَدَ مَا كَانَ فِي الْأَكْوَانِ يَاسَنْدِي وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تُبْعَثَ الصُّورُ
فِي كُلِّ طَرْفَةٍ عَيْنٍ يَطْرِفُونَ بِهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ أَوْ يَذَرُ
مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مَعَ جَبَلٍ وَالْفَرْشُ وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَمَا حَصَرُوا
مَا أَعَدَّ اللَّهُ مَوْجُودًا وَأَوْجَدَ مَعَهُ دُومًا صَلَاةً دَوَامًا لَيْسَ تَنْحَصِرُ
تَسْتَفْرِقُ الْعَدَمَ مَعَ جَمْعِ الدُّهُورِ كَمَا يُحِيطُ بِالْحَدِّ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ
لَا غَايَةَ وَإِنْهَايَا عَظِيمُ لَهَا وَلَا لَهَا أَمَدٌ يَقْضَى وَيُنْتَظَرُ
مَعَ السَّلَامِ كَمَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ رَبًّا وَضَاعَفَهَا وَالْفَضْلُ مُنْتَشِرُ
وَعَدَدَ أَضَاعَفَ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ مَعَ ضِعْفِ أَضَاعَفِهِ يَأْمَنُ لَهُ الْقَدَرُ
كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدِي وَكَمَا أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّيَ أَنْتَ مُقَدَّرُ
وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْرُوبٌ بِحَقِّكَ فِي أَنْفَاسِ خَلْقِكَ إِنْ قُلُوا وَإِنْ كَثُرُوا

يَا رَبِّ وَاغْفِرْ لِنَالِيهَا وَسَامِعِهَا
وَوَالِدَيْنَا وَأَهْلَيْنَا وَجِيرَتَنَا
وَقَدْ أَتَتْ بِذُنُوبٍ لَا عِدَادَ لَهَا
وَالْهَمُّ عَنْ كُلِّ مَا أَبْغَيْهِ أَشْغَانِي
أَرْجُوكَ يَا رَبِّ فِي الدَّارَيْنِ تَرْجُمَنَا
يَا رَبِّ اعْظِمْنَا لَنَا أَجْرًا وَمَغْفِرَةً
وَكُنْ لَطِيفًا بِنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
بِالْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَمَنْ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ
وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ الْفَارُوقِ صَاحِبِهِ
وَجَدِ لِعِمَّانَ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كَمَلَتْ
كَذَا عَلَيَّ مَعَ ابْنَيْهِ وَأُمِّهِمَا
سَعْدُ سَعِيدُ بْنُ عَوْفٍ طَلْحَةُ وَأَبُو
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ قَاطِبَةً

القصيدة الحمدية للإمام البوصيري^(١) :

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الْأَعْرَابِ وَالْعَجَمِ
مُحَمَّدٌ بَاسِطُ الْمَعْرُوفِ جَامِعَةٌ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ

(١) نقلتها عن المجوعة الكبرى المتقدم ذكرها .

مُحَمَّدٌ تَاجُ رُسُلِ اللَّهِ قَاطِبَةٌ
 مُحَمَّدٌ ثَابِتُ الْمِيثَاقِ حَافِظُهُ
 مُحَمَّدٌ حُبِيتْ بِالنُّورِ طَيِّبَتُهُ
 مُحَمَّدٌ حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ ذُو شَرَفٍ
 مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُضَرٍ
 مُحَمَّدٌ دِينُهُ حَقَّ النَّذِيرُ بِهِ
 مُحَمَّدٌ ذِكْرُهُ رُوحٌ لَأَنْفُسِنَا
 مُحَمَّدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا
 مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ طَابَتْ مَنَاقِبُهُ
 مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخَيْرَتُهُ
 مُحَمَّدٌ ضَاحِكٌ لِلصَّيْفِ مَكْرُمَةٌ
 مُحَمَّدٌ طَابَتْ الدُّنْيَا بِبِعْثَتِهِ
 مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَعْثِ النَّاسِ شَافِعُنَا
 مُحَمَّدٌ قَائِمٌ لِلَّهِ ذُو هِمَمٍ
 مُحَمَّدٌ صَادِقُ الْأَقْوَالِ وَالْكَلِمِ
 مُحَمَّدٌ طَيِّبُ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ
 مُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ نُورًا مِنَ الْقِدَمِ
 مُحَمَّدٌ مَعْدِنُ الْإِنْعَامِ وَالْحِكَمِ
 مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسُلِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
 مُحَمَّدٌ مُجْمَلٌ حَقًّا عَلَى عِلْمِ
 مُحَمَّدٌ شُكْرُهُ فَرَضٌ عَلَى الْأُمَمِ
 مُحَمَّدٌ كَاشِفُ الْغَمَاتِ وَالظُّلَمِ
 مُحَمَّدٌ صَاغَهُ الرَّحْمَنُ بِالنَّعَمِ
 مُحَمَّدٌ طَاهِرٌ سَاوَرُ التُّهَمِ
 مُحَمَّدٌ جَارُهُ وَاللَّهُ لَمْ يُضْمِ
 مُحَمَّدٌ جَاءَ بِالْآيَاتِ وَالْحِكَمِ
 مُحَمَّدٌ نُورُهُ الْهَادِي مِنَ الظُّلَمِ
 مُحَمَّدٌ خَاتِمُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ

القصيدة الهائية للإمام البوصيري^(١) :

الصُّبْحُ بَدَا مِنْ طَلَعَتِهِ
 فَاقَ الرُّسُلَا فَضْلًا وَعُلَا
 كَنَزُ الْكَرَمِ مُوَلَّى النَّعَمِ
 هَادِي الْأُمَمِ لِشَرِيعَتِهِ
 وَاللَّيْلُ دَجَا مِنْ وَفَرْتِهِ
 أَهْدَى السُّبُلَا لِدَلَالَتِهِ

(١) نقلتها عن المجوعة المتقدم ذكرها .

أَذْكَى النَّسَبِ أَعْلَى الْحَسَبِ كُلُّ الْعَرَبِ فِي خِدْمَتِهِ
 سَعَتِ الشَّجَرُ نَطَقَ الْحَجَرُ شُقَّ الْقَمَرُ بِإِشَارَتِهِ
 جَبْرِيلُ أُنَى لَيْلَةٍ أُسْرَى وَالرَّبُّ دَعَاهُ لِحَضْرَتِهِ
 نَالَ الشَّرَفَا وَاللَّهُ عَفَا عَمَّا سَلَفَا مِنْ أُمَّتِهِ
 فُحَمَّدُنَا هُوَ سَيِّدُنَا فَالْعِزُّ لَنَا لِإِجَابَتِهِ

أبيات وقصائد للبوصيري وردت في فوات الوفيات .

قال فيمن اسمه عمرو ، وعلى عينيه فص :

سَمَوُهُ غَمْرًا فَصَحَفْنَا اسْمَهُ غَمْرًا
 قَبَيْنَ الدَّهْرِ مِنَّا مَوْضِعَ الْغَلَطِ
 فَأَصْبَحَتْ عَيْنُهُ غَيْنًا بِنُقْطَتِهَا
 وَطَالَمَا ارْتَفَعَ التَّصْحِيفُ بِالنُّقْطِ

وقال من قصيدة أولها :

أَهْوَى وَالْمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ
 وَالتَّصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُغُونَهُ
 أَبَتِ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ
 إِنَّ حَيَّ لَا يَدْخُلُ الْقَيْنِيَّةُ
 كَيْفَ أَغْصَى الْهَوَى وَطِينَةُ قَلْبِي
 بِالْهَوَى قَبْلَ آدَمٍ مَعْجُونَهُ
 سَلَبَتْهُ الرُّقَادَ بَيْضَةُ خِذْرِ
 ذَاتُ حُسْنٍ كَالدَّرَةِ الْمَكْنُونَهُ
 سُمِّهَا قُبْلَةٌ تُسَرُّ بِهَا النَّفْسُ فَقَالَتْ كَذَا أَكُونُ حَزِينَهُ
 قُلْتُ لَا بُدَّ أَنْ تَسِيرِي إِلَى اللَّهِ
 أَرِ فَقَالَتْ : عَسَى أَنَا مَجْنُونَهُ
 قُلْتُ سِيرِي فَإِنِّي لَكَ خَيْرُ
 مِنْ أَبِي رَاحِمٍ وَأُمِّ حَنُونَهُ
 أَنَا نِعَمَ الْقَرِينُ إِنْ كُنْتَ تَبْغِينَ حَلَالًا
 وَأَنْتِ نِعَمَ الْقَرِينَهُ
 قَالَتْ : اضْرِبْ عَنِ وَصْلٍ مِثْلِي صَفْحًا
 وَاضْرِبِ الْخَلَّ أَوْ يَصِيرَ طَحِينَهُ
 لَا أَرَى أَنْ تَمْسِنِي يَدُ شَيْخٍ
 كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لِطَشِي مَشِينَهُ

قُلْتُ : إِنِّي كَثِيرٌ مَالٍ فَقَالَتْ هَبْكَ أَنْتَ الْمُبَارِزُ الْقَارُونََ
سَيِّدِي لَا تَخَفْ عَلَى خُرُوجَا فِي عَرُوضِي فَقَطِنْتِي مَوْزُونَهُ
كُلُّ بَحْرٍ إِنْ شِئْتَ فِيهِ اخْتَبَرْنِي لَا تُكَذِّبْ فَإِنِّي يَقْطِينَهُ
وقال، وكتب بها إلى بعض الأصحاب :

قُلْ لِعَلِّي الَّذِي صَدَّقْتُهُ عَلَى حُقُوقِ الإِخْوَانِ مُؤَمَّنَهُ
أَخُوكَ قَدْ عُوِّدْتَ طَبِيعَتُهُ بِشِرْبَةٍ فِي الرَّبِيعِ كُلِّ سَنَةٍ
وَالآنَ قَدْ عَفَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ هَدَّتْ قُورَاهُ وَجَفَفَتْ بَدَنَهُ
وَعَاوَدَتْ يَوْمَهَا زِيَارَتَهُ وَمَا اعْتَرَاهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ سَنَةٍ
وَعَادَ عِنْدَ الْقِيَامِ يَحْمِلُهَا بِرَاحَتَيْنِ كَأَنَّهَا زَمِنَهُ
جِئْتُ بِهَا لِلطَّيِّبِ مُسْتَكِيًّا وَدَمَعَتِي كَالْعَوَارِضِ الِهْتِنَةِ
فَقَالَ عُدْلِي إِذَا اخْتَمَيْتَ وَكُنْ فِي كُلِّ يَوْمٍ دَجَاجَةً دَهِنَةً
كَيْفَ وَصُولِي إِلَى الدَّجَاجَةِ وَالسَّبِيضَةِ عِنْدِي كَأَنَّهَا بَدَنَهُ
جَزَاكَ رَبِّي إِذَا انْمَهَلْتُ بِمَا شَرِبْتُ عَنْ كُلِّ خَرِيَةٍ حَسَنَةً
وقال فيمن على عينيه بياض :

انْظُرْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي عَيْنَيْهِ سِرًّا أَيْ سِر
طَمَسَ الْيَمِينَ بِكُوكِبٍ وَسَيَطَمُسُ الْيُسْرَى بِفَجْرِ
وقال في الشيخ^(١) زين الدين الرِّعَاد :

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِيقِ شَاعِرٌ وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بُدَّ أَنْ يَهْجَا
وَشِعْرِي بِحَرْمٍ لَا يُؤَافِيهِ ضِفْدَعٌ وَلَا يَقْطَعُ الرِّعَادُ^(٢) يَوْمًا لَهُ لُجَا

(١) كان يعمل خياطاً بالملحة ويقول الشعر .

(٢) في كلمة « الرِّعَاد » تورية ، فهي اسم الشاعر ، واسم لنوع من السمك .

أبيات للبوصيرى وجدتْها على الورقة الأولى من كتاب « الفاضل، من إنشاء الفاضل » ،
لابن نباتة مخطوط رقم ٧٠٦٥ أدب - المكتبة الأزهرية بالقاهرة .

فِدَاؤُكَ مَنْ إِذَا رُمْتُ امْتِنَانَا عَلَى لَهُ أَبَى إِلَّا امْتِنَانَا
فَلَا عِنْدِي لَهُ نِعَمٌ تُجَازَى وَلَا لِي عِنْدَهُ ذِمَّةٌ تُرَاعَى
أَبَاسُطُهُ وَأَخْذَرُهُ كَأَنِّي أُمَارِسُ مِنْ خَلَاتِقِهِ السَّبَاعَا
فَلَا أَنَا آمِنٌ مِنْهُ ضِرَارًا وَلَا هُوَ آمِلٌ مِنِّي انْتِفَاعَا
فَلَسْتُ أَوْدُهُ إِلَّا رِيَاءَ وَلَيْسَ يَوْدُونِي إِلَّا خِدَاعَا
أَصْعَتُ حُمُوقَهُ وَأَضَاعَ حَقِّي فَيَالِكَ صُحْبَةً ذَهَبَتْ ضِيَاعَا

وقال يمدح أبا العباس المرسي . وهذه الأبيات وردت في كتاب لطائف المنن
« في مناقب »^(١) أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن « تأليف ابن عطاء الله السكندري .

أَمَّا الْمَحَبَّةُ فَهِيَ بَذْلُ نَفْسٍ فَتَنَعَمِي يَا مُهْجَتِي بِالْبُوسِ
بَذْلَ الْمُحِبِّ لِمَنْ أَحَبَّ دُمُوعَهُ وَطَوَى حَشَاهُ عَلَى أَحَرِّ رَسِيسٍ^(٢)
صَدَّقَ وَقُلْ مَنْ لَمْ يَقُمْ كَقِيَامِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ امْرُؤٌ بِمُجْلُوسٍ
قَبِيلَ الْإِلَهِ تَقَرَّرِي بِمَدِيحِهِ وَتَوَجَّهِي لِجَنَابِهِ الْحُرُوسِ
رُمْتُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ أَعْجَزَنِي الشَّرَى وَأَبَاحَنِي مَرَاهُ غَيْرَ يَتُوسِ
أَكْرَمَ يَوْمٍ الْأَرْبَعَاءَ زِيَارَةً لَكَ إِنَّهُ عِنْدِي كَأَلْفِ حَمِيسِ
كُلُّ انِّصَالَاتِ السَّعِيدِ مَعِيدَةٌ بِمَنَابَةِ التَّنْثِيلِ وَالْتَسَدِيسِ

(١) انظر هامش لطائف المنن للشعراني (الجزء الثاني ص ٢٦ ط الميمنية بمصر) .

(٢) الرسيس : ابتداء الحمى .

شَرَفًا لِشَاذِلَةٍ وَمَرْسِيَةً سَرَتْ لَهَا الرِّبَاسَةُ مِنْ أَجْلِ رَئِيسٍ
مَا إِنْ نَسَبْتُ إِلَيْهِمَا شَيْخِيهِمَا إِلَّا جَلَوْتُهُمَا جِلَاءَ عُرُوسٍ
وقال^(١) :

تَجَنَّبْ أَحَادِيثَ الْحَسُودِ فَوَاجِبُ تَجَنُّبِهِ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ
وَكُلُّ حَسُودٍ مَا عَدَّتْهُ مَلَامَةٌ وَكُلُّ لَنِيمٍ مَا عَلَيَهُ مُعَوَّلٌ
مَتَى قَالَ عَنِّي الشَّوْءُ عِنْدَكَ إِنَّهُ كَذَاكَ يَقُولُ الشَّوْءُ عَنْكَ وَيَنْقُلُ
وقال^(٢) فِي الْمَرْكَبِ الَّتِي فَوْقَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

بِقُبَّةِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ سَفِينَةٌ رَسَتْ مِنْ بِنَاءِ مُحْكَمٍ فَوْقَ جُودِ
وَمُذْ غَاضَ طُوفَانُ الْعُلُومِ بِمَوْتِهِ اسْمُ
تَوَى الْفَلَاحُ فِي ذَاكَ الضَّرِيحِ عَلَى الْجُودِيِّ

وفي^(٣) كتاب السلوك للمقرئى ما نصه :

واتفق أيضا أن الشيخ شرف الدين البوصيرى رأى فى منامه قبل أن يخرج الأشرف
إلى عكا قائلا ينشده :

قَدْ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَكَا وَأَشْبَعُوا الْكَافِرِينَ صَا
وَسَاقَ سُلْطَانَنَا إِلَيْهِمْ خِيَلًا تَدُكُ الْجِبَالَ دَكَاً
وَأَقْسَمَ التُّرُكُ مِنْذُ سَارَتْ لَا تَرَكُوا لِلْفَرَنْجِ مُلْكَاً

(١) هذه الأبيات وردت فى نسب البوصيرى للسيوطى ، مخطوط ، رقم ٥٠٣٧ — أدب ورقة رقم ١٨٧
دار للكتب بالقاهرة وفى كتاب المقتضى المقرئى لوحة رقم ٢٥١ مخطوط رقم ٥٣٧٢ تاريخ دار الكتب .
(٢) الجزء الأول : القدم الثالث ص ٧٦٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٩
(٣) خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٩٩ ط بولاق بمصر .

ولما مات ^(١) صاحب فخر الدين، ولد صاحب بهاء الدين، المشهور بابن حنا في الحرم سنة ٦٧٢ وأُزِلَ في لحدّه، قام البوصيرى وأنشد :

نَمْ هَنِينًا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بِجَمِيلٍ قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ
لَمْ تَزَلْ عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى غَلَبْنَا يَدَ النَّوْنِ عَلَيْكَ
أَنْتَ أَحْسَنْتَ فِي الْحَيَاةِ إِلَيْنَا أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الْمَاتِ إِلَيْكَ

فتباكى الناس، وكان لها محل كبير من حضر :

ومن ^(٢) قوله، وكان قد أشيع أنه مات :

عَاشَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ الْبُوصِيرِيُّ وَحَيَاةُ الْكَلَابِ مَوْتُ الْحَمِيرِ
عَاشَ قَوْمٌ مُذْقِلَ إِيَّيْ قَدِمْتُ فَمَاتُوا قَبْلِي بِوَحْزِ الصَّدُورِ
لَسْتُ بِمَنْ يَمُوتُ أَوْ يَقْدُمُونِي وَأَبْكِي عَلَيْهِمْ فِي الْقُبُورِ
وَصَحِيحٌ بَأَنِّي كُنْتُ قَدْ مِتُّ وَأُخِيَانِي جُودُ هَذَا الْوَزِيرِ

ومن ^(٣) قوله، وكان الملك الظاهر قد أسر بكسر أوعية الخمر، وشدد فيها .

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الْحُمَيَّا وَصَيَّرَ حَدَّهَا حَدَّ الْبَيَانِي
فَمَا جَسَرَتْ مُلُوكُ الْجِنِّ مِنْهُ لَخُوفِ الْقَتْلِ تَدْخُلُ فِي الْقَنَانِي

ومن ^(٤) قوله يمدح الأمير سنجر الشجاعى الذى أثمر على بناء المدرسة المنصورية

والمارستان المنصورية سنة ٦٨٤ هـ

أُنْشِأتَ مَدْرَسَةً وَمَارِسْتَانًا لِتُصَحِّحَ الْأَجْسَامَ وَالْأَبْدَانَا

(١) خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٩٩ ط بولاق بمصر .

(٢٣٤٢) منقولة عن كتاب الموقوف للمقرئى المحفوظ بدارالكتب المصرية تحت رقم ٥٣٧٢ تاريخ تصوير

شمى مجلد رقم ٢ من لوحة ٢٥٠ - ٢٥٣ .

وكان^(١) له صديق يعرف بالحشاء، له غلام حبشي مليح الصورة . وكان شخص يدعى سليمان المفتش يحب ذلك العبد ، فحذره البوصيرى من سليمان المذكور، وقال له ما بلغه من خبر حبه للعبد . فقال له : أنا عبدى شيطان ، ما أخاف عليه ، فقال البوصيرى :

كَمْ قُلْتُ لِلْأَكْرَمِ الْحَشَاءُ أَنْصَحَهُ
بَأَنَّ عَبْدَكَ مُحْتَاجٌ لِلْقَانِ
فَقَالَ عَبْدِي عَفَرِيْتُ فَقُلْتُ لَهُ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ سُلَيْمَانَ

وبات مرّةً بالعرفاة فى رُقّة فىهم رجل اسمه مسافر ، فدب ليلا على صبي ، اسمه النجم .

فقال البوصيرى :

مُسَافِرٌ سَارَتْ أَحَادِيثُهُ مَا بَيْنَ كُلِّ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
سَرَى عَلَى النَّجْمِ وَلَا غَرَوِ فِي مُسَافِرٍ يَسْرِي عَلَى النَّجْمِ

انتهى ما وجدناه من شعر البوصيرى مفرقا فى الكتب

(١) نقلا عن المصدر السابق فى ص ٢٣٢ .

البوصيرى فى كتب التراجم

— ١ —

فوات الوفیات — تألیف محمد بن شاکر الکتبى

للتوفى سنة ٧٦٤ هـ

الجزء الثانى ص ٢٥٦ — ٢٦١ ط بولاق سنة ١٢٨٣ هـ

محمد بن سعید بن حمّاد بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى . كان أحد أبويه من أبوصير ، والآخر من دلاص ، فرکت له نسبة منهما . وقيل الدلاصيرى ، لكنه اشتهر بالبوصيرى . كان يعانى صناعة الكتابة والتصرّف ، وباشر الشرقية ببُلْبَيْس ، وله تلك القصيدة المشهورة التى نظمها فى مباشرى الشرقية التى أولها :

نَقَدْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَخْدِمِينَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أُمِينًا
الخ . . .

وهى طويلة إلى الغاية ، وقد اختصرت من أبياتها كثيرا ، وله فيهم غير ذلك . وشعره فى غاية الحسن والطفافة ، عذب الألفاظ ، منسجم التركيب . وقال فيمن اسمه عمرو ، وعلى عينه فصّ .

سَمَوُهُ عَمْرًا فَصَحَفْنَا اسْمَهُ عَمْرًا ' فَبَيَّنَ الدَّهْرُ مِنَّا مَوْضِعَ الْغَلَطِ
الخ . . .

وقال فيه من قصيدة أولها :

أَهْوَى وَالْمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ وَالتَّصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُعُونَهُ

النخ ...

وقال رحمه الله من قصيدة أولها :

يَأْتِيهَا الْمَوَالِي الْوَزِيرُ الَّذِي طَائِمَةٌ أَيْامُهُ طَائِمَةٌ أُمَرَةٌ

النخ ...

وقال وقد كتب بها إلى بعض الأصحاب :

قُلْ لِعَلِيٍّ الَّذِي صَدَّقْتُهُ عَلَى حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مُؤْتَمَنَةً

النخ ...

قال الشيخ تقي الدين بن سيد الناس: كانت له حمارة استعارها منه ناظر الشرقية، فأعجبته

فأخذها وجعل له ثمنها مائتي درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر :

المملوكة حمارة البوصيري

يَأْتِيهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدَتْ أَخْلَاقُهُ لِي بِأَنَّهُ فَاضِلٌ

النخ ...

فردّها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدرهم منه .

وقال فيمن على عينيه بياض :

انْظُرْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي عَيْنَيْهِ سِرًّا أَيْ سِرًّا

النخ ...

وقال في الشيخ زين الدين بن الرّعاد :

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَاعِرٌ وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بُدَّ أَنْ يُهْجَا

الخ . . .

وللبوصيريّ في مدائح النبيّ صلى الله عليه وسلم قصائد طنانة ، منها قصيدة
مهموزة أولها :

كَيْفَ تَرَقَّى رُفِيكَ الْأَنْبِيَاءُ
وقصيدة على وزن بانت سعاد ، وأولها :
إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولٌ وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا قَدَّمْتَ مَسْئُولُ
وقصيدته المشهورة بالبردة التي أولها :

أَمِنْ تَذَكُّرٍ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ يَدَمٍ
قال البوصيريّ : كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
منها ما كان اقترحه على صاحب زين الدين يعقوب بن الزبير . ثم اتفق بعد ذلك أن أصابي
خِلَطُ فَالِجٍ أَبْطَلَ نَصْفِي ، فَفَكَرْتُ فِي عَمَلٍ قَصِيدَتِي هَذِهِ الْبُرْدَةَ ، فَعَمَلْتُهَا ، وَاسْتَشْفَعْتُ بِهِ
إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ يَعْفِينِي ، وَكَرَّرْتُ إِنْشَادَهَا ، وَبَكَيْتُ وَدَعَوْتُ ، وَتَوَسَّلْتُ وَنَمْتُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَسَحَ عَلَيَّ وَجْعِي بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ، وَأَلْقَى عَلَيَّ بُرْدَةً ، فَانْتَبَهْتُ وَوَجَدْتُ فِي نَهْضَةٍ ،
فَقَمْتُ وَخَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمْتُ بِذَلِكَ أَحَدًا ، فَلَقِيتُنِي بَعْضُ الْفُقَرَاءِ ، فَقَالَ لِي :
أُرِيدُ أَنْ تَعْطِيَنِي الْقَصِيدَةَ الَّتِي مَدَحْتَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : أَيُّهَا ؟ فَقَالَ :
الَّتِي أَنْشَأْتَهَا فِي مَرْضِكَ ، وَذَكَرَ أَوَّلَهَا ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهَا الْبَارِحَةَ وَهِيَ تَنْشُدُ بَيْنَ يَدَيِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَارَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَتِمَائِلُ وَأَعْجَبْتُهُ ، وَأَلْقَى
عَلَيَّ مِنْ أَنْشَدَهَا بُرْدَةً ، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا ، وَذَكَرَ الْفَقِيرُ ذَلِكَ ، وَشَاعَ الْمَنَامُ ، إِلَى أَنْ اتَّصَلَ بِالصَّاحِبِ
بِهَاءِ الدِّينِ بْنِ حَنَا ، فَبَعَثَ إِلَيَّ ، وَأَخَذَهَا ، وَحَلَفَ أَلَّا يَسْمَعَهَا إِلَّا قَائِمًا حَافِيًا مَكْشُوفَ الرَّأْسِ ،

وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ، ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقيّ الموقعَ رمد ،
 أشرف منه على العمى ، فرأى في المنام قائلاً يقول له : اذهب إلى الصاحب ، وخذ البردة ،
 واجعلها على عينيك ، فتعافى بإذن الله عز وجل . فأتى إلى الصاحب ، وذكر منامه ، فقال :
 ما أعرف عندي من أثر النبيّ ، صلى الله عليه وسلم بُرْدَة ، ثم فكر ساعة وقال : لعل المراد
 قصيدة البردة التي للبوصيريّ . يا ياقوت ! افتح الصندوق الذي فيه الآثار ، وأخرج القصيدة
 التي للبوصيريّ ، وأت بها ، فأتى بها ، فأخذها سعد الدين ، ووضعها على عينيه ، فعوفى .
 ومن ثم سميت البردة ، والله أعلم .

— ٢ —

المقني للمقرئ المتوفى سنة ٨٤٥هـ

مصور . المجلد الأول ، لوحة رقم ٢٥٠ — تاريخ ٥٣٧٢

دار الكتب المصرية

محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن أبي سرور بن حيان بن عبد الله بن ملاك بن صنهاج .
 وقيل محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن عبد الله بن حَيَّانَ الحَبْنَوِيّ الصنْهَاجِيّ ، أبو عبد الله
 شرف الدين الدلاصيّ المولد ، المغربيّ الأصل ، البوصيريّ المنشأ ، صاحب القصيدة
 المعروفة بالبردة .

أصله من قلعة حَمَّاد، ببلاد المغرب، من قبيل يقال لهم بنو حَبْنُون، بجاء مهملة، ثم باء موحدة،
 بعدها نون وواو، ثم نون على وزن زيدون .

وكان أبوه من ناحية بوصير ، وأمه من ناحية دَلاص ، فركب لنفسه منهما نسبا ، وقال :
 الدلاصيريّ ، واشتهر بالبوصيريّ .

ومولده بناحية دلاص ، في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ست وقيل سنة عشر ، وقيل سبع وستائة ، فبرع في النظم ، وتخصّص بالوزير زين الدين يعقوب بن الزبير ، واقطع إليه بمصر ، وصار مفتوحا عليه ، فاتفق أنه أصابه فالج أبطل نصفه ، وتعطل مدة ، بحيث عجز عن الانقلاب في القرش من جانب إلى آخر . فلما أمضت ذلك ، عزم على نظم قصيدة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستشفع بها إلى الله تعالى ، عساه ينجيه مما به ، فنظم القصيدة التي تعرف بالبردة وأولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَيْرَانَ بِذِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

وكرر إنشادها مرارا ، وتشفع إلى الله سبحانه ؛ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، في إزالة كربته ، وأكثر من البكاء والدعاء ، ونام فرأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في منامه ، وكأنه يمسح بيده المقدسة على مابه من الوجع ، ثم ألقى عليه بردة ، فانتبه وقد عوفى مما به من قوره ، وخرج من منزله ، وكان ماتقدم ذكره سرا فيما بينه وبين الله ، سبحانه ، لم يُطْلِع عليه أحدا من الناس ، فلقبه بعض الفقهاء وقد خرج من بيته وقال له : أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : وأي قصيدة تريد ؟ فأني مدحته صلى الله عليه وسلم بقصائد كثيرة ، فقال التي أنشأتها في مرضك ، التي أولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَيْرَانَ بِذِي سَلَمٍ

والله لقد سمعناها البارحة ، وهي تُشَدُّ بين يدي من صُنِعَتْ فيه ، ورأيتها ، صلى الله عليه وسلم ، يتمايل عند سماعها ، كتمايل القضيبي الرطب ، وأعجبت ، وألقى على من أنشدتها بردة . فأعطاه القصيدة ، وشاع المنام بمصر ، حتى بلغ صاحب الكبير بهاء الدين علي بن محمد بن حنا ، فانتسخها ، ونذر أن لا يسمعها إلا وهو قائم مكشوف الرأس ، فسمعها كذلك ، وأعجب بها ، وتبرّك هو وأهله بسماعها ، وشاع ذلك بين الناس ، فاتفق أن سعد الدين الفارقي موقع صاحب رمد رمد شديدا أشفى منه على العمى ، فرأى في منامه كأنه يقال له : اذهب إلى صاحب بهاء الدين ، وخذ منه البردة ، وضعها على عينيك ، تبرأ من وقتك . فلما أتاه ، وقص عليه ما رأى

قال : والله ما عندي من آثار النبي صلى الله عليه وسلم بردة ، وفكر ساعة ثم قال : لعل المراد قصيدة البردة ، فنحن نتبرك بها ، وأمر عبده ياقوت أن يقول للخادم : افتح صندوق الآثار ، وأخرج القصيدة من حق العنبر ، وأت بها ، فلما جاءت وضعها الفارقى على عينيه ، وقرئت عليه ، وكان الشفاء ، فسميت من حينئذ البردة ، واشتهرت بديار مصر والشام والمغرب والحجاز واليمن ، شهرة لا مزيد عليها ، وزادوا في تعظيمها ، حتى عملوها تيممة تعلق على الرؤوس ، وزعموا فيها مزاعم كثيرة من أنواع البركة ، وهم على ذلك إلى يومنا هذا .

وكان البوصيرى شيخا مختصر الجرم ، وفيه كرم ، وله شعر فائق . قال فيه فتح الدين محمد بن سيد الناس : هو أحسن شعرا من الجزار والوراق .

وكان يعانى صناعة الكتابة الديوانية ، ويتصرف فى المباحرات ، وباشر فى الشرقية بيليس ، ورمى المباشرين بأوابد ، ومات فى يوم [^(١) سنة خمس وتسعين وستائة ، بالمارستان المنصورى فى القاهرة . ومن شعره :

تَجَنَّبَ أَحَادِيثَ الْحُسُودِ فَوَاجِبُ تَجَنُّبِهِ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ

الخ . . .

وقال فى المركب التى فوق رقبة الإمام الشافعى رحمه الله عليه [تقدم ذكر ماقاله فى شعره] .

وذكره الشهاب أحمد بن فضل الله ، فى كتابه مسالك الأبصار وقال : حكى لى شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود ، رحمه الله ، قال : كان البوصيرى على غزارة فضله ، ممقوتا ، لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح ، وذكره لهم بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء . قال : وكنت أشتى أن أراه ، وأتمنى قدوم مصر للقياء ، فلما نقلت إلى مصر فى الأيام الأشرفية ، سألت عنه فى الطريق قبل دخول البلد ، فقيل لى إنه مات ، وكان قد مرض مرضة طويلة ، أغمى عليه فيها ، فشنع عليه أنه مات ، وطارت هذه الشناعة ، واستقرت فى كثير من النفوس .

قال : فأسِفَت على فوات لقائه ، ثم لم يمض على إلا مدة ، حتى طرق على الباب ، فقلت : من أنت ؟ فقال : البوصيرى . فشرعت أردد السؤال لأستنبته ، إلى أن قال : كأنه قيل لك إنى مت ! فقلت : قد قالوا هذا ؛ فأنشدنى بديها :

عاشَ بَعْدَ مَوْتِهِ الْبُوصِيرَى وَحَيَاةُ الْكِلَابِ مَوْتُ الْحَمِيرِ

إلى أن قال :

وَصَحِيحٌ بِأَنِّى كُنْتُ قَدْ مِتُّ وَأَخْيَانَى جُودُ هَذَا الْوَزِيرِ

فقلت له الحمد لله على بقاءك وسلامتك . ثم أدخلته الدار، فتحادثنا وشكا إلى فاقة عظيمة، وضرورة زائدة . فقلت له : أ تقول إن جود هذا الوزير أحياك ، وهذه شكواك ، فقال : أحيانى بتجبره بها، ولا الفعلة الصنعة الكتاب : فقلت : دع هذا، وكمل على هذه الأبيات فى مدح الوزير، لأعرضها لك عليه، فلعلها تكون سببا لإحسانه إليك . ففعل وكان كما قلت .

قال : وأما البردة : فحكى لى غير واحد من أثق به : أن رجلا كان من الكتاب بمطابخ السكر السلطانى بمصر ، مُعَرِّى بكتابة هذه القصيدة، يعنى البردة ، مغرما بها ، ولا يزال يذكر عظيم النفع لها ، وأنه ما استشفى بها أحد ، إلا شُفِيَ واستغنى بها عن الدواء ، وكان له رفيق نصرانى معاند يهزأ به إذا قال مثل هذا ، ولا يقدر أن يتكلم ، إلى أن حصل لابن صغير له رمد، كاد يذهب بعينه . فأتاه غلام له يحمله ، فوقف وهو فى مكان مباشرته ، والنصرانى إلى جانبه ، فلما رآه أبوه ، قال للغلام : اذهب إلى الكحال، فأره له، ودعه يكحله . فرأى النصرانى أن قد جاءه وقت الكلام . فقال : لا حاجة إلى الكحال ! يكفيه البردة فغضب المسلم ، وقال : نعم يكفيه البردة ! والله لا طيبته بغيرها . خذ يا غلام هذه البردة، وضعها على عينيه، ولا تكحله، ودعه يأكل ما أراد ، ودفعها إليه . فأخذ الغلام ، وذهب به ، وكان ذلك يوم السبت . فلما أصبح بكرة يوم الأحد ، نظر إليه أبوه فرأى الحمرة قد تَقَشَّعت ، وصفت

حمرة عينيه ، وسكن مابه ، فحمله وأتى به النصرانيّ في كنيسته ، وقال . انظر كيف ترى
نفع البردة ! فوجم النصرانيّ ، ولم يتكلم . فلما كان يوم الاثنين زال ما كان بالصغير ، حتى
كانه لم يكن ، فأنى به أبوه النصرانيّ ، فقال له : انظر كيف هو اليوم ؟ فقال النصرانيّ :
لا شك بعد عيان ، وأسلم وحسن إسلامه ، ثم كان أشد الناس كلفاً بها .

وكان الملك الظاهر قد أمر بكسر أوعية الخمر ، وشدد فيها ، فقال :

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الْحَمِيَّاءِ وَصَيَّرَ حَدَّهَا حَدَّ الْيَمَانِيِّ

الخ ...

فبلغت السلطان ، فقال : لو كنت أجمع بشاعر لاجتمعت به . ولما عمر المدرسة المنصورية
والمارستان بالقاهرة ، أكثر الشعراء في وصفها ، ومدحوا الأمير سنجر الشجاعيّ متولى عمارتها .
فمن أنشده البوصيريّ ، قصيدة أولها :

عَمَّرْتَ مَدْرَسَةً وَمَارِسْتَانًا لِتُصَحِّحَ الْأَذْيَانَ وَالْأَبْدَانًا^(١)

فقال له حسبك في هذا كفاية . ولم يسمع تنمة القصيدة استحسانا للبيت ، وظل يومه كله
ينشده ويترنم به ، وأجزل جائزته ، وهى كلها طنانة ، قد ذكرتها عند ذكر المدرسة المنصورية
في كتاب الاعتبار بذكر الخطط والآثار . وقد أورد الصفدىّ هذا البيت في ترجمة عثمان
ابن سعيد بن تولو ، وإماما هو للبوصيريّ . وله فيه أخرى أولها :

جَوَارِكَ مِنْ جَوْرِ زُؤْمَانٍ يُجِيرُ وَبَشْرِكَ لِلرَّاجِي نَدَاكَ يَشِيرُ

ومنها في وصف ذلك :

بَنَى مَا بَنَى كَسْرَى وَمَا قَلَبَ مُؤْمِنٍ يُبَاهِي بِهِ فِيمَا بَنَاهُ كَقُورٍ

وكان له صديق من الكتاب ، يعرف بالأكرم الحشّاء ، له عبد حبشى مليح الصورة ،

(١) ورد أمام هذا البيت بالهامش ما نصه : « وهذه القصيدة التى ذكر المترجم مطلعها إتماما لى للسراج
هر بن الحسين الوراق ، وهى مذكورة فى ديوانه بخطه وليست للبوصيريّ » .

وكان شخص يعرف بسلیمان المقتش يحب ذلك العبد ، فحذره البوصيرى من سليمان المذكور ، وقال له ما بلغه من خبر حبه للعبد ، فقال له : أنا عبدى شيطان ، ما أخاف عليه ، فقال :
 كَمْ قُلْتُ إِلَّا كَرَمَ الْحِشَاءِ أَنْصَحَهُ بِأَنَّ عَبْدَكَ مُحْتَاجٌ لِلْقَابِ
 الخ . . .

وبات ليلة بالقرافة فى رفقة فيهم رجل اسمه مسافر ، فدب ليلا على صبي اسمه النّجم .
 فقال :
 مُسَافِرُ سَارَتْ أَحَادِيثُهُ مَا بَيْنَ كُلِّ الْعُرْبِ وَالْعُجَمِ
 الخ . . .

وحكى أنه كان قليل المعرفة بصناعة الكتابة ، وكان يبأسرها ، ويبغض طائفة الكتاب ، ويضطر إلى أن يعاشرها ، ولا يزال رزقه مقترّأ ، ويرى الكتاب فى النعمة يتقلبون ، فقال :
 نَقَذْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَخْدَمِينَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا
 وهى طويلة .

المنهل الصافى لابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٨٧هـ — مخطوط رقم ١١١٣ تاريخ دار الكتب
 المجلد الثالث ورقة رقم ١٥٨ — ١٦٠

البوصيرى ناظم البردة

محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيانى بن صنهاج بن هلال ؛ الشيخ
 الأديب الشاعر شرف الدين أبو عبد الله الصنهاجى ، صاحب القصيدة الموسومة بالبردة :
 « أَمِنْ تَذَكُّرِ جِرَانِ بَذَى سَلَمِ »

مولده ببهشيم ، من أعمال البهنسة ، في يوم الثلاثاء مستهل شوال سنة ثمان وسمائة .
 ونشأ بدلاص . وكان أحد أبويه من بوسير والآخر من دلاص ، فركب له نسبة منهما ،
 وقال : الدلاصيرى ، ولكن ما اشتهر إلا بالبوسيرى . وكانت له أشياء مثل هذا يركبها من
 لفظتين ، مثل قوله في كساء له : كساط ، فقيل له : لماذا تسميه بذلك ؟ قال : لأني تارة أجلس
 عليه ، وتارة أرتدى به ، فهو كساء وبساط . وأهل العلم تسمى هذا النوع منحوتا ، كقولهم
 عبشى : نسبة إلى عبد شمس ، وحضرمى : نسبة إلى حضرموت .

قال البوسيرى : كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم اتفق
 بعد ذلك أنه أصابني فالج أبطل نصفي ، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة ، فعملتها
 واستشفعت به إلى الله ، عز وجل ، في أن يعافيني ، وكررت إنشادها ، وبكيت وتوسلت به ،
 ونمت ، فرأيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فمسح وجهي بيده الكريمة ، وألقى عليّ
 بردة ، فانتبهت ووجدت في نهضة ، فخرجت من بيتي ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، حتى
 لقيني بعض الفقراء ، فقال : أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فقلت : أيها ؟ فقال : التي أنشأتها في مرضك ، وذكر أولها ، وقال : والله لقد
 سمعناها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ورأيت ، صلى الله عليه وسلم ،
 يتمايل ، وأعجبته وألقى علي من أنشدها بردة ، فأعطيته إياها ، وذكر الفقير ، ذلك فشاع المنام إلى
 أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا وزير الملك الظاهر بيبرس ، فبعث إلى واستفسحها ،
 ونذر أن لا يسمعها إلا قائما حافيا مكشوف الرأس ، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ،
 ثم بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقاني الموضع رمد ، أشرف منه على العمى ، فرأى في المنام
 قائلا يقول له : اذهب إلى صاحب ، وخذ البردة ، واجعلها على عينيك ، تعافى بإذن الله تعالى ،
 وذكر منامه . فقال صاحب : ما عندي من أثر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، شيء يقال له البردة
 ثم قال : لعل المراد قصيدة البوسيرى . يا باقوت ! قل للخادم بفتح صندوق الآثار . ويخرج القصيدة
 من حُق العنبر ، ويأت بها . فأخذها فوضعها على عينيه فعوفيت ، ومن ثم سميت البردة .

قلت والبردة حقيقة هي قصيدة كعب بن زهير ، التي أنشدها كعب بحضرة النبي صلى الله
 عليه وسلم :

« بَأَنْتَ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ »

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى : أخبرنى الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو
من لفظه بعد ما أملى على نسبه : هو كما ذكرناه ، قال : أصله من المغرب ، من قلعة سماد
قبيلة يعرفون ببني حبتون ، بجاء مهمله ، وباء موحدة ونونين بينهما واو ، على وزن زيدور
قال : وولد كما ذكرناه . ثم قال : وأنشدنى لنفسه ما قاله فى الشيخ زين الدين بن رعاد :
لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَاعِرٌ وَنَ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بَدَّ أَنْ يُهْجَا
فَشِعْرِي بَخْرٌ لَا يُؤَافِيهِ ضِفْدَعٌ وَلَا يُدْرِكُ الرِّعَادُ يَوْمًا لَهُ عَجَا
ثم قال : قال الشيخ أثير الدين : كان البوصيرى مختصر الجرم ، وفيه كرم . قلت : وأظن
وفاته كانت فى سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وستمائة . وله فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم
عدة قصائد طنانة ، منها قصيدة مهموزة ، أولها :

كَيْفَ تَرَفَّى رُقِيكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءُ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
وَأَبْيَاتُهَا تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِينَ بَيْتٍ . وقصيدة على وزن بانت سعاد ، أولها :
إِلَى مَتَى أَنْتِ بِاللَّذَاتِ مَسْغُولُ وَأَنْتِ عَنْ كُلِّ مَا قَدَمْتُ مَسْئُولُ

انتهى . وقيل كان للبوصيرى حجارة ، فاستعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته ، فأخذها ،
وجعل له ثمنها مائتى درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر : الملوكة حجارة البوصيرى ، تنشد :
[قد مرت الأبيات فى قافية اللام]

فلما وقف الناظر على الأبيات ردها عليه ، ولم يأخذ الدرهم . انتهى .

بحمد الله وحسن توفيقه والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ، قد تم طبع :

« ديوان البوصيرى »

بتحقيق الأستاذ محمد سيد كيلانى

مصححاً بمعرفة لجنة من العلماء برئاسة الشيخ أحمد سعد على
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده

القاهرة فى { ٢٦ ذى القعدة ١٣٧٤ هـ
١٦ يوليو ١٩٥٥ م }

(١٩٥٥/٣٠٠٠/٧/٤٥)

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمراني